

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية







مجلة تبيان للدراسات القرآنية

مجلة علمية دوريّة محكّمة



٣٣
العدد الثالث والثلاثون - جمادى الأولى 1440 هـ ، يناير 2019 م
TBEIAN FOR QUR'ANIC STUDIES

موضوعات العدد الثالث والثلاثون

ردمد ١٦٥٨-٣٥١٥
ISSN.1658-3515
رقم الإيداع ١٤٢٨/٢١٩٠


بسم الله الرحمن الرحيم

التعريف بالمجلة

مجلة "تبيان" للدراسات القرآنية

مجلة (دورية - محكمة)، تعنى بنشر البحوث في مجال الدراسات القرآنية، تصدر أربع مرات سنوياً عن الجمعية العلمية السعودية للقرآن الكريم وعلومه "تبيان"، صدر العدد الأول منها عام ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

الرؤية:

الريادة في نشر البحوث المحكمة في الدراسات القرآنية.

الرسالة:

نشر البحوث المحكمة في حقول الدراسات القرآنية من خلال معايير مهنية عالمية متميزة.

الأهداف:

١- إيجاد مرجعية علمية للباحثين في مجال الدراسات القرآنية.

٢- المحافظة على هوية الأمة والاعتزاز بقيمها من خلال نشر الأبحاث المحكمة التي تسهم بتطوير المجتمع وتقدمه.

٣- تلبية حاجة الباحثين محلياً واقليمياً وعالمياً للنشر في مجال الدراسات القرآنية.

* * *

شروط وإجراءات النشر

في مجلة (تبيان) للدراسات القرآنية

المواصفات العلمية والمنهجية:

- الأمانة العلمية.
- الأصالة والابتكار.
- سلامة الاتجاه.
- سلامة منهج البحث.
- مراعاة أصول البحث العلمي في الاقتباس والتوثيق، وسلامة اللغة، والإملاء، والطباعة.
- كتابة مقدمة تحتوي علىٰ: (موضوع البحث، ومشكلته، وحدوده، وأهدافه، ومنهجه، وإجراءاته، وخطة البحث، والدراسات السابقة – إن وجدت – وإضافته العلمية عليها).
- تقسيم متن البحث إلىٰ فصول ومباحث ومطالب، حسب ما يناسب طبيعة البحث موضوعه ومحتواه.
- كتابة خاتمة بخلاصة شاملة للبحث تتضمن أهم (النتائج) و(التوصيات).
- كتابة قائمة بمراجع البحث، وفق المواصفات الفنية المشار إليها لاحقاً.

شروط تسليم البحث:

- ألا يكون البحث قد سبق نشره.
- ألا يكون مستلاً من بحث أو رسالة نال بها الباحث درجة علمية، وفي حال كان كذلك يجب علىٰ الباحث أن يشير إلىٰ ذلك، وأن لا يكون سبق نشره، لتنظر هيئة التحرير مدىٰ الفائدة العلمية من نشره.
- **أن لا يزيد عدد الصفحات عن ٥٠ صفحة –كاملاً مع الملحقات– بعد التقيد بالمواصفات الفنية لطباعة البحث من حيث نوع الخط، وحجمه، والمسافات، والهوامش.**
- رفع البحث عبر البوابة الإلكترونية للمجلة نسخة إلكترونية من البحث بصيغة (Word)، ونسخة أخرىٰ بصيغة (BDF) بدون بيانات الباحث.

مرفقات البحث عند تسليمه:

- رفع ملف يشتمل علىٰ عنوان البحث والسيرة الذاتية.
- رفع ملف ملخص البحث باللغة العربية، لا يزيد عن (٢٠٠) كلمة، ويتضمن

العناصر التالية: (عنوان البحث، اسم الباحث ورتبته العلمية، موضوع البحث، وأهدافه، ومنهجه، وأهم النتائج، وأهم التوصيات). مع كلمات دالة (المفتاحية) معبرة بدقة عن موضوع البحث، والقضايا التي تناولها، بحيث لا يتجاوز عددها (٦) كلمات.

- رفع ملف ترجمة الملخص وعنوان الموضوع واسم الباحث ورتبته، والكلمات الدالة إلىٰ اللغة الإنجليزية، ويجب أن يعتمد الملخص المترجم من قبل مركز ترجمة متخصص.

إجراءات التحكيم:

- تنظر هيئة التحرير في مدىٰ تحقيق البحث لشروط النشر، فإن كان مطابقا للشروط حول للتحكيم.

معيار التقييم	الدرجة التامة	الدرجة الفعلية	جوانب الضعف
قيمة الموضوع العلمية	٢٥		
جدة الموضوع والإضافة العلمية	٢٥		
سلامة منهجية البحث	٢٥		
شخصية الباحث وحسن معالجته للموضوع	٢٥		
المجموع	١٠٠		

- تؤخذ النتيجة بمتوسط درجات أعضاء هيئة التحرير.
- يجتاز البحث القبول الأولي للعرض علىٰ المحكمين إذا تجاوز ٦٠٪.
- تُحكَّم البحوث من قبل محكمين اثنين علىٰ الأقل، برتبة علمية تساوي أو تزيد عن الباحث.
- تُحكَّم البحوث وفق المعايير التالية:

معيار التقييم	الدرجة التامة	الدرجة الفعلية	جوانب الضعف
العنوان: جودة الصياغة، مطابقة العنوان للمضمون	٥		
ملحقات البحث: ملخص، مقدمة، خاتمة، توصيات، قائمة مراجع. مع توفر العناصر الأساسية لكل منها.	٥		
الدراسات السابقة: وافية، وضوح العلاقة بالبحث، الإضافة العلمية محدد	٥		

معيار التقييم	الدرجة التامة	الدرجة الفعلية	جوانب الضعف
اللغة: النحو، الإملاء، الطباعة	٥		
المنهجية: الوضوح، السلامة، الالتزام، دقة الخطة، سلامة التوزيع	١٠		
الأسلوب: الجزالة، الإيجاز، الوضوح، الترابط	٢٠		
المضمون العلمي: المطابقة للعنوان والأهداف، السلامة العمية، القوة، الإضافة العلمية ظاهرة وقيمة.	٢٠		
الإضافة العلمية: الأصالة، التجديد، الأهمية.	١٥		
المصادر: الأصالة، الحداثة، التنوع، الشمول	٥		
النتائج: مبنية على الموضوع، الشمول، الدقة	٥		
التوصيات: منبثقة عن الموضوع، الواقعية، الشمول	٥		
النتيجة	١٠٠		

- قرار التحكيم يعتمد على متوسط درجات المحكمين ويتضمن الاحتمالات التالية:
  - في حال اجتياز البحث درجة ٩٠٪ يعتبر البحث مقبولا للنشر على حاله.
  - يحتاج لتعديل في حال حصول البحث على درجة ما بين ٦٠ ٪ – ٨٩ ٪.
  - مرفوض في حال حصول البحث على درجة أقل من ٦٠ ٪.
- في حال الحاجة للتعديل يعاد البحث مع التعديلات المطلوبة للباحث، ويقوم هو بدوره بالتعديل وإن بقي على رأيه يرد على ملاحظة المحكم بما يوضحه ويقويه.
- بعد أن يجري الباحث التعديل يعاد البحث للمحكم للحكم النهائي، ويتضمن الحكم أحد احتمالين:
  - مقبول للنشر في حال حصوله على ٩٠٪ فما فوق.
  - مرفوض في حال حصوله على ٩٠٪ فما دون.

شروط النشر:

- في حال قبول البحث للنشر تؤول كافة حقوق النشر للمجلة، ولا يجوز نشره في أي منفذ نشر آخر ورقيًا أو إليكترونيًا، دون إذن كتابي من رئيس هيئة تحرير المجلة، وللمجلة الحق في نشر البحث على موقع الجمعية وغيره من أوعية النشر الإلكتروني.

- ينشر البحث إلكترونياً في موقع المجلة وفي المجلة نفسها حسب أولوية النشر، وهذه تعتمد علىٰ تاريخ قبول البحث، واعتبارات تحددها هيئة التحرير مثل تنوع الأبحاث في العدد الواحد.
- في حال قبول البحث للنشر يرسل للباحث قبول النشر، وعند رفض البحث للنشر يرسل له اعتذار عن النشر.
- يلزم الباحث بدفع تكاليف التقييم في الحالات التالية:
  - إذا ثبت عدم صدق الإقرار.
  - إذا أخل الباحث بالتعهد.
  - إذا سحب الباحث بحثه بعد التقييم.
  - إذا لم يلتزم بتسليم البحث بصيغته النهائية وفق شروط النشر المعتمدة في المجلة.
- يلتزم الباحث عند الموافق علىٰ نشره بتقديمة بالصيغة النهائية المشار إليها في المواصفات الفنية المعتمدة.

المواصفات الفنية للبحث:

- يستخدم خط (Traditional Arabic) للغة العربية بحجم (١٨) أبيض للمتن وأسود للعناوين، وبحجم (١٤) أبيض للحاشية والملخص.
- يستخدم خط (Times New Roman) للغة الإنجليزية بحجم (١١) أبيض للمتن وأسود للعناوين، وبحجم (١٠) أبيض للحاشية والمستخلص.
- **عدد صفحات البحث (٥٠)** صفحة (A4).
- تترك مسافة بداية كل فقرة لا تزيد علىٰ ١سم.
- المسافة بين السطور مفرد.
- الهوامش الصفحة من الأعلىٰ والأسفل واليسار ٢.٥سم ومن اليمين ٣.٥سم.
- الآيات القرآنية تكتب وفق المصحف الإلكتروني لمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بحجم ١٤ بلون عادي (غير مسوَّد).

طريقة التوثيق

توثيق الآيات:

- توثق الآيات في المتن عقب النص القرآني مباشرة بذكر السورة متبوعة بنقطتين ثم رقم الآية داخل حاصرتين، هكذا: [البقرة: ٢٥٥].

توثيق النصوص:

- يلحق النص المراد توثيقة داخل المتن برقم صغير علوي بعد علامة الترقيم.
- يربط بحاشية سفلية أسفل الصفحة بترقيم مستقل لكل صفحة، وتضبط الحواشي آليا لا يدوياً.

أولا: عند ورود المصدر أول مرة وكذلك في قائمة المراجع في نهاية البحث.

عنوان الكتاب بخط غامق متبوعا بفاصلة، اسم العائلة متبوعا بفاصلة، ثم الاسم الأول والثاني وتاريخ وفاة المؤلف بين قوسين متبوعا بفاصلة، ثم الناشر متبوعا بفاصلة، ثم مكان النشر متبوعا بفاصلة، ثم رقم الطبعة متبوعا بفاصلة، ثم تاريخ النشر متبوعا بفاصلة، ثم الجزء والصفحة متبوعة بنقطة.

مثال:

الصحاح، الجوهري، إسماعيل بن حماد (١٢٠٥هـ)، تحقيق أحمد عبدالغفور عطا، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م، ٢/ ٤٦.

ثانيا: إذا ورد المرجع مرة ثانية

عنوان الكتاب بخط غامق متبوعاً بفاصلة، اسم العائلة متبوعاً بفاصلة، ثم الجزء والصفحة متبوعة بنقطة.

مثال:

الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، ٢/ ٤٦.

- **توثيق الحديث النبوية**: تتبع ذات الخطوات السابقة، ويضاف رقم الحديث، والحكم عليه.
- توثيق بحث في مجلة: يضاف لما سبق عنوان البحث بعد اسم المجلة بخط غامق، ثم رقم العدد.

❋ ❋ ❋

جميع المراسلات وطلبات الاشتراك باسم: رئيس هيئة التحرير

علىٰ النحو التالي: المملكة العربية السعودية – الرياض

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية –كلية أصول الدين – الجمعية العلمية السعودية للقرآن الكريم وعلومه– مجلة "تبيان"للدراسات القرآنية

البريد الإلكتروني:

quranmag@gmail.com

الفيس بوك: www.facebook.com/Quranmag

تويتر: https: //twitter.com/quranmag1

هاتف المجلة: ١١٢٥٨٢٧٠٥(٩٦٦+)

هاتف وفاكس الجمعية: ١١٢٥٨٢٦٩٥(٩٦٦+)– ٠٥٤٦٦٦٧١٤١

موقع الجمعية

www.alquran.org.sa

❊ ❊ ❊

المحتويات

البحوث

مقدمة التحرير

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أنزل علىٰ عبده الكتاب ولم يجعل له عوجًا، والصلاة والسلام علىٰ مَنْ بعثه ربه ليبين للناس ما اختلفوا فيه، وأرسله بشيراً ونذيراً وداعيًا إلىٰ الله بإذنه وسراجًا منيراً، وعلىٰ آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلىٰ يوم الدين .. وبعد:

فإن كتاب الله تعالىٰ هو الحبل المتين والصراط المستقيم، وهو المعين الذي لا ينضب، والمورد العذب الزلال لكل طالب حق، مَنْ تمسك به سعد، ومن أعرض عنه ضل وشقي.

ولا تزال أقلام الباحثين وعقولهم تصدر عنه بكل جديد نافع مفيد، فهو الذي لا يخلق عن كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه.

وهذا هو العدد الثالث والثلاثون من مجلة تبيان للدراسات القرآنية، نضعه بين يديك -أخي القارئ الكريم- حافلاً بمجموعة من البحوث والدراسات في مختلف أبواب الدراسات القرآنية.

ولا تزال كثير من علوم القرآن وتفسيره مجالاً رحبًا للباحثين لتحرير مسائلها وحشد أمثلتها وتطبيقاتها، واستقراء قضاياها عند العلماء المحققين؛ إذ تأصيل العلوم إما عن طريق النص أو عن طريق استقراء مناهج الراسخين من أئمة الفن، ولئن كان للأمة قدم صدق في هذا الباب، فلا يزال المجال رحبًا والميدان فسيحًا والساحة العلمية تتسع وتنتظر المزيد.

بارك الله الجهود، وسدد الخطىٰ، وأصلح النيات، إنه سميع مجيب.

وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

رئيس تحرير مجلة تبيان للدراسات القرآنية

أ.د. محمد بن سريع بن عبد الله السريع

البحوث

آيات الكرم في ضوء القرآن الكريم
عرض ودراسة

إعداد

د. محمد بن أحمد بن محمد بن معيض الحواش

الأستاذ المشارك بكلية الشريعة وأصول الدين

جامعة الملك خالد قسم القرآن الكريم وعلومه

ملخّص البحث

الحمد لله وحده والصلاة والسلام علىٰ من لا نبي بعده : وبعد :

فإن خلق الكرم من أهم الأخلاق التي امتدحها الله تعالىٰ في كتابه ،ووصف بها قرآنه المجيد بأنه (قرآن كريم) وجعلها شريعة بين المؤمنين وحث بها علىٰ الإنفاق بكل الطرق والوسائل ؛ لأن الإنفاق شاق علىٰ النفس ، لما جلبت عليه من حب المال واكتنازه ، فكأن الإنفاق مضاد لطبعها ، فكان الرسول صلىٰ الله عليه وسلم يعالج تلك الأنفس بما يستأصل منها الحرص والشح ويعالج به ذلك الداء العضال وقد قسمت بحثي هذا إلىٰ مقدمة وتمهيد وأربعة مباحث ، وخاتمة ، وفهارس تتضمن أهم المراجع والمصادر ثم فهرس محتويات البحث ، وقد انتهيت إلىٰ عدد من النتائج أهمها :

١- أن خلق الكرم من أهم الأخلاق التي امتدحها الله تعالىٰ في كتابه ووصف بها ذاته.

٢- وردت هذه اللفظة ومشتقاتها في القرآن الكريم سبعًا وأربعين مرة.

٣- للكرم في القرآن الكريم دلالات.

٤- للمكرمين سواء كانوا من الملائكة أو من المؤمنين مكانة عند الله ولهم .

٥- أن هناك أعمال توصل لدرجة المكرمين .

٦- أن للكرم آثار علىٰ الفرد والمجتمع .

والبحث في ختامه يوصي:

١- إدراج الأخلاق المحمودة في مناهج التدريس للطلاب وخاصة خلق الكرم ليتربىٰ عليه الأجيال.

٢- تبني وسائل الإعلام برامج دعوية تغرس منهج الكرم في السلوك المجتمعي وإبراز المردود النفسي والديني .

٣- أنه لا ينبغي لدارس القرآن الكريم أن يدرس ألفاظ القرآن ومفرداته بمعزل عن سياقاتها اللغوية والحالية .



المقدمة

الحمد لله المحمود على كل حال، الموصوف بصفات الجلال والكمال، له الأسماء الحسنى وهو الكبير المتعال، والصلاة والسلام على نبي الهدى ومنهج الرشد والكمال، وعلى آله وصحبه أهل الفضل والإجلال، وبعد:

فإن خلق الكرم من أهم الأخلاق التي امتدحها الله تعالى في كتابه، ووصف به قرآنه المجيد فقال ﴿إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ﴾ [الواقعة: ٧٧] وجعله شريعة بين المؤمنين، وحث به على الإنفاق بكل الطرق والوسائل؛ لأن الإنفاق شاق على النفس، لما جلبت عليه من حب المال واكتنازه، والازدياد منه، فكأن الإنفاق مضادُ لطبعها، فكان الرسول ﷺ يعالج تلك الأنفس بما يستأصل منها الحرص والشح، ويعالج به ذلك الداء العضال، ويحبب بها الإنفاق إلى هذه النفوس.

والكرم والجود والعطاء أخلاق ربانية ، وهي منهج حياة رسول الله ﷺ فهو يحبها، ويحب أن ينصح الناس بها؛ امتثالاً لشرع الله، وقد تواترت بذلك الكثير من النصوص الشرعية.

وحديث القرآن الكريم عن خلق الكرم وتطبيقاته، وآثاره في بناء الفرد والجماعة حديث شامل؛ لأنه منهج يقوم على أساس متكامل، قادر على تربية النفس وفق أصول الشريعة ومقاصدها، في إطار منهج الاستخلاف الحقيقي في المال، الذي هو ملك لله تعالى؛ لذا أمر الله تعالى الناس بالإنفاق مما جعلهم مستخلفين فيه، قال تعالى: ﴿ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسۡتَخۡلَفِينَ فِيهِۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَأَنفَقُواْ لَهُمۡ أَجۡرٞ كَبِيرٞ﴾ [الحديد: ٧].

ويأتي هذا البحث ترجمة واقعية لهذا المنهج الذي بات قوام صلاح البلاد والعباد، خاصة أن النفس الإنسانية مجبولة على حب المال والضن به، إلاَّ من عصمه الله تعالى من الشح والبخل، فأفلح وفاز، قال تعالى: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ وَٱسۡمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيۡرٗا لِّأَنفُسِكُمۡۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [التغابن: ١٦].

أهمية الموضوع:

خلق الكرم ذو أهمية قصوىٰ في المجتمع، فعليه يقوم صرح التكافل، الذي يضمن للفقير الحياة في مستوىٰ لائق، ويحفظ علىٰ الأرملة سترها، وحياءها، ويكفل لليتيم ضمانات الحياة المستقرة الهادئة، ومن هنا يعزز هذا الخلق آصرة الأخوة الإسلامية التي نادىٰ بها الإسلام ويرسخها عمليًا في وجدان كل من ذوي الحاجات والمنفقين.

كما أن الكرم يحفظ المجتمع من أضرار حرمان هؤلاء المحتاجين حيث قد يسعون إلىٰ سد حاجاتهم الضرورية بأية سبيل، وإعطاؤهم يحفظ أمن المجتمع.

كما أن الكرم يدير رؤوس الأموال، ويحركها فتنمو التجارة والصناعة، وكافة الأنشطة الاقتصادية وبذا تقل البطالة ويقوي الاقتصاد.

الدراسات السابقة:

في حدود ما وقفت عليه من دراسات متخصصة، لم أقف علىٰ دراسة محددة، تجمع شتات هذا الموضوع، سوىٰ الدراسات الشرعية التي تتناول الإنفاق التطوعي، وهو وإن كان وجهاً من وجوه الكرم إلا أن أحكامه علىٰ العموم، وأنواعه متعددة، والكرم أظهر أسبب هذا الإنفاق وأزكاها عند الله تعالىٰ ؛لذا حرصت علىٰ الكتابة فيه، راجياً من الله تعالىٰ التوفيق والسداد، مبتغياً به وجهه الكريم، وفضله العظيم.

منهج البحث :

١ - المنهج الإحصائي والتحليلي للآيات الكريمات الواردة في منهج الكرم ، وأوصافه ، وأنواعه وبيان أقوال العلماء فيها من غير إفراط ولا تفريط ، أو لي لأعناق النصوص الشرعية.

٢ - الاستدلال بالأحاديث النبوية المبينة للأحكام الشرعية المستفادة من الآيات القرآنية.

خطة البحث:

قسمت هذا البحث إلىٰ مقدمة وتمهيد ومباحث أربعة ، وخاتمة ، وفهارس تتضمن أهم المراجع والمصادر ، ثم فهرس محتويات البحث :

- **تمهيد**: في التعريف بدلالة الكلمة والألفاظ ذات الصلة.
- **المبحث الأول**: دلالات مشتقات الكرم في ضوء القرآن الكريم.
- **المبحث الثاني**: مكانة المكرمين والثناء عليهم.
- **المبحث الثالث**: الأعمال الموصلة لدرجة المكرمين.
- **المبحث الرابع**: أثر الكرم علىٰ الفرد والمجتمع.
- **الخاتمة.**
- **الفهارس.**



مبحث تمهيد
في التعريف بدلالة الكلمة والألفاظ ذات الصلة

- تعريف الكرم لغةً **واصطلاحًا**، والعلاقة بينهما.
- الألفاظ ذات الصلة.

تعريف الكرم لغة واصطلاحًا، والعلاقة بينهما:

أولاً: تعريف الكرم لغة :

كَرَمَ : الكاف والراء والميم أصل صحيح له بابان: أحدهما شرف في الشيء في نفسه أو شرف في خلق من الأخلاق. يقال رجل كريم، وفرس كريم، ونبات كريم. وأكرم الرجل، إذا أتىٰ بأولاد كرام، واستكرم: اتخذ علقا كريما، وكرم السحاب: أتىٰ بالغيث، وأرض مكرمة للنبات، إذا كانت جيدة النبات، والكرم في الخلق يقال هو الصفح عن ذنب المذنب، والكريم: الصفوح، والله تعالىٰ هو الكريم الصفوح عن ذنوب عباده المؤمنين.

والكَرَم: شرف الرجل، ويقال: تكرّم عن الشائنات، أي: تنزه، وأكرم نفسه عنها ورفعها، والكَرَمُ: أرض مثارة منقاة من الحجارة[١] فالكرم: يكون بمعنىٰ الفضل في كل شيء، كان معه عطاء أو لم يكن، فلذلك قيل: ثوب كريم، وكتاب كريم[٢].

وسمىٰ بعضهم الكرم تارة بالخير، وتارة بالحسب[٣]، ووصف الماجد بأنه كثير الكرم[٤] ويقال للرجل الطلق الوجه ذي الكرم: الأبلج[٥].

قال الرازي «الأرض لها طبع الكرم؛ لأنك تدفع إليها حبة واحدة، وهي تردها عليك سبعمائة» قال تعالىٰ: ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ﴾ [البقرة: ٢٦١][٦].

---

(١) العين: أبو الرحمن الفراهيدي، باب الكاف والراء والميم (٥/ ٣٦٨).
(٢) إيضاح شواهد الإيضاح: أبو علي الحسن بن عبد الله القيسي (١/ ٦٩).
(٣) الكليات: الكفوي (١/ ٤٢٣)
(٤) المرجع السابق: (١/ ٨٧٠).
(٥) المرجع السابق:(١/ ٢٥).
(٦) مفاتيح الغيب: الرازي (٢/ ٣٣٨).

ثانيـًا: معنىٰ الكرم في الاصطلاح:

عرف العلماء الكرم في الاصطلاح بتعريفات قريبة من دلالة الكلمة في اللغة، ومن تعريفاتهم:

١ – ما قاله الجرجاني «الكرم: هو الإعطاء بسهولة»(١).

٢ – وما قاله أبو هلال العسكري «الكرم: هو إعطاء الشيء عن طيب نفس قليلاً كان أو كثيراً»(٢).

وبالمقارنة بين الدلالة اللغوية والاصطلاحية للكرم يظهر أن الدلالة الاصطلاحية مشتقة من الدلالة اللغوية، وأنه يراد به الكثرة في العطاء تفضلاً بلا منٍّ أو أذىٰ، وأنه اسم من أسماء الله تعالىٰ الحسنىٰ، وقد جمع الراغب الأصفهاني دلالة هذه الكلمة في القرآن الكريم بقوله «الكَرَمُ إذا وصف الله تعالىٰ به فهو اسم لإحسانه وإنعامه المتظاهر، نحو قوله ﴿فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٤٠] وإذا وصف به الإنسان فهو اسم للأخلاق والأفعال المحمودة التي تظهر منه، ولا يقال: هو كريم حتىٰ يظهر ذلك منه، قال بعض العلماء: الكَرَمُ كالحرّيّة إلّا أنّ الحرّيّة قد تقال في المحاسن الصّغيرة والكبيرة، والكرم لا يقال إلاّ في المحاسن الكبيرة، وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣] فإنما كان كذلك؛ لأنّ الْكَرَمَ الأفعال المحمودة، وأكرمها وأشرفها ما يقصد به وجه الله تعالىٰ، فمن قصد ذلك بمحاسن فعله فهو التّقيّ، فإذا أكرم الناس أتقاهم، وكلّ شيء شرف في بابه؛ فإنه يوصف بالكرم قال تعالىٰ: ﴿فَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ [لقمان: ١٠]، ﴿وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ [الدخان: ٢٦]، ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾ [الواقعة: ٧٧]، ﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [الإسراء: ٢٣]»(٣).

(١) التعريفات: الجرجاني (ص: ١٨٤).

(٢) الفروق اللغوية: أبو هلال العسكري (ص: ١٧٥).

(٣) المفردات في غريب القرآن: الراغب الأصفهاني (ص: ٧٠٧).

الكرم في الاستعمال القرآني:

وردت هذه اللفظة ومشتقاتها في القرآن الكريم سبعًا وأربعين مرة، منها أربعة وثلاثون موضعًا مكيًا، ثلاثة عشر موضعًا مدنيًا، في ثمان وعشرين سورة منها إحدىٰ وعشرون سورة مكية، وسبع سور مدنية(١)، ويُلاحظ من هذه الإحصائية أن عدد ورود هذه اللفظة القرآنية يزيد في القرآن المكي علىٰ ثلاثة أضعاف ورودها في القرآن المدني، وربما يرجع السبب في ذلك إلىٰ حرص المنهج القرآني علىٰ غرس قيمة الكرامة في نفوس المؤمنين في مرحلة الإعداد والتكوين في مكة؛ لجني ثمارها في مرحلة الدولة والتمكين في المدينة.

هذا وقد جاءت اشتقاقات مادة (الكرم) علىٰ النحو الآتي:

- الفعل الماضي علىٰ وزن فَعَّلَ المتصل بضمير (كَرَّمْتَ، كَرَّمْنَا)، وكذا علىٰ وزن أَفْعَلَ المتصل بضمير (أَكْرَمَن، أَكْرَمَهُ).
- الفعل المضارع علىٰ هيئة الأفعال الخمسة (تُكْرِمُون).
- فعل الأمر المتصل بضمير (أَكْرِمِي).
- صيغة مبالغة علىٰ وزن فَعِيل (كَرِيم، كَرِيمًا).
- اسم علىٰ وزن فِعَال (كِرَام، كِرَامًا).
- اسم تفضيل (الأَكْرَم، أَكْرَمَكُم).
- مصدر الفعل الرباعي (الإِكْرَام).
- اسم المفعول (مُكَرَّمَة ، المكْرَمُون).
- اسم الفاعل (مُكْرِم ، المكْرِمين).

وأما المعاني التي استخدم فيها القرآن الكريم هذا اللفظ فهي علىٰ النحو الآتي:

١- **الحُسْن**: كما في قوله تعالىٰ: ﴿ **وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا**﴾ [النساء:٣١].

٢- **الفاضل**: كما في قوله تعالىٰ: : ﴿ **إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ** ﴾ [الحجرات:١٣].

(١) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: محمد فؤاد عبد الباقي: ص٦٠٢.

٣- **الكثير**: كما في قوله تعالىٰ: ﴿ **وَأَعْتَدْنا لَها رِزْقًا كَرِيمًا** ﴾ [الأحزاب:٣١].

٤ -**المتكبر**: كما في قوله تعالىٰ: ﴿ **ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ** ﴾ [الدخان:٤٩].

٥- **التقي**: كما في قوله تعالىٰ: : ﴿ **كِرَامًا كَاتِبِينَ** ﴾ [الانفطار:١١].

٦- **الصّفوح**: كما في قوله تعالىٰ: : ﴿**ما غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ**﴾ [الانفطار:٦][١].

الفرق بين الكرم والألفاظ ذات الصلة

١- الفرق بين الكرم والجود:

- **الجود لغةً**: قال ابن فارس: "الْجِيمُ وَالْوَاوُ وَالدَّالُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ التَّسَمُّحُ بِالشَّيْءِ، وَكَثْرَةُ الْعَطَاءِ"[٢].

- **الجود اصطلاحًا**: قال الراغب: "الجود: بذل المقتنيات مالاً كان أو علمًا"[٣].

- **الفرق بين الكرم والجود**: أن **الكرم**: هو إعطاء الشيء عن طيب نفس قليلاً كان أو كثيرًا، أما **الجود** فهو سعة العطاء، سواء كان عن طيب نفس أو لا، ويجوز أن يُقال: الكريم هو مَن يُعطي من يريد إكرامه وإعزازه، والجواد : قد يكون كذلك وقد لا يكون[٤].

٢- الفرق بين الكرم والسخاء:

الكرم : هو إعطاء الشيء عن طيب نفس قليلاً كان أو كثيرًا.

والسَّخاء: الجُود، أو إعطاء ما ينبغي لمن ينبغي، أو بذل التَّأمُّل قبل إلحاف السَّائل[٥].

وقيل السخاء: هُوَ أَن يلين الْإِنْسَان عِنْد السُّؤَال ويسهل همره للطال[٦].

(١) انظر: نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر: ابن الجوزي: ٥٢١.
(٢) انظر: معجم مقاييس اللغة: ابن فارس : ١/ ٤٩٣.
(٣) مفردات ألفاظ القرآن: ص٢١١.
(٤) انظر: الفروق اللغوية : ص١٧١.
(٥) التوقيف في مهمات التعاريف: المناوي: ١٩٢.
(٦) المرجع السابق: ١/ ١٧٣.

الفرق بين الكرم والسخاء:

الكرم : هو إعطاء الشيء عن طيب نفس قليلاً كان أو كثيرًا.

والسخاء: سهولة الإنفاق وتجنب اكتساب ما لا يحمد وهو الجود، وهو ضد التقتير [١].

٣- الفرق بين الكرم والإيثار:

الكرم : هو إعطاء الشيء عن طيب نفس قليلاً كان أو كثيرًا.

والإيثار هو: تقديم الغير علىٰ النفس وحظوظها الدنيوية رغبة في الحظوظ الدينية، وذلك ينشأ عن قوة اليقين، وتوكيد المحبة والصبر علىٰ المشقة [٢].

الفرق بينهما : أن الإيثار أخص من الكرم.

❊ ❊ ❊

(١) الشفاء بتعريف حقوق المصطفىٰ: الفضيل بن عياض :١/ ٢٣٠.

(٢) تفسير القرطب: القرطبي :٢٦/ ١٨.

المبحث الأول
دلالات مشتقات الكرم في ضوء القرآن الكريم

المطلب الأول: دلالة الكرم حيث كان اسمًا أو صفةً لله تعالىٰ:

وصف الله ﷻ نفسه بالكريم "وهو الّذي إذا قدر عفا، وإذا وعد وفّىٰ، وإذا أعطىٰ زاد علىٰ منتهىٰ الرّجاء، ولا يبالي كم أعطىٰ، ولا من أعطىٰ، وإن رُفِعَت حاجة إلىٰ غيره لا يرضىٰ، وإذا جُفِيَ عاتب وما استقصىٰ، ولا يضيع من لاذ به والتجأ، ويغنيه عن الوسائل والشّفعاء" [(١)].

وغاية الكرم والجود منه سبحانه أنه مهما فعل العبد ما فعل، فلا ييأس من مغفرته وعفوه، فلا عداوة أعظم من عداوة أوليائه، ولا كفراً أشد كفرا ممن حرق بالنار من آمن بالله وحده وعبده ووحَّده، ومع هذا فلو تابوا لم يعذبهم وألحقهم بأوليائه قال تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُواْ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴾ [البروج: ١٠] قال الحسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ : " انظروا إلىٰ هذا الكرم والجود، يقتلون أولياءه ويفتنونهم، وهو يدعوهم إلىٰ التوبة والمغفرة"[(٢)].

الفرع الأول: دلالة وصف الكريم الوارد في سورة النمل

قال الله تعالىٰ ﴿فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴾ [النمل: ٤٠][(٣)].

الابتلاء الاختبار ويكون بالخير وبالضر؛لأن في كليهما اختبارًا لثبات النفس وخلق الأناة والصبر قال تعالىٰ: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ ﴾ [الأنبياء: ٣٥] وبذكر الابتلاء ظهر أن إكرام الله إياه إكرام ابتلاء فيقع علىٰ حالين، حال مرضية وحال غير

---

(١) المقصد الأسنىٰ: الغزالي : ص ١١٧

(٢) التبيان في أقسام القرآن: ابن قيم : ٥٧

(٣) انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: الزمخشري (٣/ ٣٦٧) مفاتيح الغيب: (٢٤/ ٥٥٦)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ابن عطية (٤/ ٢٥٩)، معالم التنزيل في تفسير القرآن: البغوي (٣/ ٥٠٦).

مرضية وكذلك تقتير الرزق تقتير ابتلاء يقتضي حالين أيضا[١].

والقائل في الآية هو نبي الله سليمان عليه السلام لما رأىٰ العرش مستقراً عنده، وفيه بيان أن نفع الشكر عائد إلىٰ الشاكر لا إلىٰ الله تعالىٰ، أما أنه عائد إلىٰ الشاكر فلوجوه:

أحدها: أنه يخرج عن عهدة ما وجب عليه من الشكر.

وثانيها: أنه يستمد به المزيد علىٰ ما قال تعالىٰ: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧].

وثالثها: أن المشتغل بالشكر مشتغل باللذات الحسية وفرق ما بينهما كفرق ما بين المنعم والنعمة في الشرف، ثم قال: ومن كفر فإن ربي غني كريم غني عن شكره لا يضره كفرانه، كريم لا يقطع عنه نعمه بسبب إعراضه عن الشكر[٢]، وبمثل هذا المعنىٰ جاءت أقوال المفسرين.

قال الطبري في معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٤٠] «يقول: ومن كفر نعمه وإحسانه إليه، وفضله عليه، لنفسه ظلم، وحظَّها بخَس، والله غنيّ عن شكره لا حاجة به إليه، لا يضرّه كفر من كفر به من خلقه، كريم، ومن كرمه إفضاله علىٰ من يكفر نعمه، ويجعلها وصلة يتوصل بها إلىٰ معاصيه»[٣].

ولما ذكر الفضل إضافة إلىٰ الله بعنوان كونه ربه لإظهار أن فضله عليه عظيم إذ هو عبد ربه، فليس إحسان الله إليه إلا فضلاً محضا، ولم يشتغل سليمان حين أحضر له العرش بأن يبتهج بسلطانه ولا بمقدرة رجاله ولكنه انصرف إلىٰ شكر الله تعالىٰ علىٰ ما منحه من فضل وأعطاه من جند مسخرين بالعلم والقوة، فمزايا جميعهم وفضلهم راجع إلىٰ تفضيله.

وفي الآية حكمة خلقية دينية وهي: من شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن

---

(١) التحرير والتنوير: ابن عاشور (٣٠/ ٣٢٩).

(٢) مفاتيح الغيب: (٢٤/ ٥٥٧).

(٣) تفسير الطبري: الطبري: (١٩/ ٤٦٩).

ربي غني كريم فكل متقرب إلىٰ الله بعمل صالح يجب أن يستحضر أن عمله إنما هو لنفسه يرجو به ثواب الله ورضاه في الآخرة ويرجو دوام التفضل من الله عليه في الدنيا فالنفع حاصل له في الدارين ولا ينتفع الله بشيء من ذلك[1].

الفرع الثاني: دلالة الوصف الوارد في سورة الرحمن ﴿ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ :

قال تعالىٰ: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧]، وقوله تعالىٰ: ﴿تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٧٨] قال الطبري «وقوله تعالىٰ: ﴿تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ﴾ يقول تعالىٰ ذكره: تبارك ذكر ربك يا محمد ﴿ذِى ٱلْجَلَٰلِ﴾ يعني ذي العظمة ﴿وَٱلْإِكْرَامِ﴾ يعني: ومن له الإكرام من جميع خلقه...، وعن ابن عباس قوله: ﴿ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ يقول: ذي العظمة والكبرياء»[2].

والمتأمل في سورة الرحمن يجد أن الله –تعالىٰ– افتتح السورة باسم (الرحمن) واختتمها بهذه الصفة؛ وذلك لمعنىٰ جميل، وصفه القرطبي بقوله: «فافتتح بهذا الاسم، فوصف خلق الإنسان والجن، وخلق السموات والأرض وصنعه، وأنه كل يوم هو في شأن ووصف تدبيره فيهم، ثم وصف يوم القيامة وأهوالها، وصفة النار ثم ختمها بصفة الجنان، ثم قال في آخر السورة ﴿تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ أي: هذا الاسم الذي افتتح به هذه السورة، كأنه يعلمهم أن هذا كله خرج لكم من رحمتي، فمن رحمتي خلقتكم وخلقت لكم السماء والأرض والخلق والخليقة والجنة والنار، فهذا كله لكم من اسم الرحمن فمدح اسمه ثم قال: ﴿ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ جليل في ذاته كريم في أفعاله ولم يختلف القراء في إجراء النعت علىٰ الوجه بالرفع في أول السورة، وهو يدل علىٰ أن المراد به وجه الله الذي يلقىٰ المؤمنون عندما ينظرون إليه، فيستبشرون بحسن الجزاء، وجميل اللقاء، وحسن العطاء. والله أعلم»[3].

(١) التحرير والتنوير: (١٩/ ٢٧٢).
(٢) تفسير الطبري :(٢٣/ ٨٦).
(٣) تفسير القرطبي (١٧/ ١٩٣).

ومنه الحديث الذي رواه الترمذي بسنده عَنْ أَنَسٍ أَنَّ النَّبِيَّ -ﷺ- قَالَ :"أَلِظُّوا[(١)] بِيَا ذَا الْجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ "[(٢)]، أي سلموا بها وداوموا عليها، أي على هذه الكلمة [(٣)]، ومنه قوله ﷺ «**اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت المنان بديعُ السموات والأرض يا ذا الجلال والإكرام**»[(٤)]، وروى مسلم بسنده عَنْ ثَوْبَانَ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ- **إِذَا انْصَرَفَ مِنْ صَلاَتِهِ اسْتَغْفَرَ ثَلاَثًا وَقَالَ " اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلاَمُ وَمِنْكَ السَّلاَمُ تَبَارَكْتَ ذَا الْجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ "**[(٥)].

الفرع الثالث: دلالة اسم (الكريم) الوارد في سورة الانفطار:

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ٦ ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ﴾ [الانفطار: ٦-٧] قال أهل العلم: الغرور آفة تقتل صاحبها، وقد ذمه الله تعالى في أكثر من آية[(٦)]، ومنها هذه الآية، قال الطبري في معناها «يقول تعالى ذكره: يا أيها الإنسان الكافر، أيّ شيء غرّك بربك الكريم، غرّ الإنسانَ به عدوُّه المسلَّط عليه»[(٧)].

قال يحيى بن معاذ : لو أقامني الله بين يديه، فقال: ما غرك بي؟ قلت: غرني بك برك بي سالفًا وآنفًا.

(١) لَظَّ : ألظوا : أَيِ الْزَمُوا هَذَا وَأَكْثِرُوا مِنْهُ فِي دُعَائِكُمْ.(معجم مقاييس اللغة: ابن فارس:٥/ ٢٠٦).

(٢)أخرجه الترمذي في سننه: كتاب الدعوات: باب : يا حي يا قيوم برحمتك استغيث، (٣٨٦٨)، قال الألباني صحيح، (صحيح الجامع الصغير وزياداته، ١٢٤٨).

(٣) العين: الفراهيدي، مادة (لظ) (٨/ ١٥١).

(٤)أخرجه أبو داود في سننه : باب: الدعاء، برقم (١٤٩٥)، قال الألباني صحيح، (صحيح أبي داود:١٣٤٢).

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه: كِتَاب الْمَسَاجِدِ وَمَوَاضِعِ الصَّلَاة : باب اسْتِحْبَابِ الذِّكْرِ بَعْدَ الصَّلاَةِ وَبَيَانِ صِفَتِهِ، (١٣٦٢).

(٦) منها قوله تعالى: ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ﴾ [لقمان: ٣٣] قال قتادة: «الْغَرُورُ: الشَّيْطَانُ» تفسير عبد الرزاق (٣/ ٦٨) والمعنى الذي اقصده هو ما يعتري الإنسان من تكبر وتجبر، كالذي ورد في قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ﴾ [لقمان: ١٨]، وقال: ابن عاشور: «والغرور: الأطماع بما يتوهمه المغرور نفعًا وهو ضر». التحرير والتنوير: الطاهر بن عاشور (٣٠/ ١٧٤).

(٧) تفسير الطبري: (٢٤/ ٢٦٩).

وقال القرطبي «خاطب بهذا منكري البعث». وقال ابن عباس: «الإنسان هنا: الوليد بن المغيرة وقال عكرمة: أبي بن خلف، وقيل: نزلت في أبي الأشد بن كلدة الجمحي. عن ابن عباس أيضا ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ﴾ أي ما الذي غرك حتىٰ كفرت؟ بربك الكريم أي المتجاوز عنك. قال قتادة: غره شيطانه المسلط عليه، وقال الحسن: غره شيطانه الخبيث، وقيل: حمقه وجهله... وقيل: غره عفو الله، إذ لم يعاقبه في أول مرة.. قيل للفضيل بن عياض : لو أقامك الله تعالىٰ يوم القيامة بين يديه، فقال لك: ما غرك بربك الكريم؟ ماذا كنت تقول؟ قال: كنت أقول غرني ستورك المرخاة، لأن الكريم هو الستار، قَالَ ابْنُ السِّمَاكِ :

يا كاتم الذنب أما تستحي ** والله في الخلوة ثانيكا

غرك من ربك إمهاله ** وستره طول مساويكا[1]

وقال الرازي «اعلم أنه سبحانه لما أخبر في الآية الأولىٰ عن وقوع الحشر والنشر ذكر في هذه الآية ما يدل عقلاً علىٰ إمكانه أو علىٰ وقوعه، فأن الإله الكريم الذي لا يجوز من كرمه أن يقطع موائد نعمه عن المذنبين، كيف يجوز في كرمه أن لا ينتقم للمظلوم من الظالم؟.

أما قوله تعالىٰ: ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ﴾ فالمراد الذي خدعك وسول لك الباطل حتىٰ تركت الواجبات وأتيت بالمحرمات، والمعنىٰ ما الذي أمنك من عقابه يقال: غره بفلان إذا أمنه المحذور من جهته مع أنه غير مأمون، وهو كقوله ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ﴾ [لقمان: ٣٣]، هذا إذا حملنا قوله: يا أيها الإنسان علىٰ جميع العصاة، وأما إذا حملناه علىٰ الكافر، فالمعنىٰ ما الذي دعاك إلىٰ الكفر والجحد بالرسل، وإنكار الحشر والنشر..»[2].

(١) تفسير القرطبي: (١٩/ ٢٤٦).

(٢) مفاتيح الغيب: (٣١/ ٧٤- ٧٥).

اعتراض وجوابه:

قال الرازي «إن كونه كريًما يقتضي أن يغتر الإنسان بكرمه بدليل المعقول والمنقول أما المعقول فهو أن الجود إفادة ما ينبغي لا لعوض، فلما كان الحق تعالىٰ جواداً مطلقاً لم يكن مستعيضا، ومتىٰ كان كذلك استوىٰ عنده طاعة المطيعين، وعصيان المذنبين وهذا يوجب الاغترار؛ لأنه من البعيد أن يقدم الغني علىٰ إيلام الضعيف من غير فائدة أصلا، وأما المنقول فما روي عن علي ﷺ، أنه دعا غلامه مرات فلم يجبه، فنظر فإذا هو بالباب، فقال له: لم لم تجبني؟ فقال: لثقتي بحلمك، وأمني من عقوبتك فاستحسن جوابه، وأعتقه »[1].

وأجاب عنه الرازي من وجوه:

- **أحدها**: أن معنىٰ الآية: أنك لما كنت ترىٰ حلم الله علىٰ خلقه ظننت ذلك؛ لأنه لا حساب ولا دار إلا هذه الدار، فما الذي دعاك إلىٰ هذا الاغترار، وجرأك علىٰ إنكار الحشر والنشر؟ فإن ربك كريم، فهو لكرمه لا يعاجل بالعقوبة بسطاً في مدة التوبة وتأخيرا للجزاء إلىٰ أن يجمع الناس في الدار التي جعلها لهم للجزاء، فالحاصل أن ترك المعاجلة بالعقوبة لأجل الكرم، وذلك لا يقتضي الاغترار بأنه لا دار بعد هذه الدار.

- **ثانيها**: أن كرمه لما بلغ إلىٰ حيث لا يمنع من العاصي موائد لطفه، فبأن ينتقم للمظلوم من الظالم، كان أولىٰ فإذن كونه كريما يقتضي الخوف الشديد من هذا الاعتبار وترك الجراءة والاغترار.

- **ثالثها**: أن كثرة الكرم توجب الجد والاجتهاد في الخدمة والاستحياء من الاغترار والتواني.

- **رابعها**: قال بعض الناس: إنما قال: بربك الكريم ليكون ذلك جوابا عن ذلك السؤال حتىٰ يقول غرني كرمك، ولولا كرمك لما فعلت لأنك رأيت فسترت،

---

(١) مفاتيح الغيب بتصرف: (٣١/ ٧٥).

وقدرت فأمهلت، وهذا الجواب إنما يصح إذا كان المراد من قوله: يا أيها الإنسان ليس الكافر[1].

ويستفاد من الآية السابقة أن الذي حمل المغرور علىٰ التمادي في غيه وإنكاره للحق الواضح الجلي بدلاً من الشكر والطاعة هو إمهال الله له، أو ستره عليه، والرفق به قال الشيخ الطاهر بن عاشور: «وإيثار تعريف الله بوصف «ربك» دون ذكر اسم الجلالة لما في معنىٰ الرب من الملك والإنشاء والرفق، ففيه تذكير للإنسان بموجبات استحقاق الرب طاعة مربوبه فهو تعريض بالتوبيخ، وكذلك إجراء وصف الكريم دون غيره من صفات الله للتذكير بنعمته علىٰ الناس ولطفه بهم فإن الكريم حقيق بالشكر والطاعة»[2].

الفرع الرابع: رد افتراءات اليهود علىٰ الله تعالىٰ بأنه (فقير، ويده مغلولة)

في هذا المقام (مقام الكرم) افترىٰ اليهود علىٰ الله تعالىٰ بفريتين عظيمتين، تعالىٰ الله عنهما وتعالىٰ عما يقولون علواً كبيرا، وهذا نوع من أنواع كفرهم وقد ورد ذلك في موضعين:

– **الفرية الأولىٰ**: قولهم ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ﴾ ورد ذلك في قوله تعالىٰ: ﴿ لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ﴾ [آل عمران: ١٨١].

نزلت هذه الآية وآيات بعدها في بعض اليهود الذين كانوا علىٰ عهد رسول الله ﷺ فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: دخل أبو بكر الصديق رضي الله عنه بيت المِدْراس، فوجد من يهودَ ناسًا كثيرًا قد اجتمعوا إلىٰ رجل منهم يقال له فِنحاص، كان من علمائهم وأحبارهم، ومعه حَبْرٌ يقال له أشيْع فقال أبو بكر رضي الله عنه لفنحاص: ويحك يا فِنحاص، اتق الله وأسلِم، فوالله إنك لتعلم أنّ محمدًا رسول الله، قد جاءكم بالحقّ من عند الله، تجدونه مكتوبًا عندكم في التوراة والإنجيل! قال فنحاص: والله يا أبا بكر، ما بنا إلىٰ

(١) المرجع السابق: (٣١/ ٧٥).

(٢) التحرير والتنوير: (٣٠/ ١٧٥).

الله من فقر، وإنه إلينا لفقير! وما نتضرع إليه كما يتضرع إلينا، وإنا عنه لأغنياء، ولو كان عنا غنيًّا ما استقرض منا كما يزعم صاحبكم! ينهاكم عن الربا ويعطيناه! ولو كان عنا غنيًّا ما أعطانا الربا! فغضب أبو بكر فضرب وجه فنحاص ضربة شديدة، وقال: والذي نفسي بيده، لولا العهد الذي بيننا وبينك لضربت عُنقك يا عدو الله! فأكذِبونا ما استطعتم إن كنتم صادقين فذهب فنحاص إلىٰ رسول الله ﷺ فقال: يا محمد، انظر ما صنع بي صاحبك! فقال رسول الله ﷺ لأبي بكر «**ما حملك علىٰ ما صنعت؟**» فقال: يا رسول الله، إن عدو الله قال قولاً عظيمًا، زعم أنّ الله فقير وأنهم عنه أغنياء! فلما قال ذلك غضبت لله مما قال فضربتُ وجهه فجحد ذلك فنحاص وقال: ما قلت ذلك! فأنزل الله تبارك وتعالىٰ فيما قال فنحاص، ردًّا عليه وتصديقًا لأبي بكر ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ [آل عمران: ١٨١]»[١].

وقال آخرون: لما أنزل الله تعالىٰ ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ [البقرة:٢٤٥] قالت اليهود: نرىٰ إله محمد يستقرض منا، فنحن إذن أغنياء وهو فقير، وهو ينهانا عن الربا ثم يعطينا الربا، وأرادوا قوله: فيضاعفه له أضعافا كثيرة[٢].

وقد أجمل ابن العربي سلوك الخلق تجاه النفقة في سبيل الله بقوله: «انقسم الخلق بحكم الخالق وحكمته وإرادته ومشيئته وقضائه وقدره حين سمعوا هذه الآية أقسامـًا وتفرقوا فرقا ثلاثة:

- **الفرقة الأولىٰ**: قالوا: إن رب محمد فقير محتاج إلينا، ونحن أغنياء؛ وهذه جهالة لا تخفىٰ علىٰ ذي لب، وقد رد الله تعالىٰ عليهم بقوله تعالىٰ: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾[آل عمران: ١٨١]

---

(١) تفسير الطبري: (٧/ ٤٤٢)، وسيرة ابن هشام (٢/ ٢٠٧، ٢٠٨).

(٢) مفاتيح الغيب: (٩/ ٤٤٦).

والعجب من معاندتهم مع خذلانهم؛ وفي التوراة نظير هذه الألفاظ.

– **الفرقة الثانية:** لما سمعت هذا القول آثرت الشح والبخل، وقدمت الرغبة في المال؛ فما أنفقت في سبيل الله، ولا فكت أسيرا، ولا أغاثت أحدا، تكاسلاً عن الطاعة وركونا إلىٰ هذه الدار.

– **الفرقة الثالثة:** لما سمعت بادرت إلىٰ امتثاله، وآثر المجيب منهم بسرعة بماله، أولهم أبو الدحداح لما سمع هذا جاء إلىٰ النبي ﷺ قال: يا نبي الله؛ ألا أرىٰ ربنا يستقرض مما أعطانا لأنفسنا، ولي أرضان: أرض بالعالية وأرض بالسافلة، وقد جعلت خيرهما صدقة، فقال النبي ﷺ: كم من عذق معلق – أو مدلىٰ – في الجنة لابن الدحداح» [1].

قال ابن العربي «فانظروا إلىٰ حسن فهمه في قوله: يستقرض مما أعطانا لأنفسنا، وجوده بخير ماله وأفضله؛ فطوبىٰ له، طوبىٰ له، ثم طوبىٰ له، ثم طوبىٰ له» [2].

وعليه فإن هذا الذي قالوه هو عين الجهل منهم، تعالىٰ الله عما يقولون علواً كبيراً، ومما زاد من جهلهم أنهم قالوا: «إن يد الله مغلولة» يعنون أنه بخيل بالعطاء وذلك الجهل مناسب للجهل المذكور في هذه الآية، يضاف إلىٰ ما تقدم أن القول بالتشبيه غالب علىٰ اليهود، ومن قال بالتشبيه لا يمكنه إثبات كونه تعالىٰ قادرا علىٰ كل المقدورات، وإذا عجز عن إثبات هذا الأصل عجز عن بيان أنه غني وليس بفقير.

– **الفرية الثانية:** وهي قولهم ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ﴾ التي وردت في قوله تعالىٰ: ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْۘ بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُۚ﴾ [المائدة: ٦٤] وهذا خبر من الله تعالىٰ ذكره عن جرأة اليهود علىٰ ربهم، ووصفهم إياه بما ليس من صفته، توبيخًا لهم بذلك، وتعريفًا منه نبيَّه ﷺ قديمَ جهلهم واغترارهم به، وإنكارهم جميع جميل أياديه عندهم، وكثرة صفحه عنهم وعفوه عن عظيم إجرامهم.

وقولهم ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ﴾، يعنون: أن خير الله مُمْسَك وعطاؤه محبوس عن

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الجنائز: باب ركوب المصلي علىٰ الجنازة إذا انصرف(٩٦٥).
(٢) أحكام القرآن: ابن العربي (١/ ٣٠٨).

الاتساع عليهم، كما قال تعالىٰ: ذكره في تأديب نبيه ﷺ ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ ﴾ [الإسراء: ٢٩].

ومعنىٰ قولهم ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ يعني بذلك: أنهم قالوا: إن الله يبخل علينا ويمنعنا فضله فلا يُفْضِل، كالمغلولة يده الذي لا يقدر أن يبسطَها بعطاء ولا بذلِ معروف تعالىٰ الله عما قالوا، أعداءَ الله! فقال الله مكذِّبَهم ومخبرَهم بسخَطه عليهم﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾ يقول: أمسكت أيديهم عن الخيرات، وقُبِضت عن الانبساط بالعطيات ﴿وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟﴾ وأبعدوا من رحمة الله وفضله بالذي قالوا من الكفر، وافتروا علىٰ الله ووصفوه به من الكذب والإفك ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ يقول: بل يداه مبسوطتان بالبذل والإعطاء وأرزاق عباده وأقوات خلقه، غيُر مغلولتين ولا مقبوضتين ﴿يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ يقول: يعطي هذا، ويمنع هذا فيقتِّر عليه[1].

* * *

(١) تفسير الطبري (١٠/ ٤٥١)، أحكام القرآن: الجصاص (٤/ ١٠٥).

المطلب الثاني: دلالة الكرم حيث كان وصفاً للقرآن الكريم

قال تعالىٰ: في وصف القرآن ﴿إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ﴾ [الواقعة: ٧٧] وقد تكلم العلماء كثيراً في علة هذا الوصف، ومن أبلغ ما قيل في ذلك ما قال الإمام الرازي في تفسيره بقوله: «قوله: كريم فيه لطيفة ؟ وهي أن الكلام إذا قرئ كثيرًا يهون في الأعين والآذان، ولهذا ترىٰ من قال: شيئًا في مجلس الملوك لا يذكره ثانيًا ولو قيل فيه: يقال لقائله لم تكرر هذا ثم إنه تعالىٰ لما قال ﴿إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ﴾ أي مقروء قرئ ويقرأ، قال: كريم أي لا يهون بكثرة التلاوة ويبقىٰ أبد الدهر كالكلام الغض والحديث الطري، من هنا يقع أن وصف القرآن بالحديث مع أنه قديم يستمد من هذا مددا فهو قديم يسمعه السامعون كأنه كلام الساعة، وما قرع سمع الجماعة لأن الملائكة الذين علموه قبل النبي ﷺ بألوف من السنين إذا سمعوه من أحدنا يتلذذون به التذاذ السامع بكلام جديد لم يذكر له من قبل، والكريم اسم جامع لصفات المدح، قيل: الكريم هو الذي كان طاهر الأصل ظاهر الفضل، حتىٰ إن من أصله غير زكي لا يقال له كريم مطلقا، بل يقال له: كريم في نفسه، ومن يكون زكي الأصل غير زكي النفس لا يقال له: كريم إلا مع تقييد، فيقال هو كريم الأصل لكنه خسيس في نفسه، ثم إن السخي المجرد هو الذي يكثر عطاؤه للناس، أو يسهل عطاؤه ويسمىٰ كريماً، وإن لم يكن له فضل آخر لا علىٰ الحقيقة ولكن ذلك لسبب، وهو أن الناس يحبون من يعطيهم، ويفرحون بمن يعطي أكثر مما يفرحون بغيره، فإذا رأوا زاهداً أو عالماً لا يسمونه كريماً، ويؤيد هذا أنهم إذا رأوا واحدا لا يطلب منهم شيئا يسمونه كريم النفس لمجرد تركه الاستعطاء لما أن الأخذ منهم صعب عليهم وهذا كله في العادة الرديئة، وأما في الأصل فيقال: الكريم هو الذي استجمع فيه ما ينبغي من طهارة الأصل وظهور الفضل، ويدل علىٰ هذا أن السخي في معاملته ينبغي أن لا يوجد منه ما يقال بسببه إنه لئيم، فالقرآن أيضا كريم بمعنىٰ طاهر الأصل ظاهر الفضل لفظه فصيح، ومعناه صحيح لكن القرآن أيضا كريم علىٰ مفهوم العوام فإن كل من طلب منه شيئا أعطاه، فالفقيه يستدل به ويأخذ منه والحكيم يستمد به ويحتج به، والأديب

يستفيد منه ويتقوىٰ به، والله تعالىٰ وصف القرآن بكونه كريمًا، وبكونه عزيزًا، وبكونه حكيمًا، فلكونه كريمًا كل من أقبل عليه نال منه ما يريده فإن كثيرًا من الناس لا يفهم من العلوم شيئًا وإذا اشتغل بالقرآن سهل عليه حفظه، وقلما يرىٰ شخص يحفظ كتابًا يقرؤه بحيث لا يغير منه كلمة بكلمة، ولا يبدل حرفًا بحرف وجميع القراء يقرءون القرآن من غير توقف ولا تبديل، ولكونه عزيزًا أن كل من يعرض عنه لا يبقىٰ معه منه شيء، بخلاف سائر الكتب، فإن من قرأ كتابًا وحفظه ثم تركه يتعلق بقلبه معناه حتىٰ ينقله صحيحًا، والقرآن من تركه لا يبقىٰ معه منه شيء لعزته ولا يثبت عند من لا يلزمه بالحفظ، ولكونه حكيما من اشتغل به وأقبل عليه بالقلب أغناه عن سائر العلوم»[1].

وقريب منه ما قاله الطبري في تفسيره وفيه: «قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ﴾ أن هذا القرآن قرآن كريم ليس بسحر ولا كهانة، وليس بمفترىٰ، بل هو قرآن كريم محمود، جعله الله تعالىٰ معجزة لنبيه ﷺ، وهو كريم علىٰ المؤمنين، لأنه كلام ربهم، وشفاء صدورهم، كريم علىٰ أهل السماء، لأنه تنزيل ربهم ووحيه، وقيل: (كريم) أي غير مخلوق، وقيل: (كريم) لما فيه من كريم الأخلاق ومعاني الأمور، وقيل: لأنه يكرم حافظه ويعظم قارئه»[2].

ومن كرامة القرآن علىٰ الله أن جعله ﴿فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ﴾ [عبس: ١٣] أي: معظمة موقرة عالية القدر (مُطَهَّرَةٍ) من الدنس والزيادة والنقص [3].

فهو قرآن كريمٌ، من عند ربٍّ كريم، علىٰ رسولٍ كريم، علىٰ لسانِ مَلَكٍ كريم.

وجعله الله كريماً علىٰ أهل السماء وعلىٰ أهل الأرض. كريم علىٰ أهل السماء ؛ لأنه تنزيل ربهم ووحيه. كريم علىٰ أهل الأرض ؛ لأنه معجزة لنبيه ﷺ.

وقيل : كريم ؛ لأنه لا يهون بكثرة التلاوة ؛ لأن الكلام متىٰ أُعيد وكرر استُهِينَ

(١) مفاتيح الغيب: (٢٩/ ٤٢٩).

(٢) تفسير الطبري:(١٧/ ٢٢٤).

(٣) تفسير القرآن العظيم: ابن كثير :٨/ ٣٢١.

به ، والقرآن يكون إلىٰ آخر الدهر ، ولا يزداد إلاَّ عزاً[1] .

وهو كريم علىٰ المؤمنين ؛ لأنه هدىٰ ورحمة وبشرىٰ لهم ؛ لأنهم قبلوه فانتفعوا به قال تعالىٰ: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًىٰ وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩]

وهو كريم علىٰ المؤمنين ؛ لأنه رحمة لهم ؛ فلأنهم لما اهتدوا به قد نالوا الفوز في الدنيا بصلاح نفوسهم واستقامة أعمالهم واجتماع كلمتهم، وفي الآخرة يبشرون بالجنة التي أعدها الله لهم، وأعظم من ذلك رضوانه عليهم.

وهو كريم علىٰ المؤمنين ؛ لأن ربهم أنزله لهم لصلاح أمرهم كافة، ورحمة لهم لتبليغهم مراد الله منهم فالمقصد الأعلىٰ من نزوله صلاح الأحوال الفردية، والجماعية، والعمرانية.

فالصلاح الفردي يعتمد تهذيب النفس وتزكيتها، ورأس الأمر فيه صلاح الاعتقاد ؛ لأن الاعتقاد مصدر الآداب والتفكير، ثم صلاح السريرة الخاصة، وهي العبادات الظاهرة كالصلاة، والباطنة كالتخلق بترك الحسد والحقد والكبر.

وأما الصلاح الجماعي فيحصل أولا من الصلاح الفردي، إذ الأفراد أجزاء المجتمع، ولا يصلح الكل إلا بصلاح أجزائه، ومن شيء زائد علىٰ ذلك وهو ضبط تصرف الناس بعضهم مع بعض علىٰ وجه يعصمهم من مزاحمة الشهوات، ومواثبة القوىٰ النفسانية. وهذا هو علم المعاملات، ويعبر عنه عند الحكماء بالسياسة المدنية.

وأما الصلاح العمراني فهو أوسع من ذلك إذ هو حفظ نظام العالم الإسلامي، وضبط تصرف الجماعات والأقاليم بعضهم مع بعض علىٰ وجه يحفظ مصالح الجميع، ورعي المصالح الكلية الإسلامية، وحفظ المصلحة الجامعة عند معارضة المصلحة القاصرة لها، ويسمىٰ هذا بعلم العمران وعلم الاجتماع[2].

وهو كريم علىٰ المؤمنين ؛ لأنهم نالوا الفلاح في الدنيا والآخرة باتباعه قال تعالىٰ: ﴿ فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَـئِكَ هُمُ

(١) تفسير اللباب : ابن عادل : ١/ ٤٨٠٤.

(٢) التحرير والتنوير: ١/ ٣٦.

الْمُفْلِحُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٧]ووصفه بالنور ؛ لأن الشيء الذي يعلم الحق والرشد يشبه بالنور.

وهو كريم على المؤمنين ؛ لِمَا اشتمل عليه من الآيات والعظات ؛ لإصلاح أخلاقهم وأعمالهم، وفيه دواء لما في القلوب من الجهل والشرك وسائر الأمراض: قال تعالى: ﴿ يا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفاءٌ لِما فِي الصُّدُورِ﴾ [يونس: ٥٧]

وهو كريم على المؤمنين ؛ لأن الله يكرم حافظه، روى الترمذي بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - قَالَ: يَجِيءُ القُرْآنُ يَوْمَ القِيَامَةِ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ حَلِّهِ، فَيُلْبَسُ تَاجَ الكَرَامَةِ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ زِدْهُ، فَيُلْبَسُ حُلَّةَ الكَرَامَةِ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ ارْضَ عَنْهُ، فَيَرْضَى عَنْهُ، فَيُقَالُ لَهُ: اقْرَأْ وَارْقَ، وَيُزَادُ بِكُلِّ آيَةٍ حَسَنَةً[١].

وهو كريم على المؤمنين ؛ لأن الله يعظم قارئه، روى البخاري بسنده عَنْ عَائِشَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : " مَثَلُ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَهْوَ حَافِظٌ لَهُ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ وَمَثَلُ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَهْوَ يَتَعَاهَدُهُ وَهْوَ عَلَيْهِ شَدِيدٌ فَلَهُ أَجْرَانِ"[٢].

وهو كريم على الناس جميعًا إذا تلقوه تلقي انتفاع قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُبِيناً فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطاً مُسْتَقِيماً﴾ [النساء: ١٧٤-١٧٥] فهو : حجج قاطعة على الحق تبينه وتوضحه، وتبين ضده لمن أراد أن يذكر.

وهو نور تتجلى تحت أشعته الكاشفة حقائق الأشياء واضحة لمن لديه البصيرة النافذة، فيبدو مفرق الطريق بين الحق والباطل محدداً مرسوماً في داخل النفس وفي واقع الحياة سواء، حيث تجد النفس من هذا النور ما ينير جوانبها أولاً فترى كل شيء فيها ومن حولها واضحًا، حيث يتلاشى الغبش وينكشف وحيث تبدو الحقيقة بسيطة كالبديهية لمن نظر ببصره نظرة تأمل وتدبر.

---

١ أخرج الترمذي في سننه : كتاب: فضائل القرآن: باب : الذي ليس في قلبه شيء من القرآن، (٢٩١٥). قال الألباني : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ، (الترغيب ٢/ ٢٠٧).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كِتَاب تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ : باب: سورة عبس، (٤٩٣٧).

المطلب الثالث: دلالة الكرم حيث كان وصفاً للملائكة

﴿بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ﴾

الملائكة: أجسام لطيفة نورانية تتشكل بأشكال مختلفة[1]، وهم خلق من خلق الله أكرمهم الله تعالىٰ بصفات مخصوصة، أي أكرمهم الله برضاه عنهم وجعلهم من عباده المقربين وفضلهم علىٰ كثير من خلقه الصالحين، وجاء وصفهم بهذه الصفة في موضعين:

- **الموضع الأول**: قوله تعالىٰ: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۚ بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦] قال الطبري «يقول تعالىٰ ذكره: وقال هؤلاء الكافرون بربهم: اتخذ الرحمن ولدا من ملائكته، فقال جلّ ثناؤه استعظاما مما قالوا، وتبريًّا مما وصفوه به سبحانه، يقول تنزيها له عن ذلك، ما ذلك من صفته ﴿بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ﴾ يقول: ما الملائكة كما وصفهم به هؤلاء الكافرون من بني آدم، ولكنهم عباد مكرمون، يقول: أكرمهم الله»[2].

وقال قتادة: قوله ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۚ بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ﴾ قال: قالت اليهود: إن الله تبارك وتعالىٰ صاهر الجنّ، فكانت منهم الملائكة، قال الله تبارك وتعالىٰ تكذيبا لهم وردّا عليهم ﴿بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ﴾ وإن الملائكة ليس كما قالوا، إنما هم عباد أكرمهم الله بعبادته[3].

- **الموضع الثاني**: قوله تعالىٰ: ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ﴾ [الذاريات: ٢٤] وذلك في معرض حديث القرآن الكريم عن رسله من الملائكة إلىٰ

---

(١) التعريفات: الجرجاني (ص: ٢٢٩).

(٢) تفسير الطبري (١٨/ ٤٢٧).

(٣) تفسير الطبري: (١٨/ ٤٢٧)، تفسير ابن أبي حاتم (٨/ ٢٤٤٩)، تفسير القرآن العزيز: ابن أبي زمنين (٣/ ١٤٤)، الهداية إلىٰ بلوغ النهاية: أبو محمد القيسي القيرواني (٧/ ٤٧٤٦)، النكت والعيون: الماوردي (٣/ ٤٤٢)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: (٤/ ٧٩)، مفاتيح الغيب: (٢٢/ ١٣٥)، التحرير والتنوير: (١٧/ ٥٠).

نبي الله لوط ﷺ تسلية للنبي ﷺ يخبره أنه محلّ بمن تمادىٰ في غيه، وأصرّ علىٰ كفره، فلم يتب منه من كفار قومه، ما أحلّ بمن قبلهم من الأمم الخالية، ومذكراً قومه من قريش بإخباره إياهم أخبارهم وقصصهم، وما فعل بهم، هل أتاك يا محمد حديث ضيف إبراهيم خليل الرحمن المكرمين، ويعني بقوله ﴿ٱلْمُكْرَمِينَ﴾ أن إبراهيم ﷺ وسارة خدماهم بأنفسهما، وعن مجاهد (ت:١٠٣) قوله ﴿ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ﴾ قال: أكرمهم إبراهيم، وأمر أهله لهم بالعجل حينئذ[١].

وقال عطاء: «سمّاهم مكرمين؛ لأنّ أضياف الكرام مكرمون، وكان إبراهيم ﷺ أكرم الخليقة وأطهرهم فتوة»[٢].

قال الزمخشري «وجعلهم ضيفا؛ لأنهم كانوا في صورة الضيف: حيث أضافهم إبراهيم. أو لأنهم كانوا في حسبانه كذلك. وإكرامهم: أنّ إبراهيم خدمهم بنفسه وأخدمهم امرأته، وعجل لهم القرىٰ أو أنهم في أنفسهم مكرمون»[٣].

وقال مقاتل أكرمهم إبراهيم، فأحسن القيام، وكان لا يقوم علىٰ رأس ضيف فلما رأىٰ هيأتهم حسنة، قام هو وامرأته سارة لخدمتهم[٤].

واستنبط العلماء منها أفضلية إكرام الضيف، وبه جاءت السنة النبوية متواترة عن أبي شريح الخزاعي، أن النبي ﷺ قال: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلىٰ جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليقل خيرا أو ليسكت**»[٥].

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٢٢/ ٤٢٤)، الكشف والبيان عن تفسير القرآن: الثعالبي (٩/ ١١٧)، التفسير الوسيط: الواحدي (٤/ ١٧٧)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: الزمخشري (٤/ ٤٠١).

(٢) الكشف والبيان عن تفسير القرآن: (٩/ ١١٧).

(٣) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل :(٤/ ٤٠١).

(٤) التفسير الوسيط: (٤/ ١٧٧).

(٥) أخرجه الشيخان: البخاري: باب: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، برقم (٦٠١٨)، ومسلم في الإيمان باب الحث علىٰ إكرام الجار والضيف، برقم (٤٧).

المطلب الرابع: دلالة الكرم حيث كان وصفاً للأنبياء والمرسلين

الفرع الأول : دلالة الكرم حيث كان وصفًا لمحمد ﷺ :

وصف الله ﷻ رسوله محمد ﷺ بالكريم قال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ [الحاقه: ٤٠]وقد أحاط ﷺ الكرامة من جميع جوانبها :

- **فهو من أكرم الخَلْق نَسَبًا** : روىٰ الترمذي بسنده عن وَاثِلَةُ بْنُ الأَسْقَعِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : "إِنَّ اللهَ اصْطَفَىٰ كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَىٰ قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَىٰ هَاشِمًا مِنْ قُرَيْشٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ"[(١)].

- **وهو من أكرم الخلق جمالاً وبهاءً** : روىٰ البخاري بسنده عن أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ يَصِفُ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : كَانَ رَبْعَةً[(٢)] مِنَ الْقَوْمِ لَيْسَ بِالطَّوِيلِ، وَلاَ بِالْقَصِيرِ أَزْهَرَ اللَّوْنِ لَيْسَ بِأَبْيَضَ أَمْهَقَ، وَلاَ أَدَمَ لَيْسَ بِجَعْدٍ[(٣)] قَطِطٍ، وَلاَ سَبْطٍ رَجِلٍ أُنْزِلَ عَلَيْهِ وَهْوَ ابْنُ أَرْبَعِينَ فَلَبِثَ بِمَكَّةَ عَشْرَ سِنِينَ يُنْزَلُ عَلَيْهِ وَبِالْمَدِينَةِ عَشْرَ سِنِينَ وَلَيْسَ فِي رَأْسِهِ وَلِحْيَتِهِ عِشْرُونَ شَعَرَةً بَيْضَاءَ قَالَ رَبِيعَةُ : فَرَأَيْتُ شَعَرًا مِنْ شَعَرِهِ فَإِذَا هُوَ أَحْمَرُ فَسَأَلْتُ فَقِيلَ احْمَرَّ مِنَ الطِّيبِ[(٤)].

وعَنْ أَبِي إِسْحَاقَ قَالَ سُئِلَ الْبَرَاءُ أَكَانَ وَجْهُ النَّبِيِّ ﷺ مِثْلَ السَّيْفِ قَالَ : لاَ بَلْ مِثْلَ الْقَمَرِ[(٥)].

وروىٰ مسلم بسنده جَابِرَ بْنَ سَمُرَةَ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ- ضَلِيعَ الْفَمِ أَشْكَلَ الْعَيْنِ مَنْهُوسَ الْعَقِبَيْنِ. قَالَ قُلْتُ لِسِمَاكٍ مَا ضَلِيعُ الْفَمِ قَالَ عَظِيمُ الْفَمِ. قَالَ قُلْتُ مَا

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه : كتاب المناقب عن رسول الله صلىٰ الله عليه و سلم: باب فضل النبي، (٣٦٠٦)، قَالَ أَبُو عِيسَىٰ هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ، وقال الألباني: صحيح، (مشكاة المصابيح، ٢/ ١٦٦٤).

(٢) ربعة : ليس بطويل جداً ولا قصير جداً بل وسط، (فتح الباري:ابن حجر :٦/ ٤٨٤).

(٣) الجعودة في الشعر : أن لا يتكسر ولا يسترسل، والسبوطة ضده أي: وسط بينهما.(فتح الباري :١٠/ ٣٥٧).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه: كِتَاب الْمَنَاقِبِ : باب: صفة النبي ﷺ، (٣٥٤٧).

(٥)أخرجه البخاري في صحيحه: كِتَاب الْمَنَاقِبِ : باب: صفة النبي ﷺ، (٣٥٥٢).

أَشْكَلُ الْعَيْنِ قَالَ طَوِيلُ شَقِّ الْعَيْنِ قَالَ قُلْتُ مَا مَنْهُوسُ الْعَقِبِ قَالَ قَلِيلُ لَحْمِ الْعَقِبِ[(١)].

ومن أكرمهم دِينًا وخُلُقًا : قال تعالىٰ: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم: ٤] " قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ – رضي الله عنهما – عَلَىٰ خُلُقٍ، أي : عَلَىٰ دِينٍ عَظِيمٍ مِنَ الْأَدْيَانِ، لَيْسَ دِينٌ أَحَبُّ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ وَلَا أَرْضَىٰ عِنْدَهُ مِنْهُ"[(٢)] ومن معنىٰ الآية أيضـًا مكارم الأخلاق، فَلَمْ يُذْكَرْ خُلُقٌ مَحْمُودٌ إِلَّا وَكَانَ لِلنَّبِيِّ ﷺ مِنْهُ الْحَظُّ الْأَوْفَرُ.

- **ومن أكرمهم علىٰ الله**، روىٰ الترمذي بسنده عَنْ أَنَسٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أُتِيَ بِالبُرَاقِ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِهِ مُلْجَمًا مُسْرَجًا، فَاسْتَصْعَبَ عَلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ جِبْرِيلُ : أَبِمُحَمَّدٍ تَفْعَلُ هَذَا ؟ فَمَا رَكِبَكَ أَحَدٌ أَكْرَمُ عَلَىٰ اللهِ مِنْهُ قَالَ : فَارْفَضَّ عَرَقًا[(٣)].

وقد رفع الله ذكره ﷺ فقال تعالىٰ: ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ [الشرح: ٤]قال قتادة رَحِمَهُ ٱللَّهُ : " رفع الله تعالىٰ ذكره في الدنيا والآخرة، فليس خطيب ولا متشهد، ولا صاحب صلاة إلا يقول أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله" [(٤)].

وقد قرن اسمه ﷻ باسمه ﷺ في كتابه قال تعالىٰ: ﴿ وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٣٢] وقال تعالىٰ: ﴿آمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ﴾ [الحديد: ٧]فجمع بينهما بواو العطف المشركة، ولا يجوز جمع هذا الكلام في غير حقه ﷺ.

- ومن كرم الله تعالىٰ به أن الله تعالىٰ خاطب جميع الأنبياء بأسمائهم، فقال: يا آدم، يا نوح، يا إبراهيم، يا موسىٰ، يا داود، يا عيسىٰ، يا زكريا، يا يحيىٰ، ولم يُخَاطب هو إلا: يا أيها الرسول، يا أيها النبي، يا أيها المزمل، يا أيها المدثر.

- وما أقسم الله تعالىٰ بحياة أحد غير محمد ﷺ ؛ إلا لأنه أكرمُ البرية عنده قال

(١)أخرجه مسلم في صحيحه: كِتَاب الْفَضَائِلِ: باب: صفة النبي ﷺ، (٦٢١٦).

(٢) تفسير القرطبي : ١٨/ ٢٢٧.

(٣)أخرجه الترمذي في سننه: باب : سورة بني اسرائيل، (٣١٣١)، قال أبو عيسىٰ هذا حديث حسن غريب، ولا نعرفه إلا من حديث عبد الرزاق، وقال الشيخ الألباني : صحيح(مشكاة المصابيح : ٣/ ١٦٦٤). ومعنىٰ : فَارْفَضَّ عَرَقًا :أَيْ جَرَىٰ عَرَقُهُ وَسَالَ، ثُمَّ سَكَنَ وَانْقَادَ وَتَرَكَ الِاسْتِصْعَابَ، (تحفة الأحوذي : ٨/ ٤٤٨).

(٤) الشفا في أحوال المصطفىٰ الفضيل بن عياض، ص ٢٠.

تعالىٰ: ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [الحجر: ٧٢]

ومن كرمه علىٰ الله أن بعثه آخر الأنبياء وذكره في أولهم قال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا ﴾ [الأحزاب: ٧]

- وقد رفعه الله علىٰ سائر الأنبياء درجات، فقد اجتمع فيه ﷺ من الفضائل ما تفرق في غيره، وجمع الله له من المناقب ما فاق به الأولين والآخرين قال تعالىٰ: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾ [البقره: ٢٥٣] ومن هذه الدرجات : "عموم الرسالة لكافة الناس، ودوامها طول الدهر، وختمها للرسالات، والتأييد بالمعجزة العظيمة التي لا تلتبس بالسحر والشعوذة، وبدوام تلك المعجزة، وإمكان كل من يؤهل نفسه لإدراك الإعجاز، وبابتناء شريعته علىٰ رعي المصالح ودرء المفاسد، والبلوغ بالنفوس إلىٰ أوج الكمال، وبتيسير إدانة معانديه له وتمليكه أرضهم وديارهم وأموالهم في زمن قصير، وبجعل نقل معجزته متواتراً لا يجهلها إلا مكابر" [(١)].

- وقد أكرم الله به أصحابه، روىٰ مسلم بسنده عَنْ أَبِىٰ بُرْدَةَ عَنْ أَبِيهِ :قال : قال رسول الله ﷺ..." النُّجُومُ أَمَنَةٌ لِلسَّمَاءِ فَإِذَا ذَهَبَتِ النُّجُومُ أَتَىٰ السَّمَاءَ مَا تُوعَدُ، وَأَنَا أَمَنَةٌ لأَصْحَابِىٰ"[(٢)].

- و أكرم الله به أهل مكة فجعله أمنًا لهم من العذاب قال تعالىٰ: ﴿ وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ [الأنفال: ٣٣]قال ابن عباس ﷺ : كان فيهم أمانان: النبي ﷺ، والاستغفار، فذهب النبي ﷺ وبقي الاستغفار [(٣)].

- ومن الآيات الجامعة في حقه ﷺ لوجوه الكرامة وأنواع السعادة في الدارين

(١) التحرير والتنوير : ٢/ ٤٨٤.

(٢)أخرجه مسلم في صحيحه: كِتَاب فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ : باب بَيَانِ أَنَّ بَقَاءَ النَّبِىِّ –ﷺ – أَمَانٌ لأَصْحَابِهِ وَبَقَاءَ أَصْحَابِهِ أَمَانٌ لِلأُمَّةِ، (٦٦٢٩).

(٣) رواه الطبري في تفسيره (١٣/ ٥١١)

قوله تعالىٰ: ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴾ [الضحىٰ: ٥]

- وهو كريم علىٰ المؤمنين: الذين صدَّقوه وأقروا بنبوته، ووقروه وعظَّموه ونصروه، واتبعوا القرآن المنزل عليه، وعملوا بسنته قال تعالىٰ: ﴿ فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

- **وشمل كرمه ﷺ الكافرين قال تعالىٰ:** ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قال " تَمَّتِ الرَّحْمَةُ لِمَنْ آمَنَ بِهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِهِ عُوفِيَ مِمَّا أَصَابَ الأُمَمَ قَبْلُ "[1].

الفرع الثاني: دلالة الكرم حيث كان وصفًا لموسىٰ عليه السلام

وصف الله عز وجل موسىٰ عليه السلام بالكريم فقال ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴾ [الدخان: ١٧]وَوَصَفَهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِالْكَرَمِ ؛ لِأَنَّهُ كَانَ كَرِيمًا عَلَيْهِ، رَفِيعًا عِنْدَهُ مَكَانُهُ، وَقَدْ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ وَصَفَهُ بِذَلِكَ ؛ لِأَنَّهُ كَانَ فِي قَوْمِهِ شَرِيفًا وَسِيطًا[2].

- وهو عليه السلام كريم علىٰ الله : فهو كليم الله قال تعالىٰ: ﴿وَكَلَّمَ اللّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيماً ﴾ [النساء: ١٦٤]أي مشافهة منه إليه لا بواسطة، حتىٰ اشتهر بهذا عند العالمين فيقال "موسىٰ كليم الرحمن".

- وهو كريم الأخلاق بالتجاوز والصفح.

- وهو كريم ؛ لما فى يديه من معجزات كثيرة، عاد علىٰ الناس خيرها، فعاشوا فى ظلها كما يعيش الناس فى ظل جناب كريم معطاء، فقد كان بين يدىٰ موسىٰ عليه السلام من المعجزات : العصا، التي أخرج بها بنىٰ إسرائيل من العذاب المهين، والتي فجر بها الماء من الحجر، كما كان من معجزاته المنّ والسلوىٰ، الذي كان طعام بنىٰ إسرائيل إلىٰ أن عافوه، وزهدت فيه نفوسهم الخبيثة.

وهنا تساؤل : لماذا وصف الله الرسولين محمداً وموسىٰ – عليهما السلام – بالكرم رغم أن كل الرسل والأنبياء كرام ؟

(١) تفسير الطبري : ١٦/ ٤٤٠.

(٢) تفسير الطبري:٢١/ ٢٨

يرجع ذلك لما يحملان من شريعتين كريمتين، وأنهما أوسع الشرائع التي حررت الإنسان من العبودية لغير الله وأكرمته بالعبودية لله ، والله أعلم.

الفرع الثالث : دلالة الكرم حيث كان وصفًا ليوسف عليه السلام:

جاء وصف يوسف عليه السلام على لسان نسوة المدينة بأنه مَلَك كريم قال تعالى: ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّيناً وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلّهِ مَا هَـذَا بَشَراً إِنْ هَـذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ [يوسف: ٣١] فقد أُعْطِي شطر الحُسن، روى مسلم بسنده عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ -ﷺ- قال... ثُمَّ عَرَجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ. فَقِيلَ مَنْ أَنْتَ قَالَ جِبْرِيلُ. قِيلَ وَمَنْ مَعَكَ قَالَ مُحَمَّدٌ -ﷺ-. قِيلَ وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ قَالَ قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ. فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِيُوسُفَ -ﷺ- إِذَا هُوَ قَدْ أُعْطِيَ شَطْرَ الْحُسْنِ فَرَحَّبَ وَدَعَا لي بِخَيْرٍ [(١)].

ووصف رسول الله ﷺ نبي الله يوسف عليه السلام بالكريم ومن السلالة الكريمة، روى البخاري بسنده عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : الْكَرِيمُ بْنُ الْكَرِيمِ بْنِ الْكَرِيمِ بْنِ الْكَرِيمِ يُوسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ[(٢)]. سُمِّيَ كريمًا ؛ "لأنه اجْتَمَعَ لَهُ شَرَف النُّبُوَّةِ والعِلم والجَمال والعِفَّة وكَرَم الأَخلاق والعَدل ورِياسة الدُّنْيَا وَالدِّينِ"[(٣)].

إكرام عزيز مصر ليوسف عليه السلام :

أخبر تعالى بألطافه بيوسف- عليه السلام - أنه قيَّض له الذي اشتراه من مصر، حتى اعتنى به وأكرمه، وأوصى أهله به، وتوَّسَمَ فيه الخير والفلاح فقال تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لاِمْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً وَكَذَلِكَ

(١)أخرجه مسلم في صحيحه: كِتَاب الْإِيمَانِ: باب: الإِسْرَاءِ بِرَسُولِ اللهِ -ﷺ- إِلَى السَّمَوَاتِ وَفَرْضِ الصَّلَوَاتِ، (٤٢٩).

(٢)أخرجه البخاري في صحيحه: كِتَاب أَحَادِيثِ الْأَنْبِيَاءِ : الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم، (٣٢٠٢).

(٣) لسان العرب: ابن منظور : ١٢/ ٥١٤.

مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ وَاللّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف: ٢١] وكان هذا الإكرام كواحد منهم، وكان مقدمة لتمكِّينه في مصر، يُكْرم فيها في المنزلة والمكانة، ويُكْرِم أهلها بتوزيع خيراتها الكثيرة عليهم بالعدل.

المطلب الخامس: دلالة الكرم حيث كان وصفاً للجنة

ورد في القرآن معاني للجنة ونعيمها قال تعالىٰ: ﴿ إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴾ [النساء: ٣١] أي: إذا اجتنبتم كبائر الآثام التي نهيتم عنها كفرنا عنكم صغائر الذنوب، وأدخلناكم الجنة.

ووردت بمعنىٰ "أجر كريم" قال تعالىٰ: ﴿ مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴾ [الحديد: ١١] وقال تعالىٰ: ﴿ إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴾ [الحديد: ١٨]أي :جزاء جميل يعني: الجنة وما فيها من المآكل والمشارب، والملابس والمساكن، والمناكح والملاذ والمناظر وما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر علىٰ قلب بشر.

ووردت بمعنىٰ "رزق كريم " قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُّؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٣١]الرزق الكريم: رزق الجنة.

المطلب السادس: دلالة وصف الكريم حيث كان وصفاً للقول

قال تعالىٰ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾ [الإسراء: ٣٢]

أمر الله عز وجل بإكرام القول للوالدين فقال تعالىٰ: ﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾ بلفظ يحبانه وتأدب وتلطف بكلام لين حسن يلذ علىٰ قلوبهما وتطمئن به نفوسهما، وذلك يختلف باختلاف الأحوال والعوائد والأزمان[1].

وهذا الأمر من الله عز وجل للولد ليقوم به إذا رأىٰ أن ينصح لأحد أبويه، أو أن يحذِّر مما قد يضر به؛ أدىٰ إليه ذلك بقول لين حسن الوَقْع.

---

(١) تفسير السعدي: عبد الرحمن بن سعدي: ٤٥٦.

المطلب السابع: دلالة وصف الكريم حيث كان وصفاً للكافر

قال تعالىٰ: إهانة للكافر يوم القيامة ﴿ ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ ﴾ [الدخان: ٤٩]

سبب النزول :

روىٰ الطبري بسنده عَنْ قَتَادَةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ قَالَ : نَزَلَتْ فِي أَبِي جَهْلٍ (خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ) قَالَ قَتَادَةُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ قَالَ أَبُو جَهْلٍ : مَا بَيْنَ جَبَلَيْهَا رَجُلٌ أَعَزُّ وَلاَ أَكْرَمُ مِنِّي، فَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿ ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ ﴾ [1].

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ : وَكَيْفَ قِيلَ وَهُوَ يُهَانُ بِالْعَذَابِ الَّذِي ذَكَرَهُ اللهُ، وَيُذَلُّ بِالْعَتْلِ إِلَىٰ سَوَاءِ الْجَحِيمِ : إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ؟

قِيلَ : إِنَّ قَوْلَهُ "(إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ) غَيْرُ وَصْفٍ مِنْ قَائِلِ ذَلِكَ لَهُ بِالْعِزَّةِ وَالْكَرَمِ، وَلَكِنَّهُ تَقْرِيعٌ مِنْهُ لَهُ بِمَا كَانَ يَصِفُ بِهِ نَفْسَهُ فِي الدُّنْيَا، وَتَوْبِيخٌ لَهُ بِذَلِكَ عَلَىٰ وَجْهِ الْحِكَايَةِ؛ لِأَنَّهُ كَانَ فِي الدُّنْيَا يَقُولُ : إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ، فَقِيلَ لَهُ فِي الآخِرَةِ، إِذْ عُذِّبَ بِمَا عُذِّبَ بِهِ فِي النَّارِ : ذُقْ هَذَا الْهَوَانَ الْيَوْمَ، فَإِنَّكَ كُنْتَ تَزْعُمُ أَنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ، وَإِنَّكَ أَنْتَ الذَّلِيلُ الْمَهِينُ، فَأَيْنَ الَّذِي كُنْتَ تَقُولُ وَتَدَّعِي مِنَ الْعِزِّ وَالْكَرَمِ، هَلاَّ تَمْتَنِعُ مِنَ الْعَذَابِ بِعِزَّتِكَ" [2].

---

(١) تفسير الطبري : ٢١/ ٦١، رقم (٣١٤٢٨).

(٢) المرجع السابق : ٢١/ ٦٢.

المبحث الثاني: مكانة المكرمين والثناء عليهم

أولاً : مكانة الملائكة المكرمين والثناء عليهم :

قال تعالىٰ: في ثنائه علىٰ الملائكة الكرام ﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًاۗ سُبْحَٰنَهُۥۚ بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ مُشۡفِقُونَ ﴿٢٨﴾ وَمَن يَقُلۡ مِنۡهُمۡ إِنِّيٓ إِلَٰهٞ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجۡزِيهِ جَهَنَّمَۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[الأنبياء ٢٦-٢٩]"يخبر تعالىٰ عن سفاهة المشركين المكذبين للرسول، وأنهم زعموا – قبحهم الله – أن الله اتخذ ولداً فقالوا: الملائكة بنات الله، تعالىٰ الله عن قولهم، وأخبر عن وصف الملائكة، بأنهم عبيد مربوبون مدبرون، ليس لهم من الأمر شيء، وإنما هم مكرمون عند الله، قد أكرمهم الله، وصيَّرهم من عبيد كرامته ورحمته، وذلك لما خصهم به من الفضائل والتطهير عن الرذائل، وأنهم في غاية الأدب مع الله، والامتثال لأوامره.

فلا يقولون قولاً مما يتعلق بتدبير المملكة، حتىٰ يقول الله، لكمال أدبهم، وعلمهم بكمال حكمته وعلمه، ومهما أمرهم، امتثلوا لأمره، ومهما دبرهم عليه، فعلوه، فلا يعصونه طرفة عين، ولا يكون لهم عمل بأهواء أنفسهم من دون أمر الله، ومع هذا، فالله قد أحاط بهم علمه، فعلم أمورهم الماضية والمستقبلة، فلا خروج لهم عن علمه، كما لا خروج لهم عن أمره وتدبيره. ومن جزئيات وصفهم، بأنهم لا يسبقونه بالقول، أنهم لا يشفعون لأحد بدون إذنه ورضاه، فإذا أذن لهم، وارتضىٰ من يشفعون فيه، شفعوا فيه، ولكنه تعالىٰ لا يرضىٰ من القول والعمل، إلا ما كان خالصاً لوجهه، متبعا فيه الرسول ﷺ.

﴿وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ مُشۡفِقُونَ ﴾ أي: خائفون وجلون، قد خضعوا لجلاله، وعنت وجوههم لعزه وجماله.

فلما بين أنه لا حق لهم في الألوهية، ولا يستحقون شيئاً من العبودية بما وصفهم به من الصفات المقتضية لذلك، ذكر أيضاً أنه لا حظ لهم، ولا بمجرد

الدعوىٰ، وأن من قال منهم﴿ إِنِّي إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ ﴾[(١)] علىٰ سبيل الفرض والتنزل ﴿فَذَٰلِكَ نَجۡزِيهِ جَهَنَّمَۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ وأي ظلم أعظم من ادعاء المخلوق الناقص، الفقير إلىٰ الله من جميع الوجوه مشاركة الله في خصائص الإلهية والربوبية؟"[(٢)].

وفي الآية دليل علىٰ إثبات الشفاعة، وأن الملائكة يشفعون.

وقال تعالىٰ: في وصف ضيوف إبراهيم عليه السلام من الملائكة الذين جاؤوا ليبشروه بالولد، وبإهلاك قوم لوط ﴿ هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذۡ دَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَقَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞ قَوۡمٞ مُّنكَرُونَ ﴾ [الذريات: ٢٤-٢٥]عَنْ مُجَاهِدٍ رحمه الله "قَالَ: أَكْرَمُهُمْ إِبْرَاهِيمُ، وَأَمَرَ أَهْلَهُ لَهُمْ بِالْعِجْلِ حَسِيلٍ"[(٣)].

ووصفهم بالمكرمين؛ لأنهم مكرمون عند الله؛ ولأن إبراهيم عليه السلام أكرمهم؛ لأنه خدمهم بنفسه وعجل لهم الضيافة.

قوله تعالىٰ: (إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ) فلم يذكر استئذانهم، ففي هذا دليل علىٰ أنه كان قد عُرِفَ بإكرام الضيفان واعتياد قِرَاهم، فبقي منزله مضيفة مطروقـًا لمن ورده لا يحتاج إلىٰ الاستئذان، بل استئذان الداخل دخوله، وهذا غاية ما يكون من الكرم.

ثانيـًا : مكانة المؤمنين المكرمين والثناء عليهم :

قال تعالىٰ: مثنيـًا علىٰ عباده المخلصين ﴿ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ رِزۡقٞ مَّعۡلُومٞ ﴿٤١﴾ فَوَٰكِهُۖ وَهُم مُّكۡرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيۡهِم بِكَأۡسٖ مِّن مَّعِينِۭ ﴿٤٥﴾ بَيۡضَآءَ لَذَّةٖ لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوۡلٞ وَلَا هُمۡ عَنۡهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾ وَعِندَهُمۡ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ عِينٞ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيۡضٞ مَّكۡنُونٞ ﴾ [الصافات: ٤٠-٤٩] "فإنهم غير ذائقي العذاب الأليم ؛ لأنهم أخلصوا للّه الأعمال، فأخلصهم، واختصهم برحمته، وجاد عليهم بلطفه، وهم مكرمون لا مهانون محتقرون، بل معظمون مجلون موقرون. قد أكرم بعضهم

(١) وهذا شرط، والشرط لا يلزم وقوعه. انظر (تفسير القرآن العظيم: ابن كثير : ٥/ ٣٣٨).

(٢) تفسير السعدي : ٥٢١

(٣) تفسير الطبري : ٢١/ ٥٢٥. والحسيل : ولد البقرة الأهلية.(لسان العرب : ١١/ ١٥٢).

بعضـًا، وأكرمتهم الملائكة الكرام، وصاروا يدخلون عليهم من كل باب، ويهنئـونهم ببلوغ أهنأ الثواب، وأكرمهم أكرم الأكرمين، وجاد عليهم بأنواع الكرامات، من نعيم القلوب والأرواح والأبدان.

ومن كرامتهم عند ربهم، وإكرام بعضهم بعضـًا، أنهم علىٰ المجالس المرتفعة، المزينة بأنواع الأكسية الفاخرة، المزخرفة المجملة، فهم متكئون عليها، علىٰ وجه الراحة والطمأنينة، والفرح.

(مُتَقَابِلِينَ) فيما بينهم قد صفت قلوبهم، ومحبتهم فيما بينهم، ونعموا باجتماع بعضهم مع بعض، فإن مقابلة وجوههم، تدل علىٰ تقابل قلوبهم، وتأدب بعضهم مع بعض فلم يستدبره، أو يجعله إلىٰ جانبه، بل من كمال السرور والأدب، ما دل عليه ذلك التقابل.

(يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ) أي: يتردد الولدان المستعدون لخدمتهم بالأشربة اللذيذة، بالكاسات الجميلة المنظر، المترعة من الرحيق المختوم بالمسك، وهي كاسات الخمر.

وتلك الخمر، تخالف خمر الدنيا من كل وجه، فإنها في لونها (بَيْضَاءَ) من أحسن الألوان، وفي طعمها (لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ) يتلذذ شاربها بها وقت شربها وبعده، وأنها سالمة من غول العقل وذهابه، ونزفه، ونزف مال صاحبها، وليس فيها صداع ولا كدر، فلما ذكر طعامهم وشرابهم ومجالسهم، وعموم النعيم وتفاصيله داخلة في قوله (جَنَّاتِ النَّعِيمِ)، لكن فصل هذه الأشياء لتعلم فتشتاق النفوس إليها، ذكر أزواجهم فقال (وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ) أي: وعند أهل دار النعيم، في محلاتهم القريبة، حور حسان، كاملات الأوصاف، قاصرات الطرف، إما أنها قصرت طرفها علىٰ زوجها، لعفتها وعدم مجاوزته لغيره، ولجمال زوجها وكماله، بحيث لا تطلب في الجنة سواه، ولا ترغب إلا به، وإما لأنها قصرت طرف زوجها عليها، وذلك يدل علىٰ كمالها وجمالها الفائق، الذي أوجب لزوجها، أن يقصر طرفه عليها، وقصر الطرف أيضا، يدل علىٰ قصر النفس والمحبة عليها، وكلا

المعنيين محتمل، وكلاهما صحيح، و كل هذا يدل علىٰ جمال الرجال والنساء في الجنة، ومحبة بعضهم بعضا، محبة لا يطمح إلىٰ غيره، وشدة عفتهم كلهم، وأنه لا حسد فيها ولا تباغض، ولا تشاحن، وذلك لانتفاء أسبابه.

(عِينٌ) أي: حسان الأعين جميلاتها، ملاح الحدق.(كَأَنَّهُنَّ) أي: الحور (بَيْضٌ مَكْنُونٌ) أي: مستور، وذلك من حسنهن وصفائهن وكون ألوانهن أحسن الألوان وأبهاها، ليس فيه كدر ولا شين" [(١)].

ومن إكرام الله لعباده المخلصين : أن الله استخلصهم لولايته وهو أعلىٰ مراتب التكريم، ثم هم مكرمون في الملأ الأعلىٰ.

(١) تفسير السعدي : ٧٠٢

المبحث الثالث: الأعمال الموصلة لدرجة المكرمين

بيَّن لنا الله ﷻ في القرآن الكريم سُبل تحصيل درجة المكرمين وأنها تُنال بالإكرام، فالجزاء من جنس العمل، فأولياء الله المؤمنون المتقون يجلون ربهم، ويعظمونه ويحبونه، وينيبون إليه ويعبدونه، ويخشونه، ويتبعون الحق الذي أمرهم به، ويكرمون رسوله ﷺ بطاعته، واتباع سنته، ويكرمون الخلق بالتصدق عليهم وإقراضهم ابتغاء وجه الله، ويكرمون أنفسهم باجتناب ما يؤدي إلىٰ انتقاصها ودسها في المعاصي صغيرها وكبيرها.

المطلب الأول : سلامة المعتقد :

بيَّن لنا سبحانه وتعالىٰ إن إكرامه للعبد يكون بسبب إيمانه وطاعته، وإهانته بسبب كفره ومعصيته، وليس التوسيع علىٰ العبد في الرزق هو سبب الكرامة، ولا التضيق عليه في الرزق بسبب الإهانة :

قال تعالىٰ: ﴿ فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ. كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ [الفجر: ١٥-١٨]

عَنْ قَتَادَةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ : قَوْلُهُ ﴿ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلاَهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ﴾ مَا أَسْرَعَ مَا كَفَرَ ابْنِ آدَمَ، يَقُولُ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ :كَلاَّ إِنِّي لاَ أُكْرِمُ مَنْ أَكْرَمْتُ بِكَثْرَةِ الدُّنْيَا، وَلاَ أُهِينُ مَنْ أَهَنْتُ بِقِلَّتِهَا، وَلَكِنْ إِنَّمَا أُكْرِمُ مَنْ أَكْرَمْتُ بِطَاعَتِي، وَأُهِينُ مَنْ أَهَنْتُ بِمَعْصِيَتِي[1].

فليس كل من نعَّمته في الدنيا فهو كريم علي، ولا كل من قدرت عليه رزقه فهو مُهَان لدي، وإنما الغنىٰ والفقر، والسعة والضيق، ابتلاء من الله، وامتحان يمتحن به العباد؛ ليرىٰ من يقوم له بالشكر والصبر، فيثيبه علىٰ ذلك الثواب الجزيل، ممن ليس كذلك فينقله إلىٰ العذاب الوبيل.

---

(١) تفسير الطبري : ٢٤/ ٣٧٧.

قال صاحب الظلال رَحِمَهُ اللَّهُ :" فهذا هو تصوُر الإنسان لما يبتليه الله به من أحوال، ومن بسط وقبض، ومن توسعة وتقدير، يبتليه بالنعمة والإكرام بالمال أو المقام، فلا يدرك أنه الابتلاء، تمهيداً للجزاء. إنما يحسب هذا الرزق وهذه المكانة دليلاً علىٰ استحقاقه عند الله للإكرام، وعلامة علىٰ اصطفاء الله له واختياره. فيعتبر البلاء جزاء والامتحان نتيجة! ويقيس الكرامة عند الله بعَرَض هذه الحياة! ويبتليه بالتضييق عليه في الرزق، فيحسب الابتلاء جزاء كذلك، ويحسب الاختبار عقوبة، ويرىٰ في ضيق الرزق مهانة عند الله، فلو لم يرد مهانته ما ضيَّق عليه رزقه.

وهو في كلتا الحالتين مخطئ في التصور ومخطئ في التقدير فبسط الرزق أو قبضه ابتلاء من الله لعبده؛ ليظهر منه الشكر علىٰ النعمة أو البطر. ويظهر منه الصبر علىٰ المحنة أو الضجر. والجزاء علىٰ ما يظهر منه بعد، وليس ما أُعْطِي من عَرَض الدنيا أو مُنِع هو الجزاء"[1].

ومن النماذج التي عرضها القرآن أنعم الله عليها بنعم الكنوز والزروع والمقام الكريم : فرعون وملئه فجحدوها فكان مصيرهم الخروج منها غير مأسوف عليهم، قال تعالىٰ: ﴿ فَأَخْرَجْنَاهُم مِّن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ. وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الشعراء: ٥٧-٥٩]

أي:"فخرجوا من هذا النعيم إلىٰ الجحيم، وتركوا تلك المنازل العالية والبساتين والأنهار والأموال والأرزاق والمُلك والجاه الوافر في الدنيا"[2]؛ فأنهم خرجوا لمطاردة بني إسرائيل، و هلكوا فلم يرجعوا إلىٰ شيء مما تركوا، وورث بنو اسرائيل مثل ما كان لفرعون وملؤه ، وقال تعالىٰ: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ ﴾ [الدخان: ٢٥-٢٧]

قال صاحب التفسير المنير" كثيراً ما تركوا في مصر وراءهم من بساتين خضراء،

(١) في ظلال القرآن :سيد قطب: ٦/ ٣٩٠٦.

(٢) تفسير القرآن العظيم : ٦/ ١٤٣.

وحدائق غناء، وأنهاراً متدفقة، وآباراً مترعة بالماء، وزروع نضرة، ومنازل ومجالس حسنة وثيرة، وتنعم بالمال والخير الوفير، كانوا يرفلون بالنعمة، ويتنعمون بعيشة هنية، ويستمتعون بأنواع اللذة، كما يتمتع الرجل بأنواع الفاكهة، فيأكلون ويلبسون ما شاؤوا [(١)].

وقوله ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ﴾ أي "لم تكن لهم أعمال صالحة تصعد في أبواب السماء فتبكي على فقدهم، ولا لهم في الأرض بقاع عبدوا الله فيها فقدتهم ؛ فلهذا استحقوا ألا يُنْظَروا ولا يُؤَخروا ؛ لكفرهم وإجرامهم، وعتوهم وعنادهم"[(٢)].

ويقول صاحب الظلال رَحِمَهُ ٱللَّهُ : " وهو تعبير يلقي ظلال الهوان، كما يلقي ظلال الجفاء، فهؤلاء الطغاة المتعالون لم يشعر بهم أحد في أرض ولا سماء ولم يأسف عليهم أحد في أرض ولا سماء وذهبوا ذهاب النِّمال[(٣)]، وهم كانوا جبارين في الأرض يطأون الناس بالنعال! وذهبوا غير مأسوف عليهم فهذا الكون يمقتهم لانفصالهم عنه، وهو مؤمن بربه، وهم به كافرون! وهم أرواح خبيثة شريرة منبوذة من هذا الوجود وهي تعيش فيه ! ولو أحس الجبارون في الأرض ما في هذه الكلمات من إيحاء لأدركوا هوانهم على الله وعلى هذا الوجود كله ولأدركوا أنهم يعيشون في الكون منبوذين منه، مقطوعين عنه، لا تربطهم به آصرة، وقد قُطِعَت آصرة الإيمان"[(٤)].

ونلحظ في الآية إسناد :

١. إسناد (فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ) و (فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ) إلى الرب تعالى؛ لأن الكرامة والنعمة انساقت إلى الإنسان، أو انساق له قدر الرزق بأسباب من جعل الله وسننه في هذه الحياة الدنيا.

(١) التفسير المنير: الزحيلي :٢٥/ ٢٢٢.
(٢) تفسير القرآن العظيم : ٧/ ٢٥٣.
(٣) النِّمال: واحدتها نَمْلة.(العين :٨/ ٣٣٠).
(٤) في ظلال القرآن :٥/ ٣٢١٤.

٢. لا تنافي بين إثبات إكرام الله تعالىٰ الإنسان بقوله (فَأَكْرَمَهُ) وبين إبطال ذلك بقوله (كلا)؛ لأن الإبطال وارد علىٰ ما قصده الإنسان بقوله (رَبِّي أَكْرَمَنِ) أن ما ناله من النعمة علامة علىٰ رِضَىٰ الله عنه.

٣. في قوله تعالىٰ:) كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ) تنبيه من الله علىٰ أنهم إن أكرمهم الله فإنهم لم يكرموا عبيده شحـًا بالنعمة، إذ حرموا أهل الحاجة من فضول أموالهم.

المطلب الثاني : العمل الصالح :

العمل الصالح : ما أحبه الله ورسوله، وهو المشروع المسنون، ولهذا كان عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– يقول في دعائه : "اللهم اجعل عملي كله صالحـًا واجعله لوجهك خالصـًا ولا تجعل لأحد فيه شيئـًا "[(١)].

وقال ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ " العمل الصالح هو العمل الذي يُصْلِح عامله في دينه ودنياه صلاحـًا لا يشوبه فساد، وذلك العمل الجاري علىٰ وفق ما جاء به الدين" [(٢)].

فالعمل الصالح سبيل من سبل تحصيل الكرامة.

ولقد ورد ذكر العمل الصالح فى القرآن الكريم مقترنـًا بالإيمان، وهذا يدل علىٰ ارتباطهما الوثيق وتلازمهما المستمر، فلا إيمان بدون عمل صالح يعبر عنه ويبرهن عليه، ولا قيمة للعمل الصالح بدون إيمان يقوم عليه ويركن إليه، فالإيمان بدون عمل كالشجر بلا ظل ولا ثمر، والعمل الصالح بدون إيمان كالجسد بلا روح.

من الأعمال الصالحة التي تكون سببـًا في نيل درجة المكرمين:

أولاً : طاعة الله ﷻ ورسوله ﷺ :

قال ﷻ في حق أمهات المؤمنين زوجات النبي ﷺ اللاتي اخترن الله ورسوله والدار الآخرة، واستقر أمرهن تحت رسول الله ﷺ ﴿وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٣١]ومن تطع منكنّ الله ورسوله ، وتعمل عملاً صالحـًا مرضيـًا عند الله نعطها من الثواب

(١) مجموع الفتاوىٰ: ابن تيمية : (١/ ١٩٤).

(٢)التحرير والتنوير:(ص ٣٨١٨).

ضعف غيرها من سائر النساء ، وأعددنا لها في الآخرة أجراً كريماً وهو الجنة.

فلما اخترن – رضي الله عنهن – ما وافق مُرَاد الله ومُرَاد رسوله وتركن حظوظ أنفسهن كرامة لله ورسوله أكرمهن الله في منازل رسول الله ﷺ، في أعلىٰ عليين، فوق منازل جميع الخلائق، في الوسيلة التي هي أقرب منازل الجنة إلىٰ العرش، روىٰ مسلم بسنده عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ -ﷺ- يَقُولُ " إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّىٰ عَلَيَّ صَلاَةً صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا ثُمَّ سَلُوا اللهَ لِيَ الْوَسِيلَةَ فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ لاَ تَنْبَغِي إِلاَّ لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللهِ وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ فَمَنْ سَأَلَ لِيَ الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ" (١).

ونلحظ في الآية أن الله سبحانه :

١. عبّر عند إيتاء الأجر بقوله "نُؤْتِها" للتصريح بالمُؤْتِي وهو الله، إشارة إلىٰ كمال الرحمة والكرم ؛ ولأن الكريم عند النفع يُظْهِر نفسه وفعله.

٢. مضاعفة الأجر لنساء النبي ﷺ علىٰ الطاعات كرامة لقدرهن.

٣. وصف رزق الجنة بالكريم ؛ لأنه أفضل جنسه.

ثانياً : التصدق والإقراض ابتغاء وجه الله :

قال تعالىٰ: ﴿ إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴾ [الحديد: ١٨]أي: "الذين أكثروا من الصدقات الشرعية، والنفقات المرضية، وقدموا من أموالهم في طرق الخيرات ما يكون مدخراً لهم عند ربهم، يقابل لهم الحسنة بعشر أمثالها إلىٰ سبعمائة ضعف، إلىٰ أضعاف كثيرة، وأعد الله لهم في الجنة، مما لا تعلمه النفوس" (٢).

ونلحظ في الآية أن من الحوافز علىٰ الصدقة علم العبد أنه يتعامل مع الله مباشرة وليس مع المُصَدَّق عليه، روىٰ ابن خزيمة بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ - : إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا تَصَدَّقَ مِنْ طَيِّبٍ تَقَبَّلَهَا اللهُ مِنْهُ، وَأَخَذَهَا بِيَمِينِهِ، فَرَبَّاهَا كَمَا يُرَبِّي

(١)أخرجه مسلم في صحيحه: كِتَاب الصَّلَاةِ : إذا سمعتم النداء فقولوا مثل ما يقول المؤذن، (٥٧٧).

(٢) تفسير السعدي ١/ ٨٤٠

أَحَدُكُمْ مُهْرَهُ أَوْ فَصِيلَهُ إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَصَدَّقُ بِاللُّقْمَةِ، فَتَرْبُو فِي يَدِ اللهِ أَوْ قَالَ : فِي كَفِّ اللهِ حَتَّىٰ تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ فَتَصَدَّقُوا[١].

ثالثًا : اتباع الحق وخشية الله في الغيب :

قال تعالىٰ: : ﴿ إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴾ [يس: ١١]

أي: " من اتصف بالقصد الحسن في طلب الحق، وخشية الله تعالىٰ، فهم الذين ينتفعون برسالتك، ويزكون بتعليمك، وهذا الذي وفق لهذين الأمرين (فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ) لذنوبه، (وَأَجْرٍ كَرِيمٍ) لأعماله الصالحة، ونيته الحسنة"[٢].

ووصف الأجر بالكريم ؛ لأنه الأفضل في نوعه.

رابعـًا : اجتناب الكبائر :

من فضل الله وإحسانه علىٰ عباده المؤمنين أنه وعدهم أنهم إذا اجتنبوا كبائر المنهيات غفر لهم جميع الذنوب والسيئات وأدخلهم مدخلاً كريمـًا كثير الخير وهو الجنة، قال تعالىٰ: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا ﴾ [النساء: ٣١]

ويدخل في اجتناب الكبائر فعل الفرائض التي يكون تاركها مرتكبـًا كبيرة، كالصلوات الخمس، والجمعة، وصوم رمضان، روىٰ مسلم بسنده عَنْ أَبِىٰ هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ -ﷺ- كَانَ يَقُولُ " الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ وَالْجُمُعَةُ إِلَىٰ الْجُمُعَةِ وَرَمَضَانُ إِلَىٰ رَمَضَانَ مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَنَبَ الْكَبَائِرَ[٣] ".

"وأحسن ما حُدت به الكبائر، أن الكبيرة ما فيه حد في الدنيا، أو وعيد في الآخرة، أو نفي إيمان، أو ترتيب لعنة، أو غضب عليه" [٤].

(١)أخرجه ابن خزيمة في صحيحه: بابُ : فَضْلِ الصَّدَقَةِ وَقَبْضِ الرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ إِيَّاهَا لِيُرَبِّيَهَا لِصَاحِبِهَا، (٢٤٢٦).

(٢) تفسير السعدي ١/ ٦٩٢

(٣)أخرجه مسلم في صحيحه : كِتَاب الطَّهَارَةِ : باب : الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ وَالْجُمُعَةُ إِلَىٰ الْجُمُعَةِ وَرَمَضَانُ إِلَىٰ رَمَضَانَ مُكَفِّرَاتٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ، (٥٧٣).

(٤) تفسير السعدي ١/ ١٧٦

خامساً : البراءة من القبائح :

قال تعالىٰ: ﴿ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُوْلَئِكَ مُبَرَّؤُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [النور: ٢٦] قال ابن عباس –رضي الله عنهما – "الخبيثات من القول للخبيثين من الرجال، والخبيثون من الرجال للخبيثات من القول. والطيبات من القول، للطيبين من الرجال، والطيبون من الرجال للطيبات من القول. قال: ونزلت في عائشة وأهل الإفك. ووجَّهَهُ بأن الكلام القبيح أولىٰ بأهل القبح من الناس، والكلام الطيب أولىٰ بالطيبين من الناس، فما نسبه أهل النفاق إلىٰ عائشة هم به أولىٰ، وهي أولىٰ بالبراءة والنزاهة منهم.

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم – رضي الله عنهما – : الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال، والخبيثون من الرجال للخبيثات من النساء، والطيبات من النساء للطيبين من الرجال، والطيبون من الرجال للطيبات من النساء.

أي: ما كان الله ليجعل عائشة زوجة لرسول الله –ﷺ– إلا وهي طيبة؛ لأنه أطيب من كل طيب من البشر، ولو كانت خبيثة لما صلُحت له، لا شرعاً ولا قدراً"[(١)].

سادساً : موالاة الله ورسوله والجهاد في سبيل الله :

قال تعالىٰ: مثنياً عَلَىٰ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ آوَواْ وَّنَصَرُواْ أُوْلَـئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلاَيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلاَّ عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ. وَالَّذينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ. وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [النساء: ٧٢-٧٤]

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ : " يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ : إِنَّ الَّذِينَ صَدَّقُوا اللهَ وَرَسُولَهُ، وهَجَرُوا قَوْمَهُمْ وَعَشِيرَتَهُمْ وَدُورَهُمْ، وبَالَغُوا فِي إِتْعَابِ نُفُوسِهِمْ وَإِنْصَابِهَا فِي حَرْبِ

(١) تفسير القرآن العظيم :٦/ ٣٥.

أَعْـدَاءِ اللهِ مِـنَ الْكُفَّـارِ فِـي سَـبِيلِ اللهِ، وَالَّـذِينَ آوَوْا رَسُـولَ اللهِ وَالْمُهَـاجِرِينَ مَعَـهُ، فَأَسْكَنُوهُمْ وَجَعَلُوا لَهُـمْ مِـنْ مَنَازِلِهِمْ مَسَـاكِنَ ؛ إِذْ أُخْـرَجَهُمْ قَـوْمُهُمْ مِـنْ مَنَازِلِهِمْ، وَنَصَرُوهُمْ عَلَىٰ أَعْدَائِهِمْ وَأَعْدَاءِ اللهِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ. هَاتَـانِ الْفِرْقَتَـانِ، بَعْضُـهُمْ أَنْصَـارُ بَعْضٍ، وَأَعْوَانٌ عَلَىٰ مَنْ سِوَاهُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَأَيْدِيهِمْ وَاحِدَةٌ عَلَىٰ مَـنْ كَفَـرَ بِـاللهِ، وَبَعْضُهُمْ إِخْوَانٌ لِبَعْضٍ دُونَ أَقْرِبَائِهِمُ الْكُفَّارِ. أُولَئِكَ هُمْ أَهْلُ الإِيمَـانِ بِـاللهِ وَرَسُـولِهِ حَقًّا، لاَ مَنْ آمَنَ وَلَـمْ يُهَـاجِرْ دَارَ الشِّـرْكِ وَأَقَامَ بَيْنَ أَظْهُـرِ أَهْلِ الشِّـرْكِ وَلَـمْ يَغْـزُ مَـعَ الْمُسْلِمِينَ عَدُوَّهُمْ. لَهُمْ سِتْرٌ مِنَ اللهِ عَلَىٰ ذُنُوبِهِمْ بِعَفْوِهِ لَهُـمْ عَنْهَـا، و لَهُـمْ فِـي الْجَنَّـةِ طَعَامٌ وَمَشْرَبٌ هَنِيٌّ كَرِيمٌ، لاَ يَتَغَيَّـرُ فِـي أَجْـوَافِهِمْ فَيَصِـيرُ نَجْـوًا، وَلَكِنَّـهُ يَصِـيرُ رَشْـحًا كَرَشْحِ الْمِسْكِ"[١].

قال صاحب الظلال رَحِمَهُ ٱللَّهُ :" أولئك هـم المؤمنون حقـًا. فهـذه هـي الصـورة الحقيقية التي يتمثل فيها الإيمان. هذه هي صورة النشأة الحقيقية والوجود الحقيقي لهذا الدين. إنه لا يوجد حقيقة بمجرد إعلان القاعدة النظرية ولا بمجرد اعتناقها ولا حتىٰ بمجرد القيام بالشعائر التعبدية فيها. إن هذا الدين منهج حياة لا يتمثل في وجود فعلي، إلا إذا تمثل في تجمع حركي. أما وجوده في صورة عقيدة فهو وجود حكمي، لا يصبح (حقـًا) إلا حين يتمثل في تلك الصورة الحركية الواقعية.وهؤلاء المؤمنـون حقـًا، لهم مغفرة ورزق كريم، والرزق يذكر هنا بمناسبة الجهاد والإنفاق والإيواء والنصرة وتكاليف هذا كله، وفوقه المغفرة وهي من الرزق الكريم. بل هي أكرم الرزق الكريم"[٢].

سابعـًا : الشهادة في سبيل الله :

من آثر حياة غيره علىٰ حياته، وضرورة غيره علىٰ ضرورته، فقد استولىٰ علىٰ أمد الكرم والسخاء وجاوز أقصاه وضرب فيه بأوفر الحظ، وهذه المرتبة بلغها الشهداء فقد استشهدوا في سبيل الله ؛ ليحيا غيرهم كُرَمَاء، قال تعالىٰ: علىٰ لسان

(١)تفسير الطبري: ١١/ ٢٩٥ .بتصرف يسير.

(٢) في ظلال القرآن : ٣/ ١٥٦٠.

مؤمن آل يسن ﴿ إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ ﴾ فقتله قومه، لما سمعوا منه وراجعهم بما راجعهم به، فقيل له ﴿ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ. بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ﴾ [يس: ٢٥-٢٧] قال ابن عباس- رضي الله عنهما - "نصح قومه في حياته بقوله (يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ) وبعد مماته في قوله (يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ. بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ)" (١).

فهذا الرجل المؤمن قد أُدْخِلَ الجنة عقب موته ؛ لأنه كان من الشهداء، وقد اطلع علىٰ ما آتاه الله في الجنة من المغفرة والكرامة، يذكر قومه طيب القلب رضي النفس، يتمنىٰ لو يراه قومه ويرون ما آتاه ربه من الرضىٰ والكرامة ؛ ليعرفوا الحق، معرفة اليقين، روىٰ مسلم بسنده عَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ سَأَلْنَا عَبْدَ اللهِ عَنْ هَذِهِ الآيَةِ ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِىٰ سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩] قَالَ أَمَا إِنَّا قَدْ سَأَلْنَا عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ " أَرْوَاحُهُمْ فِىٰ جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ لَهَا قَنَادِيلُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ تَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ ثُمَّ تَأْوِىٰ إِلَىٰ تِلْكَ الْقَنَادِيلِ فَاطَّلَعَ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمُ اطِّلاَعَةً فَقَالَ هَلْ تَشْتَهُونَ شَيْئًا قَالُوا أَىَّ شَىْءٍ نَشْتَهِىٰ وَنَحْنُ نَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شِئْنَا فَفَعَلَ ذَلِكَ بِهِمْ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ فَلَمَّا رَأَوْا أَنَّهُمْ لَنْ يُتْرَكُوا مِنْ أَنْ يُسْأَلُوا قَالُوا يَا رَبِّ نُرِيدُ أَنْ تَرُدَّ أَرْوَاحَنَا فِىٰ أَجْسَادِنَا حَتَّىٰ نُقْتَلَ فِىٰ سَبِيلِكَ مَرَّةً أُخْرَىٰ. فَلَمَّا رَأَىٰ أَنْ لَيْسَ لَهُمْ حَاجَةٌ تُرِكُوا "(٢).

وعندما يرىٰ الشهيد ما أعده الله له من الكرامة يتمنىٰ أن يرجع إلىٰ الدنيا، روىٰ البخاري بسنده عن أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : مَا أَحَدٌ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ يُحِبُّ أَنْ يَرْجِعَ إِلَىٰ الدُّنْيَا وَلَهُ مَا عَلَىٰ الأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ الشَّهِيدُ يَتَمَنَّىٰ أَنْ يَرْجِعَ إِلَىٰ الدُّنْيَا فَيُقْتَلَ عَشْرَ مَرَّاتٍ لِمَا يَرَىٰ مِنَ الْكَرَامَةِ(٣).

---

(١) تفسير القرآن العظيم : ٦/ ٥٧٢.

(٢)أخرجه مسلم في صحيحه: كِتَاب الْإِمَارَةِ : باب فِىٰ بَيَانِ أَنَّ أَرْوَاحَ الشُّهَدَاءِ فِىٰ الْجَنَّةِ وَأَنَّهُمْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ، (٤٩٩٣).

(٣)أخرجه البخاري في صحيحه: كِتَاب الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ : باب تمني المجاهد أن يرجع إلىٰ الدنيا، (٢٨١٧).

المبحث الرابع: آثار الكرم على الفرد والمجتمع

المطلب الأول : آثار الكرم علىٰ الفرد:

أولاً : آثار الكرم علىٰ الفرد في الدنيا:

١- الرزق الكريم :

قال تعالىٰ: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ [الحج: ٤٩-٥٠] والرزق الكريم منه ما هو في الآخرة من الجنة ونعيمها.

" ومنه ما هو حاصل له في الدنيا، فهو متمتع بانشراح الصدر، والرضا عن الرب[١]، و حُسْن الظَّن بالله تعالىٰ، وحُسْن ثناء النَّاس عليه، والبركة في الرزق، وتزكِّية النفس وتطهيرها مِن رذائل الأنانيَّة المقيتة، والشُّح الذَّميم.

٢- نيل كرامة الله عز وجل:

من أكرم عباده أكرمه سبحانه والجزاء من جنس العمل، روىٰ الترمذي بسنده عَنِ ابْنِ عُمَرَ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ خَطَبَ النَّاسَ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ، فَقَالَ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللهَ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبِّيَّةَ[٢] الجَاهِلِيَّةِ وَتَعَاظُمَهَا بِآبَائِهَا، فَالنَّاسُ رَجُلاَنِ: بَرٌّ تَقِيٌّ كَرِيمٌ عَلَىٰ اللهِ، وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ هَيِّنٌ عَلَىٰ اللهِ، وَالنَّاسُ بَنُو آدَمَ، وَخَلَقَ اللهُ آدَمَ مِنْ تُرَابٍ، قَالَ اللهُ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحجرات: ١٣][٣].

ثانيـًا: آثار الكرم علىٰ الفرد في الآخرة:

١- النجاة من عذاب الله :

قال تعالىٰ: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ

(١) التحرير والتنوير :١٧/ ٢١٣. بتصرف.

(٢) عُبِّيَّةَ: يَعْنِي الكِبْر.(النهاية في غريب الحديث :٣/ ١٦٩).

(٣) أخرجه الترمذي في سننه: باب ومن سورة الحجرات، (٣٢٧٠)، قال الألباني صحيح.

وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ اللهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴾ [الحج: ١٨] عَنْ مُجَاهِدٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: : قوله تعالىٰ: " (وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ) قَالَ : الْمُؤْمِنُونَ "[(١)].

أي وكثير نجوا من العذاب وهم المؤمنون الذين يسجدون لله طوعـًا مختارين متعبدين بذلك [(٢)].

٢- جنات النعيم والخلود في الجنة :

وقال تعالىٰ: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ [الحديد: ١١] أي :جزاء جميل يعني: الجنة وما فيها من المآكل والمشارب، والملابس والمساكن، والمناكح والملاذ والمناظر وما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر علىٰ قلب بشر.

المطلب الثاني: أثر الكرم علىٰ المجتمع

من شأن خلق الكرم شيوع ثقافة التراحم وزيادة أواصر الترابط المجتمعي، وتتجلىٰ مظاهر هذا الخلق في أمور كثيرة، نُمَثِّل لها بفرعين:

الفرع الأول: إكرام الضيف:

سرعة الضيافة جزء أصيل من إكرام الضيف، وتأخرها دليل علىٰ الإهمال والتقصير؛ لذلك وجدنا إبراهيم الخليل عليه السلام مسارعـًا في تقديم الضيافة لزائريه حتىٰ قبل التحقق من هويتهم؛ فمن أدب المضيف أن يخفي أمره وأن يبادر بالقِرىٰ من غير أن يشعر به الضيف حذراً من أن يكفه قال تعالىٰ: ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ فَقَالُواْ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴾ [الذاريات: ٢٤-٢٧].

وقد استنبط ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ من هذه الآيات آداب الضيافة، وهي كما يلي:

(١) تفسير الطبري : ١٦/ ٤٨٨.

(٢) التحرير والتنوير :١٧/ ١٦٥

- قوله تعالىٰ: (إِذۡ دَخَلُواْ عَلَيۡهِ) فلم يذكر استئذانهم ففي هذا دليل علىٰ أنه ﷺ كان قد عرف بإكرام الضيفان واعتياد قراهم فبقي منزله مضيفة مطروقًا لمن ورده لا يحتاج إلىٰ الاستئذان بل استئذان الداخل دخوله، وهذا غاية ما يكون من الكرم.

- قوله لهم (سَلَٰمٌ) بالرفع وهم سلموا عليه بالنصب، والسلام بالرفع أكمل؛ فإنه يدل علىٰ الجملة الاسمية الدالة علىٰ الثبوت والتجدد، والمنصوب يدل علىٰ الفعلية الدالة علىٰ الحدوث والتجدد، فإبراهيم حياهم أحسن من تحيتهم فإن قولهم سلاما يدل علىٰ سلمنا سلاما وقوله سلام أي سلام عليكم.

- أنه حذف المبتدأ من قوله (قَوۡمٞ مُّنكَرُونَ) فإنه لما أنكرهم ولم يعرفهم؛ احتشم من مواجهتهم بلفظ ينفر الضيف لو قال أنتم قوم منكرون، فحذف المبتدأ هنا من ألطف الكلام.

- أنه بنىٰ الفعل للمفعول وحذف فاعله فقال: (مُّنكَرُونَ) ولم يقل إني أنكركم؛ وهو أحسن في هذا المقام وأبعد من التنفير والمواجهة بالخشونة.

- أنه راغ إلىٰ أهله؛ ليجيئهم بنزلهم، والروغان: هو الذهاب في اختفاء بحيث لا يكاد يشعر به الضيف؛ وهذا من كرم رب المنزل المضيف أن يذهب في اختفاء بحيث لا يشعر به الضيف فيشق عليه ويستحي فلا يشعر به إلا وقد جاءه بالطعام، بخلاف من يسمع ضيفه، ويقول له أو لمن حضر: مكانكم حتىٰ آتيكم بالطعام ونحو ذلك مما يوجب حياء الضيف واحتشامه.

- أنه ذهب إلىٰ أهله فجاء بالضيافة؛ فدل علىٰ أن ذلك كان معداً عندهم مهيئًا للضيفان، ولم يحتج أن يذهب إلىٰ غيرهم من جيرانه أو غيرهم فيشتريه أو يستقرضه.

- قوله تعالىٰ: (فَجَآءَ بِعِجۡلٖ سَمِينٖ)؛ دل علىٰ خدمته للضيف بنفسه، ولم يقل فأمر لهم بل هو الذي ذهب وجاء به بنفسه ولم يبعثه مع خادمه؛ وهذا أبلغ في إكرام الضيف.

- أنه جاء بعجل كامل، ولم يأت ببضعة منه؛ وهذا من تمام كرمه ﷺ.

- إنه سمين لا هزيل، ومعلوم أن ذلك من أفخر أموالهم، ومثله يتخذ للاقتناء والتربية؛ فآثر به ضيفانه.

- أنه قربه إليهم بنفسه ولم يأمر خادمه بذلك.

- أنه قربه ولم يقربهم إليه؛ وهذا أبلغ في الكرامة أن يجلس الضيف ثم يقرب الطعام إليه ويحمله إلىٰ حضرته ولا يضع الطعام في ناحية ثم يأمر الضيف بأن يتقرب إليه.

- أنه قال: ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ﴾؛ وهذا عرض وتلطف في القول وهو أحسن من قوله كلوا أو مدوا ايديكم وهذا مما يعلم الناس بعقولهم حسنه ولطفه؛ ولهذا يقولون بسم الله أو ألا تتصدق أو ألا تجبر ونحو ذلك.

- أنه إنما عرض عليهم الأكل؛ لأنه رآهم لا يأكلون ولم يكن ضيوفه يحتاجون معه إلىٰ الإذن في الأكل بل كان إذا قدم إليهم الطعام أكلوا وهؤلاء الضيوف لما امتنعوا من الأكل قال لهم ألا تأكلون ولهذا أوجس منهم خيفة أي أحسها وأضمرها في نفسه ولم يبدها لهم وهو الوجه.

- فإنهم لما امتنعوا من أكل طعامه خاف منهم، ولم يظهر لهم ذلك، فلما علمت الملائكة منه ذلك؛ قالوا لا تخف وبشروه بالغلام[1].

تأمل كيف جمعت هذه الآية آداب الضيافة التي هي أشرف الآداب؟

الفرع الثاني: إعانة المحتاجين بالقرض الحسن :

وعد الله سبحانه وتعالىٰ الذين أكثروا من الصدقات الشرعية، والنفقات المرضية، و قدموا من أموالهم في طرق الخيرات من تفريج الكروب، والإعانة علىٰ نوائب الدهر، والتيسير علىٰ المعسر، وعلاج المرضىٰ والمصابين، ومساعدة المحتاجين، وكفالة اليتامىٰ، وإعانة الضعفاء والمساكين، والجهاد في سبيل الله، وخلف الغزاة في أهليهم؛ وتحمل الحمالة لترقئ دماء قوم؛ ما يكون مدخراً لهم عند ربهم، والمجازة بالمضاعفة علىٰ ما أنفقوا الحسنة بعشر أمثالها إلىٰ سبعمائة ضعف، إلىٰ أضعاف كثيرة، ولهم عند ربهم ما أعده لهم في الجنة، ما لا عين رأت

(١) جلاء الأفهام: ابن قيم الجوزية: ٢٧١- ٢٧٤ بتصرف يسير.

وأذن سمعت ولا خطر علىٰ قلب بشر قال تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴾ [الحديد: ١٨] وقال تعالىٰ: ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴾ [الحديد: ١١] تأمل كيف صدَّر سبحانه الآية "بألطف أنواع الخطاب، وهو الاستفهام المتضمن لمعنىٰ الطلب، وهو أبلغ فیٰ الطلب من صيغة الأمر، والمعنىٰ: هل أحد يبذل هذا القرض؛ الحسن فيجازىٰ عليه أضعافاً مضاعفة ؟ وسمىٰ ذلك الإنفاق قرضاً حسناً؛ حثاً للنفوس وبعثاً لها علىٰ البذل ؛ لأن الباذل متىٰ علم أن عين ماله يعود إليه ولا بد؛ طوّعت له نفسه بذله وسهل عليه إخراجه.

فإن علم أن المستقرض وفیٰ محسن كان أبلغ فیٰ طيب قلبه وسماحة نفسه، فإن علم أن المستقرض يتجر له بما اقترضه وينميه له ويثمره حتىٰ يصير أضعاف ما بذله؛ كان بالقرض أسمح وأسمح، فإن علم أنه مع ذلك كله يزيده من فضله وعطائه أجراً آخر من غير جنس القرض وأن ذلك الأجر حظ عظيم وعطاءٌ كريم؛ فإنه لا يتخلف عن قرضه إلا لآفة فیٰ نفسه من البخل والشح أو عدم الثقة بالضمان، وذلك من ضعف إيمانه، ولهذا كانت الصدقة برهاناً لصاحبها.

وحيث جاءَ هذا القرض فیٰ القرآن قيده بكونه حسناً، وذلك يجمع أموراً ثلاثة:

أحدها: أن يكون من طيب ماله لا من رديئه وخبيثه.

الثانیٰ: أن يخرجه طيبة به نفسه ثابتة عند بذله ابتغاءَ مرضاة الله.

الثالث: ألا يمن به ولا يؤذیٰ.

فالأول يتعلق بالمال، **والثانیٰ** يتعلق بالمنفق بينه وبين الله، **والثالث** بينه وبين الآخذ"(١).

(١) طريق الهجرتين وباب السعادتين: ابن قيم : ٣٦٣.

الخـاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، ونسأل الله القبول.

وكان من النتائج التي توصل إليها البحث ما يلي:

١- الكرم: الكثرة في العطاء تفضلاً بلا منٍّ أو أذىٰ.

٢- خلق الكرم من أهم الأخلاق التي امتدحها الله تعالىٰ في كتابه، ووصف بها ذاته.

٣- وردت هذه اللفظة ومشتقاتها في القرآن الكريم سبعًا وأربعين مرة، منها أربعة وثلاثون موضعًا مكيًا وثلاثة عشر موضعًا مدنيًا، في ثمان وعشرين سورة منها إحدىٰ وعشرون سورة مكية، وسبع سور مدنية.

٤- للكرم في القرآن الكريم دلالات، حيث كان اسمًا أو صفةً لله تعالىٰ، وحيث كان وصفًا للقرآن الكريم، وحيث كان وصفًا للأنبياء والمرسلين، وحيث كان وصفًا للجنة، وحيث كان وصفًا للقول، وحيث وصفًا للكافر.

٥- للمكرمين سواء كانوا من الملائكة أو من المؤمنين مكانة عند الله، ولهم الثناء الحسن.

٦- من الأعمال الموصلة لدرجة المكرمين : سلامة المعتقد، والعمل الصالح والذي منه: طاعة الله ﷻ ورسوله ﷺ، والتصدق والإقراض ابتغاء وجه الله، و اتباع الحق وخشية الله في الغيب، و اجتناب الكبائر، والبراءة من القبائح، و موالاة الله ورسوله والجهاد في سبيل الله، والشهادة في سبيل الله

٧- للكرم آثار علىٰ الفرد في الدنيا منها: الرزق الكريم، التفضيل علىٰ الآخرين، وآثار في الآخرة منها : النجاة من عذاب الله، ودخول جنات النعيم والخلود فيها.

٨- للكرم آثار علىٰ المجتمع منها: شيوع ثقافة التراحم وزيادة أواصر الترابط المجتمعي.

والبحث يوصي:

١- إدراج الأخلاق المحمودة في مناهج التدريس للطلاب وخاصة خلق الكرم؛ ليتربىٰ عليه الأجيال ويصبح صفة راسخة في نفوسهم.

٢- تبني وسائل الإعلام الحكومية والجهات والوزرات المعنية برامج دعوية تغرس منهج الكرم في السلوك المجتمعي، مع إبراز المردود النفسي والديني للمعانين وخاصة المتعففين منهم، علىٰ أن يتم الصرف بطريقة تحفظ عليهم ماء وجوههم أن تراق.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين



أهم المصادر والمراجع

١- **أحكام القرآن**: أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي (المتوفى: ٣٧٠هـ)، المحقق: محمد صادق القمحاوي – الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، تاريخ الطبع: ١٤٠٥هـ.

٢- **أحكام القرآن**: القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (المتوفى: ٥٤٣هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣ م.

٣- **البحر المحيط في التفسير**: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ) الناشر: دار الفكر – بيروت، الطبعة: ١٤٢٠هـ.

٤- **تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد**: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ) الناشر: الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ.

٥- **تذكرة الحفاظ**: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

٦- **تفسير الإمام الشافعي**: أبو عبد الله محمد بن إدريس القرشي المكي (المتوفى: ٢٠٤هـ)، جمع وتحقيق ودراسة: د. أحمد بن مصطفى الفرَّان (رسالة دكتوراه) الناشر: دار التدمرية – المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى: ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.

٧- **تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)**: محمد رشيد بن علي رضا (المتوفى: ١٣٥٤هـ)، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر: ١٩٩٠ م.

٨- **تفسير القرآن العزيز**: أبو عبد الله محمد بن عبد الله، المعروف بابن أبي زَمَنِين المالكي (المتوفى: ٣٩٩هـ)، الناشر: الفاروق الحديثة – مصر/

القاهرة، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
٩- **تفسير القرآن العظيم**: أبو محمد عبد الرحمن بن محمد.. الرازي ابن أبي حاتم (المتوفىٰ: ٣٢٧هـ) الناشر: مكتبة نزار مصطفىٰ الباز - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثالثة - ١٤١٩ هـ.
١٠- **تفسير القرآن العظيم**: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفىٰ: ٧٧٤هـ)، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م.
١١- **تفسير القرآن**: أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزىٰ السمعاني (المتوفىٰ: ٤٨٩هـ) الناشر: دار الوطن، الرياض - السعودية، الطبعة: الأولىٰ، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.
١٢- **التفسير القرآني للقرآن**: المؤلف: عبد الكريم يونس الخطيب (المتوفىٰ: بعد ١٣٩٠هـ)الناشر: دار الفكر العربي - القاهرة.
١٣- **تفسير عبد الرزاق**: أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (المتوفىٰ: ٢١١هـ) الناشر: دار الكتب العلمية، دراسة وتحقيق: د. محمود محمد عبده، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت.الطبعة: الأولىٰ، سنة ١٤١٩هـ.
١٤- **تفسير مجاهد**: أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي (المتوفىٰ: ١٠٤هـ)، الناشر: دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر، الطبعة: الأولىٰ، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩ م.
١٥- **تهذيب التهذيب**: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفىٰ: ٨٥٢هـ) الناشر: مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، الطبعة: الطبعة الأولىٰ، ١٣٢٦هـ.
١٦- **جامع البيان في تأويل القرآن**: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفىٰ: ٣١٠هـ)

١٧- **جامع العلوم والحكم**: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ) الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: السابعة، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.

١٨- **الجامع لأحكام القرآن**: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ) تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م.

١٩- **زاد المسير في علم التفسير**: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ.

٢٠- **سلسلة الأسماء والصفات**: محمد الحسن الددو الشنقيطي، دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، http: //www.islamweb.net

٢١- **سنن ابن ماجه**: ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (المتوفى: ٢٧٣هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي.

٢٢- **سنن الترمذي**: محمد بن عيسى بن سورة، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ) المحقق: بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت، سنة: ١٩٩٨م.

٢٣- **السيرة النبوية**: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان، عام النشر: ١٣٩٥هـ-١٩٧٦ م.

٢٤- **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**: عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد (المتوفى: ١٠٨٩هـ) حققه: محمود الأرناؤوط، الناشر: دار ابن كثير، دمشق – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦ م

٢٥- **فائدة جليلة في قواعد الأسماء الحسنىٰ**: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفىٰ: ٧٥١هـ)، المحقق: عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، الناشر: غراس، الكويت، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

٢٦- **الفروق اللغوية**: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيىٰ بن مهران العسكري (المتوفىٰ: نحو ٣٩٥هـ)حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، الناشر: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر.

٢٧- **كتاب التعريفات**: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفىٰ: ٨١٦هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، الطبعة: الأولىٰ ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.

٢٨- **كتاب العين**: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفىٰ: ١٧٠هـ) المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال.

٢٩- **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفىٰ: ٥٣٨هـ).

٣٠- **الكشف والبيان عن تفسير القرآن**: أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (المتوفىٰ: ٤٢٧هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولىٰ ١٤٢٢، هـ- ٢٠٠٢ م.

٣١- **الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية**: أيوب بن موسىٰ الحسيني الكفوي، أبو البقاء الحنفي (المتوفىٰ: ١٠٩٤هـ) المحقق: عدنان درويش – محمد المصري، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت.

٣٢- **اللباب في علوم الكتاب**: أبو حفص سراج الدين الحنبلي (المتوفىٰ: ٧٧٥هـ) المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الناشر: دار الكتب العلمية –

بيروت / لبنان، الطبعة: الأولىٰ، ١٤١٩ هـ -١٩٩٨م.

٣٣- **محاسن التأويل**: محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفىٰ: ١٣٣٢هـ، الطبعة: الأولىٰ - ١٤١٨ هـ.المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

٣٤- **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**: أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفىٰ: ٧١٠هـ)، الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولىٰ، ١٤١٩هـ-١٩٩٨ م.

٣٥- **المستدرك علىٰ الصحيحين**: أبو عبد الله الحاكم النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفىٰ: ٤٠٥هـ) تحقيق: مصطفىٰ عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولىٰ، ١٤١١ - ١٩٩٠م.

٣٦- **مسند الإمام أحمد بن حنبل**: المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفىٰ: ٢٤١هـ)المحقق: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢١هـ-٢٠٠١ م.

٣٧- **معالم التنزيل في تفسير القرآن**: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفىٰ: ٥١٠هـ)، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

٣٨- **مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)**: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفىٰ: ٦٠٦هـ)الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠هـ.

٣٩- **موطأ الإمام مالك**: مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني (المتوفىٰ: ١٧٩هـ)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ١٤٠٦هـ-١٩٨٥م.الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧ هـ.

٤٠- **النكت والعيون**: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ)، المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان.

٤١- **النهاية في غريب الحديث والأثر**: مجد الدين أبو السعادات الجزري ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ)الناشر: المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٤٢- **الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن**: أبو محمد مكي بن أبي طالب الأندلسي القرطبي (المتوفى: ٤٣٧هـ) المحقق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي - جامعة الشارقة، الناشر: - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.

٤٣- **الوسيط في تفسير القرآن المجيد**: أبو الحسن علي بن أحمد بن علي الواحدي، (المتوفى: ٤٦٨هـ) تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود،..، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ- ١٩٩٤ م.

٤٤- **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**: أبو العباس شمس الدين أحمد بن خلكان (المتوفى: ٦٨١هـ)، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر - بيروت. الطبعة: ١٩٩٤م.



شخصية إلياس ﷷ ومنهجه في الدعوة من خلال القرآن الكريم

إعداد

د. حسين بن علي بن عمر الزومي

أستاذ التفسير المشارك بجامعة القصيم

ملخص البحث

هذا البحث يتناول شخصية إلياس عليه السلام ومنهجه في الدعوة من خلال القرآن الكريم، وتتمثل مشكلة البحث في محاولة إظهار الحقائق حول شخصية إلياس عليه السلام واستنباط منهجه الدعوي من خلال الآيات القرآنية الواردة في قصّته، ويهدف إلىٰ دراسة هذه الآيات وتحليلها واستنباط ما فيها مستنيراً بأقوال أهل التفسير، وإسهامًا في إظهار هذا النبي الكريم وإبراز دوره، ليكون نبراسًا لأبناء الأمة المحمدية، معتمداً في ذلك علىٰ المنهج الوصفي التحليلي الذي يقوم بوصف مقالات العلماء ومناقشتها وتصنيفها، ومن ثم تفسير الآيات وتحليلها ودراستها واستنباط المعاني الصحيحة في شخصية إلياس عليه السلام ودعوته، وقد كان من أهم النتائج: أن إلياس عليه السلام لم يكن من بني إسرائيل، ولا قومه الذين دعاهم أيضًا؛ فالجميع كانت أصولهم من الفينيقيين الكنعانيين القاطنين في مدينة بعلبك، وما حولها. وأن (العهد القديم) لم يذكر نسب إلياس، ولم يعرفوا أصله، وما نُقِل عن وهب بن منبه في سنده ضعف شديد ونكارة. وأن سبب ذكر اسم الصنم صريحًا (بعل) افتتان كثير من الناس به علىٰ البُعدين الزماني والمكاني، واعتقادهم أنه المتصرف في أحوال العالم من دون الله، استقلالاً لا تبعًا. وقد تميّزت دعوة إلياس عليه السلام بثبات المنهج، وتنوّع الأساليب الجاذبة للمدعوين. كما برزت ضمن الآيات مقامات رفيعة وصفات لإلياس عليه السلام وأتباعه، وترتّب عليها جزاءات عظيمة.

الكلمات المفتاحية: إلياس عليه السلام؛ قصص الأنبياء؛ بنو إسرائيل؛ منهج الدعوة؛ البعل.



المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام علىٰ رسول الله وعلىٰ آله وصحبه ومن اهتدىٰ بهم.

وبعد:

فلقد أدرك غير المسلمين -بلْه المسلمين- منذ تنزّلات القرآن الأولىٰ وحتىٰ الآن أن سرّ قوة المسلمين إنما تكمن في القرآن الكريم، بمنهجه وهداياته وكمال مبادئه. وكان من أقوىٰ المشاهد القرآنية التي عرضت لذلك المنهج الرشيد والمبادئ العتيدة مشاهد الأنبياء القادة الذين حملوا راية الدعوة والتوحيد منذ نوح ﵇ وحتىٰ خاتم النبيين محمد عليه أزكىٰ الصلاة والتسليم.

ومن المشاهد القرآنية ما يمرّ عليها بعض القرأة مرور السهام، لا يقفون عند عجائبها، ولا يستلهمون منها العبر، مع أنها قد ملئت كنوزاً لمن تفكر وتدبر، ومن تلك المشاهد والقصص التي مزجت بروعة القرآن وجمال لفظه وفخامة معناه: قصة نبي الله إلياس عليه الصلاة والسلام.

وقد ورد اسم (إلياس) ﵇ في القرآن الكريم بموضعين:

الأول: في سورة الأنعام، وذلك في قوله تعالىٰ: ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ [سورة الأنعام: آية ٨٥].

الثاني: في سورة الصافات، وذلك في الآيات التالية: ﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ﴿١٢٥﴾ اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَامٌ عَلَىٰ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾﴾ [سورة الصافات: الآيات ١٢٣ – ١٣٢].

أما الموضع الأول فكان في ثنايا ذكر أسماء الأنبياء وذرياتهم، بدون الخوض في تفاصيل أخبارهم، إذ تسرد الآيات: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ

وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحۡيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلۡيَاسَۖ كُلّٞ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطٗاۚ وَكُلّٗا فَضَّلۡنَا عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡ وَإِخۡوَٰنِهِمۡۖ وَٱجۡتَبَيۡنَٰهُمۡ وَهَدَيۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٨٧﴾ ﴾ [الأنعام: ٨٣-٨٧].

وأما الموضع الثاني فقد ذكر فيه تفصيلات قصة إلياس، وإن كان يغلب عليها الإجمال، إذ جاءت في عشر آيات قصار، ولكنها تحمل بين طياتها الكثير من المعاني الزاخرة والإشارات الباهرة، وهو ما سنلمسه جليّاً في بحثنا هذا، علىٰ قلة زاد الباحث وضعف إدراكه عن سبر أغوار دقائق المعاني ورفعة الألفاظ والمباني، ولكنها محاولة الجاهد في استشعار اللفتات وفقه ظواهر الكلمات النيّرات.

مشكلة البحث:

تتمثل مشكلة البحث في محاولة إظهار الحقائق حول شخصية إلياس عليه السلام واستنباط منهجه الدعوي من خلال الآيات القرآنية الواردة في قصّته، وتتحدّد في سؤالَيْنِ:

- ما الحقائق المتعلّقة بشخصية إلياس عليه السلام؟
- ما المنهج الدعوي الذي سلكه إلياس عليه السلام في دعوته؟

هدف البحث:

هذا البحث يهدف إلىٰ دراسة:

- شخصية إلياس عليه السلام واستنباط منهجه الدعوي من خلال الآيات القرآنية الواردة في قصّته، وتحليلها مستنيراً بأقوال أهل التفسير، وإسهاماً في إظهار هذا النبي الكريم وإبراز دوره، ليكون نبراساً لأبناء الأمة المحمدية.

أهمية البحث:

تبرز أهمية البحث من خلال النقاط التالية:

- مكانة القصص القرآني للأنبياء عليهم السلام، فهم منارات الهدىٰ للعالمين.

▪ علو شأن الأنبياء واصطفاء الله لهم، ومن ضمنهم نبي الله إلياس ﷺ.

▪ تميّز قوم إلياس ﷺ ودعوته لهم بميزات لم تظهر لدىٰ الأمم الأخرىٰ.

▪ قِصَر القصة جعل بعض المسلمين يغفل عن أخذ العبرة منها، مع ما اشتملت عليه من كنوز وروائع.

الدراسات السابقة:

هناك الكثير من الكتب قديماً وحديثاً مما أُلّف في قصص الأنبياء بإجمال، وبسردٍ مختزل اعتمد في أغلب مادّته علىٰ ما قاله أهل الكتاب، وهي كثيرة بالمئات، ناهيك عما ذكره المفسرون في ثنايا تفسيرهم للقرآن العظيم.

أما التأليفاتُ المفْرَدَة فبعد البحث والاطلاع علىٰ الدراسات الحديثة لم نجد علىٰ حد علمنا القاصر من أفرد هذا الموضوع بالتأليف سوىٰ دراسة جاءت بعنوان:

- (**إلياس ﷺ وآراء المفسرين فيه**)، للباحث عمر عبد الوهاب محمود. وهو بحث محكّم منشور بمجلة التربية والعلم - المجلد ١٦، العدد ١ لسنة ٢٠٠٩م، والصادرة عن كلية التربية بجامعة الموصل بالعراق.

وبعد أن اطلعنا علىٰ هذا البحث، ظهر لنا عدة فروق بينه وبين بحثنا نجملها فيما يلي :

• أن موضوع بحثه -كما نصّ علىٰ ذلك- ما وجده من آراء كثيرة متضاربة للمفسرين، والوقوف علىٰ الرأي الراجح منها؛ بينما موضوعنا هدفه هو الوصول إلىٰ حقيقة شخصية إلياس وبيان منهجه الدعوي بشكل خاص.

• ركّز في بحثه علىٰ ثلاث قضايا: القراءات، وعلاقة إلياس بالخضر عليهما السلام، وسرد الإسرائيليات بدون نقد ولا تمحيص.

• لم يتطرّق بحثه بتاتاً لمنهج إلياس في الدعوة، ولا لصفاته، ولا لأتباعه، كما لم يبين هل كان إلياس من بني إسرائيل أم من قوم آخرين، ولا تحدث عن شخصيته في التوراة والانجيل، ولا عن طبيعة عبادة قومه للبعل .

• جاء البحث مختزلاً، وأغفل العديد من القضايا، فمع أن البحث جاء في ٣٢

صفحة إلا أنه لم يسلم منها لصلب البحث سوىٰ ١٧ صفحة.

وبهذا يظهر الفرق الكبير بين البحثين، من حيث الأهداف ومنهج الدراسة والموضوعات.

منهج البحث:

اعتمدنا في هذا البحث علىٰ:

- المنهج الوصفي التحليلي للآيات القرآنية الواردة في القصة: والذي يقوم بوصف مقالات العلماء ومناقشتها وتصنيفها، ومن ثم تفسير الآيات وتحليلها ودراستها واستنباط المعاني الصحيحة في شخصية إلياس ﵇ ودعوته.

خطة البحث:

تتكون الدراسة من مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة:

– **المقدمة**: وفيها بيان مشكلة البحث، وأهمية موضوع البحث، وهدفه، والدراسات السابقة، والمنهج المتبع فيه، وخطة الدراسة.

– **مباحث الدراسة:**

المبحث الأول: شخصية إلياس ﵇، ويشتمل علىٰ الآتي:

المطلب الأول: القراءات في (إلياس) و(إل ياسين)

المطلب الثاني: حقيقة إلياس ﵇ ونبوته

المبحث الثاني: إلياس ﵇ عند أهل الكتاب، ويشتمل علىٰ الآتي:

المطلب الأول: النسب

المطلب الثاني: نقد المرويّات

المبحث الثالث: المنهج الدعوي في قصة إلياس ﵇، ويشتمل علىٰ الآتي:

المطلب الأول: أساليب ووسائل من خلال الآيات

المطلب الثاني: مقامات إلياس ﵇ ومقوّماته

المطلب الثالث: صفات أتباع إلياس المؤمنين

الخاتمة: وفيها بيان أهم النتائج التي توصلتُ إليها.

ولا أملك في ختام مقدمتي سوىٰ أن أتقدم بوافر الشكر والامتنان لعمادة البحث العلمي بجامعة القصيم، والتي أولت مثل هذه البحوث عنايتها واهتمامها، ومن الله نستمد العون والتوفيق، ولعل ما سطّرته أقلامنا في حق مقام النبي إلياس ﷺ يكون شافعـًا لنا يوم نلقىٰ الله.. والله المستعان.



المبحث الأول
شخصية إلياس عليه السلام

المطلب الأول: القراءات في (إلياس) و(إل ياسين).

جاءت في (إلياس) ثلاث قراءات:

القراءة الأولى: قرئت (وإن إلياس) بهمزة القطع المكسورة، وهي قراءة الجمهور. لأن إلياس ليس بموضع تحذف فيه الهمزة، إنما هو موضع تجعل فيه بين بين في التخفيف كما يخفف سئم وبئس، ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٨]. ويقوي ثبات الهمزة قوله: ﴿سَلَامٌ عَلَىٰ إِلْ يَاسِينَ﴾، فهذا يدلّ على أن الهمزة ثابتة في إلياس بثبوتها في (إلياسين).

القراءة الثانية: قرئت (وإن الياس) بغير همز، بوصل الهمز، وهي قراءة ابن عامر وابن محيصن وأبي رجاء والأعرج وقتادة[١].

أما القراءة الثالثة: (وإن إيليـاس)- بهمزة مكسورة وياء ساكنة بعدها لام مكسورة وياء ساكنة وسين مهملة مفتوحة فليست بقراءة متواترة، وهي قراءة أبي بن كعب[٢]، ولفظها قريب من (إيليّا) في العهد القديم.

أما (إلياسين) فقد جاءت فيها قراءتان متواترتان:

الأولى: ﴿سلام على إلياسين﴾ بكسر الهمزة وسكون اللام موصولة بـ (ياسين) فجعلوها كلمة واحدة، وهي قراءة الجمهور، إلا أن حفصاً تفرد بروايته عن عاصم بقراءة (إل ياسين)- بهمزة مكسورة ولام ساكنة مفصولة[٣].

وعلى هذه القراءة يرى البعض أنه اسم له[٤]، قال الزجاج: يقال ميكال

(١) الحجة للقراء السبعة، أبو علي الفارسي ٥/ ٥٩ - ٦٠، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات، ابن جنّي ٣/ ٢٢٣، السبعة في القراءات، أبو بكر بن مجاهد ص٥٤٨

(٢) تفسير ابن عطية ٤/ ٤٨٤، البحر المحيط، أبو حيان ٧/ ٣٥٨ ، تفسير البيضاوي ٥/ ٢٥

(٣) الحجة في القراءات السبع، ابن خالويه ص٣٠٣، السبعة في القراءات، أبو بكر بن مجاهد ص٥٤٨- ٥٤٩، العنوان في القراءات السبع، أبو الطاهر ص١٦٢، حجة القراءات، ابن زنجلة ص٦١٠

(٤) تفسير ابن عطية ٤/ ٤٨٤

وميكائيل ومكائين فكذا ههنا إلياس وإلياسين[١]، فالعرب تلحق النون في أسماء كثيرة وتبدلها من غيرها كما قالوا إسماعيل وإسماعين وإسرائيل وإسرائين[٢]، ولعل لزيادة الياء والنون في السُّريانية معنىً[٣]، واختار هذه اللغة هنا رعاية للفواصل[٤].

قال الفراء: " وقد يشهد عَلَىٰ صواب هَذَا -يقصد قراءة (إلياسين)- قوله: ﴿مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ﴾ [المؤمنون: ٢٠] ثم قال في موضع آخر: ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾ [التين: ٢] وهو معنىً واحد وموضع واحد[٥] ".

وهو ما نصره الطبري بقوله: " يُستشهد علىٰ ذلك أن ذلك كذلك بأن جميع ما في السورة من قوله (سَلامٌ) فإنه سلام علىٰ النبي الذي ذُكر دون آله، فكذلك إلياسين، إنما هو سلام علىٰ إلياس دون آله[٦] ". ومراده أننا إذا وضعنا القصص المتتابعة الواحدة إلىٰ جنب الأُخرىٰ نرىٰ أنّ سلام الله في تلك الآيات مرسل إلىٰ الأنبياء الذين تطرّقت إليهم الآيات: ﴿سلام علىٰ نوح في العالمين- سلام علىٰ إبراهيم- سلام علىٰ موسىٰ وهارون﴾. وطبقـًا لذلك فإنّ ﴿سلام علىٰ إل ياسين﴾ تعني السلام علىٰ إلياس وحده فقط. وهو ما جزم به (المصطفوي) من أن المراد من كلمة- إِلْ ياسِينَ- هو إلياس المذكور قطعا، والأقوال الأُخر في هذا المورد خلاف نظم الآيات وظاهرها[٧].

واختار أبو عبيدة هذه القراءة، وقال: "إلياسين اسم إلياس، مثل إبراهام في إبراهيم، ألا تراه أنه لم يقل في شيء من السورة علىٰ آل فلان وآل فلان، إنما جاء بالاسم، وكذلك الياسين[٨]".

---

(١) تفسير الرازي ٢٦/ ١٤١

(٢) قصص الأنبياء، ابن كثير ٢/ ٢٤٦

(٣) تفسير الزمخشري ٤/ ٦٠

(٤) تفسير الألوسي ٢٣/ ١٤١

(٥) معاني القرآن، الفراء ٢/ ٣٩٢.

(٦) تفسير الطبري ٢١/ ١٠١

(٧) التحقيق في كلمات القرآن الكريم، المصطفوي ١/ ١٤١

(٨) مجاز القرآن، أبو عبيدة ٢/ ١٧٢ - ١٧٣

وقد عقّب النحّاس علىٰ أبي عبيدة بقوله: "وهذا الاحتجاج أصله لأبي عمرو، وهو غير لازم لأنا بينا قول أهل اللغة: إذا سلم علىٰ آله من أجله فهو مسلّم عليه". ثم قال: "والقول بأن اسمه (الياسين) يحتاج إلىٰ دليل ورواية فقد وقع في الأمر إشكال، كان الأولىٰ اتباع الخط الذي في المصحف وفي المصحف «سلام علىٰ آل ياسين» بالانفصال فهذا ما لا إشكال فيه [1] ".

وبعضهم يعتبرها جمعًا بمعنىٰ (إلياسيين)، وطريقة ذلك أن (إلياس) أُضيفت إليها (ياء) النسب فأصبحت (إلياسي)، وبعد ذلك جمعت بإضافة الياء والنون إليها فأصبحت (إلياسيين)، فحُذِفَتْ أولاهما لالتقاءِ السَّاكنين، فصار (إلياسين) كما ترىٰ[2].

القراءة الثانية: ﴿سلام علىٰ آل ياسين﴾ بإضافة لفظ (آل). بفتح الهمزة مشبعة وكسر اللام مقطوعة إلىٰ لفظ (ياسين)، فجعلوها كلمتين، وهي قراءة نافع وابن عامر ويعقوب ورويس[3]. وحجتهم أنها في المصحف العثماني مفصولة من ياسين، ففيه نوع تأييد لهذه القراءة[4].

وفي توجيه هذه القراءة أقوال أرجحها أنه جعل اسمه إلياس وياسين ثم سلم علىٰ آله؛أي: أهل دينه ومن كان علىٰ مذهبه[5].

والذي أميل إليه أنه لا مانع من الجمع بين المعنيين، وأنه لا يوجد بينهما تضاد؛ فالله سبحانه سلّم علىٰ إلياس ﷺ، وسلّم كذلك علىٰ آله وهم أتباعه من المؤمنين، خصوصًا وأن القاعدة التفسيرية تنصُّ علىٰ أنَّ منزلة القراءة من القراءة بمنزلة الآية من الآية [6].

(١) إعراب القرآن، النحاس ٣/ ٢٩٥

(٢) الدر المصون، السمين الحلبي ٩/ ٣٢٩

(٣) التيسير في القراءات السبع، أبو عمرو الداني ١٨٧، النشر في القراءات العشر، ابن الجزري ٢/ ٣٦٠، السبعة في القراءات، ابن مجاهد ص٥٤٩

(٤) الحجة للقراء السبعة، أبو علي الفارسي ٦/ ٦١ وما بعدها، تفسير الألوسي ١٢/ ١٣٥

(٥) زاد المسير، ابن الجوزي ٧/ ٨٢

(٦) لمزيد النظر في هذه القاعدة: مجموع الفتاوىٰ، ابن تيمية ١٣/ ٣٩١- ٣٩٢، البرهان؛ للزركشي ١/ =

المطلب الثاني: حقيقة إلياس ﷺ ونبوته.

يفهم الناظر من خلال قراءة النصّ القرآني أن (إلياس) ﷺ هو (إلياس) وليس ما سواه من شخصيات الأنبياء أو الصالحين، ومع ذلك فقد ذكر البعض أنه ليس إلا اسماً آخر لشخصية أخرى، ومن ذلك:

أ/ يعتقد البعض أنّ "إلياس" هو إدريس ﷺ؛ فكلمة إدريس، تلفظ إدراس، وطرأت عليها تغيّرات في بنية الكلمة فأضحت إلياس. أو أن إلياس اسم آخر لإدريس ﷺ أو أنه لقب له، وهو قول ابن مسعود (1)، وقال به قتادة(2) والضحاك بن مزاحم، وعكرمة، وعياض ومحمد بن إسحاق ورواية لابن عباس(3)، ففي قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [الصافات: ١٢٣]، روي عن عبد الله بن مسعود قال: إلياس هو إدريس، وفي مصحفه (وإن إدريس لمن المرسلين).

وقد يرى البعض أن ابن مسعود ﷺ يرى العكس وهو أن إدريس هو إلياس ففي قوله تعالى: ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴾ [مريم: ٥٦]، روى ابن أبي حاتم بسند حسنه السيوطي عن ابن مسعود أنه قال: إنه إلياس بعث إلى قومه أن يقولوا لا إله إلا الله ويعملوا ما شاءوا فأبوا وأهلكوا (4).

فلا نعرف بالضبط هل رأي ابن مسعود أن إدريس هو إلياس؟ أم أن إلياس هو

=
٣٢٦، أضواء البيان؛ للشنقيطي ٢/ ٨، قواعد التفسير، خالد السبت ١/ ٨٨، فصول في أصول التفسير، مساعد الطيار ص١٢٨

(١) أخرجه عنه ابن أبي حاتم بسند حسن ، قال ابن كثير: قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو نعيم حدثنا إسرائيل عن إسحاق عن عبيدة بن ربيعة عن عبدالله بن مسعود. (تفسير ابن كثير ٤/ ٢٠). وذكره البغوي في تفسيره (٤/ ٣٦) عن ابن مسعود، وكذلك: الإتقان في علوم القرآن، السيوطي ٢/ ٣٨٠، تفسير القرطبي ١٥/ ١١٥

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره ٢١/ ٩٥ عن قتادة.

(٣) تفسير ابن عطية ٤/ ٤٨٣، الدر المنثور، السيوطي ٥/ ٥٣٧ ، تفسير ابن كثير ٤/ ٢٠، تفسير الثعالبي ٤/ ٢٤، تفسير البغوي ٤/ ٣٦، فتح الباري، ابن حجر ٦/ ٣٧٥

(٤) تفسير الألوسي ١٦/ ١٠٥، تفسير البغوي ٤/ ٣٦

إدريس؟ قال القرطبي: "وروي عن ابن مسعود قال: إسرائيل هو يعقوب، وإلياس هو إدريس. وقرأ: (وإن إدريس) وقال عكرمة: هو في مصحف عبد الله [يعني ابن مسعود] (وإن إدريس لمن المرسلين) وانفرد بهذا القول"[١]. قال الألوسي: والمستفيض عنه أنه قرأ كالجمهور[٢]. ولعلّ هذه قراءة تفسيرية من ابن مسعود رضي الله عنه[٣] كما كان يقرأ بذلك في آيات أخرىٰ.

ب/ مجموعة من المفسّرين اعتبرت (إلياس) هو الخضر[٤].

ومنهم من رأىٰ أنه صاحب للخضر وصديق له، وأنّ كليهما ما يزال حيّـًا، وبعض هؤلاء يرىٰ أنّ إلياس موكّل بالفيافي والقفار والخضر موكّل بالجزر والبحار[٥]، وكل هؤلاء -وأغلبهم من المتصوفة- يقولون بخلود الإثنين في الدنيا وأنهما آخر من يموت من بني آدم، وكان الحسن يقول: قد هلك إلياس والخضر ولا نقول كما يقول الناس [٦].

ج/ والبعض يرىٰ أنّ إلياس هو (اليسع). وضعف هذا القول القرطبي بقوله: "وتوهم قوم أن اليسع هو إلياس، وليس كذلك؛ لأن الله تعالىٰ أفرد كل واحد بالذكر"[٧].

د/ وجوّز قوم أن يكون هو إلياس بن مضر جدّ النبي ﷺ[٨].

ولكن الذي يتناسب مع ظاهر الآيات هو أنّ هذا الاسم اسم أحد أنبياء الله غير

---

(١) تفسير القرطبي ١٥/ ١١٥، وانظر: تفسير الطبري ٧/ ٢٦١، تفسير الماوردي ٥/ ٦٤، تفسير البغوي٤/ ٣٦، زاد المسير، ابن الجوزي ٧/ ٧٩.

(٢) تفسير الألوسي ٢٣/ ١٣٩

(٣) وهو الذي رجحه أبو حيان (البحر المحيط ٩/ ١٢١)

(٤) إعراب القرآن، النحاس ٣/ ٢٩٤،

(٥) تفسير النيسابوري ٥/ ٥٧٥، التفسير المظهري ٨/ ١٤٢

(٦) تفسير النيسابوري ٥/ ٥٧٥

(٧) تفسير القرطبي ٧/ ٣٣.

(٨) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي الكلبي ٢/ ١٩٧

تلك الأسماء التي وردت في القرآن المجيد، وأنّه بعث لهداية قوم يعبدون الأصنام، فكذّبه أكثر القوم، عدا مجموعة من المؤمنين المخلصين الذين صدّقوه.

كما أن إلياس هو نفسه (إيلياء) النبي المذكور في التوراة والذي عاصر الملك (آجاب) الطاغية المتجبّر[1].



(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٢٣/ ١٦٦

المبحث الثاني
إلياس عليه السلام عند أهل الكتاب

المطلب الأول: النسب.

لم يرد في أسفار العهد القديم ذكرٌ لنسب إلياس عليه السلام، بل لا يعرفون والديه؟ فقد ظهر في التاريخ فجأة، ولم تحدد التوراة أصل (إيليا) العائلي، ولا من أين جاء؟ وكان ظهوره فجأة علىٰ مسرح الأحداث دون مقدمات، ولا يعرفون حتىٰ مكان مولده[١].

وربما تكون شخصية النبي إلياس عليه السلام هي الشخصية الوحيدة الغامضة بالنسبة لأهل الكتاب، والذي زادهم عيّاً في ذلك ما ورد من نسبته في الكتاب المقدس بـ(إلياس التّشبي) في سبعة مواضع [٢]؛ وذلك نسبة إلىٰ تشبة[٣] من بلاد جلعاد[٤].

ويُسمّىٰ (إيليا) في النص العبري للعهد القديم (إيلياهو)، وكلاهما بمعنىٰ: الرب هو إلهي[٥]. أما في أغلب النسخ المتأخرة المترجمة فيسمىٰ (إيليا)[٦].

---

(١) حياة إيليا والخدمة النارية، القس داود لمعي، ص١٢.

(٢) (١ ملوك ١٧: ١، ٢١: ١٧، ٢١: ٢٨، ٢ ملوك ١: ٣، ١: ٨، ٩: ٣٦).

(٣) الأصل في تشبة أنها من جلعاد كما في النصّ في سفر الملوك: [إيليا التشبي من مستوطني جلعاد]، ولكن زعم بعض مفسري الكتاب المقدس أنهم لم يجدوا لها اسماً قريبا في آثار جلعاد، ونسبوا (تشبة) إلىٰ ما ورد في التوراة في موضع آخر وأنها Thisbe تقع في شمال الجليل جنوب قادش نفتالىٰ -أي المنسوبة إلىٰ سبط نفتالي- . (موقع : شرح الكتاب المقدس - العهد القديم - الأنبا مكاريوس الأسقف العام - طوبيت ١ - تفسير سفر طوبيا http://st-takla.org ، بتاريخ ٢٨/ ١٢/ ١٤٣٨هـ). وإن صح هذا-وفي هذا نظر- فيكون ايليا قد ولد هناك ثم استوطن بعد ذلك جلعاد. ولكن أغلب مؤرخي أهل الكتاب يقولون أن تشبة من جلعاد والتي هي بلاد الكنعانيين (حياة إيليا، القس داود لمعي، ص١١٠).

(٤) تحمل جلعاد معنىٰ واسع في التوراة يشمل كل المنطقة شرق الأردن (سفر التثنية ٣٤: ١، سفر يشوع ٢٢: ٩، سفر القضاة ٢٠: ١، سفر صموئيل الثاني ٢: ٩، ١). أما في العصر الحاضر فهي قرية أردنية من قرىٰ محافظة البلقاء.(موقع ويكيبيديا: جلعاد/ https://ar.wikipedia.org/wiki) .

(٥) حياة إيليا والخدمة النارية، القس داود لمعي، ص١٣، وكذلك: حياة إيليا وسرّ قوّته، ف.ب.ماير، ص١٤.

(٦) التحقيق في كلمات القرآن، المصطفوي ١/ ١٤٠

أما المؤرخون المسلمون فقد اجتهدوا في معرفة نسبه، واختلفوا على أقوال، من أهمها:

- أنه إلياس بن ياسين بن فنحاص بن العيزار بن هارون بن عمران، وهو ما رواه ابن إسحاق عن وهب بن منبه[1]. وفوق أن السند ضعيف إلى وهب، فهو مما ليس له ذكر في أسفار أهل الكتاب.

- وقد جاء في رواية الكلبي ترتيب آخر، فهو: إلياس النشبي بن العازر بن هارون بن عمران بن قاهت بن لاوي بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام، وعلّق عليه ابن كثير بأن فيه نظر[2].

- وقيل إنه من سبط يوشع، وهو قول القُتَبِيُّ فيما حكاه عنه ابن عساكر[3]، والقرطبي[4].

- ولكن عطاء بن أبي رباح لم يجزم بسلسلة النسب المذكورة، وإنما يرى أنه: من ذرية إبراهيم ﷺ[5]. بدون الإشارة هل هو من بني إسرائيل أو من بني إسماعيل.

- وخالفهم الضحّاك؛ فهو يقول بأنه من ذرية إسماعيل ﷺ[6].

- أمّا الآيات القرآنية فلا تدلّنا إلا على شيء واحد، وأصلٍ عامّ لكلّ البشرية؛ لأن الله عزَّ وجل قال: ﴿وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾﴾[سورة الأنعام:٨٤- ٨٦].

قال الواحدي: "والعلماء بالنسب يقولون: الكناية تعود إلى نوح؛ لأنه ذكر في

(١) تفسير الطبري ٢١/ ٩٥

(٢) تفسير ابن كثير ٤/ ٢٠

(٣) الإتقان، السيوطي ٢/ ٣٦٩، والقتبي هو ابن قتيبة الدينوري.

(٤) تفسير القرطبي ٧/ ٣٢، فتح القدير، الشوكاني ٢/ ١٣٦.

(٥) الوسيط، الواحدي ٢/ ٢٩٤.

(٦) تفسير القرطبي ٧/ ٣٩

جملة من عدّ من هذه الذرية يونس ولوطًا، ولا شك أنهما لم يكونا من ذرية إبراهيم"[١]. وهذا هو ما دلّت عليه الآية؛ فنخلص من ذلك أن من نسبه إلىٰ بني إسرائيل فليس له مستمسك لا من رواية صحيحة، ولا نقل عن أهل الكتاب.

والسؤال المهم هنا: **هل كان إلياس ﷺ من بني إسرائيل؟**:

تكاد تتفق كل الروايات والاجتهادات عند المفسرين علىٰ أنه كان من أنبياء بني إسرائيل، علىٰ خلاف بينهم في ترتيبه بين الأنبياء[٢]. خلا من زعم أن (إلياس) هو (إدريس) ﷺ. حتىٰ قال الرازي: " وَأَمَّا أَكْثَرُ الْمُفَسِّرِينَ فَهُمْ مُتَّفِقُونَ عَلَىٰ أَنَّهُ نَبِيٌّ مِنْ أَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ[٣] ". وقال البقاعي: " كان أحد بني إسرائيل عند جميع المفسرين إلا ابن مسعود وعكرمة[٤]" وذلك لاعتقادهما بأنه إدريس، وإدريس ﷺ ليس من بني إسرائيل اتفاقًا.

كما أن الرواية المشهورة عن وهب بن منبه أنه قال: كان القيم بأمر بني إسرائيل بعد يوشع كالب بن يوفنا ثم حزقيل ثم لما قبض الله حزقيل النبي عظمت الأحداث في بني إسرائيل ونسوا ما كان من عهد الله إليهم حتىٰ نصبوا الأوثان وعبدوها من دونه فبعث الله إليهم إلياس نبيًا[٥].

وهو ما اضطر جماعة من المفسرين بأن يلزموا أنفسهم بوجود سبط من أسباط بني إسرائيل كانوا قد استوطنوا في (بعلبك)، وعلىٰ المشهور من الروايات الإسرائيلية أن الذي أسكنهم هو يوشع بن نون ﷺ حينما فتح الشام، وكان من ضمنها المدينة المعروفة اليوم ببعلبك[٦]، قسمها علىٰ بني إسرائيل وأحل سبطا

(١) الوسيط، الواحدي ٢/ ٢٩٥، تفسير الطبري ٧/ ٢٦١.

(٢) بحسب ترتيب المؤرخين المسلمين للأنبياء، فإن (إلياس) جاء بعد (حزقيل) ﷺ، و(حزقيل) قصته ذكرت مع ﴿ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَهُمۡ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحۡيَٰهُمۡۚ﴾ [البقرة: ٢٤٣].

(٣) تفسير الرازي ٢٦/ ٣٥٣

(٤) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي ١٦/ ٢٨٣

(٥) تفسير الطبري ٢/ ٥٩٦، تفسير القرطبي ١٥/ ١١٥، الدر المنثور، السيوطي ١/ ٧٥٠، زاد المسير، ابن الجوزي ٧/ ٨١، تفسير البغوي ١/ ٢٢٦

(٦) تفسير الألوسي ١٢/ ١٣٣، تفسير القرطبي ١٥/ ١١٥

منها ببعلبك ونواحيها، وهم السبط الذين كان منهم إلياس[1].

وبعكس الشائع في أوساط المفسرين الذين تلقوا هذه الروايات بالقبول، يميلُ الباحثُ إلىٰ أن إلياس ﷺ لم يكُ من بني إسرائيل قط، وأن الصحيح أنه كان من قومه القاطنين بمدينة بعلبك.

المطلب الثاني: نقد المرويّات .

هناك شبه اتفاق بين المفسرين إلىٰ أنّ إلياس ﷺ كان مبعوثًا إلىٰ مدينة (بعلبك[2])، وهي إحدىٰ مدن بلاد الشام ، لأنّ (بعل) هو اسم ذلك الصنم و (بك) تعني مدينة، ومن تركيب هاتين الكلمتين نحصل علىٰ كلمة (بعلبك)[3] .

ومع اتفاقهم علىٰ أنه أُرسل إلىٰ أهل بعلبك، فقد وقعوا في فخّ الإسرائيليات التي تكاد تتفق علىٰ أن إلياس إسرائيلي بعث إلىٰ إسرائيليين مثله.

وسأضرب صفحًا عن كثير من المرويات الإسرائيلية التي هي في حقيقتها هشيمٌ لا يقف أمام النقد الشرعي والتاريخي[4]، وأكتفي بالرواية المشهورة المنسوبة لوهب بن منبه، وقد جاءت بصيغ متعددة ولكني أسرد رواية الطبري لها، وهي السند الوحيد في هذه القصة -علىٰ حدّ بحثي- إلىٰ وهب بن منبه فقد قال

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي ١٦/ ٢٨٣

(٢) بعلبك: هي من مدن لبنان الآن، وبالتحديد في شمال سهل البقاع وشرق نهر الليطاني، وتبعد عن العاصمة بيروت حوالي ٨٣ كم من ناحية الشمال الشرقي. وهي قديمة البناء، فُتحت بصلحٍ أيَّامَ عمر (سنة١٤هـ)، وكان لأهلها صنم يسمىٰ (بعلاً) فسميت به، واسم الموضع (بَك). قال ياقوت: بالفتح ثم السكون وفتح اللام والباء الموحدة والكاف مشددة: مدينة قديمة فيها أبنية عجيبة وآثار عظيمة وقصور علىٰ أساطين الرخام لا نظير لها في الدنيا، بينها وبين دمشق ثلاثة أيام وقيل اثنا عشر فرسخًا. (معجم البلدان ١/ ٤٥٣)

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٠/ ٥٢١) عن الضحاك، وابن زيد، وكذلك هو في تفسير ابن أبي حاتم ١٠/ ٣٢٢٥، وذكره ابن عطية في تفسيره (٤/ ٤٨٤) وزاد نسبته للحسن.

(٤) أكثر من أطال في سرد الرواية الإسرائيلية للقصة هو الثعلبي في تفسيره: الكشف والبيان ٨/ ١٥٨- ١٦٨، ثم نقلها عنه البغوي ملخصة ٧/ ٥٢-٥٨، ثم نقلها الخازن ملخصة عن البغوي ٤/ ٢٥-٢٦، وقد نسبها الثعلبي إلىٰ محمد بن إسحاق بن يسار والعلماء من أصحاب الأخبار. وساقها بالمعنىٰ مطولة صاحب التفسير المظهري ٨/ ١٣٤-١٤٢

الطبري: "حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، عن وهب بن منبه"، وفيها : "إن الله قبض حِزْقيل، وعظمت في بني إسرائيل الأحداث، ونُسوا ما كان من عهد الله إليهم، حتىٰ نصبوا الأوثان وعبدوها دون الله، فبعث الله إليهم إلياس... الخ[1]"، ولا أرغب بتسويد البحث بذكر الرواية بطولها ولكن ملخصها: أنه كان قد آمن به ملكهم ثم ارتدّ بسبب زوجته الوثنية، واستمروا علىٰ ضلالتهم ولم يؤمن به منهم أحد فدعا الله عليهم فحبس عنهم القطر ثلاث سنين . وأنه لما دعا عليهم بحبس المطر جهدوا جهدا شديدا، وقال لهم: إنَّكم قد هلكتم جهدا وهلكت البهائم والشجر بخطاياكم فاخرجوا بأصنامكم وادعوها فإن استجابت لكم فالأمر كما تقولون، وإلا علمتم أنكم علىٰ باطل فتتركونها فادعوا الله فيفرج عنكم فقالوا أنصفت ففعلوا فلم يستجب لهم فعرفوا ضلالهم فقالوا ادع الله لنا فدعا فأرسل الغيث لكنهم بقوا علىٰ ما كانوا عليه من الضلال. إلىٰ أن ختمت الرواية: "فلما رأىٰ ذلك إلياس من كفرهم، دعا ربه أن يقبضه إليه، فيريحه منهم، فقيل له فيما يزعمون: انظر يوم كذا وكذا، فاخرج فيه إلىٰ بلد كذا وكذا، فماذا جاءوك من شيء فاركبه ولا تهبه، فخرج إلياس وخرج معه اليسع بن أخطوب، حتىٰ إذا كان في البلد الذي ذُكر له في المكان الذي أُمر به، أقبل إليه فرس من نار حتىٰ وقف بين يديه، فوثب عليه، فانطلق به، فناداه اليسع: يا إلياس، يا إلياس ما تأمرني؟ فكان آخر عهدهم به، فكساه الله الريش، وألبسه النور، وقطع عنه لذّة المطعم والمشرب، وطار في الملائكة، فكان إنسيا ملكيا أرضيا سَماويا". ويتضح من الرواية أنه رُفع إلىٰ السماء وأنه انتقل من حالته الإنسانية إلىٰ الحالة الملائكية [2].

قال ابن كثير بعد أن سرد هذه الرواية في تفسيره: "هكذا حكاه وهب بن منبه عن أهل الكتاب والله أعلم بصحته[3] ". وقال أيضـًا: "ففي هذا نظر، وهو من

(١) تفسير الطبري، ٢١/ ٩٧-٩٩

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي ١٦/ ٢٨٣

(٣) تفسير ابن كثير، ٤/ ٢١

الإسرائيليات التي لا تصدق ولا تكذب بل الظاهر أن صحتها بعيدة والله أعلم"[1].

ولي وقفات مع هذا الإسناد:

أولاً: في الإسناد رجلان من الضعفاء فلا تقبل راويتهما وهما: محمد بن حميد التميمي الرازي[2] ، وسلمة بن الفضل الأبرش[3]. هذا مع أن ابن إسحاق[4] لم

---

(١) قصص الأنبياء، ص٣٤٩

(٢) محمد بن حميد بن حيان التميمي، أبو عبد الله الرازي ت (٢٤٨هـ)، وثقه بعضهم كأحمد بن حنبل وابن معين، والأكثر علىٰ تضعيفه؛ مثل أبي زرعة وقال يعقوب بن شيبة السدوسي: محمد بن حميد الرازي كثير المناكير . وقال البخاري: حديثه فيه نظر. وقال النسائي : ليس بثقة. وقال إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني: رديء المذهب غير ثقة. وقال صالح بن محمد الأسدي الحافظ: كان أحاديثه تزيد وما رأيت أحدا أجرأ علىٰ الله منه، كان يأخذ أحاديث الناس فيقلب بعضه علىٰ بعض. وقال أبو نعيم: سمعت أبا حاتم الرازي في منزله وعنده جماعة من مشايخ أهل الري وحفاظهم للحديث، فذكروا ابن حميد فأجمعوا علىٰ أنه ضعيف في الحديث جدا، وأنه يحدث بما لم يسمعه، وأنه يأخذ أحاديث لأهل البصرة والكوفة فيحدث بها عن الرازيين. (تهذيب التهذيب ٩/ ١٢٧ وتاريخ بغداد ٢/ ٢٥٩ وميزان الاعتدال ٣/ ٤٩ وشذرات الذهب ٢/ ١١٨ وتذكرة الحفاظ ٢/ ٦٧ تاريخ الإسلام ٥/ ١٢٢١ التاريخ الكبير ١/ ٦٩) قال الذهبي: وَهُوَ مَعَ إِمَامَتِهِ مُنْكَرُ الحَدِيْثِ، صَاحِبُ عَجَائِبَ. ثم قال: قَدْ أَكْثَرَ عَنْهُ ابْنُ جَرِيْرٍ فِي كُتُبِهِ. وَوَقَعَ لَنَا حَدِيْثُه عَالِياً. وَلاَ تَرْكَنُ النَّفسُ إِلَىٰ مَا يَأْتِي بِهِ – فَاللهُ أَعْلَمُ –. (سير أعلام النبلاء ١١/ ٥٠٥)

(٣) سلمة بن الفضل الأبرش الأنصاري مولاهم، أبو عبد الله الأزرق الرازي توفي بعد ١٩٠هـ، صاحب ابن إسحاق وراوي مغازيه وأشهر الرواة عنه، قال البخاري: عنده مناكير، ووسمه أبو زرعة بالكذب، وقال أبو حاتم: محله الصدق، فى حديثه إنكار، لا يمكن أن أطلق لساني فيه بأكثر من هذا، يكتب حديثه ولا يحتج به. وقال النسائي: ضعيف. وذكره ابن حبان فى كتاب "الثقات"، وقال: يخطئ ويخالف. (الجرح والتعديل ٤ / ١٦٨، كتاب المجروحين ١ / ٣٣٧، تهذيب الكمال١١/ ٣٠٥، ميزان الاعتدال ٣ / ١٩٢، تهذيب التهذيب ٤ / ١٥٣، شذرات الذهب ١ / ٣٢٨). إلا أن روايته للمغازي عن ابن إسحاق مقبولة عند المحدثين، يقول الذهبي: كَانَ قَوِيّاً فِي المَغَازِي. (سير أعلام النبلاء ٩/ ٥٠).

(٤) محمد بن إسحاق بن يسار المدني القرشي المطلبي، صاحب المغازي، قال ابن المديني : ثقة، لم يضعه عندي إلا روايته عن أهل الكتاب. وثقه ابن المبارك وابن حبان وقال الدارقطني: اختلف الأئمة فيه ، وليس بحجة، إنما يعتبر به. وقال أبو حاتم الرازي: يكتب حديثه. وقال أبو زرعة: صدوق . وهو مشهور بالتدليس عن الضعفاء والمجهولين وصفه بذلك أحمد والدارقطني وغيرهما، وقال شعبة: صدوق، وقال أحمد: حسن الحديث، وقال ابن المديني: حديثه عندي صحيح، وقال ابن معين: ثقة، وليس بحجة، وقال النسائي: ليس بالقوي، وكذبه مالك، ويحيىٰ القطان، ووهيب بن خالد. (الجرح والتعديل ٧/ ١٩١ – ١٩٤، تهذيب التهذيب ٩/ ٣٨، تذكرة الحفاظ ١/ ١٦٣، ميزان الاعتدال ٣ / =

يسلم من الكلام فيه أيضـًا. وقد قال عبدالرحمن المعلمي في نقده لهذا الإسناد: "محمد بن حميد مُتّهم، وسلمة كثير الخطأ يأتي بمناكير، وابن إسحاق مدلس ولم يصرح بالسماع[١] ".

ثانيًا: أن الإسناد إلىٰ وهب جاء مضطربـًا؛ فتارة يرويه ابن إسحاق عن وهب[٢]؛ وتارة عن بعض أهل العلم؛[٣] وتارة يرويه بإسقاط من روىٰ عنه[٤].

ثالثًا: حتىٰ ولو صحّ الإسناد إلىٰ وهب يبقىٰ أنه في دائرة الإسرائيليات التي ينبغي أن تكون تحت مجهر النقد الشرعي والعقلي.

رابعًا: لم يخرج ما يرويه وهب عمّا هو في التوراة المحرّفة اليوم، والتي زادت تحريفـًا بعد وفاة محمد ﷺ.

فيتضح لنا من ذلك أن نسبتهم نبي الله (إلياس) إلىٰ بني إسرائيل، من الأغلوطات التاريخية التي زلّ فيها كثير من المفسـّرين والمؤرخين ، وهو فهم دخل عليهم من (الإسرائيليات) التي روت قصصـًا عجيبة وغريبة لهذا النبي عليه السلام.

والذي يميل إليه الباحث أن (إلياس) عليه السلام بُعث إلىٰ قوم من (الفينيقيين)، وتسمىٰ المنطقة التي تقع فيها (بعلبك) وما حولها بأرض كنعان، وقد استخدم المفسرون لفظ الكنعانيين علىٰ كل المنطقة الواقعة في بلاد الشام [٥]، وكذلك استخدمها مؤرخو ومفسرو العهد القديم[٦]. وبحسب المؤرخين فإن الكنعانيين

=

٤٦٨ - ٤٧٥، طبقات الحفاظ ٧٥- ٧٦، تاريخ بغداد ١/ ٢١٤-٢٣٤، وفي مقدمة عيون الأثر، ابن سيد الناس ١/ ٧-١٧ أقوال في الطعن عليه، والدفاع عنه).

(١) النكت الجياد، إبراهيم بن سعيد الصبيحي ١/ ٣٤٩

(٢) تفسير الطبري ، ٢١/ ٩٧

(٣) المرجع السابق، ٢١/ ٩٧-٩٨

(٤) المرجع السابق، ٢١/ ٩٨

(٥) تاريخ الأمم والملوك، الطبري ١/ ٣٨١، التحرير والتنوير، ابن عاشور ١٥ / ١٧،١٦، تاريخ ابن خلدون ٢ / ٩٧

(٦) تاريخ مختصر الدول، ابن العبري ص ٣٦، اليهود في تاريخ الحضارات الأولىٰ، لوبون ص ٣٤، تاريخ العالم، هامرتن ٢/ ١٠٥، آرام دمشق وإسرائيل، فراس السواح ص ٩٢، نقد النص التوراتي، الصمادي

=

(الفينيقيين) استقروا علىٰ ساحل البحر الأبيض المتوسط، وذلك حوالىٰ منتصف الألف الثالث ق.م، واطلق عليهم اليونان اسم الفينيقيين، وظلوا يمارسون نشاطهم في هذه المنطقة حتىٰ منتصف القرن الأول ق.م [1].

* * *

=

ص ٢٤٨، اليهود في العالم القديم، مصطفىٰ كمال، سيد فرج ص ٦٦

(١) معالم تاريخ الشرق الأدنىٰ القديم، عصفور، ص ٢٧٢-٢٧٣

المبحث الثالث
المنهج الدعوي في قصة إلياس ﵇

المطلب الأول: أساليب ووسائل من خلال الآيات.

الناظر في ثنايا قصص الأنبياء في القرآن سيخرج بيقين أن كلّ قصة ذكرت إنما جاءت لحكمة وأهداف لا تغني عنها القصة الأخرىٰ، فالأهداف من قصة نوح تختلف في نواحٍ منها عن قصة موسىٰ، وقصة موسىٰ عن قصة عيسىٰ عليهم السلام جميعًا... وهكذا.

وقد تأمّلت مليّـًا في البحث عن حكمة ذكر قصة إلياس ﵇ مع قومه في القرآن الكريم، وما الشيء المميّز فيها حتىٰ تذكر، بينما تَرَكَ القرآنُ الحديث عن مئات الأنبياء الذين تتقارب أهداف قصصهم مع ما ذُكر في القرآن، فأغنت العبر والحِكم في القصص المذكورة عن تلمّس أخبارٍ ذات أهداف مكرورة.

ورأيت أن قصة إلياس ﵇ تميّزت بالتالي:

١/ عبادة (بعل) من أعظم ما فُتن به الناس في التاريخ عبر مئات السنين، وفي مواقع شاسعة من العالم. ولا تزال آثاره شاهدة علىٰ ذلك حتىٰ يومنا هذا، وما تزال آثار مدينة بعلبك تدل علىٰ آثار هذه العبادة(١). وأصبح مزاراً للسائحين، وكان الأولىٰ أخذ العبرة والعظة من مصير القوم السابقين.

٢/ لم يكن كُفر قوم (إلياس) من جنس الشرك في العبادة وتوحيد الألوهية، كحال قوم نوح وهود وصالح... وغيرهم عليهم السلام جميعا. بل ظاهر الآية: ﴿وتذرون أحسن الخالقين﴾ أنهم أشركوا في توحيد الربوبية في جانب الخلق والرزق، وصرفوا العبادة كاملة لبعل لا سواه، مع اعترافهم بأن الله أحسن الخالقين. فهو شرك في الألوهية وفي الربوبية أيضًا، ونوع من الكفر الصارخ بصرف العبادة بالكلية لغير الله.

---

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب ٥/ ٢٩٩٧

والناظر في مقاصد سورة الصافات سيجد لها ارتباطاً عميقاً وواضحاً بأهداف قصة إلياس ﷺ في ثناياها، فقد كان من أعظم مقاصدها إثبات وحدانية الله تعالىٰ، وسوق دلائل كثيرة علىٰ ذلك، دلت علىٰ انفراده بصنع المخلوقات العظيمة التي لا قبل لغيره بصنعها، وهي العوالم السماوية بأجزائها وسكانها ولا قبل لمن علىٰ الأرض أن يتطرق في ذلك. وإثبات أن البعث يعقبه الحشر والجزاء. وقد جاءت قصة إلياس في عمق هذا الهدف، وقد سيقت في مساق القصص من قبلها وبعدها لتكون نبراساً لدعوة محمد ﷺ مع قومه، بدعوة الرسل من قبله، وكيف نصر الله رسله ورفع شأنهم وبارك عليهم. وأدمج في خلال ذلك شيء من مناقبهم وفضائلهم وقوتهم في دين الله وما نجاهم الله من الكروب التي حفت بهم [(١)].

وجاءت قصة إلياس ﷺ بعد الكلام علىٰ رسل ثلاثة من أصحاب الشرائع: نوح وإبراهيم وموسىٰ، وكانت قصته بداية الخبر عن ثلاثة أنبياء: إلياس ولوط ويونس عليهم الصلاة والسلام، وما لقوه من قومهم وذلك كله شواهد لتسلية الرسول محمد ﷺ وقوارع من الموعظة لكفار قريش [(٢)].

ومن قرأ الآيات التي معنا بعين البصيرة سيستلهم خطوطاً عريضة في منهج نبي الله إلياس في الدعوة إلىٰ الله سبحانه، وكثير منها يتفق مع منهج غيره من الأنبياء، فتشكّل بذلك طريقاً مضيئاً لمن أراد أن يسلك دروب الأنبياء واقتفاء آثارهم والاقتداء بهداهم، ولعلّ أهمّ ما توصّل إليه الباحث في منهج إلياس ﷺ من خلال الآيات، ما سيذكره علىٰ سبيل التقريب لا الترتيب، فكان كالتالي:

١/ البدء في الدعوة بأهمّ المهمات:

فدعاهم إلىٰ الله عز وجل ونهاهم عن عبادة ما سواه، وأن يتركوا عبادة صنمهم[(٣)]. وبدأ بأهم المهمات وهو توحيد الله عز وجلّ وترك الشرك به؛ فهو

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٨٢/٢٣

(٢) المرجع السابق ٢٣/ ١٦٥

(٣) تفسير ابن كثير ٤/ ٢٠

سبحانه ربهم الذي خلقهم، وتفضّل عليهم بالنعم.

ويتضح من سياق الآيات أن مدار التقوىٰ هو توحيد الله، والالتجاءُ إليه، والبُعد عن كل ما سواه، والرجوع إلىٰ الله في كل شيء، والاعتماد عليه في كل حال (١).

والاستفهام هنا: ﴿أتدعون بعلاً﴾ للتوبيخ والإنكار والتسفيه، و(تدعون) بمعنىٰ تعبدون، فإن الدعاء يسمىٰ عبادة، كما قال سبحانه: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي ...﴾ [غافر: ٦٠] ولم يقل (عن دعائي)، وهذا يدل علىٰ أن الدعاء يراد به العبادة. ويحتمل أن يكون المراد بدعوتهم هذا الصنم دعوة المسألة وأنهم يستغيثون بهذا الصنم وإن لم يركعوا له ويسجدوا له(٢).

ويظهر من اسمه (الياس) بحسب النص اليوناني أو (إيلياء) العبراني أن رسالته جاءت مطابقة لمعنىٰ اسمه: الرب هو إلهي. فمن اسمه كان هدفه الأسمىٰ: الله هو معبودي لا معبود سواه. ولذلك كان صادحًا وصادعًا بالتوحيد في وجه الوثنية، فمن الله قوّته، ومن الله إعانته.

وظاهر الآية أن هؤلاء كانوا يعبدون البعل ولا يعبدون الله، ويرون أن (البعل) هو الرب الذي يجب أن يطاع وأن يخشىٰ، وعلىٰ هذا فيكون قوله: ﴿أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين﴾ علىٰ ظاهره. ويحتمل أنهم يدعون البعل ويدعون الله، ولكن من دعا غير الله ودعا الله فإن الله غني عنه، فيكون كالتارك لدعاء الله، وعلىٰ هذا فيكون إلياس جعلهم تاركين لله لأنهم أشركوا به، ومن أشرك بالله معه غيره فالله غني عنه وكأنه لم يعبد الله، وعلىٰ هذا فإما أن يكونوا قد تركوا الله علىٰ سبيل الحقيقة إذا

(١) البحر المديد، ابن عجيبة ٤/ ٦١٧

(٢) تفسير سورة الصافات، ابن عثيمين ص٢٧٤

كانوا يعبدون البعل ولا يعبدون الله، وإما أن يكونوا قد تركوا الله علىٰ سبيل الحكم إذا كانوا يعبدون البعل ويعبدون الله [1].

٢/ أسلوب المقارنة بين المعبودات:

ففي قوله: (وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ) يقول: وتَدعون عبادة أحسن مَن قيل له خالق[2]. ولعلّ الآية تشير أيضـًا حسب الظاهر إلىٰ الأشياء التي يصنعها الإنسان بعد أن يغيّر شكل المواد الطبيعية، ومن هنا سمّي بالخالق، رغم أنّه تعبير مجازي. ورأي ابن عطية يؤيد أنه من حيث قيل للإنسان علىٰ التجوز إنه يخلق، وجب أن يكون تعالىٰ ﴿أَحْسَنَ الْخالِقِينَ﴾ إذ خلقه اختراع وإيجاد من عدم وخلق الإنسان مجاز[3].

٣/ وصف الله بما يناسب أن يتوجهوا إليه بالعبادة:

وأهم تلك الصفات: أ/ الخلق. ب/ الرزق. لأن الداعي لا يدعو إلا بكشف ضر أو إلباس نفع، فكان لا يجوز أن يدعو إلا من يقدر علىٰ إعدام ما يشاء وإيجاد ما يريد، وهذا سبب استخدام إلياس ﷺ عبارة: ﴿أحسن الخالقين﴾ وهو من لا يحتاج في الإيجاد والإعدام إلىٰ أسباب.

فالعدول عن اسم (الله) الذي يختص به إلىٰ عبارة ﴿أحسن الخالقين﴾، لا بد له من حكمة، والحكمة هنا هي إقامة الحجة عليهم بعدم صلاحية معبودهم للعبادة، لأنه لا يستطيع الخلق، والله وحده هو الذي يقدر علىٰ الخلق، فالله تعالىٰ أحسن الخالقين، وكلّ من خلق شيئا فالله تعالىٰ أحسن منه خلقـًا [4].

ولما كان الإنسان يعلم يقينـًا أنه لم يربّ نفسه، بل ربّاه الله ورزقه، وكان الإحسان أعظم عاطف للإنسان، فقد بيّن إلياس ﷺ لهم ذلك، مذكراً لهم بإحسان الله إليهم بالتربية بعد الخلق من العدم وهي أعظم تربية [5].

(١) المرجع السابق ص٢٧٥
(٢) تفسير الطبري ٢١/ ٩٦
(٣) تفسير ابن عطية ٤/ ٤٨٤
(٤) تفسير سورة الصافات، ابن عثيمين ص٢٧٤
(٥) نظم الدرر، البقاعي ١٦/ ٢٨٥

إن استخدام إلياس ﷺ لهذه المعاني لهو أفضل منبّه للعقل والتفكير، فأهمّ قضيّة في حياة الإنسان هي أن يعرف من الذي خلقه؟ ومن هو مالكه ومربّيه ووليّ نعمته؟

٤/ حسن طريقة العرض:

فالملاحظ أنه استخدم: (ألا تتقون) وابتعد عن الأمر المباشر الذي قد يؤدّي إلىٰ تنفير المخاطب. و(ألا) هنا أداة تحضيض وحث، وليست أداة عرض فقط؛ لأنه لا يقصد عرض التقوىٰ عليهم، ولكنه يحضّهم علىٰ هذا.

وهذا يدلّ علىٰ تلطف إلياس ﷺ في دعوة قومه، لأنه قال ﴿ألا تتقون﴾، وهذا للعرض والحث، ولم يقل لهم: اتقوا الله. مع أن باستطاعته أن يأمرهم، ولكن ينزّل كل مخاطب وكلّ حال بمنزلته وبما يليق به، وبحسب ما تقتضيه مصلحة الدعوة.

والصحيح في مفعول التقوىٰ ههنا أنه عام، فكأنه يقول: ألا تتقون الله، ألا تتقون النار، ألا تتقون يوم الحساب. فحذفت الآية المفعول لتشمل كل ذلك، ولا ينبغي إذا دلت الآية علىٰ معنىٰ أعم أن نقيدها بمعنىٰ أخصّ؛ لأن هذا يعتبر نقصاً في تفسير الآية بل إذا جاءت الآية عامة فلتبق علىٰ عمومها، وإذا جاءت مطلقة فلْتَبْقَ علىٰ إطلاقها [١].

٥/ الحثّ والاستعطاف :

وذلك بذكر معبود آبائهم الأولين وهو الله سبحانه: ﴿اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ فيناديهم النبي ﷺ: ذلك معبودكم أيها الناس الذي يستحق منكم العبادة: ربكم الذي خلقكم، وربّ آبائكم الماضين قبلكم، لا الصنم الذي لا يخلق شيئا، ولا يضرّ ولا ينفع [٢]. قرأ حمزة والكسائي وعاصم: ﴿اللهَ ربَّكم وربَّ آبائكم﴾ كلُّ ذلك بالنَّصبِ بَدَلاً أو صفة

(١) تفسير سورة الصافات، ابن عثيمين ص٢٧٣ وص٢٨١

(٢) تفسير الطبري ٢١/ ٩٩

لأحسن الخالقين، ليكون الكلام فيه وجه واحد ، وقرأ الباقونَ كلَّ ذلكَ بالرفعِ علىٰ القَطْعِ والاستئناف[1]. وقد رُوي عن حمزةَ أنَّه كان إذا وَصَلَ نَصَبَ، وإذا وَقَفَ رَفَع. وقد استحسنها السمين الحلبي جداً، وزعم أن فيها جَمْعـًا بين الرِّوايَتيْن[2]. وقال الطبري بعد ذكره للقراءتين: "والصواب من القول في ذلك عندنا أنهما قراءتان متقاربتا المعنىٰ، مع استفاضة القراءة بهما في القرّاء، فبأي ذلك قرأ القارئ فمصيب[3]".

والمراد هنا: كلّ من هو أول لهم، فشمل ذلك آباءهم الأقربين، ومَن قبلهم إلىٰ آدم عليه السلام [4]. والظاهر هنا أنّ المشركين في زمان إلياس، قالوا- كما قال المشركون في زمان نبيّنا محمّد ﷺ- إنّنا نتّبع سنن أجدادنا الأوّلين، فأجابهم إلياس عليه السلام بقوله: ﴿الله ربّكم وربّ آبائكم الأوّلين﴾.

كما أن في ذكر الآباء الأولين إشارة إلىٰ أن الله ﷻ هو الذي بيده خلق الحياة والموت، فإن هؤلاء الآباء الأولين أماتهم الله، فيذكّر هؤلاء بأنهم سوف يموتون كما مات آباؤهم الأولون. والإنسان إذا كان له قلب وذكر بالموت، وأنه سوف ينتقل من حياة العمل إلىٰ حياة الجزاء فلابد أن يلين قلبه، وأن يعمل للدار المستقبلة[5].

٦/ ذكر سبب الإنكار:

فهو حين قال لهم: (ألا تتقون) "فإن ما أنتم عليه يقتضي شراً طويلاً، وعذابـًا وبيلاً، وما أنتم عليه من السكون والدعة يقتضي أنه لا خوف عندكم أصلاً، وذلك غاية الجهل والاغترار بمن تعلمون أنه لا خالق لكم ولا رازق غيره. ولما كان هذا

(١) السبعة، ابن مجاهد ص٥٤٩، العنوان في القراءات، أبو الطاهر ص١٦٢، حجة القراءات، ابن زنجلة ص٦١٠

(٢) الدر المصون، السمين الحلبي ٩/ ٣٢٨

(٣) تفسير الطبري ٢١/ ٩٩

(٤) نظم الدرر، البقاعي ١٦/ ٢٨٦

(٥) تفسير سورة الصافات، ابن عثيمين ص٢٧٧

الإنكار سبباً للإصغاء، كرره مفصحاً بسببه فقال: ﴿أتدعون بعلاً﴾[١] ". يقول الرازي: "﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾ أَيْ: أَلَا تَخَافُونَ اللهَ، وَقَالَ الْكَلْبِيُّ أَلَا تَخَافُونَ عِبَادَةَ غَيْرِ اللهِ. وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَمَّا خَوَّفَهُمْ أَوَّلًا عَلَىٰ سَبِيلِ الْإِجْمَالِ ذَكَرَ مَا هُوَ السَّبَبُ لِذَلِكَ الْخَوْفِ فَقَالَ: أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخالِقِينَ[٢] ".

والذي يلفت الانتباه هنا أن النصّ القرآني ذكر اسم الصنم صريحاً (بعل)، بينما أغفل في أغلب قصص الأنبياء ذكر معبودات أقوامهم -سوىٰ قوم نوح ومحمد عليهما الصلاة والسلام-، ولعلّ السرّ في ذلك يرجع إلىٰ ثلاثة أمور:

١/ افتتان كثير من الناس بهذا الصنم، فهو معبود بلاد الشام جميعها: أي سورية ولبنان وشرق الأردن وفلسطين قبل الميلاد المسيحي، وكان كذلك في جنوب جزيرة العرب وفي العراق أيضاً، حيث يبدو أنه من آلهة الجنس العربي الرئيسة[٣] ".

٢/ استمرار الفتنة به أزمنةً متطاولة.

٣/ كانوا يرون فيه أنه المتصرف في أحوال العالم من دون الله، استقلالاً لا تبعاً؛ حتىٰ تركوا عبادة الله بالكلّية.

٧/ استخدام الحجج العقلية:

لقد كان أسلوب إلياس ﷺ قائماً علىٰ الإقناع، حيث بنىٰ استفهامه باستغراب من قومه الذين كانوا يعبدون إلهاً من دون الله، ﴿ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ﴿١٢٥﴾ اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾ ﴾ [الصافات: ١٢٥ – ١٢٦] وكأنه يقول لهم: كيف للعقل الإنساني الذي خلقه الله في أحسن تقويم أن يقبل عبادة صنم من صنع يديه، ويترك عبادة من خلقه ابتداءً، ورزقه وربّاه ، فيا للغرابة!

ومن أجل الوصول إلىٰ الإقناع الفكري السليم، وحتىٰ يكون لدىٰ الفرد قناعة

(١) نظم الدرر، البقاعي ١٦/ ٢٨٤

(٢) تفسير الرازي ٢٦/ ٣٥٣

(٣) التفسير الحديث، محمد عزة دروزة ٤/ ٢٢٩

حقيقية من داخل نفسه، فإنه ينبغي أن نسلك مسلك النبي ﷺ الذي ناقش وأقنع بالحكمة والموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي أحسن [(١)].

٨/ الوصف البيّن للمنكر الواقع مع فصاحة اللسان:

الفصاحة: ملكة تعين صاحبها علىٰ أحسن التعبير عن المقصد في سهولة ويسر. وتعدّ الفصاحة والقدرة علىٰ البيان من أهمّ المقوّمات الأساسية المطلوب توافرها لدىٰ كلّ داعية. وهذا أمر معلوم بداهة؛ إذ إنَّ مباشرة الأفراد بالخطاب مما يرسخ صورة واضحة عن شخصيّة القائد لدىٰ أتباعه، كما أنه يساهم في توضيح الأفكار بشكل كبير. ويبقىٰ أيضـًا مع ذلك أن البيان والخطاب، كلما كان فصيحـًا بليغـًا كان له تأثير ووقع علىٰ نفوس المستمعين وقلوبهم. وصدق النبي ﷺ حين قال: «إن من البيان لسحراً »[(٢)].

"وكَانَ الْمُلَقَّبُ بِالرَّشِيدِ الْكَاتِبِ يَقُولُ لَوْ قِيلَ: أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَدَعُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ. أَوْهَمَ أَنَّهُ أَحْسَنُ، لِأَنَّهُ كَانَ قَدْ تَحْصُلُ فِيهِ رِعَايَةُ مَعْنَىٰ التَّحْسِينِ وَجَوَابُهُ: أَنَّ فَصَاحَةَ الْقُرْآنِ لَيْسَتْ لِأَجْلِ رِعَايَةِ هَذِهِ التَّكَالِيفِ، بَلْ لِأَجْلِ قُوَّةِ الْمَعَانِي وَجَزَالَةِ الْأَلْفَاظِ[(٣)]". وقد أطال الألوسي في الجواب عن ذلك بتسعة أجوبة ولم يرجح بينها، ولعلّ أحسنها: " أنّ (يدع) أخصّ من (يذر)؛ لأنه بمعنىٰ ترك الشيء مع اعتناء به، بشهادة الاشتقاق نحو الإيداع فإنه ترك الوديعة مع الاعتناء بحالها، ولهذا يختار لها من هو مؤتمن، ونحوه موادعة الأحباب، وأما (يذر) فمعناه الترك مطلقـًا أو مع الاعراض والرفض الكلي... إذ المراد تبشيع حالهم في الإعراض عن ربهم[(٤)]". وهو المعنىٰ الذي أكّده البقاعي بقوله: " ومادة (وَذَر) تدور علىٰ ما يكره، فالمعنىٰ:

---

(١) الأخلاق الإسلامية، حبنكة ١/ ٢٠٥

(٢) أخرجه البخاري في (صحيحه)،كتاب الطب، باب (إن من البيان لسحراً)، ١٠/ ٢٠٢، حديث رقم ٥٤٣٤؛ ومالك في (الموطأ)، كتاب الكلام، باب ما يكره من الكلام بغير ذكر الله، برقم ١٧٨٣، ٢/ ٩٨٦؛ وأبو داود في (سننه)، كتاب الأدب، باب ما جاء في التشدق بالكلام، برقم ٥٠٠٩، ٤/ ٤٥٩؛ والترمذي في (سننه)، كتاب البر، باب ماجاء في أن من البيان لسحراً، برقم ٢٠٢٩

(٣) تفسير الرازي ٢٦/ ٣٥٤

(٤) تفسير الألوسي ١٢/ ١٣٣-١٣٤

وتتركون ترك المهمل الذي من شأنه أن يزهد فيه، ولو قيل: وتدعون - تهافتًا على الجناس لم يفد هذا وانقلب المراد[١]".

٩/ التخويف من الله:

ففي قوله سبحانه: (فكذبوه فإنهم لمحضرون) يقول: فإنهم لمحضرون في عذاب الله فيشهدونه[٢]. وإنما أطلقه اكتفاء منه بالقرينة، أو لأن الإحضار المطلق مخصوص بالشر عرفًا[٣]. والفاء هنا للسببية: أي: فبسبب تكذيبهم إنهم لمحضرون، لمحضرون، أي محضرون إلينا يوم القيامة وسيجازون على ذلك، وأما قول من قال أنهم محضرون في النار ففي ذلك نظر؛ لأنه لم يسبق للنار ذكر، والله توعد هؤلاء بأنهم سوف يحضرون إلى الله وسوف يجازيهم. وعلى هذا فيكون الاستثناء منقطعًا، والمعنى: لكن عباد الله المخلصين سوف ينجون من هذا الحضور، أي من العذاب الذي يترتب على هذا الحضور[٤].

والإحضار في حدّ ذاته أمام ربّ العالمين، فيه ما فيه من التخويف والترهيب، حيث لا مفرّ ولا مهرب، ويترقّب حينها المسيء عقوبته، ويلقى جزاءه، فالمؤدى واحد في الإحضار. خصوصاً وأن فعل (الإحضار) نُسب إلى المجهول، فالمشرك أحقر من أن ينسب الله إحضاره لذاته العليّة، وكم من جند الله من هو مستعدّ لهذه المهمة وهذا التكليف! والمشرك في كلّ حال مُحضرٌ لا محالة أمام مالك يوم الدّين. وقد تأكد إحضاره بمؤكدين من الحروف (إنّ) و(اللام): ﴿فإنهم لمحضرون﴾.

وقيل: إن الله لم يهلك قوم إلياس عليه السلام المكذبين بدعوته، فقد قيل إنه بعد موسى لم يهلك المكذبين بعذاب الاستئصال، وقد بعث الله في كل أمة نذيراً، وبالطبع أن إلياس بعد موسى، لذا فقومه لم يهلكوا لذا قال الله فيهم: ﴿فكذبوه فإنهم لمحضرون﴾[٥].

---

(١) نظم الدرر، البقاعي ١٦/ ٢٨٥

(٢) تفسير الطبري ٢١/ ٩٩

(٣) تفسير البيضاوي ٥/ ١٧

(٤) تفسير سورة الصافات، ابن عثيمين ص٢٧٨

(٥) البرهان، الزركشي ٣/ ٣١

وعلّل الزركشي هذا الرأي بقوله: أن الله تعالىٰ قال في سورة الصافات: ﴿فانظر كيف كان عاقبة المجرمين﴾ وهذا يقتضي عاقبة رديئة، ولهذا ذكر قصة الياس دون غيرها ولم يذكر إهلاك قومه بل قال: ﴿فكذبوه فإنهم لمحضرون﴾[1].

و(الفاء) في قوله ﴿فكذبوه﴾، تدلّ علىٰ الترتيب والتعقيب لا التراخي، ومع ذلك لا بدّ من وجود مهلة مناسبة بين المعطوف عليه قد تقصر أو تطول، إذ الزمن متروك لكل شيء بحسبه؛ لأن ذلك أمر نسبي يختلف باختلاف الاعتبار[2]. وهي هنا دالّة علىٰ التكذيب السريع بدعوة إلياس ﷺ، ودليل علىٰ أن الإنسان مهما بلغ في عرض الدعوة إلىٰ الله وبيانها والعظة فإنه لا يستلزم أن يؤثر فيمن وجه الخطاب إليه لأن إلياس عرض الدعوة عرضاً رقيقاً وبين لهم الأدلة علىٰ أن الله وحده مستحق للعبادة ومع ذلك كذبوه.

فلم يكُ إلياس مقصرا ولا فشل في دعوته، لأنه أدىٰ ما عليه وهو البلاغ والهداية، فلو أراد الله بهؤلاء خيراً لانقادوا للهدىٰ[3].

المطلب الثاني: مقامات إلياس ﷺ ومقوّماته .

برزت ضمن الآيات -رغم قصرها- مقامات ومقوّمات لإلياس ﷺ، وترتّب عليها جزاءات يانعات؛ أما **المقامات فكانت كالتالي**:

١/ **العبودية لله**: وقد جاء وصفه بذلك في قوله سبحانه: ﴿إنه من عبادنا﴾، ومقام العبودية هو أشرف صفات المخلوقين وأعظمها وأجلها[4]، وذِكر إلياس ﷺ بوصف العبودية المضافة لله تعالىٰ تنويه به وتقريب، وذلك اصطلاح غالب في القرآن في إطلاق العبدِ والعبادِ مضافاً إلىٰ ضميره تعالىٰ كقوله: ﴿ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ ﴾ [ص: ١٧]، وقوله:﴿ وَٱذۡكُرۡ عِبَٰدَنَآ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ ﴾[ص: ٤٥]

(١) المرجع السابق ٣/ ٣٠-٣١

(٢) مغني اللبيب، ابن هشام ص٢١٤

(٣) تفسير سورة الصافات، ابن عثيمين ص٢٨٣

(٤) أضواء البيان، الشنقيطي ٣/ ٨

وقوله: ﴿ يَٰعِبَادِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ﴾[الزخرف: ٦٨][١].

٢/ **الإيمان**: وقد جاء في الآية: ﴿إنه من عبادنا المؤمنين﴾، والمراد الثناء عليه بهذا المقام والمنزلة، وإذا علق الثناء أو علق الحكم علىٰ وصف فإنه يقوىٰ بقوته ويضعف بضعفه، والثناء معلق هنا بالعبودية والإيمان، فكلما كان الإنسان أقوىٰ عبادة كان أحق بالثناء، وكلما كان الإنسان أقوىٰ إيمانًا كان أحق بالثناء[٢].

٣/ **الإحسان**: وهو ملمح واضح من قوله سبحانه: ﴿إنا كذلك نجزي المحسنين﴾، ومقام الإحسان هو لبّ الإيمان، وروحه وكماله، وهذا المقام يجمع جميع المقامات الفاضلة، فجميعها منطوية فيه [٣].

فالإحسان يشمل الاحسان في العبادة، ويشمل الإحسان إلىٰ الخلق بالدعوة. لأن الإحسان نوعان؛ الأول: الفعل الحسن، والإحسان الثاني: إعطاء الحسن وهو الخير، فالأول من قولهم: أحسنوا في كذا، والثاني من قولهم: أحسن إلىٰ فلان [٤].

ولا شكّ أن الإيمان والعبودية لله هما منبع الإحسان، والإحسان يؤدّي إلىٰ انضمام المحسن لصفوف المخلصين الذين يشملهم سلام الله.

أما المقوّمات في الآيات فكانت:

١/ **الرسالة**: ولذلك سمىٰ الله النبي إلياس في سورة الصافات بأنه (مرسل) أي رسول: ﴿وإن إلياس لمن المرسلين﴾، وهو الأمر الذي دفع ابن حجر ليردّ علىٰ من زعم أنه ليس بنبي بقوله: " وأغرب ابن التين فجزم أن إلياس ليس بنبي وبناه علىٰ قول من زعم أنه أيضًا حي، وهو ضعيف أعني كونه حيًا، وأما كونه ليس بنبي فنفي باطل، ففي القرآن العظيم ﴿وإن إلياس لمن المرسلين﴾ فكيف يكون أحد من بني آدم مرسلاً وليس بنبي؟" [٥].

---

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٢٣/ ٢٩-٣٠

(٢) تفسير سورة الصافات، ابن عثيمين ص٢٥٨

(٣) مدارج السالكين، ابن القيم ٢/ ٤٥٩

(٤) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٢٨/ ٢٧١

(٥) فتح الباري، ابن حجر ٩/ ٢٦٢ م

ولعلّ من زعم أنه ليس بنبي اتّكأ أيضاً علىٰ وصفه بالصلاح فقط في قول المولىٰ عز وجل: ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ [الأنعام: ٨٥] وهي نظرة مجتزأة، لا السياق يخدمها، ولا ما ورد في الآيات الأخرىٰ بسورة الصافات، فثناء الله- عزَّ وجل- علىٰ هؤلاء الأنبياء المذكورين في الآية ومنهم إلياس- عليهم السلام أجمعين- بأنهم من الصالحين، يقتضي أن الله هيأهم بصلاحهم لحمل الرسالة والنبوة.

والقرآن يردّ بشكل جليّ علىٰ من زعم أن الأنبياء لم يؤمروا بالتبليغ، فإذا لم يقم الأنبياء عليهم السلام بواجب التبليغ فمن الذي سيقوم به إذن. وكل الرسل أنبياء وكل الأنبياء صالحون وكل الصالحين مأمورون بالتبليغ ما دام الصلاح في قلوبهم وأعمالهم.

٢/ **الصلاح**: وصف الله سبحانه إلياس في سورة الأنعام بأنه (من الصالحين)، وذلك في قوله تعالىٰ: ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾[الأنعام: ٨٥] فقد عدّ الياس رديف زكريّا ويحيىٰ وعيسىٰ عليهم جميعاً السلام، وفي هذا إشارة الىٰ أنّ هدايته واجتباءه وتفضيله كان من نوع هدايتهم عليهم السلام.

وهذا المعنىٰ منظور في كلّ مورد ذكرت أسماء الأنبياء عليهم السّلام في مقام ذكر فضلهم واجتبائهم وهدايتهم وكيفيّة سلوكهم والعمل برسالتهم، وليس في الآيات دلالة علىٰ تقدّم زمانهم أو تأخّره، فإنّه أمر مادّي تاريخي لا ربط فيه الىٰ النبوّة والرسالة والهداية والتبليغ. فيستفاد من الآية الكريمة أنّ إلياس ﷺ كان في حالة من التجرّد والانقطاع والتوجّه

التامّ والتبتّل الخالص والعبوديّة الكاملة[١].

ومن الخطأ اعتقاد أن الصالح قد يكون صالحاً في نفسه فقط، بدون أن يكون له دور في إصلاح الآخرين. فإن من مقتضىٰ الصلاح قيامه بواجب الإصلاح لمجتمعه وقومه، وإلا لم يكن صالحاً بالمعنىٰ الكامل. ولا يمكن أن تقبل عقيدة القرآن بوجود انفصام بين الصلاح والإصلاح.

أمّا الجزاءات والنتائج فكانت كالتالي:

٨/ **جزاء المحسنين**: وذلك أن الجزاء من جنس العمل ﴿إنا كذلك نجزي المحسنين﴾ فكما أحسن إلياس عليه السلام في عبادة الله فقد أحسن الله إليه، وقد قال الله ﷻ في سورة الرحمن ﴿هل جزاء الإحسان إلا الإحسان﴾ يعني ما جزاء الإحسان إلا الإحسان [٢]. وقد بيّن الله عظيم فضله علىٰ عباده الذين أحسنوا حيث يجزيهم بالحسنىٰ وزيادة كما قال تعالىٰ: ﴿للذين أحسنوا الحسنىٰ وزيادة﴾.

٦/ **بقاء الثناء عليه إلىٰ يوم الدين**: ففي قوله تعالىٰ: ﴿وتركنا عليه في الآخرين﴾ يقول: وأبقينا عليه الثناء الحسن في الآخرين من الأمم بعده[٣]. وقد قال جماعة من المفسرين منهم مجاهد وغيره: وتركنا عليهم في الآخرين الثناء الحسن ولسان الصدق للأنبياء كلهم، وهذا قول قتادة أيضاً، وتفسير المتروك هنا بلسان الصدق والثناء الحسن تفسير بلازم السلام وموجبه، وهو الثناء عليهم وما جعل لهم من لسان الصدق الذي لأجله إذا ذكروا سلم عليهم [٤].

وقد جاء الثناء علىٰ إلياس عليه الصلاة والسلام بسبب ما اتصف به من كمال الإحسان وتمام العبودية والإيمان، وجهاده في الدعوة إلىٰ التوحيد؛ وكلّ من اتصف

---

(١) التحقيق في كلمات القرآن الكريم، المصطفوي ١/ ١٤٠

(٢) تفسير سورة الصافات، ابن عثيمين ص٢٥٣

(٣) تفسير الطبري ٢١/ ٩٩

(٤) جلاء الأفهام، ابن القيم ص٤٥٧

بذلك ناله من الثناء بقدر ما اتصف به، ولذلك كان الثناء علىٰ إلياس ﷺ أكثر وأعظم. وهذا الثناء يشمل كل الأزمنة ممن سيأتي بعده إلىٰ يوم الدين[(١)]؛ أي إنّ الأُمم القادمة سوف لن تنسىٰ الجهود الكبيرة التي بذلها الأنبياء الكبار من أجل حفظ التوحيد، وسقاية شجرة الإيمان، وما دامت الحياة موجودة في هذه الدنيا فإنّ رسالتهم ستبقىٰ حيّة وخالدة. وسيبقىٰ الثناء عليهم حسنا وسلاما في الآخرين بما حصل منه من كمال الدعوة إلىٰ الله عز وجل.

٧/ **سلام الله عليه**: وذلك ظاهر من قوله سبحانه: ﴿سلام علىٰ إل ياسين﴾، والسلام من الله تعالىٰ يعني السلامة من النقائص والعيوب التي تعتري البشر، ومن الثناء القبيح الواقع عليه من غيرهم[(٢)].

أما السلام من البشر فهو اسم جامع لكلّ خير؛ لأنه إظهار الشرف والإقبال علىٰ المسَلّم عليه بكل ما يريد[(٣)]، وهذا المعنىٰ قد جاء في قراءة ابن مسعود [وتركنا عليه في الآخرين. سلاماً...] بالنصب، ويظهر لنا بهذه القراءة معنىٰ جديداً آخر، فهو يدلّ علىٰ أن المتروك هو السلام نفسه. ولو كان السلام منقطعاً مما قبله لأخلّ ذلك بفصاحة الكلام وجزالته، وتأمل هذا بحال السامع إذا سمع قوله: ﴿وتركنا عليه في الآخرين﴾ كيف يجد قلبه متشوقاً متطلعاً إلىٰ تمام الكلام واجتناء الفائدة منه، ولا يجد فائدة الكلام انتهت وتمت ليطمئن عندها بل يبقىٰ طالبا لتمامها وهو المتروك. ومعلوم أن هذا السلام هو سلام العالمين عليه، كلهم يسلم عليه ويثني عليه ويدعو له فذكره بالسلام عليه فيهم[(٤)].

وحتىٰ علىٰ قراءة (آل ياسين) يدخل النبي إلياس ﷺ دخولاً أولياً ولا شكّ في ذاك، قال النحاس: " كأنه والله أعلم جعل اسمه إلياس وياسين ثم سلم علىٰ آله؛ أي: أهل دينه ومن كان علىٰ مذهبه، وعلم أنه إذا سلم علىٰ آله من أجله فهو داخل في

(١) نظم الدرر، البقاعي ١٦/ ٢٨٦
(٢) تفسير سورة الصافات، ابن عثيمين ص٢٤٦
(٣) نظم الدرر، البقاعي ١٦/ ٢٨٦
(٤) جلاء الأفهام، ابن القيم ص ٤٥٨-٤٦١

السلام؛ كما قال النبي ﷺ: «اللهم صلّ علىٰ آل أبي أوفىٰ»[١] فهو داخل فيهم لأنه هو المراد بالدعاء، وقال ﷻ: ﴿أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦] [٢]".

المطلب الثالث: صفات أتباع إلياس المؤمنين.

أشارت الآيات إشارة واضحة إلىٰ أتباع إلياس ﷺ المؤمنين الذين استجابوا لدعوته، في ثلاث آيات:

١/ ﴿ إلا عباد الله المخلصين﴾ وهي صريحة فيهم.

٢/ ﴿سلام علىٰ آل ياسين﴾ وهي صريحة علىٰ قراءة (آل)، ووجه في توجيه قراءة (إلياسين).

٣/ ﴿إنا كذلك نجزي المحسنين﴾ فقد جاءت بعد ﴿سلام علىٰ آل ياسين﴾ فدلّت علىٰ أنهم يدخلون ضمناً في منزلة (المحسنين).

وهذه الآيات الثلاثة تضمنت **ثلاث صفات لهم، ونتيجة** رفع الله بها ذكرهم وأعلىٰ شأنهم، وخلّد بها في القرآن موقفهم، وهي كالتالي:

١/ **العبودية لله**: ففي قوله: ﴿إلا عباد الله المخلصين﴾ يقول: فإنهم يحضرون في عذاب الله، إلا عباد الله الذين أخلصهم من العذاب[٣]. والأقرب في هؤلاء أنهم الذين علموا ما لهم من مجامع العظمة فعملوا بما علموا فلم يدعوا غيره سبحانه ولم يكذبوا؛ وقد وصفهم الله بما أشار إليه من الوصف بالعبودية والإضافة إلىٰ الاسم الأعظم فقال: ﴿عباد الله﴾ ثم وصفهم بـ ﴿المخلصين﴾ أي: لعبادته فلم يشركوا به شيئاً جلياً ولا خفياً، فإنهم ناجون من العذاب[٤]. وربما كان التوحيد موجوداً فيهم من سابق والشرك طارئ، وقد بقيت منهم بقية علىٰ التوحيد، وهو ما

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الزكاة رقم الحديث (١٥٩٠)، وابن ماجة في سننه، كتب الزكاة رقم الحديث (١٧٩٦).

(٢) إعراب القرآن، النحاس ٣/ ٢٩٤

(٣) تفسير الطبري ٢١/ ٩٩

(٤) نظم الدرر، البقاعي ١٦/ ٢٨٦

أشار إليه الرازي[1].

وكما أن في الآية بيان أن العباد المخلصين لا ينالهم عذاب هؤلاء، لكن ذلك العذاب هو الذي يكون في الآخرة قطعـًا، أما في الدنيا فإنه يوشك أن يعمّ الله تعالىٰ الصالح والفاسد بالعذاب ولاسيما إذا قصّر الصالح في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[2].

وقد رأىٰ بعض المفسرين في الاستثناء أنه استثناء منقطع من مثبت[3]. والصحيح أنه "استثناءٌ متصلٌ مِنْ فاعلِ ﴿فكذَّبوه﴾ وفيه دلالةٌ علىٰ أنَّ في قومِه مَنْ لم يُكَذِّبْه، فلذلك اسْتُثْنُوا. ولا يجوزُ أَنْ يكونوا مُسْتَثْنَيْن مِنْ ضمير ﴿لَمُحْضَرون﴾ لأنه يَلْزَمُ أَنْ يكونوا مَنْدَرجين فيمَنْ كَذَّبَ، لكنهم لم يُحْضَروا لكونِهم عبادَ اللهِ المُخْلِصين. وهو بَيِّنُ الفسادِ. لا يُقال: هو مستثنىٰ منه استثناءً منقطعـًا؛ لأنه يَصيرُ المعنىٰ: لكنَّ عبادَ اللهِ المخلصين من غير هؤلاء لم يُحْضَروا. ولا حاجةَ إلىٰ هذا بوجهٍ، إذ به يَفْسُدُ نَظْمُ الكلامِ[4]".

وحاصل هذا أن الله وصفهم بصفة: العبودية لله. والعبودية نوعان: عامة وخاصة؛ فالعبودية العامة عبودية أهل السموات والأرض كلهم لله، برّهم وفاجرهم، مؤمنهم وكافرهم، فهذه عبودية القهر والملك. وأما النوع الثاني فعبودية الطاعة والمحبة واتباع الأوامر؛ وإنما انقسمت العبودية إلىٰ خاصة وعامة لأن أصل معنىٰ اللفظة الذل والخضوع، يقال: طريق معبّد إذا كان مذللاً بوطء الأقدام، وفلان عبّده الحب إذا ذلّله، لكنّ أولياءه خضعوا له وذلّوا طوعـًا واختياراً وانقياداً لأمره ونهيه، وأعداؤه خضعوا له قهراً ورغمـًا.

فالخلق كلهم عبيد ربوبيته، وأهل طاعته وولايته هم عبيد إلهيته، ولا يجيء في

---

(١) تفسير الرازي ٢٦/ ٣٥٤

(٢) تفسير سورة الصافات، ابن عثيمين ص٢٨٤

(٣) تفسير ابن كثير ٤/ ٢٠

(٤) الدر المصون، السمين الحلبي ٩/ ٣٢٨، وكلامه مستقىٰ من كلام أبي حيان (البحر المحيط ٩/ ١٢٢)

القرآن إضافة العباد إليه مطلقاً كهذه الآية إلا لهؤلاء[(١)].

٢/ **الاصطفاء والإخلاص**: فقد وصفهم سبحانه بـ﴿المخلَصين﴾ وهي صفة (عباد الله)، وهو بفتح اللام: إذا أريد الذين أخلصهم الله لولايته، وبكسرها: أي الذين أخلصوا دينهم لله. فقرأه نافع وعاصم وحمزة والكسائي وأبو جعفر وخلف بفتح اللام. وقرأه ابن كثير وابن عامر وأبو عمرو ويعقوب بكسر اللام [(٢)]. "وَالْمَعْنَىٰ عَلَىٰ قِرَاءَةِ الْكَسْرِ: أَنَّهُمْ أَخْلَصُوا لِلَّهِ، وَعَلَىٰ قِرَاءَةِ الْفَتْحِ: أَنَّ اللهَ اسْتَخْلَصَهُمْ مِنْ عِبَادِهِ[(٣)]".

وحقيقة الفرق بينهما: أن الصادق والمخلِص بالكسر من باب واحد وهو من تخلّص من شوائب الصفات النفسانية مطلقاً، والصدّيق والمخلَص بالفتح من باب واحد وهو من تخلص من شوائب الغيرية ايضاً، والثاني أوسع فلكا وأكثر إحاطة فكل صدّيق ومخلَص هو في حقيقته صادق ومخلِص من غير عكس، فرحم الله حفصاً حيث قرأ بالفتح حيثما وقع في القرآن[(٤)]؛ فيكون المعنىٰ: إلا عبادك الذين استخلصتهم لطاعتك، وصنتهم عن اقتراف ما نهيتهم عنه.

والمخلَص هو المصطفىٰ، كقوله تعالىٰ: ﴿وَسَلامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ﴾، فاصطفاء الله لهم فيه من التنويه بشأن عباد الله المخلصين، ومن المديح لهم بقوة الإيمان، وعلوّ المنزلة، وصدق العزيمة وضبط النفس، وفي ذلك إشارة إلىٰ أعلىٰ مراتب التكريم.

كما أن الله قد بيّن جزاءهم في الآيات السابقة لقصة إلياس من نفس السورة حيث قال: ﴿ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَٰكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ

(١) مدارج السالكين، ابن القيم ١/ ١٠٥-١٠٦
(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٢٣/ ٣٠
(٣) فتح القدير، الشوكاني ٤/ ٤٧٠
(٤) روح البيان، إسماعيل حقي ٧/ ٤٥٨

﴿ بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾ وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾ ﴾ [الصافات: ٤٠-٤٩].

فهم ﴿مكرمون﴾ في الملإ الأعلىٰ، ويا له من تكريم! ثم إن لهم ﴿فواكه﴾ وهم علىٰ سرر متقابلين. وهم يخدمون فلا يتكلّفون شيئاً من الجهد في دار الراحة والرضوان والنعيم: ﴿يطاف عليهم بكأس من معين. بيضاء لذة للشاربين. لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون..﴾ وتلك أجمل أوصاف الشراب التي تحقق لذة الشراب وتنفي عقابيله، فلا خمر يصدع الرءوس، ولا منع ولا انقطاع يذهب بلذة المتاع! ﴿وعندهم قاصرات الطرف عين﴾ حور حييات لا تمتد أبصارهن إلىٰ غير أصحابهن حياء وعفة، مع أنهن ﴿عين﴾ واسعات جميلات العيون! وهن كذلك مصونات مع رقة ولطف ونعومة: ﴿كأنهن بيض مكنون﴾.. لا تبتذله الأيدي ولا العيون! [(١)].

٣/ **الإحسان**: والإحسان هنا بمعناه الواسع الذي يشمل العمل بكلّ السنن والواجبات، ومن ثمّ الجهاد ضدّ كافّة أشكال الشرك والانحراف والذنوب والفساد.

ثم كانت **النتيجة** أن أثنىٰ الله سبحانه وتعالىٰ علىٰ آل ياسين، فقال سبحانه: (سلام علىٰ إل ياسين). والسلام علىٰ أتباع إلياس يظهر من توجيه القراءتين:

أ/ **فعلىٰ قراءة من قرأ (آل ياسين)**: فالتوجيه ظاهر وجليّ، وقد قال أصحاب سعد بن أبىٰ وقاص وابن عمر وأهل الشام في (آل ياسين): أنهم قومه ومن كان علىٰ دينه واحتجوا بالقرآن «أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذابِ» [(٢)].

ولكن بعض المفسرين أغرب في توجيه هذه القراءة فقال: إن (ياسين) اسم أبي إلياس، فأضيف إليه (آل) [(٣)]، وهو ما رجحه الرازي [(٤)].

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب ٥/ ٢٩٨٧
(٢) مجاز القرآن، أبو عبيدة، ٢/ ١٧٤
(٣) تفسير النسفي ٤/ ٢٧، تفسير الألوسي ٢٣/ ١٤١
(٤) تفسير الرازي ٢٦/ ١٤١

وقيل: إن (ياسين) اسم محمد صلىٰ الله عليه وآله وسلم، فيكون آل ياسين أي آل محمد[١]، وهو ما جزم به أبو القاسم النيسابوري في تفسيره[٢].

واستبعد هذا التوجيه بـ"أنَّ الله تعالىٰ إنما أخبر في كل موضع ذكر فيه نبياً من الأنبياء في هذه السورة بأن السلام عليه فكذلك السلام في هذا الموضع علىٰ إلياس المبدوء بذكره[٣]". وكذلك الواحدي من قبله حيث قال: وهذا بعيد؛ لأن ما بعده من الكلام وما قبله لا يدلّ عليه[٤].

ب/ **وعلىٰ قراءة (إلياسين)**: فالتوجيه يكون علىٰ قول من ذكر أنها جمع، فتجعل أصحاب إلياس داخلين في اسمه، فيراد به إلياس وأتباعه من المؤمنين المخلصين فإنهم الأحقاء بأن ينسبوا إليه، كما تقول لقوم رئيسهم المهلب: جاءتكم المهالبة والمهلبون، تريد المهلب ومن معه، وكما تقول: رأيت المحمدين، تريد محمداً وأمته ﷺ[٥].

وقال ابن الهائم الجياني: (إلياسين) يعني إلياس وأهل دينه، جمعهم بالياء والنون كأن كل واحد منهم اسمه إلياس[٦]. وطبقاً لهذا يفهم منها أنّها تخصّ كلّ الذين أطاعوا الياس والتزموا بنهجه. قال الطبري ناقلاً عن بعض أهل العربية: "وإن شئت ذهبت بإلياسين إلىٰ أن تجعله جمعاً، فتجعل أصحابه داخلين في اسمه... فيكون بمنزلة قولهم الأشعرين بالتخفيف، والسعدين بالتخفيف وشبهه[٧]". وردّه

(١) تفسير ابن كثير ٤/ ٢١، تفسير القرطبي ١٥/ ١٢٠، زاد المسير، ابن الجوزي ٧/ ٨٤

(٢) إيجاز البيان، أبو القاسم النيسابوري ٢/ ٧٠٣

(٣) فتح الباري، ابن حجر ٦/ ٣٧٣

(٤) البسيط، الواحدي ١٩/ ١٠٣ ، وكذلك: معاني القرآن، الفراء ٢/ ٢٩٣، بحر العلوم، السمرقندي ٣/ ١٢٣، تفسير البغوي ٤/ ٤١، تفسير القرطبي١٥/ ١١٩. وأطال السهيلي في إبطال هذا القول في التعريف والإعلام ص ١٤٨، وأورد الأدلة علىٰ ذلك.

(٥) معاني القرآن، الفراء ٢/ ٣٩١ – ٣٩٢، تفسير الطبري ٢٣/ ٩٤، تفسير الماوردي ٥/ ٦٥، تفسير الألوسي ٢٣/ ١٤١، تفسير القرطبي ١٥/ ١١٩، تفسير ابن الجوزي ٧/ ٨٢

(٦) التبيان في تفسير غريب القرآن، ابن الهائم ١/ ٣٥٤

(٧) تفسير الطبري ٢١/ ١٠٢

الزمخشري بأنه لو كان جمعـًا لعـرّف بـالألف والـلام[1]. وأيّده السمين الحلبي في ذلك [2]، "لكن هذا غير متفق عليه، قال ابن يعيش في شرح المفصل: يجوز استعماله نكرة بعد التثنية والجمع نحو زيدان كريمان وزيدون كريمون وهو مختار الشيخ عبد القاهر[3] ".

وقد وقع اختلاف بين أهل التفسير في تحديد المراد من (إل ياسين)، وهل هو فرد أم جماعة؟ وإن كان فرداً فمن ذاك المقصود؟ وقد قال ابن القيم بعد أن استعرض الأقوال: " والصواب- والله أعلم- في ذلك أن أصل الكلمة (آل ياسين) كآل إبراهيم، فحذفت الألف واللام من أوله لاجتماع الأمثال، ودلالة الاسم علىٰ موضع المحذوف. وهذا كثير في كلامهم، إذا اجتمعت الأمثال كرهوا النطق بها كلها، فحذفوا منها ما لا لبس في حذفه، وإن كانوا لا يحذفونه في موضع لا تجتمع فيه الأمثال. ولهذا يحذفون النون من إني وأني وكأني ولكني. ولا يحذفونها من ليتني. ولما كانت اللام في (لعل) شبيهة بالنون حذفوا النون معها، ولا سيما عادة العرب في استعمالها للاسم الأعجمي وتغييرها له، فيقولون مرة: إلياسين. ومرة: إلياس. ومرة: ياسين، وربما قالوا: يأس. ويكون علىٰ إحدىٰ القراءتين: قد وقع السلام عليه، وعلىٰ القراءة الأخرىٰ: علىٰ آله [4]".

وقد أسلفت سابقـًا حين ذكر القراءات فيها، أن السلام ليس محصوراً علىٰ إلياس ﷺ، بل هو عامّ له ولأتباعه في ظاهر وجه القراءة بـ (آل ياسين)، وقد يكون خاصا به في ظاهر وجه قراءة (إلياسين)، وأن كلا المعنيين مقصود، وأن منزلة القراءة من القراءة هي بمنزلة الآية من الآية، ولا تعارض بين القراءتين، فنحملهما علىٰ المعنيين، والقرآن حمَّالٌ ذو وجوه.

* * *

---

(١) تفسير الزمخشري ٤/ ٦٠

(٢) الدر المصون، السمين الحلبي ٩/ ٣٢٩

(٣) تفسير الألوسي ١٢/ ١٣٥

(٤) التفسير القيم، ابن القيم ص٤٤٩

الخاتمة

انقضت هذه المسيرة في أفياء الآيات، ولطائف الإشارات، ودقائق العبارات؛ وقد آن لنا أن نستلهم منها أهمّ النتائج والمحطّات، ومن ذلك:

▪ أن اسم (إلياس) اسم مشتق من قولهم: رجل أَلْيَس: أي شجاع لا يفرُّ، وهذا المعنىٰ موجود في اللغات الساميّة القديمة التي هي من أصول اللغة العربية.

▪ لا مانع من الجمع بين المعنيين والقراءتين في ﴿إلياسين- آل ياسين﴾، وأنه لا يوجد بينهما تضاد؛ فالله سبحانه سلّم علىٰ إلياس عليه السلام، وسلّم كذلك علىٰ آله وهم أتباعه من المؤمنين، لأن منزلة القراءة من القراءة كمنزلة الآية من الآية.

▪ يدلّ النصّ القرآني أن إلياس عليه السلام هو (إلياس) وليس ما سواه من شخصيات الأنبياء الآخرين، وأن ما حكاه البعض من حياته إلىٰ آخر الزمان ما هو إلا ضربٌ من الخرافة.

▪ إلياس عليه السلام لم يكن من بني إسرائيل، ولا قومه الذين دعاهم أيضـًا؛ فالجميع كانت أصولهم من الفينيقيين الكنعانيين القاطنين في مدينة بعلبك، وما حولها.

▪ لم يذكر (العهد القديم) نسب إلياس، ولم يعرفوا أصله، وما نُقِل عن وهب ابن منبه قد جاء من طريق واحد، وفي سنده ضعف شديد ونكارة.

▪ برزت ضمن الآيات -رغم قصرها- مقامات رفيعة ومقوّمات تأهيلية لإلياس عليه السلام، وترتّب عليها جزاءات عظيمة لهذا النبي الكريم.

▪ سبب ذكر اسم الصنم صريحـًا (بعل) افتتان كثير من الناس به علىٰ البُعدين الزماني والمكاني، واعتقادهم أنه المتصرف في أحوال العالم من دون الله، استقلالاً لا تبعـًا.

▪ تميّزت دعوة إلياس عليه السلام بثبات المنهج الذي سار عليه الأنبياء، وتنوّع الأساليب الجاذبة للمدعوين.

▪ تضمنت الآيات ثلاث صفات لأتباع إلياس عليه السلام، ومكافأة رفع الله بها ذكرهم وأعلىٰ شأنهم، وخلّد بها في القرآن موقفهم.

❋ ❋ ❋

المصادر والمراجع

١. **آرام دمشق وإسرائيل في التاريخ والتاريخ التوراتي**، السواح، فراس، دمشق: دار علاء الدين، ط١، ١٩٩٥م

٢. **الإتقان في علوم القرآن**، السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، تحقيق: سعيد المندوب، لبنان: دار الفكر، ط١، ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م

٣. **الأخلاق الاسلامية وأسسها**، الميداني، عبدالرحمن حسن حبنكة، دمشق: دار القلم، ط٥، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م

٤. **أضواء البيان في ايضاح القرآن بالقرآن**، الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني، بيروت: دار الفكر، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م

٥. **إعراب القرآن**، النَّحَّاس، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي، تحقيق: عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢١ هـ

٦. **إيجاز البيان عن معاني القرآن**، أبو القاسم النيسابوري، بيان الحق محمود ابن أبيٰ الحسن الغزنوي، تحقيق: حنيف القاسمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ

٧. **بحر العلوم**، السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد، تحقيق: علي معوض، وعادل أحمد، وزكريا النوتي، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٣هـ.

٨. **البحر المحيط**، أبو حيان، محمد بن يوسف الأندلسي، تحقيق: عادل عبد الموجود – علي معوض، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م

٩. **البحر المديد في تفسير القرآن المجيد**، ابن عجيبة، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي الحسني الأنجري الفاسي، المحقق: أحمد القرشي رسلان، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م

١٠. **البرهان في علوم القرآن**، الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر،

تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت: دار المعرفة، ط١، ١٣٧٦هـ-١٩٥٧م

١١. **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**، الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، تحقيق: محمد علي النجار وعبد العليم الطحاوي، مصر: المجلس الأعلىٰ للشؤون الإسلامية، ط٦، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م

١٢. **تاج العروس من جواهر القاموس**، مرتضىٰ الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، تحقيق: مجموعة من المحققين، طبعة دار الهداية، الرياض، د.ت.

١٣. **تاريخ ابن خلدون (كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر)**، ابن خلدون، عبدالرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٣هـ

١٤. **تاريخ الأمم والملوك**، الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٧هـ

١٥. **تاريخ العالم**، هامرتن، جون.أ.، ترجمة :إدارة الترجمة بوزارة المعارف المصرية، مكتبة النهضة المصرية، د.ت.

١٦. **تاريخ مختصر الدول**، ابن العبري، غريغوريوس أبو الفرج ابن اهرون الطبيب، صحّحه: أنطون صالحاني اليسوعي، بيروت، دار الرائد اللبناني، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م

١٧. **التبيان في تفسير غريب القرآن**، ابن الهائم، شهاب الدين أحمد بن محمد الجياني المصري، تحقيق: فتحي الدابولي، دار الصحابة للتراث بطنطا – القاهرة، ط١، ١٩٩٢م

١٨. **التحرير والتنوير**، ابن عاشور، محمد الطاهر التونسي، تونس: دار سحنون للنشر والتوزيع، ١٩٩٧م

١٩. **التحقيق في كلمات القرآن الكريم**، المصطفوي، حسن، مركز نشر آثار العلامة المصطفوي، طهران، ط١، ١٣٨٥هـ

٢٠. **التسهيل لعلوم التنزيل**، ابن جزي، أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله الكلبي الغرناطي، المحقق: الدكتور عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٦ هـ

٢١. **تفسير ابن أبي حاتم**، ابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن الرازي، تحقيق: أسعد محمد الطيب، لبنان، صيدا: المكتبة العصرية، د.ت.

٢٢. **التفسير البَسِيط**، الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي النيسابوري الشافعي، عمادة البحث العلمي- جامعة الإمام محمد بن سعود ، ط١، ١٤٣٠ هـ

٢٣. **تفسير البيضاوي**، البيضاوي، ناصر الدين أبوسعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي، بيروت: دار الفكر، د.ت.

٢٤. **التفسير الحديث**، دروزة، محمد عزت، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٣٨٣ هـ

٢٥. **تفسير سورة الصافات**، العثيمين، محمد بن صالح، دار الثريا، الرياض، ط١، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣ م

٢٦. **تفسير القرآن العظيم**، ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الرياض: دار طيبة، ط٢، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م

٢٧. **التفسير القيّم**، ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، دار ومكتبة الهلال – بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٠ هـ

٢٨. **التفسير المظهري**، المظهري، محمد ثناء الله، المحقق: غلام نبي التونسي، مكتبة الرشدية، باكستان، ١٤١٢ هـ

٢٩. **تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)**، النسفي، أبو البركات عبدالله بن أحمد بن محمود حافظ الدين، حققه: يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م

٣٠. **تهذيب اللغة**، الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد، تحقيق: محمد عوض مرعب، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط١، ٢٠٠١م

٣١. **التيسير في القراءات السبع**، أبو عمرو الداني، عثمان بن سعيد بن عثمان بن سعيد بن عمرو، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٤٠٤هـ

٣٢. **جامع البيان في تأويل آي القرآن [تفسير الطبري]**، الطبري، أبو جعفر محمد ابن جرير، تحقيق: محمود شاكر وأحمد شاكر، دمشق: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م

٣٣. **الجامع لأحكام القرآن**، القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي، تحقيق: سمير البخاري، الرياض: دار عالم الكتب، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م

٣٤. **جلاء الأفهام في فضل الصلاة علىٰ محمد خير الأنام**، ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، المحقق: شعيب الأرناؤوط- عبد القادر الأرناؤوط، دار العروبة – الكويت، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ

٣٥. **الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح**، أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية، تحقيق: علي ناصر- عبدالعزيز العسكر- حمدان الحمدان، دار العاصمة، الرياض، ط٢، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م

٣٦. **الجواهر الحسان في تفسير القرآن**، الثعالبي، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد ابن مخلوف، المحقق: محمد علي معوض وعادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٨ هـ

٣٧. **حجة القراءات**، ابن زنجلة، عبد الرحمن بن محمد أبو زرعة، تحقيق : سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م

٣٨. **الحجة في القراءات السبع**، ابن خالويه، الحسين بن أحمد، المحقق: عبد

العال سالم مكرم، دار الشروق – بيروت، الطبعة الرابعة،١٤٠١هـ
٣٩. **الحجة للقراء السبعة**، أبو علي الفارسيّ، الحسن بن أحمد بن عبد الغفار، المحقق: بدر الدين قهوجي – بشير جويجابي، دار المأمون للتراث، دمشق – بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م
٤٠. **حياة إيليا والخدمة النارية**، القس داود لمعي، إعداد: ليليان الفي، دار نوبار للطباعة، مصر الجديدة، ط١، ٢٠٠٩م
٤١. **حياة إيليا وسرّ قوّته**، ف.ب.ماير، ترجمة: القمص مرقس داود، مكتبة المحبة، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٦٦م
٤٢. **الحياة المدنية والدينية في المدينة الكنعانية الفينيقية في ضوء العهد القديم والحوليات الآشورية**، إبراهيم خليل خلايلي، رسالة دكتوراه ٢٠٠١م، جامعة تونس، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية.
٤٣. **الدرّ المصون في علوم الكتاب المكنون**، السمين الحلبي، أحمد بن يوسف، تحقيق: أحمد الخراط، دمشق: دار القلم، د.ت.
٤٤. **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**، السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، مصر: دار هجر، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م
٤٥. **روح البيان في تفسير القرآن (تفسير حقّي)**، حقّي، إسماعيل بن مصطفىٰ الإستانبولي الحنفي الخلوتي، بيروت: دار إحياء التراث العربىٰ، د.ت.
٤٦. **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، الألوسي، شهاب الدين محمود البغدادي، دار التراث، القاهرة، د.ت.
٤٧. **الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام**، السهيلي، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد، المحقق: عمر عبد السلام السلامي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م
٤٨. **زاد المسير في علم التفسير**، ابن الجوزي، أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد، بيروت: المكتب الإسلامي، ط٣، ١٤٠٤هـ

٤٩. **السبعة في القراءات**، أبو بكر بن مجاهد، أحمد بن موسىٰ بن العباس التميمي البغدادي، المحقق: شوقي ضيف، دار المعارف – مصر، الطبعة الثانية، ١٤٠٠هـ

٥٠. **سمط اللآلي في شرح أمالي القالي**، البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز ابن محمد الأندلسي، تحقيق: عبد العزيز الميمني، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، د.ت.

٥١. **سير أعلام النبلاء**، الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ

٥٢. **العنوان في القراءات السبع**، أبو الطاهر، إسماعيل بن خلف بن سعيد المقرئ الأنصاري السرقسطي، المحقق: زهير زاهد - خليل العطية، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٥هـ

٥٣. **عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير**، ابن سيد الناس، محمد بن محمد بن محمد بن أحمد اليعمري الربعي، تعليق: إبراهيم محمد رمضان، دار القلم – بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م

٥٤. **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد ابن حسين القمي، المحقق: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٦هـ

٥٥. **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، دار طيبة -الرياض، ط١، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م

٥٦. **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**، الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، دمشق: دار الخير، ط١، ١٤١٢هـ

٥٧. **في ظلال القرآن**، سيد قطب إبراهيم، القاهرة: دار الشروق، ط٣٠، ١٤٢٢هـ

٥٨. **قصص الأنبياء**، ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي البصري ثم

الدمشقي، تحقيق: مصطفىٰ عبد الواحد، دار التأليف، القاهرة، ط١، ١٣٨٨هـ- ١٩٦٨م

٥٩. **الكتاب المقدّس (العهد القديم والعهد الجديد)**، القاهرة: دار الكتاب المقدّس، الإصدار الرابع، ط١، ٢٠٠٧م

٦٠. **الكشاف**، الزمخشري، أبو القاسم جارالله محمود بن عمر، رتّبه: محمد عبدالسلام شاهين، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٥هـ

٦١. **الكشف والبيان**، الثعلبي، أبو اسحاق أحمد بن محمد ابن إبراهيم، تحقيق: أبي محمد عاشور، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط ١، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م

٦٢. **لسان العرب**، ابن منظور، محمد بن مكرم أبو الفضل جمال الدين الأنصاري الإفريقي، بيروت: دار صادر، ط٣، ١٤١٤هـ

٦٣. **مجاز القرآن**، أبو عبيدة، معمر بن المثنىٰ التيمىٰ البصري، المحقق: محمد فواد سزگين، مكتبة الخانجىٰ– القاهرة، ١٣٨١هـ

٦٤. **محاسن التأويل**، القاسمي، محمد جمال الدين، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، القاهرة: مطبعة عيسىٰ البابي الحلبي، ط١، ١٣٧٦ه–١٩٥٧م

٦٥. **المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها**، ابن جنّي، أبو الفتح عثمان الموصلي، وزارة الأوقاف بالكويت، ١٤٢٠ه- ١٩٩٩م

٦٦. **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، ابن عطية، عبد الحق بن غالب الأندلسي، تحقيق: عبدالسلام عبدالشافي، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٢ه–٢٠٠١م

٦٧. **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، ابن القيم، أبو عبد الله ابن محمد بن ابي بكر أيوب الزرعي، تحقيق: محمد حامد الفقي، بيروت، دار الكتاب العربي، ط٢، ١٩٧٣م

٦٨. **معالم تاريخ الشرق الأدنىٰ القديم، من أقدم العصور إلىٰ مجيء الاسكندر**،

عصفور، محمد أبو المحاسن، بيروت، ١٩٨٤م

٦٩. **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود، حققه: محمد عبد الله النمر- عثمان جمعة ضميرية- سليمان مسلم الحرش، السعودية: دار طيبة، ط٤، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م

٧٠. **معاني القرآن**، الفراء، أبو زكريا يحيىٰ بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي، المحقق: أحمد يوسف النجاتي -محمد علي النجار -عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، دار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، الطبعة الأولىٰ، د.ت.

٧١. **معجم البلدان**، ياقوت الحموي، أبو عبد الله شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الرومي، دار صادر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٥ م

٧٢. **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، ابن هشام، جمال الدين أبو محمد عبدالله ابن يوسف الأنصاري، تحقيق: مازن المبارك ومحمد علي حمدالله، دار الفكر- بيروت،ط٦، ١٩٨٥م

٧٣. **مفاتيح الغيب**، فخر الدين الرازي، محمد بن عمر التميمي، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠ م

٧٤. **قصة الحضارة**، ديورانت، ويل، ترجمة: بدران، بيروت: دار الجيل، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م

٧٥. **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، جواد علي، الطبعة الرابعة، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م

٧٦. **النشر في القراءات العشر**، ابن الجزري، شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن يوسف، المحقق : علي محمد الضباع، المطبعة التجارية الكبرىٰ، د.ت.

٧٧. **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، البقاعي، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدّكن– الهند، ط١، ١٣٩١هـ

٧٨. **نقد النص التوراتي**، الصمادي، إسماعيل ناصر، دار علاء الدين، دمشق، ط١، ٢٠٠٥م

٧٩. **النكت الجياد المنتخبة من كلام شيخ النقاد ذهبي العصر العلامة عبد الرحمن بن يحي المعلمي اليماني**، إبراهيم الصبيحي، دار طيبة، الرياض، ط١، ١٤٣١ه-٢٠١٠م

٨٠. **النكت والعيون (تفسير الماوردي)**، الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد ابن حبيب البصري، تحقيق : السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية – بيروت.

٨١. **الوسيط في تفسير القرآن المجيد**، الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد النيسابوري، تحقيق: عادل عبد الموجود- علي معوض- أحمد صيرة- أحمد الجمل - عبد الرحمن عويس، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م

٨٢. **اليهود في تاريخ الحضارات الأولىٰ**، غوستاف لوبون، ترجمة: عادل زعيتر، تحقيق: محمود النجيري، القاهرة: مكتبة النافذة، ط١، ٢٠٠٩م

٨٣. **اليهود في العالم القديم**، مصطفىٰ كمال، سيد فرج، بيروت، دار القلم، دمشق – الدار الشامية، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٦هـ

٨٤. **مراجع إلكترونية:**

٨٥. شرح الكتاب المقدس: http://st-takla.org

❊ ❊ ❊

لطائف سورة الإخلاص

لأكمل الدين محمد بن محمود بن أحمد البابرتي الحنفي

المتوفى سنة (٧٨٦هـ)

دراسة وتحقيق

إعداد

د. عبدالإله بن صالح المديميغ

أستاذ الدراسات القرآنية المساعد بكلية التربية جامعة الملك سعود

ملخص البحث

يعنىٰ هذا البحث بدراسة وتحقيق رسالة لطيفة لأكمل الدين محمد بن محمود البابرتي الحنفي ت (٧٨٦هـ) وقد رتبها علىٰ مقدمة وبيانين وخاتمة،تناول فيها المصنف لطائف سورة الإخلاص فذكر شيئًا من فضائلها ، وأسمائها، وسبب نزولها، ومعانيها.

وقد سلكت في هذه الدراسة المنهج المعتبر في دراسة وتحقيق المخطوطات فقمت بدراسة حياة المؤلف، وتحقيق نسبة الكتاب له، ووصف النسخ الخطية، ثم قمت بتحقيق النص، فخرجت الأحاديث ، ونسبت الأقوال لأصحابها، وترجمت للأعلام ، وعلقت علىٰ ما رأيت أنه يحتاج لتعليق، ختمت ذلك بخاتمة بينت فيها أهم نتائج البحث.



المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام علىٰ أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلىٰ يوم الدين، **وبعد:**

فإن كتاب الله هو النور، والهدىٰ، والشفاء، والموعظة، من تمسك به نجا، ومن حاد عنه هلك ، لم يزل منذ أنزله الله هاديا للمتقين ، وحجة علىٰ الخلق أجمعين، كتاب أحكمت آياته ثم فصلت، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

فاضل الله بين سوره وآياته فكانت سورة الإخلاص تعدل ثلثه لما فيها من إخلاص التوحيد لله تعالىٰ، والرد علىٰ المشركين ، والقرآن الكريم توحيد وأحكام وأخبار ، وهذه السورة علىٰ وجازتها جاءت بالتوحيد فكانت تعدل ثلث القرآن.

لهذا اعتنىٰ العلماء قديما وحديثا بهذه السورة بشرح معانيها وإبراز لطائفها ، ومن هؤلاء العلماء: أكمل الدين محمد بن محمود البابرتي وهو من أشهر علماء الأحناف وأكثرهم تأليفا وتصنيفا، ألف رسالة مختصرة سماها : لطائف سورة الإخلاص ، بين فيها أسماء السورة وفضائلها وما يتعلق بها، فاستعنت بالله تعالىٰ في دراستها وتحقيقها سائلا الله تعالىٰ العون والسداد.

أهمية الموضوع :

أولاً: تأتي أهمية هذه الرسالة من فضل سورة الإخلاص التي تحدث عنها المؤلف حيث إنها من أفضل سور القرآن ، ومحبة تلاوتها موجبة لمحبة الله.

ثانيـًا: مكانة المؤلف حيث يعد من أشهر العلماء وله تصانيف نافعة في بابها.

ثالثـًا: إظهار إعجاز القرآن حيث عدلت هذه السورة علىٰ وجازتها ثلث القرآن الكريم.

منهج البحث :

بما أن هذه رسالة مخطوطة فقد كان منهجي في دراستها وتحقيقها الآتي :

أ- قسمت الرسالة إلىٰ قسمين : درست في القسم الأول حياة المؤلف، وثبوت

الكتاب له، ثم تبعته بوصف للنسخ.

ب- القسم الثاني فكان لتحقيق النص وكان منهجي فيه كما يلي:

١- نسخت المخطوط معتمدا علىٰ النسخة (أ) ثم قابلته بالنسخة (ب) مع بيان الفروق بين النسختين في الحاشية.

٢- ضبطت ما ورد في النص من الآيات الكريمة بالرسم العثماني.

٣- خرجت الأحاديث النبوية الواردة في النص.

٤- ترجمت للأعلام المذكورين في النص المحقق.

٥- خرجت كل قول ورد في المتن وأرجعته إلىٰ مظانه.

٦- علقت علىٰ بعض ما ورد في المتن بتعليق يتمم الفائدة واستدركت مافيه حاجة إلىٰ استدراك.

خطة البحث :

قسمت البحث إلىٰ مقدمة ،وقسمين، وخاتمة، وفهارس :

المقدمة : وفيها أهمية الموضوع ، والمنهج المتبع في البحث، وخطته.

القسم الأول : الدراسة : ويشمل علىٰ ترجمة مختصرة للمؤلف ، ونسبة الكتاب لمؤلفه، ووصف النسخ المخطوطة.

القسم الثاني : ويشتمل علىٰ تحقيق النص.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج.

الفهارس : وتضمنت ثبتي للمصادر والمراجع.

❊ ❊ ❊

ترجمة المؤلف

اسمه ونسبه [1]:

هو العلامة المحقق أكمل الدّين أبو عبد الله بن محمد بن محمود بن أحمد البابرتي الحنفي، ولد سنة (٧١١هـ) وبدأ تعليمه مبكرا، ثم رحل إلىٰ حلب، وأخذ عن علمائها، ثم رحل إلىٰ القاهرة سنة ٧٤٠، فأخذ عن أبي حيان الأندلسي، وفوض إليه الأمير سيف الدين شيخون أمور الخانقاه [2]، وعينه مدرسا بها، فأحسن في تدريسه واجتمع عنده خلق كبير للتعلم فذاع صيته فعرض عليه الأمير القضاء مراراً لكنه امتنع.

شيوخه:

تلقىٰ أكمل الدين البابرتي علمه علىٰ جملة من العلماء في مختلف الفنون ومن أشهرهم:

١-أبو حيان الأندلسي. [3]

٢-قوام الدين الكاكي. [4]

٣- الحافظ شمس الدين ابن عبدالهادي المقدسي. [5]

٤-شمس الدين الأصفهاني. [6]

---

(١) انظر ترجمته في : الدرر الكامنة (٦/ ١) والأعلام للزركلي(٧/ ٤٢) ومعجم المؤلفين (١١/ ٢٩٨)

(٢) الخانقاه: كلمة فارسية معناها رباط الصوفية وهي تجمع بين المسجد والمدرسة انظر : المعجم الوسيط (١/ ٢٦٠)

(٣)هو: محمد بن يوسف بن علي الغرناطي الشافعي المعروف بأبي حيان الأندلسي له مؤلفات من أشهرها : البحر المحيط ، توفي سنة (٧٤٥) له ترجمة موسعة في مقدمة كتابه : البحر المجيط

(٤)هو: العلامة الفقيه محمد بن محمد السنجاري ، من مؤلفاته : معراج الدراية شرح الهداية ، توفي سنة (٧٤٩هـ) انظر ترجمته في : الفوائد البهية ص : ١٨٦

(٥) هو: الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد المقدسي الشافعي ، أخذ عن ابن تيمية والذهبي من مؤلفاته : الصارم المنكي و المحرر وهي كتب نافعة وقد طبعت ، توفي سنة (٧٤٤هـ)

(٦) هو : المحقق الأصولي محمود بن عبدالرحمن بن أحمد الأصفهاني ، كان بارعا في علم الأصول صحيح الإعتقاد ، توفي سنة (٧٤٩)هـ انظر ترجمته في : شذرات الذهب"(٦/ ١٤١)

تلاميذه:

تفقه علىٰ البابرتي جماعة من أهل العلم، من أشهرهم :

١-أبو الحسن الجرجاني(١)

٢- ابن قاضي سماونة (٢)

٣-سراج الدين الكناني.(٣)

عقيدته :

أبان المؤلف عن عقيدته الماتريدية من خلال مؤلفه هذا وذلك من خلال :

١- تصريحه بأن بيان ما يتعلق بالعقيدة سيكون علىٰ طريقة الماتريدية، حيث قال((وأما البيان الثاني: ففي تقرير ما يتعلق بالعلم الإلهي علىٰ طريقة علمائنا أهل السنة والجماعة رحمهم الله)).

فقوله :((علىٰ طريقة علمائنا أهل السنة والجماعة))؛ يريد بهم الماتريدية لأن الحنفي إذا أطلق كلمة ((**أهل السنة والجماعة**)) فإنّ المقصود بها عنده الماتريدية، وبهذا سمىٰ أبو منصور الماتريدي الحنفي تفسيره (تأويلات أهل السنة).

٢- وقوله: ((فإنه لما كان واحداً قديماً استحال أن يكون جسماً؛ ؛ لوجوب تركبه واحتياج المركب إلىٰ الغير، وأن يكون متحيزاً؛ لوجوب أن يتميز فيه جانب عن جانب، ومتىٰ لم يكن متحيزاً لم يصح اختصاصه بجهة))

---

(١) هو : العلامة المحقق علي بن عبد العزيز بن الحسن بن علي القاضي الجرجاني، اتصل بالصاحب بن عبّاد الذي كان وزيرًا لبني بويه وولاه القضاء، له مؤلفات منها : تفسير لقرآن المجيد، وتهذيب التاريخ، توفي سنة (٧٩٢هـ) انظر ترجمته الموسعة في : الفوائد البهية ص: ١٢٥

(٢) هو : العلامة المحقق محمود بن إسرائيل بن عبد العزيز، بدر الدين، الشهير بابن قاضي سماونة: فقيه حنفي متصوف، من القضاة، له مؤلفات من أشهرها: لطائف الإرشادات في الفقه الحنفي، توفي سنة (٨١٨هـ) انظر ترجمته في : الأعلام للزركلي (٧/ ١٦٥)

(٣) هو الحافظ : عمر بن رسلان بن نصير بن صالح الكناني، العسقلاني الأصل، ثم البلقيني المصري الشافعيّ، أبو حفص، سراج الدين ، له مؤلفات منها :التدريب في فقه الشافعية، لم يتمه وأتمه ابنه، وطُبع مع التتمة وتصحيح المنهاج في الفقه توفي سنة (٨٢٩هـ) انظر ترجمته في الاعلام للزركلي (٧/ ١٦٠)

وهذا أصل من أصول الماتريدية حيث إن توحيدهم يقوم على أن معنى الواحد هو: ما ليس بجسم إذ إن الجسم أقله أن يكون مركبًا من جوهرين، وذلك ينافي الوحدة، وكذلك نفي الجهة عن الله تبارك وتعالى مع إثباتهم للرؤية لأنهم نفوا عن الله تعالى علو الذات ولا شك في فساد ذلك عقلا وشرعا[1]

مؤلفاته :

العلامة أكمل الدين البابرتي له مؤلفات عدة في مختلف الفنون، منها :

١-ما ذكره صاحب كشف الظنون أن له حاشية على الكشاف وصل فيها إلى نهاية سورة آل عمران[2]

٢- شرح الوصية ، وهو في علم العقيدة.

٣- شرح الطحاوية.

٤- التقرير شرح أصول البزدوي.

٥- شرح مختصر ابن الحاجب.

٦- العناية شرح الهداية، ويعد هذا الكتاب من أشهر كتب الفقه على المذهب الحنفي.

٧-شرح ألفية ابن معطي في النحو.

ثناء العلماء عليه :

قد اثنى على البابرتي جميع من ترجمه، ومن أقوالهم في ذلك:

جاء في إنباء الغمر بأنباء العمر في التاريخ: (كان حسن المعرفة بالفقه والعربية والأصول)[3]

(١) انظر: درء تعارض العقل والنقل لشيخ الإسلام (٦/ ٢٠٨ و(٦/ ٣٠٩) ، و أصول الدين للغزنوي الحنفي (ص: ٦٩)، والرد على القائلين بوحدة الوجود (ص: ١٠٣).

(٢) ٢/ ١٤٧٥.

(٣) إنباء الغمر بأنباء العمر في التاريخ (٢/ ١٧٩)

و في الدرر الكامنة: (كان فاضلا صاحب فنون وافر العقل) [(١)]

وجاء في بغية الوعاة:(كان علامة فاضلا ذا فنون وافر العقل قوي النفس عظيم الهيبة) [(٢)]

وفاته:

توفىٰ أكمل الدين البابرتي بمصر ليلة الجمعة تاسع عشر رمضان سنة (٧٨٦هـ)، وقد جاوز السبعين، وحضر جنازته السلطان، وهم بحمل نعشه غير مرة فلم يستطع فتحمله أكابر الأمراء عنه، وصلىٰ عليه عز الدين الرازي، ودفن بالخانقاه المذكورة سابقـًا، رحمه الله تعالىٰ.

وصف النسخ الخطية:

اعتمدت في تحقيق هذه الرسالة علىٰ نسختين نفيستين إحداها بخط المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ، والأخرىٰ كتبت في حياته ومنقولة من نسخته ومقابلة عليها، وهذه تفاصيل بياناتها:

النسخة الأولىٰ:

وتقع في خمسة أوراق، في كل صفحة (١٧) سطراً، وهي ضمن مجموع فيه (١٨ رسالة) والرسالة هي الثانية في المجموع، وقد كتبها مصنفها غرة شوال سنة ٧٦٩ هـ، وهي بخط نسخي غير متقن، ويهمل النقط فيها أحيانـًا.

وهي محفوظة بمكتبة أياصوفيا برقم ١٢٨٤.

النسخة الثانية:

وهي ضمن مجموع فيه (١٢) رسالة، والرسالة هي الخامسة في المجموع، وتقع في(٣) أوراق، في كل صفحة(٢١) سطراً، وكتبت في حياة المصنف ومن نسخته وقوبلت عليه، وكتبها حسن بن يوسف بن عثمان النكيداوي، في يوم الأربعاء في سنة

---

(١) الدرر الكامنة (٢/ ١٠٣)

(٢) بغية الوعاة (١/ ٢٣٩)

٧٨٦ هـ كما جاء في خاتمة الرسالة التاسعة (مسألة العتبة) التي هي ضمن المجموع.

وهي أيضـًا محفوظة بمكتبة أياصوفيا برقم ٤٨٠٠.

إثبات نسبة الكتاب إلىٰ المؤلف:

المجموع الذي يقع فيه الكتاب كله بخط المصنف، وفيه ١٨ رسالة للمصنف كما جاء في صفحة الغلاف، أولها: شرح المقصد في علوم الدين، وثاني الرسائل هي رسالتنا، وتقع في خمس ورقات من الورقة ٦٨ أ إلىٰ ٧٢ ب، ولم تذكر المصادر التي ترجمت للمصنف هذه الرسالة من ضمن مؤلفاته، لكن نسبة الكتاب جاءت صراحةً في غلاف المخطوط وهو بخط البابرتي أيضـًا، فقد جاء ما نصه في أعلىٰ الصفحة (مجموعة فيها نسخ من تأليف العبد الفقير إلىٰ الله الحفيّ محمد بن محمود بن أحمد الحنفي غفر الله لهم وعاملهم بلطفي الخفي)، وجاء أيضـًا في صفحة غلاف الرسالة أيضـًا، وهذا نصه (رسالة في بعض لطائف سورة الإخلاص ألّفها الفقير إلىٰ ربه الحفيّ محمد بن محمود بن أحمد الشهير بالأكمل الحنفي غفر لله لهم وعاملهم بلطفه الخفي)، وفي خاتمة الرسالة أيضـًا جاء ما نصه (تمت بعون الله وحسن توفيقه علىٰ يد مؤلفه الفقير إلىٰ رحمة ربه الحفيّ محمد بن محمود بن أحمد الشهير بالأكمل الحنفي، غفر الله له ولوالديه وعاملهم بلطفه الخفي في عشرة شوال تاسع وستين وسبعمائة حامداً لله، وكان تأليفها في سنة إحدىٰ وخمسين وسبعمائة).

وأيضـًا جلُّ الرسائل الموجودة في المجموع مذكورة في المصادر ومنسوبة إلىٰ البابرتي، وبهذا يثبت الكتاب ثبوتـًا قطعيًّا لمؤلِّفه البابرتي.



بسم الله الرحمن الرحيم

وما توفيقي إلا بالله.. أحمد الله علىٰ آلائه وأشكره علىٰ نعمائه، والصلاة والسلام علىٰ سيدنا محمد خاتم أنبيائه، وعلىٰ آله وأصحابه وأوليائه.

هذه رسالة تشتمل علىٰ بعض لطائف سورة الإخلاص جمعتها تذكرة لمن تحقق بإدراك الكمالات وترشيدا للمهتدي إلىٰ حل العويصات، ورتبتها علىٰ مقدمة وبيانين وخاتمة.

أما المقدمة: ففي بيان أنها بأي سبب أنزلت؛ ليتهيأ التقصي عن تنزيلها علىٰ الوجه البرهاني كما سيعرف في أثناء البحث إن شاء الله تعالىٰ.

روىٰ ابن عباس[١] رضي الله عنهما أن قريشا قالت: يا محمد صف لنا ربك الذي تدعونا إليه فنزلت[٢]: يعني الذي سألتموني عن وصفه وهو الموصوف بهذه الصفات التي هي صفات كمال[٣].

والمعنىٰ: هو الذي مقر بأنه خالق السماوات والأرض، يدل علىٰ ذلك الجلالة في قوله -تعالىٰ-:(وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾)[٤].

وعلىٰ هذا سقط ما قيل إن: قوله: قل، لا يخلو إما:

أن يكون أمراً للرسول ﷺ بأن يقول ذلك لغيره من المنكرين القائلين بتعدد الآلهة.

---

(١) هو: عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، أبو العباس، القرشي، الهاشمي، ابن عم رسول الله ﷺ، البحر، حبر الأمة، ولد بالشعب قبل الهجرة بثلاث سنين، وكان عمره عند موت النبيّ -ﷺ- ثلاث عشرة سنة، مات بالطائف سنة(٦٨هـ). انظر: الاستيعاب (ص: ٤٢٣)، الإصابة (٦/ ٢٢٨-٢٤٦).

(٢) أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ٣٨)، والطبري في جامع البيان (٢٤/ ٦٨٧)وفي سنده عيسىٰ بن أبي عيسىٰ ماهان وهو ضعيف الحديث، قال أحمد والنسائي: ليس بالقوىٰ

انظر :ميزان الاعتدال (٣ / ٣٢٠) ،والحديث له شواهد تقويه، لهذا حسن الحافظ ابن حجر بعض طرقه ، انظر الفتح (١٣ / ٣٥٦)

(٣) انظر: تفسير الطبري (٢٤/ ٦٨٨)، تفسير الزمخشري (٤/ ٨١٧).

(٤) سورة لقمان، الآية (٢٥).

أو يكون أمراً له ﷺ بأن يقول ذلك للمقلدين التابعين له.

أو يكون أمرا بمعرفة ما في السورة بحيث يحصل للمأمور [١/ ب] حق اليقين.

أو يكون أمراً للعارف بذلك بأن يكرِّر ذلك في نفسه، ويجدد الملاحظة العقلية بعد عروض غفلة بتكرار هذه العبارة [(١)]

فإن كان الأول فمن البين أن هذا القول لا يفيد من يقول بتعدد الآلهة.

وإن كان الثاني فكذلك؛ لأنهم ليسوا من أهل الاستدلال فلا تفيدهم ذكر ألفاظ لا يمكنهم تحصيل مفهوماتها إلا بالشدة.

وإن كان الثالث فاللفظ والعبارة مما لا تفيده.

وإن كان الرابع فكذلك، علىٰ أن القول الذي اتفق العرفاء عليه في إزالة تلك الغفلة قول: لا إله إلا الله، وذلك أن لتحصيل المعرفة الصحيحة طريقين:

البرهان[(٢)]، والحاصل لذي الكشف[(٣)] بطريق العيان.

وأهل الطريق الأول اختلفوا في موجبات عقولهم ونتائجها، واضطربت آراؤهم فما هو صواب عند شخص فهو خطأ عند غيره، فالحق بالنسبة إلىٰ كل ناظر هو ما استصوبه، وكذا القانون الفكري المرجوع إليه عند أهل الفكر مختلف فيه فإن بعض القرائن عند بعضهم منتج وعند الآخرين عقيم.

وإن بعض القضايا تنعكس عند بعض إلىٰ قضية دون آخرين، وغير ذلك، فإذن وجدان اليقين وحصول الجزم التام بنتائج الأفكار والأدلة النظرية متعذر فلم يبق إلا طريق العيان؛ وهو بالتوجه إلىٰ الحق بالتقربة والافتقار التام [٢/ أ]

---

(١) انظر: تفسير الماتريدي (١٠/ ٦٤٣).

(٢) البرهان: هو القياس المؤلف من اليقينيات، سواء كانت ابتداءً؛ وهي الضروريات، أو بواسطة؛ وهي النظريات. انظر: التعريفات (ص: ٤٤).

(٣) ذو الكشف هم الصوفية، ويعد الكشف المصدر الرئيس للمعرفة عند الصوفية، والمقصود بالكشف عندهم: هو الاطلاع علىٰ ما وراء الحجاب، من المعاني الغيبية والأمور الخفية الحقيقية وجوداً أو شهوداً. انظر: التعريفات للجرجاني (ص: ١٨٤).

والكشف باطل بالأدلة الشرعية كقوله تعالىٰ: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾، سورة النمل، الآية (٦٥).

وتفريغ القلب من التعلقات الكونية.

ولا يخفىٰ أن استقلال الإنسان بذلك في أول أمره متعذر فوجب عليه اتباع من سبقه بالاطلاع، وخاض في لجة الوصول وفاز بنبيل المأمول وهم الرسل -صلوات الله عليهم- الذين جعلهم الحق تعالىٰ وتقدس تراجمة أسمائه وصفاته، ومظاهر علمه وعبادته.

وإذا ظهر هذا فمن البين أن هذا إرشاد للخلق إلىٰ متابعة رسول الله ﷺ بقوله: قل يا محمد لمن سألك عن وصفي إنه هو الموصوف بهذي الصفات العظام، وهذا تمام المأمور به بالقول فترك التعرض للزيادة من البراهين والتنبيهات إشفاق علىٰ العباد، وإرشاد لهم إلىٰ أن ما ينبغي لهم في هذه البغية السنية الإتباع بالمأمور بذلك دون التخطي إلىٰ ما يشكك أذهانهم ويوعر أفكارهم.

وأما البيان الأول: ففي تقرير ما في السورة مما يتعلق بمباحث لفظية علىٰ قوانين البلاغة وأساس الفصاحة (وهو) ضمير الشأن، و(الله أحد) هو الشأن فكأنه قيل الشأن هذا، وهو: أن الله واحد لا ثاني له(١).

ومحل (هو) رفع علىٰ الابتداء، والجملة خبره واستغنت عن الراجع إلىٰ المبتدأ؛ لنزولها منزلة المفرد في أنه هو المبتدأ في المعنىٰ؛ لأنّ قوله: (الله أحد) هو الشأن الذي عبر عنه بـ(هو)(٢)، ووضع المضمر [٢/ ب] مكان المظهر؛ ليتمكن في ذهن السامع ما يعقبه، وذلك؛ لأنه متىٰ لم يفهم من الضمير معنىٰ بقي منتظراً لعقبىٰ الكلام كيف يكون فيتمكن المسموع بعده فضل تمكن في ذهنه وهو السر في التزام تقديمه.

وأحد بمعنىٰ: واحد، والأصل (وحد)(٣)، ووضع المظهر موضع المضمر في قوله: (الله الصمد)؛ لإرادة تمكين نفس المضمر في ذهن السامع بإيراد

(١) انظر: لطائف الإشارات (٣/ ٧٨٢)، تفسير الزمخشري (٤/ ٨١٧)، اللباب في علوم القرآن (٢٠/ ٥٥٩).

(٢) انظر: تفسير الزمخشري (٤/ ٨١٧)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل (٣/ ٦٩٣).

(٣) وهمزة (أحد) هذا بدل من واو، وإبدال الهمزة مفتوحة من الواو قليل. انظر: تفسير الطبري (٢٤/ ٦٨٨)، البحر المحيط في التفسير (١٠/ ٥٧١).

لفظ المظهر[1].

والصمد له تفسيران في اللغة:

أحدهما: أنه مأخوذ من صمد إليه إذا قصده، وهو السيد المصمود إليه في الحوائج.

والثاني: هو ما لا جوف له[2].

وقدم الظرف وإن كان غير مستقر؛ لأنّ الكلام سبق؛ لنفي الكفؤ له تعالىٰ وتقدس، وقد اشتمل الظرف علىٰ ما يرجع إليه فيكون لصرف العناية إلىٰ تقديمه شأن.

وقيل: إنما قدم رعاية للفواصل[3].

واعترض بحصولها بتأخيره عن (كفوا)، وأجيب بلزوم الفصل بين المسندين[4].

واعترض بكونه غير أجنبي؛ ولأن سلم أنه أجنبي فالفصل بالظرف جائز، والحق أن الثاني جائز، والأول أحق[5].

والكفؤ: المثل؛ أي: لم يماثله أحد[6].

ويجوز أن يكون من الكفاءة في النكاح نفياً للصاحبة[7].

وأما البيان الثاني: ففي تقرير ما يتعلق بالعلم الإلهي علىٰ طريقة علمائنا أهل السنة والجماعة[8] رحمهم الله.

---

(١) انظر: مفتاح العلوم (ص: ١٩٨)، معترك الأقران في إعجاز القرآن (١/ ٢٧٤).

(٢) انظر: العين (٧/ ١٠٤)، تهذيب اللغة(١٢/ ١٠٦)، المفردات في غريب القرآن (ص: ٤٩٢)، معجم مقاييس اللغة (٣/ ٣٠٩)، مادة (صمد).

(٣) حكي ذلك عن ابن الحاجب. انظر: حاشية الشهاب علىٰ تفسير البيضاوي (٨/ ٤١٢).

(٤) ينظر: الأصول في النحو (١/ ٨٥-٨٦)، جواهر البلاغة (١/ ١٣٩).

(٥) انظر: الحجة للقراء السبعة (٤/ ٦).

(٦) انظر: تفسير المقاتل (٤/ ٩٢٦)، تفسير الطبري (٢٤/ ٦٩٣-٦٩٤)، تفسير الماوردي (٦/ ٣٧٢)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (ص: ١٢٤١).

(٧) انظر: تفسير الماوردي (٦/ ٣٧٢)، المفردات في غريب القرآن (ص: ٧١٨).

(٨) إذا أطلق الحنفية كلمة: أهل السنة والجماعة فالمقصود بها في الغالب الماتريدية.

لفظة الجلالة [٣/ أ]: اسم لمن هو خالق هذا العالم ومدبره[١]، إليه أشار بقوله: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾﴾[٢]، الآية، فأشار بقوله: هو الله إلىٰ أنه خالق العالم باعترافهم بذلك، ويعلم من ذلك بالضرورة[٣] أو بالتنبيه[٤]: أنّ الأمور التي لأجلها افتقر العالم إلىٰ الخالق، كالتركيب، [٥] والإمكان[٦]، ، والحاجة لابد وأن تكون منتفية عنه، وإلاّ لزم الدور[٧]، أو التسلسل[٨]، فأثبت أنه -تعالىٰ- متميز عن الخلق بانتفاء ما احتاجوا إليه عنه تعالىٰ.

ودلّ بذلك علىٰ قدمه؛ لأنّ احتياج الخلق إلىٰ الخالق؛ إمّا حال عدمه، أو حال حدوثه أو حال بقائه، وعلىٰ التقادير لزم الحدوث وقدم الصانع وإلاّ دار أو تسلسل، ثم تأثيره فيه لا يخلو: إما أن يكون بطبعه أو الإيجاب وهو باطل، وإلا لزم قدم العالم أو حدوث الصانع؛ لامتناع تخلف المعلول عن الموجب بالذات أو بالقدرة والاختيار.

والقادر إذا فعل الفعل المحكم المتقن فلا بدَّ وأن يكون عالمـًا مريداً؛ لأنّ تخصيص القادر فعله بوقت دون وقت لا يكون إلاّ بالعلم والإرادة، وإذا كان الصانع

(١) انظر: تفسير الماتريدي(٢/ ٢٣٤)، (١٠/ ٦٤٤-٦٤٥).

(٢) سورة لقمان، الآية (٢٥).

(٣) أي: ما يعلم من غير نظر ولا استدلال، والعلم الضروري: ما لزم المخلوق علىٰ وجه لا يمكنه دفعه عن نفسه بشك، ولا شبهة، كالعلم الحاصل عن الحواس الخمس التي، هي: السمع، والبصر والشم، والذوق، واللمس. انظر: للمع في أصول الفقه (ص: ٤).

(٤) التنبيه: ما يفهم من مجمل بأدنىٰ تأمل، إعلامًا بما في ضمير المتكلم للمخاطب. انظر: التعريفات للجرجاني (ص: ٦٧).

(٥) التركيب : تأليف الشيء من مكوناته البسيطة ويقابله التحليل،انظر :المعجم الوسيط (١/ ٣٦٨)

(٦) الإمكان : عدم اقتضاء الذات الوجود والعدم انظر: تعريفات للجرجاني (ص: ٥٤).

(٧) الدور: توقف وجود الشيء علىٰ ما يتوقف وجوده عليه، كتوقف (أ) علىٰ(ب)، ويسمىٰ: الدور المصرح؛ لأن التوقف بلا واسطة، وقد يكون التوقف بالواسطة، ما يتوقف (أ) علىٰ (ب)، و (ب) علىٰ (ج)، ويسمىٰ الدور المضمر. انظر: تعريفات للجرجاني (ص: ١٠٥).

(٨) التسلسل: ترتيب أمور غير متناهية، كترتيب شيء علىٰ شيء، وشيء علىٰ آخر، والثاني علىٰ الثالث. انظر: التعريفات للجرجاني (ص: ٥٧).

قادراً عالماً مريداً وجب أن يكون حيّا ودلّ بقوله (أحد) علىٰ وحدانيته[1].

فأشار بقوله: (هو الله أحد) إلىٰ صفاته الثبوتية[2]، ثم لزم منه مقتضىٰ الترتيب الحسن ما يبين الصفات السلبية[3]؛ فإنه لما كان واحداً قديماً [٣/ ب] استحال أن يكون جسماً؛ لوجوب تركبه واحتياج المركب إلىٰ الغير، وأن يكون متحيزاً؛ لوجوب أن يتميز فيه جانب عن جانب، ومتىٰ لم يكن متحيزاً لم يصح اختصاصه بجهة[4]، وأن يكون له ضد أو ند؛ للزوم التركيب المنافي للقدم؛ فإن ما به المشاركة بين الشيئين غير ما به الامتياز.

ولما ذكر ما يدل علىٰ الصفات الثبوتية والسلبية فرَّع عليه ما كانوا يتوهمونه بالتصريح بقوله: (لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً)، نفىٰ عن ذاته المقدسة التولد، وهو عبارة عن أن ينفصل عن شيء بعض من أبعاضه ثم يترقىٰ فيصير مساوياً له في الذات والحقيقة، وهذا الانفصال لا يمكن إلاّ إذا كان الكل في نفسه مركباً[1].

---

(١) انظر: تفسير الماتريدي (١٠/ ٦٤٨)، تفسير السمرقندي (٣/ ٦٣٤).

(٢) وهي: الصفات التي أثبتها الله لنفسه، وكلها صفات كمال، ليس فيها نقص بوجه من الوجوه، والصفات الثبوتية عند الماتريدية ثمان صفات، وهي: الحياة، والعلم، والقدرة والإرادة، والسمع، والبصر، والكلام، والتكوين. انظر: إشارات المرام (ص: ١٠٧، ١١٤)، شرح العقيدة الواسطية لابن العثيمين (ص: ١٤٢).

(٣) وهي: الصفات التي نفاها الله عن نفسه متضمنة لثبوت كمال ضدها، أما المتفلسفة فالصفات السلبية عندهم: الصفة التي تدل علىٰ النفي المحض دون الدلالة علىٰ معنىٰ قائم به. انظر: شرح العقيدة الواسطية (ص: ١٤٦)، شرح التدمرية لمحمد الخميس (ص: ١٠١).

(٤) انظر: أصول الدين للغزنوي الحنفي (ص: ٦٩).

نفي الجهة أو إثباتها من الألفاظ المبتدعة في النفي والإثبات، وليست في الكتاب، ولا في السنة، ولا في كلام الصحابة والتابعين، ولا أئمة الإسلام، فإن هؤلاء لم يقل أحد منهم: إن الله -سبحانه وتعالىٰ في جهة- ولا قال: إن الله ليس في جهة، ولا قال: هو متحيز، ولا قال: ليس بمتحيز، وإن أريد بإثبات الجهة: الجهة الوجودية وأن الله محصور في المخلوقات، فهو باطل، وإن كان المقصود أن الله -تعالىٰ- فوق المخلوقات بائن عنها فهذا حق.

من قال: إن الله ليس في جهة، قيل له: ما تريد بذلك؟ فإن أراد بذلك أنه ليس فوق السماوات رب يعبد، ولا علىٰ العرش إله يصلىٰ له ويسجد، ومحمد لم يعرج بذاته إليه، فهذا معطل، وإن قال: مرادي ينفي الجهة أنه لا تحيط به المخلوقات فقد أصاب.

انظر: التحفة المدنية (ص: ٦٠-٦١)، تقريب التدمرية (ص: ٥٢-٥٣).

(١) انظر: تفسير الماتريدي (٦/ ٦٥٠)، إشارات المرام (ص: ١٠٧-١٠٨).

ونفىٰ أن يكون -تعالىٰ- متولداً من غيره، لاستلزامه الحدوث المحوج، ونفىٰ أن يكون أحد مكافئًا له؛ لأنه لا يخلو إما إن يكون واجبا أو ممكنا، ولا سبيل إلىٰ الأول، وإلا تعددت الآلهة، وقد أشير إلىٰ بطلانه في بحث الند، ولا إلىٰ الثاني؛ لأن الممكن لا يكافئ الواجب[1].

فظهر من أول السورة إلىٰ قوله: (الصمد)، بيان هويته المطلقة، وهي ما يكون هويته لذاته لا باعتبار أمر آخر ولوازمها، ووحدة حقيقته الكاملة التامة التي لا تنقسم بوجه من الوجوه لا إلىٰ كثرة معنوية؛ أي: كثرة المقومات من الأجناس والفصول، ولا كثرة الأجزاء الخارجية [٧١/ ب]، كالمادة والصورة، ولا الكثرة الحسية بالفعل أو بالقوة.

ومن قوله: (لم يلد) إلىٰ آخر السورة بيان أنه ليس ما يساويه لا في النوع، ولا في الجنس بموجود، لا بأن يكون متولداً منه، ولا بأن يكون موازيًا له في الوجود.

وأما الخاتمة: ففيما ورد في فضيلة هذه السورة الكريمة، وفي بيان أنها كيف تعدل ثلث القرآن، وفي بيان تسميتها بسورة الإخلاص، وسورة الأساس. عن مالك[2]، وأحمد[3]، والترمذي[4]، والنسائي[1]، عن أبي

(١) انظر: تفسير الماتريدي (١٠/ ٦٥٠-٦٥١)، تفسير السمرقندي (٣/ ٦٣٤)، إشارات المرام عن عبارات الإمام(ص: ١٠٨).

(٢) هو: مالك بن أنس بن مالك، أبو عبد الله، الأصبحي، الفقيه، إمام دار الهجرة، كان من سادات أتباع التابعين، وأحد أئمة المذاهب الأربعة، أخذ العلم عن ربيعة الرأي، وله: كتاب الموطأ، مات سنة(١٧٩هـ). انظر: الثقات لابن حبان(٧/ ٤٥٩)، منازل الأئمة الأربعة(ص: ١٨٣-١٩٥)، ترتيب المدارك(١/ ١٠٧-١١٩).

(٣) هو: أحمد بن محمد بن حنبل، أبو عبد الله، الشيباني، البغدادي، الحافظ، أحد الأئمة الأربعة، وإمام المذهب الحنبلي، كان إمامًا في الحديث، والفقه، سمع من القاضي أبي يوسف، ويوسف بن الماجشون وغيرهما، وله مصنفات منها: المسند، مات سنة(٢٤١هـ). انظر: منازل الأئمة الأربعة(ص: ٢٣٢-٢٣٦)، سير أعلام النبلاء (١١/ ١٧٧-٣٣٤).

(٤) هو: محمد بن عيسىٰ بن سورة، أبو عيسىٰ، الترمذي، أحد الأئمة طاف البلاد وسمع خلقًا من الخراسانيين، والعراقيين، والحجازيين، روىٰ عنه أهل خراسان، وكان ممن جمع وصنف، وحفظ وذاكر، وصنف الجامع في الحديث، مات سنة (٢٧٩هـ). انظر: الثقات لابن حبان (٩/ ١٥٣)، تهذيب التهذيب (٩/ ٣٨٧-٣٨٨).

(١) هو: أحمد بن شعيب بن علي، أبو عبد الرحمن، النسائي، القاضي، الحافظ، الإمام، ، الثبت، شيخ الإسلام، ناقد الحديث، صاحب كتاب "السنن"، سمع من خلائق لا يحصون، وممن سكه منه: إسحاق بن راهويه، مات سنة(٣٠٣هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (١٤/ ١٢٥-١٣٣)، تهذيب التهذيب (١/ ٣٦).

هريرة[1] رضي الله عنه قال: أقبلت مع رسول الله ﷺ فسمع رجلا يقرأ:(قل هو الله أحد)، فقال [عليه السلام] [2]: ((وجبت))، فقلتُ: ماذا يا رسول الله؟ قال [عليه السلام][3]: ((الجنة))[4].

وعن البخاري[5] رحمه الله ومالك، وأبي داود[6]، والنسائي [رحمهم الله][7] عن أبي سعيد[8] أنّ رجلاً سمع رجلا يقرأ (قل هو الله أحد) يرددها، فلما أصبح جاء إلىٰ النبي ﷺ فذكر ذلك له، وكأنّ الرجل يتقالها، أي: يعدها [قليلا][9]، فقال رسول الله ﷺ: ((والذي نفسي بيده إنها تعدل ثلث القرآن))[10].

قيل في بيان ذلك: إنّ القرآن يشتمل علىٰ ثلاثة أشياء:

---

(١) هو: عبد الرحمن بن صخر، أبو هريرة، الدوسيّ، أسلم عام خيبر، وشهدها مع رسول الله ﷺ، ثم لزمه رغبةً في العلم، وكان أكثر الصحابة حفظـًا للحديث، ورواية له، واستعمله عمر بن الخطاب علىٰ البحرين ثم عزله، مات سنة(٥٧هـ). انظر: الاستيعاب(ص: ٨٦٢-٨٦٣)، الإصابة(١٣/ ٢٩-٥٨).

(٢) زيادة من (ب).

(٣) زيادة من (ب).

(٤) أخرجه مالك في الموطأ، كتاب القرآن، باب ما جاء في قراءة قل هو الله أحد، وتبارك، برقم (٧٠٩/ ٢٢٨)، وأحمد، برقم (٨٠١١)، والترمذي، كتاب أبواب فضائل القرآن، باب ما جاء في سورة الإخلاص، برقم (٢٨٩٧)، والنسائي، كتاب الطهارة، برقم (٩٩٤).

(٥) هو: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم، أبو عبد الله، الجعفي، البخاري، قام برحلة طويلة في طلب الحديث، وروىٰ عنه خلق كثير، منهم: أبو عيسىٰ الترمذي، وأبو حاتم، وله كتاب الصحيح في الحديث، مات سنة(٢٥٦هـ). انظر: الثقات لابن حبان(٩/ ١١٣)، سير أعلام النبلاء (١٢/ ٣٩١-٤٦٨).

(٦) هو: سليمان بن الأشعث بن شدّاد، أبو داود، الأزدي، السّجستاني، الإمام، الحافظ، الفقيه، الزاهد، محدّث البصرة، ذبّ عن السّنن، وقمع من خالفها، وله كتاب السّنن، مات سنة (٢٧٥هـ). انظر: سير أعلام النبلاء(١٣/ ٢٠٣-٢٢١)، تهذيب التّهذيب(٢/ ٨٣-٨٥).

(٧) زيادة من (ب).

(٨) هو: سعد بن مالك بن سنان، أبو سعيد، الخدري، كان من نجباء الأنصار، وعلمائهم، وفضلائهم، شهد الخندق، وغزا مع رسول الله -ﷺ- اثنتي عشرة غزوة، وحفظ منه سننـًا كثيرة، مات سنة(٧٤هـ)، انظر: الاستيعاب(ص: ٢٨٦)، أسد الغابة(٥/ ١٤٢).

(٩) ساقطة من (ب).

(١٠) أخرجه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب فضل قل هو الله أحد، برقم (٥٠١٣)، ومالك في كتاب القرآن، باب ما جاء في قراءة قل هو الله أحد، وتبارك، برقم (٧٠٨/ ٢٢٧)، وأبو داود، باب في سورة الصمد برقم (١٤٦١)، والنسائي، كتاب الافتتاح، باب الفضل في قراءة قل هو الله أحد، برقم (٩٩٥).

الأول: توحيد الله وذكر صفاته، والثاني: الأوامر والنواهي، والثالث: القصص والمواعظ، وهذه السورة متجردة لمعنىٰ الثلث الأول، فتضمنت ثلث القرآن[(١)].

وذكر الغزالي[(٢)]-رحمه [الله][(٣)]- في بيانه قال: (معرفة الله -سبحانه وتعالىٰ- وتوحيده، وتقديسه [٧٢/ أ] عما يشاركه في الجنس، والنوع، ومعرفة الآخرة، ومعرفة الصراط المستقيم هي المعارف الثلاث المهمة في القرآن، فإنّ ما عداها من المعارف الباقية لا شك أنها توابع)[(٤)].

وهذه السورة لما اشتملت علىٰ واحد من الثلاث فقد جعلت معادلة لثلث القرآن، وفيه نظر، فإن المعارف المهمة في القرآن لا شك أنها بعض القرآن، وما يكون ثلث البعض لا يكون ثلث الكل، علىٰ أن كون المعارف المهمة منحصرة في الثلاث المذكورة ممنوع[(٥)].

وقال أبو علي ابن سينا[(٦)]: (الغرض الأقصىٰ من طلب العلوم بأسرها: معرفة ذات الله [تعالىٰ][(٧)]، وصفاته، وكيفية صدور أفعاله عنه، وهذه السورة لما دلت علىٰ سبيل الإيماء، والتعريض علىٰ جميع ما يتعلق بذاته لا جرم جعلت معادلة لثلث القرآن.) [(١)]

---

(١) انظر: عمدة القاري (٢٠/ ٣٣).

(٢) هو: محمد بن محمد بن محمد، أبو حامد، الغزالي، الشافعي، الأصولي، الفقيه، حجة الإسلام، لازم إمام الحرمين فبرع في الفقه، ومهر في الكلام، ومن تصانيفه: إحياء علوم الدين، مات سنة(٥٠٥هـ). انظر: وفيات الأعيان(٤/ ٢١٦-٢١٨)، سير أعلام النبلاء (١٩/ ٣٢٢-٣٤٣)، طبقات الشافعية الكبرىٰ(٦/ ١٩١-٢١١).

(٣) زيادة من (ب).

(٤) انظر: جواهر القرآن (ص: ٧٨).

(٥) انظر: إحياء علوم الدين (٤/ ٣٤٣).

(٦) هو: الحسين بن عبد الله بن سينا، أبو علي، شرف الملك: الفيلسوف الرئيس، صاحب التصانيف في الطب، والمنطق والطبيعيات، ونشأ وتعلم في بخارىٰ، وطاف البلاد، وناظر العلماء، واتسعت شهرته، وتقلد الوزارة في همذان، ومن تصانيفه: القانون، المنطق، مات سنة (٤٢٨ هـ). انظر: عيون الأنباء في طبقات الأطباء (ص: ٤٣٧) فما بعدها، الأعلام للزركلي (٣/ ٢٤١-٢٤٢).

(٧) زيادة من (ب).

(١) ذكر هذا القول البقاعي في نظم الدرر دون نسبته ، انظر : نظم الدرر (٨/ ٥٩٣)

وفيه نظر، فإنه لو سلم صحته لوجب أن تكون معادلة لثلثي القرآن؛ لأنها تدل بالإيماء والتعريض علىٰ جميع ما يتعلق بذاته وصفاته كما مر.

وقيل: إن ما عدا العلم الكلي المطلق الذي هو فوق جميع العلوم، إمّا أن يكون حكمة عملية أو نظرية، فالحكمة إنما تنقسم بحسب هذا التقسيم إلىٰ أنواع ثلاثة، وهذه السورة لما اشتملت علىٰ معظم القسم الأول من هذه الأقسام الثلاثة التي تشتمل علىٰ أصول مباحثها القرآن كانت معادلة لثلث القرآن.

وفيه نظر، والأول [٧٢/ ب] أقرب الكل.

وسميت هذه السورة سورة الأساس؛ لاشتمالها علىٰ أصول الدين[١]، روىٰ أبي[٢]، وأنس[٣] [رضي الله عنهما] [٤] عن النبي[٥]ﷺ: ((أسست السماوات السبع والأرضون السبع علىٰ: قل هو الله أحد))[٦]، يعني: ما خلقت إلا ليكون دلائل علىٰ توحيد الله ومعرفة صفاته التي نطقت بها هذه السورة[٧].

فإن قيل: فهلا سميت سورة التوحيد وهي له حتىٰ سميت سورة الإخلاص، أجيب: للإشعار بأن الأصل في التوحيد هو الإخلاص القلبي، والله أعلم بالصواب.

تمت بعون الله وحسن توفيقه علىٰ يد مؤلفه الفقير إلىٰ رحمة ربه الحفي، محمد

---

(١) انظر: تفسير الزمخشري (٤/ ٨١٩)، تفسير الرازي (٣٢/ ٣٥٧).

(٢) هو: أبيّ بن كعب بن قيس، الأنصاري، أبو المنذر، وأبو الطفيل، الخزرجي، المعاوي، شهد العقبة وبدرا، روىٰ عنه عبادة بن الصامت، وابن عباس وغيرهما من الصحابة، وكان يكتب لرسول الله ﷺ الوحي في حياته، وقيل: توفي سنة (٣٢هـ)، وقيل: غير ذلك. انظر: أسد الغابة (١/ ٦١-٦٣)، الثقات لابن حبان (٣/ ٥).

(٣) هو: أنس بن مالك بن النضر، أبو حمزة، النجاري، الخزرجي، أحد المكثرين من الرواية عن النبي ﷺ، خدم رسول اللهﷺ عشر سنين، ودعا له ﷺ، وشهد الفتوح، قطن البصرة بعد وفاة النبيﷺ إلىٰ أن مات سنة(٩٣هـ). انظر: الاستيعاب(ص:٥٣-٥٤)، أسد الغابة(١/ ١٥١).

(٤) زيادة من (ب).

(٥) في (ب) رسول الله.

(٦) رواه الدينوري في المجالسة وجواهر العلم (٨/ ١٥٦)، برقم (٣٤٥٨)، وهو حديث موضوع انظر: السلسلة الضعيفة و الموضوعة للألباني (٢/ ٥٨)

(٧) انظر: تفسير الزمخشري (٤/ ٨١٩).

بن محمود بن أحمد الشهير بأكمل الحنفي غفر الله له ولوالديه وعاملهم بلطفه الخفي في غرة شوال تاسع وستين وسبعمائة حامدا لله.

وكان تأليفها في سنة إحدىٰ وخمسين وسبعمائة[٧٣/ أ].



الخاتمة

لقد توصلت من خلال هذا البحث إلىٰ نتائج أهمها:

١- أنّ سورة الإخلاص تضمنت صفات الكمال لله عز وجل، وإثبات الوحدانية له، ونفي البنوة.

٢- أنّ الله -عز وجل- واحد في ذاته وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، وأنّه الأحد المنفرد بالكمال، وأنه الذي له الأسماء الحسنىٰ، والصفات الكاملة العليا، والأفعال المقدسة.

٣- أنّ الله -عز وجل- هو المقصود في جميع الحوائج، المستغني عن كل ما سواه.

٤- أنّ سورة الإخلاص قد تضمنت بعض المباحث البلاغية كضمير الشأن كما في قوله تعالىٰ:((الله أحد)).

٥- أنّ كلمة (أهل السنة) إذا أطلقت عند الحنفية فالمقصود بها الماتريدية دون غيرهم.

٦- أفضيلة سورة الإخلاص، وأنها تعدل ثلث القرآن الكريم؛ لتضمنها توحيد الله- تعالىٰ- وصفات الكمال، والأوامر والنواهي، والقصص والمواعظ.

٧- أنها سميت بأسماء تدل علىٰ معان جليلة، كسورة الإخلاص، وسورة الأساس، وسورة التوحيد.

هذا وبالله التوفيق.



المصادر والمراجع

١) إحياء علوم الدين، المؤلف: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)، الناشر: دار المعرفة – بيروت.

٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، للحافظ أبي عمر، يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري القرطبي(ت: ٤٦٣هـ)، تصحيح وتخريج: عادل مرشد، ط: دار الإعلام- عمان، الطبعة الأولى: ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م.

٣) أسد الغابة، المؤلف: أبو الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (المتوفى: ٦٣٠هـ)، الناشر: دار الفكر – بيروت، عام النشر: ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

٤) أنباء الغمر بأنباء العمر في التاريخ المؤلف : شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي العسقلاني ، الناشر : دار الكتب العلمية = بيروت لبنان / ١٤٠٦هـ

٥) الأسماء والصفات، المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: عبد الله بن محمد الحاشدي، قدم له: فضيلة الشيخ مقبل بن هادي الوادعي، الناشر: مكتبة السوادي، جدة - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

٦) إشارات المرام من عبارات الإمام، المؤلف: العلامة القاضي كمال الدين أحمد البياضي الحنفي، تحقيق وتعليق وضبط: الشيخ يوسف عبد الرزاق الشافعي، ط: زمزم ببلشيرز، الطبعة الأولى: ١٤٢٥ه-٢٠٠٤م.

٧) الإصابة في تمييز الصحابة، للحافظ أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني(٨٥٢هـ)، تحقيق الدكتور: عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر، الطبعة الأولى: ١٤٢٩ه-٢٠٠٨م.

٨) أصول الدين، المؤلف: جمال الدين أحمد بن محمد بن سعيد الغزنوي

الحنفي (المتوفى: ٥٩٣هـ)، المحقق: الدكتور عمر وفيق الداعوق، الناشر: دار البشائر الإسلامية - بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ- ١٩٩٨م.

٩) الأصول في النحو، المؤلف: أبو بكر محمد بن السري بن سهل النحوي المعروف بابن السراج (المتوفى: ٣١٦هـ)، المحقق: عبد الحسين الفتلي، الناشر: مؤسسة الرسالة، لبنان – بيروت.

١٠) الأعلام، لخير الدين الزركلي، ط: دار العلم للملايين- بيروت، الطبعة الخامسة عشرة: ٢٠٠٢م.

١١) البحر المحيط في التفسير، المؤلف: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، المحقق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر– بيروت، الطبعة: ١٤٢٠ هـ

١٢) التحفة المدنية في العقيدة السلفية، المؤلف: حمد بن ناصر بن عثمان بن معمر النجدي التميمي الحنبلي (المتوفى: ١٢٢٥هـ)، المحقق: عبد السلام بن برجس بن ناصر آل عبد الكريم.

١٣) ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، للقاضي عياض بن موسى بن عياض السبتي(ت٥٤٤هـ)، تحقيق: محمد بن تاويت الطنجي وآخرين، ط: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية- المملكة المغربية، الطبعة الثانية: ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

١٤) التعريفات، المؤلف: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ)، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.

١٥) تفسير الرازي (مفاتيح الغيب)، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري

(المتوفى: ٦٠٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ.

١٦) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة– ١٤٠٧ هـ.

١٧) تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، المؤلف: محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (المتوفى: ٣٣٣هـ)، المحقق: د. مجدي باسلوم، الناشر: دار الكتب العلمية- بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥ م.

١٨) تفسير الماوردي (النكت والعيون)، المؤلف: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ)، المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت/ لبنان.

١٩) تفسير مقاتل، المؤلف: أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي (المتوفى: ١٥٠هـ)، المحقق: عبد الله محمود شحاته، الناشر: دار إحياء التراث – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٣ هـ.

٢٠) تفسير سورتي الإخلاص والفلق، المؤلف الحسين بن عبد الله بن سينا المتوفى سنة(٤٢٨ هـ)، ط: مطبع شمس المطالع.

٢١) تقريب التدمرية المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، الناشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الدمام، الطبعة: الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

٢٢) تهذيب التهذيب، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، الناشر: مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، الطبعة: الطبعة الأولى، ١٣٢٦هـ.

٢٣) تهذيب اللغة، المؤلف: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ)، المحقق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.

٢٤) الثقات، المؤلف: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ)، طبع بإعانة: وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية، تحت مراقبة: الدكتور محمد عبد المعيد خان مدير دائرة المعارف العثمانية، الناشر: دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند، الطبعة: الأولى، ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣م.

٢٥) جامع البيان، المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

٢٦) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، المؤلف: أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي (المتوفى: ١٣٦٢هـ)، ضبط وتدقيق وتوثيق: د. يوسف الصميلي، الناشر: المكتبة العصرية، بيروت.

٢٧) جواهر القرآن، المؤلف: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)، المحقق: الدكتور الشيخ محمد رشيد رضا القباني، الناشر: دار إحياء العلوم، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.

٢٨) حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي، المؤلف: شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي (المتوفى: ١٠٦٩هـ)، دار النشر: دار صادر – بيروت.

٢٩) الحجة للقراء السبعة، المؤلف: الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسيّ الأصل، أبو علي (المتوفى: ٣٧٧هـ)، المحقق: بدر الدين قهوجي - بشير جويجابي، راجعه ودققه: عبد العزيز رباح - أحمد يوسف الدقاق، الناشر: دار المأمون للتراث - دمشق/ بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣م.

٣٠) سنن الترمذي، المؤلف: محمد بن عيسىٰ بن سَوْرة بن موسىٰ الترمذي، أبو عيسىٰ (المتوفىٰ: ٢٧٩هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر وآخرين، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفىٰ البابي الحلبي – مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م.

٣١) سنن النسائي، المؤلف: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفىٰ: ٣٠٣هـ)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦ ه- ١٩٨٦م.

٣٢) سنن أبي داود، المؤلف: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير ابن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفىٰ: ٢٧٥هـ)، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا – بيروت.

٣٣) سير أعلام النبلاء، للإمام شمس الدين: محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي(ت: ٧٤٨هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، وآخرين، ط: مؤسسة الرسالة- بيروت، الطبعة الأولىٰ: ١٤٠١هـ-١٩٨١م، الطبعة الثانية: ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.

٣٤) شرح التدمرية المؤلف: محمد بن عبد الرحمن الخميس، الناشر: دار أطلس الخضراء، الطبعة: ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

٣٥) شرح العقيدة الواسطية، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفىٰ: ١٤٢١هـ)، المحقق: سعد فواز الصميل، الناشر: دار ابن الجوزي، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الخامسة، ١٤١٩هـ.

٣٦) صحيح البخاري، المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢٢هـ.

٣٧) طبقات الشافعية الكبرىٰ طبقات الشافعية الكبرىٰ، لتاج الدين، أبي نصر:

عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي(ت: ٧٧١)، تحقيق: محمود محمد الطناحي، وعبد الفتاح محمد الحلو، ط: دار إحياء الكتب العربية.

٣٨) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، المؤلف: أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الحنفي بدر الدين العيني (المتوفى: ٨٥٥هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي– بيروت.

٣٩) العين، المؤلف: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري، (المتوفى: ١٧٠هـ)، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال.

٤٠) عيون الأنباء في طبقات الأطباء، المؤلف: أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس الخزرجي موفق الدين، أبو العباس ابن أبي أصيبعة (المتوفى: ٦٦٨هـ)، المحقق: الدكتور نزار رضا، الناشر: دار مكتبة الحياة – بيروت.

٤١) اللباب في علوم القرآن، المؤلف: أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى: ٧٧٥هـ)، المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ-١٩٩٨م.

٤٢) اللمع في أصول الفقه، المؤلف: أبو اسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي (المتوفى: ٤٧٦هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الطبعة الثانية ٢٠٠٣ م - ١٤٢٤ هـ.

٤٣) المجالسة وجواهر العلم، المؤلف : أبو بكر أحمد بن مروان الدينوري المالكي (المتوفى : ٣٣٣هـ)، المحقق : أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، الناشر : جمعية التربية الإسلامية (البحرين - أم الحصم)، دار ابن حزم (بيروت - لبنان)، تاريخ النشر : ١٤١٩هـ

٤٤) تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، المؤلف: أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: ٧١٠هـ)، حققه

وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولىٰ، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.

٤٥) مسند أحمد، المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفىٰ: ٢٤١هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.

٤٦) معترك الأقران في إعجاز القرآن، ويُسمَّىٰ (إعجاز القرآن ومعترك الأقران)، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفىٰ: ٩١١هـ)، دار النشر: دار الكتب العلمية- بيروت – لبنان.

٤٧) المعجم الوسيط ، المؤلف : إبراهيم مصطفىٰ ، أحمد الزيات ، حامد عبدالقادر،محمد النجار، دار النشر : دار الدعوة

٤٨) معجم مقاييس اللغة، المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفىٰ: ٣٩٥هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٤٩) مفتاح العلوم، المؤلف: يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي أبو يعقوب (المتوفىٰ: ٦٢٦هـ)، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، الطبعة: الثانية، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

٥٠) المفردات في غريب القرآن، المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفىٰ: ٥٠٢هـ)، المحقق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، الطبعة: الأولىٰ - ١٤١٢ هـ.

٥١) منازل الأئمة الأربعة، للإمام أبي زكريا: يحيىٰ بن إبراهيم السلماسي(ت:

٥٥٠ه)، تحقيق الدكتور: محمود بن عبد الرحمن قدح، ط: الجامعة الإسلامية- المدينة المنورة، الطبعة الأولىٰ: ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.

٥٢) الموطأ، المؤلف: مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني (المتوفىٰ: ١٧٩هـ)، المحقق: محمد مصطفىٰ الأعظمي، الناشر: مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان- أبو ظبي- الإمارات، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م

٥٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، المؤلف: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفىٰ: ٥٤٢هـ)، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولىٰ - ١٤٢٢ هـ.

٥٤) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لأبي العباس، شمس الدين: أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان(ت: ٦٨١هـ)، تحقيق الدكتور: إحسان عباس، دار صادر بيوت.



تعقُّبات الطّرازات المعلّمة على منظومة المقدمة

إعداد

د. شادي بن أحمد بن توفيق الملحم

الأستاذ المشارك، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

قسم القرآن وعلومه، جامعة القصيم

ملخص البحث

يهدف هذا البحث إلىٰ جمع ودراسة التعقبات التي أوردها عبد الدائم الأزهري في شرحه: الطِّرازات المُعَلَّمة علىٰ منظومة المقدمة (الجزرية)، وقد بلغت تسعة عشر تعقبًا –من غير المكرّر– قُسِّمت إلىٰ مبحثين؛ دُرس في الأول التعقبات العلمية التجويدية المتعلّقة بموضوع وفن المنظومة، ودُرس في الثاني التعقبات الأخرىٰ والتي تنوّعت ما بين تعقبات في اللغة، أو في الشعر، أو من الناحية الشرعية.

كما يهدف هذا البحث إلىٰ إبراز قيمة وأهمية المقدمة الجزرية، التي تعتبر أشهر وأهم المنظومات في بابها، والتي تجاوزت شروحها الثمانين شرحًا، ومع شهرتها ورصانة نظمها، وعلو كعب ناظمها، إلا أن العلماء استدركوا عليها وتعقّبوا علىٰ ناظمها.

وقد استخدم الباحث المنهج الاستقرائي والمنهج التحليلي النقدي، حيث قام باستقراء تعقّبات الأزهري في الطرازات المعلّمة، ثم حلّل ونقد تلكم التعقبات وبيّن مدىٰ دقتها وصوابها.

وصل الباحث إلىٰ أن معظم تعقبات الأزهري في الطرازات المعلّمة دقيقة، وهي استدراكات مهمة علىٰ المنظومة، وأن بعضها في غير مكانه، وأن ما ذكره الناظم أقرب إلىٰ الصواب، وقد قدّم الأزهري جميع التعقبات بطريقة علمية رصينة لائقة بأخلاق العلماء، وهذه التعقبات لا تُنقص من شأن المنظومة وناظمها، فإن الإنسان مهما بلغ من العلم والتعمق فيه، يبقىٰ بشراً معرّضًا للخطأ والنسيان.

الكلمات الدّالة: المقدِّمة الجزرية، تعقبات، الطِّرازات المعلَّمة.

* * *

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ نبيّه محمد، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين، **وبعد:**

فإن تعلّم القرآن الكريم وتعليمه مما يوجب الخير والخيرية، قال ﷺ: (خيركم من تعلّم القرآن وعلّمه) [(١)]، وإنّ من أهم ما يُتَعلّم في القرآن، تجويده وحسن تلاوته، لذا نجد اهتمام العلماء الكبير في ذلك تعليمـًا وتأليفـًا، دراية ورواية، وبرز من علماء الأمة نجوم في هذا المضمار، لعلّ من أبرزهم الإمام ابن الجزري الذي أفاد وأجاد في التصنيف في التجويد والقراءات وغيرها، وإنّ من أشهر ما صنّف ونظم قصيدته في التجويد الموسومة بـــ"المقدّمة الجزرية"، أو "منظومة المقدّمة في ما علىٰ قارئ القرآن أن يعلمه"، والتي لاقت قبولاً ورواجـًا منقطع النظير منذ نظمها إلىٰ يومنا هذا، فقد تبادرها العلماء بالشرح والتدريس، حتىٰ غدت أشهر ما نظم في التجويد علىٰ الإطلاق.

ومع ما لهذه المنظومة من شهرةٍ وانتشارٍ وقبولٍ، ومع ما لناظمها من مكانة ورفعة في فنّه وعلمه، إلا أن بعض العلماء تعقّبوا عليها بعض التعقبات، من أبرزهم وأقدمهم الشيخ عبد الدائم الأزهري (ت ٨٧٠هـ) صاحب كتاب "الطّرازات المعلّمة في شرح المقدِّمة"[(٢)]، وهو من معاصري وطلاب الإمام ابن الجزري (٨٣٣هـ)، رحمهما الله، ولا غرابة في ذلك، يقول الزبيدي –شارح إحياء علوم

(١) صحيح البخاري، البخاري، محمد بن إسماعيل (ت٢٥٦هـ)، المطبعة السلفية، القاهرة، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٠هـ، كتاب فضائل القرآن، باب خيركم من تعلّم القرآن وعلّمه، رقم (٥٠٢٧).

(٢) ضبط كلمة (المعَلَّمَة) بفتح العين وفتح اللام مشددة، بما يوافق طبعة دار الصحابة بتحقيق عبد الرحمن بدر، مع اختلاف ضبطها في النسخ المطبوعة من الكتاب، فهي في طبعة دار عمّار بتحقيق د.نزار خورشيد (المعْلمة) بسكون العين وفتح الام من غير تشديد، ولم تضبط في طبعة دار الحديث بتحقيق عبد الرحيم الطرهوني.

وقد اعتمدت هذا الضبط لأنه يناسب كلمة (المقدمة) بفتح القاف وتشديد الدال مفتوحة أو مكسورة علىٰ خلاف في ذلك، لكن المتفق عليه تشديد الدال وهذا يناسبه تشديد اللام من (المعلّمة)، والعلماء في تسمية كتبهم يهتمون بهذا الجانب من التوافق.

الدين-: "ولا يخفىٰ عليك أنّ التعقّب علىٰ الكتب لا سيّما الطويلة سهل بالنسبة إلىٰ تأليفها ورصفها وترصيفها"[(١)].

ولمكانة المنظومة، وناظمها، والمتعقِّب عليها، جاء هذا البحث ليجمع تلكم التعقّبات ويدرسها دراسة تبيّن أيهما الأقرب للصواب؛ الناظم أم المتعقّب.

أهميّة البحث وسبب اختياره:

١- الأهميّة الكبيرة لمنظومة المقدِّمة الجزرية في التجويد، وسعة انتشارها، وكثرة دارسيها.

٢- أهمية تحرير المسائل والتعقبات، فمهما بلغ العالم من منزلة وعمق في علمه، فلا يمنع هذا من الاستدراك عليه والتعقّب علىٰ ما كتب ونظم.

٣- أسبقيّة الأزهري -شارح النظم- فهو من طلّاب الناظم ومعاصريه، ويعتبر شرحه من أقدم شروح المقدّمة علىٰ الإطلاق، إذ لم يسبقه إلا شرح ابن الناظم -أحمد بن محمد بن الجزري (ت ٨٣٥هـ)- المسمّىٰ (الحواشي المفهمة في شرح المقدمة)، والفوائد المكية في شرح الجزرية للقليوبي المعروف بالحجازي (ت ٨٤٩هـ).

٤- يُعتبر كتاب الطّرازات المعلّمة من أكثر شروح المقدمة التي أوردت تعقبات عليها[(٢)].

مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث في الإجابة عن الأسئلة الآتية:

١- ما التعقبّات التي أوردها الأزهري في كتابه "الطّرازات المعلّمة علىٰ

(١) إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين، الزبيدي، محمد مرتضىٰ (ت١٢٠٥هـ)، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولىٰ، د.ت، ١/ ٣.

(٢) وقد طبع هذا الكتاب -فيما اطلعتُ عليه- ثلاث طبعات: إحداها بتحقيق د. نزار خورشيد في دار عمّار- الأردن، ١٤٢٤هـ، والثانية بتحقيق عبد الرحمن بدر في دار الصحابة- طنطا، ١٤٢٦هـ، والثالثة بتحقيق عبد الرحيم الطرهوني في دار الحديث- القاهرة، ١٤٢٨هـ.

منظومة المقدِّمة"؟

٢- ما مدىٰ دقّة تلكم التعقبات، وهل هي مقبولة أم ثمة تعقبات في غير مكانها؟

٣- ما الأسباب التي جعلت الناظم –ابن الجزري-، يقع في تلكم المآخذ التي تعقّبه غيره فيها؟

حدود البحث:

هذا البحث محدود بالتّعقّبات التي ذكرها الأزهري في شرحه لمنظومة المقدّمة المسمّىٰ بالطّرازات المعلّمة، ولا يشمل التعقّبات التي ذكرها غيره من الشّرّاح علىٰ نفس المنظومة، كما لا يشمل أي تعقبات علىٰ كتب الناظم ومنظوماته الأخرىٰ.

أهداف البحث:

١- تسليط الضوء علىٰ أهمية المقدمة الجزرية في بابها، وسعة انتشارها، وتلقّي الناس لها بالقبول حفظًا وشرحًا.

٢- جمع ودراسة تعقّبات الأزهري في الطّرازات المعلّمة علىٰ منظومة المقدّمة.

٣- إظهار مدىٰ دقّة وضبط علماء الأمة، وعمق مؤلّفاتهم ومنظوماتهم، واستدراك بعضهم علىٰ بعض.

٤-بيان أهمية دراسة تعقّبات العلماء بعضهم علىٰ بعض، وذلك بالاطّلاع علىٰ أدلة كل تعقّب ومناقشتها.

منهج البحث:

استخدم الباحث المنهج الاستقرائي، حيث قام باستقراء وجمع تعقبات الأزهري في كتابه "الطّرازات المعلّمة علىٰ منظومة المقدِّمة"، وكذلك المنهج التحليلي النقدي، حيث حلّل ونقد تلكم التعقبات، وبيّن الأقرب للصواب فيها؛ الناظم أم المتعقِّب.

إجراءات البحث:

لإتمام كتابة هذا البحث اتبع الباحث الإجراءات الآتية:

١- بيان أهمية منظومة المقدّمة الجزرية، والتعريف بناظمها.

٢- بيان أهمية كتاب الطّرازات المعلّمة والتعريف بمؤلفه.

٣- جمع وإحصاء تعقّبات الأزهري على المقدّمة الجزرية من خلال كتابه "الطّرازات المعلّمة"، وقد اعتمدت على طبعة دار عمّار، عمّان، ١٤٢٤هـ، بتحقيق الدكتور نزار خورشيد.

٤- تقسيم تلكم التعقبات إلى قسمين رئيسين: الأول: تعقبات علميّة تجويدية، والثاني: التعقبات الأخرى وتشمل اللغوية والشعرية والشرعية.

٥- ربط التعقّب بالبيت أو الأبيات التي تعقّبه الأزهري فيها، وإيضاح المراد بتعقبه.

٦- إيراد أقوال العلماء التي تساعد في دراسة هذه التعقبات.

٧- مناقشة ودراسة كل تعقب، والحكم عليه، وبيان أيهما الأقرب للصواب؛ الناظم أم المتعقِّب.

٨- استخلاص مجموعة من النتائج والتوصيات من تلكم التعقبات.

الدراسات السابقة والإضافة العلمية للبحث:

إن المؤلفات والأبحاث التي تدور حول المقدّمة الجزرية كثيرة جداً، أما ما يتعلّق بموضوع البحث، وهو تعقّبات الأزهري في الطّرازات المعلّمة على منظومة المقدّمة، وبعد البحث المستفيض وسؤال ذوي الخبرة والاطّلاع، فلم أجد أي بحث أو دراسة سبقت إليه.

ومن المرجو لهذا البحث، أن يجمع تعقّبات الأزهري في الطّرازات المعلّمة على منظومة المقدِّمة، ويدرسها ويقارنها بأقوال العلماء الآخرين، ويبيّن أيهما الأقرب للصواب الناظم أم المتعقِّب، وبذلك يكون البحث قد أضاف جديداً إلى دائرة البحث العلمي.

خطة البحث:

جاء البحث في مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة علىٰ النحو الآتي:

- المقدمة: وفيها استعراض أدبيات البحث.

- التمهيد: وفيه تعريف التعقب لغة واصطلاحـًا، وبيان لأهمية منظومة المقدّمة الجزرية، وكتاب الطّرازات المعلّمة، والتعريف بالناظم والمتعقِّب.

- المبحث الأول: التعقّبات التجويدية، وفيه اثنا عشر تعقُّبـًا.

- المبحث الثاني: التعقبات غير التجويدية (اللغوية، الشِّعرية، والشرعية)، وفيه سبعة تعقُّبات.

- الخاتمة: وتتضمّن أهم النتائج والتوصيات.

* * *

التمهيد

تُعتبَر المقدِّمة الجزرية من أهم ما نظم في علم التجويد، ومن أكثر ما اشتهر بين طلاب هذا العلم إن لم تكن الأكثر علىٰ الإطلاق، حازت علىٰ اهتمام العلماء والمتعلِّمين، حتىٰ تجاوزت شروحها العشرات من لدن عصر الناظم إلىٰ يومنا هذا، أما حفاظها ودارسوها فلا يحصَون كثرة في جميع الأمصار ومن مختلف الأعمار، ويعتبر كتاب الطّرازات المعلّمة من أقدم وأشهر شروحاتها، كما أنه من أكثر تلكم الشروحات تعقباً علىٰ المنظومة.

المطلب الأول: تعريف التعقب لغة واصطلاحاً.

التعقبات لغة:

جمع تعقّب، وهي مشتقة من الفعل الثلاثي (عقب)، وهو يدل في اللغة علىٰ عدة معان منها: وجود الشيء بعد الشيء، ومجيئه من بعده مباشرة، والذي يخلف مَن سبقه، والنظر ثانية، والتتبع، والاقتفاء، والكلام يأتي بعده كلام آخر لنقده وردّه[1].

قال ابن فارس: العين والقاف والباء أصلان صحيحان: أحدهما يدل علىٰ تأخير شيء وإتيانه بعد غيره، والأصل الآخر يدل علىٰ ارتفاع وشدة وصعوبة[2].

وقال ابن منظور: تعقّب الخبر: تتبّعه، ويقال تعقبت الأمر إذا تدبرته، ويقال: لم أجد عن قولك متعقباً: أي رجوعاً أنظر فيه[3].

---

(١) انظر تهذيب اللغة، الأزهري، محمد بن أحمد (ت ٣٧٠هـ)، تحقيق محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ٢٠٠١م، ١/ ١٧٩، و المحكم والمحيط الأعظم، المرسي، علي بن إسماعيل (ت ٤٥٨هـ)، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢١هـ، ١/ ١٨٤.

(٢) مقاييس اللغة، ابن فارس، أحمد بن فارس (ت٣٩٥هـ)، مراجعة أنس الشامي، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولىٰ، ٢٠٠٨م، ٥٨٤.

(٣) لسان العرب، ابن منظور، محمد بن مكرم (ت٧١١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ٢٠٠٣م، ١/ ٦١١.

وقال الزبيدي: والتعقب: التدبر والنظر ثانية[1].

التعقبات اصطلاحـًا:

إن التعقب ظاهرة قديمة، لكن تخصيصها بالبحث متأخر نسبيًا، لذا لم أقف علىٰ تعريف متفق عليه في كتب السابقين، بينما توسعت تعريفاته وكثرت عند المتأخرين، وسأذكر هنا ثلاثة تعريفات وأختار أحدها.

التعريف الأول: رفع التوهم الناشئ من الكلام السابق بأحد أدوات التعقب وهي: بل، لكن، علىٰ، أدوات الاستثناء، أو مخالفة حكم ما بعده لما قبله[2].

التعريف الثاني: عملية إكمال نقص أو تصويب خطأ، أو إزالة التباس، وينهض بهذه العملية اللاحق مكمّلاً عمل السابق[3].

التعريف الثالث: إتباع القول الأول بقول ثان، يصلح خطأه، أو يكمل نقصه، أو يزيل عنه لبسـًا[4].

ولعلّ هذا التعريف أقربها وأجمعها، وقد عدّ العلماء التعقب من أنواع التأليف والتصنيف، قال حاجي خليفة: "إن التأليف علىٰ سبعة أقسام: إما شيء لم يسبق إليه فيخترعه، أو شيء ناقص يتممه، أو شيء مغلق يشرحه، أو شيء طويل يختصره دون أن يخل بشيء من معانيه، أو شيء متفرق يجمعه، أو شيء مختلط يرتبه، أو شيء أخطأ فيه مصنفه فيصلحه"[5]. وهذا الأخير هو الذي ينطبق علىٰ التعقبات.

---

(١) تاج العروس، الزبيدي، محمد مرتضىٰ (ت ١٢٠٥هـ)، مكتبة الحياة، د.ط، د.ت، ٣/ ٣٥٦.

(٢) انظر البحر المحيط في أصول الفقه، الزركشي، محمد بن عبد الله (ت ٧٩٤هـ)، دار الكتبي، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٤هـ، ٢/ ٤٥.

(٣) انظر تعقبات الحافظ مغلطاي في كتابه (إكمال تهذيب الكمال) علىٰ الإمام الدارقطني، دحام، د. أحمد حامد، الجامعة العراقية، كلية العلوم الإسلامية، د.ت، العدد ٣٨/ ١، ٩٥.

(٤) استدراكات السلف في التفسير في القرون الثلاثة الأولىٰ، الزهراني، نايف بن سعيد، دار ابن الجوزي، الطبعة الأولىٰ، ١٤٣٠هـ، ١٦.

(٥) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، حاجي خليفة، مصطفىٰ بن عبد الله (ت١٠٦٧هـ)، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٢هـ، ١/ ٣٥.

المطلب الثاني: أهمية المقدمة الجزرية والتعريف بناظمها.

أولاً: التعريف بالناظم:

هو محمد بن محمد بن محمد المعروف بابن الجزري، ولد في دمشق عام(٧٥١هـ)، ونشأ وحفظ القرآن فيها، ثم قرأ القراءات علىٰ علماء بلده، ثم رحل عدة رحلات إلىٰ بلدان مختلفة كالحجاز ومصر وبلاد الروم وبلاد ما وراء النهر، فاستفاد وأفاد في تلك الرحلات.

ومن أبرز شيوخه الذين صرّح هو بالاستفادة منهم: أبو محمد عبد الوهاب بن يوسف السلار (ت٧٨٢هـ)، والشيخ إبراهيم الحموي (ت٧٧١هـ)، وأما طلابه فلا يحصون كثرة وانتشاراً.

وبرز ابن الجزري في علوم كثيرة، أبرزها: القراءات والتجويد، ومصنفاته خير دليل علىٰ هذا، فقد أحصىٰ أ.د. غانم الحمد له سبعة وسبعين مؤلفـًا في مختلف العلوم[١].

وتوفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في عام (٨٣٣هـ) عن (٨٢) عامـًا [٢].

ثانيـًا: أهمية المقدمة الجزرية:

وأُسطِّر هنا أبرز الأسباب التي تبيّن أهميّتها وشهرتها:

---

(١) شرح المقدمة الجزرية، الحمد، أ.د. غانم قدوري، دار الغوثاني للدراسات القرآنية، دمشق، الطبعة الثانية، ١٤٣٨هـ، ٦٢.

(٢) يُنظر في ترجمته: غاية النهاية في طبقات القرّاء، ابن الجزري، محمد بن محمد (ت٨٣٣هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٢هـ، ٢/ ٢٤٧-٢٥١، وإنباء الغمر بأبناء العمر، ابن حجر، ١/ ١٩٣، والضوء اللامع لأهل القرن التاسع، السخاوي، محمد بن عبد الرحمن (ت٩٠٢هـ)، دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ط، د.ت، ٩/ ٢٥٥، وطبقات الحفّاظ، السيوطي، ٥٤٣، و طبقات المفسرين، الداوودي، محمد بن علي (ت٩٤٥هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٣هـ، ٢/ ٥٩، و شذرات الذهب في أخبار مَن ذهب، ابن العماد، عبد الحي (ت١٠٨٩هـ)، دار السيرة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ، ٩/ ٢٩٨، والأعلام، الزركلي، خير الدين (ت١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة السابعة، ١٩٨٦م، ٧/ ٤٥، ومعجم المؤلفين، كحّالة، عمر رضا (ت١٤٠٨هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولىٰ، د.ت، ٣/ ٦٨٧.

١ - **مكانة مؤلفها وعلو كعبه في القراءات والتجويد**، حتىٰ قال عنه السيوطي: "لا نظير له في القراءات، في الدنيا في زمانه"[(١)]، وقال عنه ابن حجر: "انتهت إليه رئاسة علم القراءات في الممالك"[(٢)].

ومما يُستدَل به علىٰ مكانة ابن الجزري الكبيرة في القراءات والتجويد؛ مؤلَّفاته العميقة والدقيقة فيها، ودقّته العلمية، ونقله ومناقشته لمسائل الخلاف، وضبطه الشديد، وحسن توفيقه بين الروايات التي ظاهرها التعارض.

ومع هذا التعمّق الكبير في القراءات والتجويد، فقد برز ابن الجزري في علوم أخرىٰ، ألّف فيها كتباً تشهد بغزارة علمه، وسعة اطّلاعه، وعلو كعبه فيها، كعلوم السنة التي ألّف فيها أكثر من عشرة كتب[(٣)]، وعلم التراجم الذي ألّف فيه كتابه المشهور "غاية النهاية في طبقات القرّاء"، وغيرها من العلوم.

٢- كثرة شروحها من زمن الناظم إلىٰ يومنا هذا، حتىٰ تجاوزت شروحها وحواشيها الثمانين ما بين شرح وحاشية[(٤)]، مع أن الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ من علماء القرن التاسع، ولم يمضِ علىٰ وفاته إلا خمسة قرون تقريباً، ولا تزال الشروحات لهذه المنظومة المهمّة تتوالىٰ، والدراسات حولها تزيد، ومن أبرز شروحها:

- الحواشي المفهمة، لابن الناظم، (ت٨٣٥هـ).

---

(١) طبقات الحفاظ، السيوطي، جلال الدين(ت٩١١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٣هـ، ٥٤٣.

(٢) إنباء الغمر بأبناء العمر، ابن حجر، أحمد بن علي (ت٨٥٢هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ، ٣/ ٤٦٦.

(٣) من مؤلّفاته في علم السنّة: التوضيح في شرح المصابيح، الجمال في أسماء الرجال، بداية الهداية في الهداية في علوم الحديث والرواية، المسند الأحمد فيما يتعلّق بمسند أحمد، عقود اللآلي، وغيرها.

(٤) هذا ما اطّلع الباحث علىٰ عناوينه، ومعظمها مطبوع، ومنها المخطوط، ومعظمها معلوم المؤلِّف، ومنها مجهول المؤلِّف، انظر كشف الظنون، حاجي خليفة، ٢/ ٧٩٩، وشرح المقدمة الجزرية، الحمد، ٩٤-١٠٣، والدراسات الصوتية عند علماء التجويد، الحمد، د. غانم قدوري، مطبعة الخلود، بغداد، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٦هـ، ٣٥، ومقدمة تحقيق الحواشي المفهمة في شرح المقدمة، ابن الناظم، أحمد بن محمد (ت٨٢٧هـ)، تحقيق فرغلي عرباوي، مكتبة أولاد الشيخ للتراث، القاهرة، الطبعة الأولىٰ، ٢٠٠٦م، ٥٠-٥٦.

- الفصول المؤيّدة للوصول إلىٰ شرح المقدّمة، أبو الفتح المزِّي، (ت٩٠٦ه).
- اللآلئ السنية، القسطلاني، (ت٩٢٣هـ).
- الدقائق المحكمة، زكريا الأنصاري، (ت٩٢٦ هـ).
- المنح الفكرية، مُلّا القاري، (ت ١٠١٤هـ).
- الجواهر المضيّة، الفضالي، (ت ١٠٢٠هـ).

٣- سعة انتشارها، خاصة في هذا الزمن، فنجدها منتشرة في معظم دول العالم الإسلامي، وفي معظم جامعاته ومعاهده وجمعياته ومساجده، يكاد لا يجهلها طالب تجويد، يتسابق الطلاب إلىٰ حفظها وتعلمها صغاراً وكباراً، وهذا يعطيها أهميّة بالغة، فكثير من الكتب المنتشرة إنما تنتشر في بلد دون آخر، أو في زمن ثم يقل انتشارها أو تندثر، لكن المقدِّمة الجزرية انتشرت منذ زمن ناظمها إلىٰ زماننا هذا انتشاراً كبيراً، قال ابن العماد عن ناظمها: "انتفع الناس بكتبه، وسارت في الآفاق مسير الشمس"[(١)].

٤- ما احتوت عليه من أبواب التجويد والرسم والوقف، فإنها قد جمعت معظم موضوعات التجويد: كالمخارج، الصفات، حكم تعلّم التجويد، التفخيم والترقيق، إدغام المتماثلين والمتجانسين، الضاد والظاء، النون الساكنة والتنوين، الميم الساكنة، النون والميم المشدّدتين، المد والقصر، الوقف والابتداء، المقطوع والموصول، التاءات (المبسوطة والمربوطة)، همزة الوصل، الوقف علىٰ أواخر الكلم[(٢)]، فهي بذلك جمعت معظم أحكام التجويد، وجانبًا مهمًا من علم رسم المصحف، مما يغني قارئها عن غيرها.

٥- اختصارها مقارنة مع غيرها، ونظراً إلىٰ ما احتوت من موضوعات كثيرة، فهي مع كثرة ما جمعت من أبواب التجويد ورسم المصحف والوقف والابتداء، إلاّ أن أبياتها مائة وسبعة فقط، قال الأزهري: "فإنها مع صغر حجمها، غزير علمها، عزيز

(١) شذرات الذهب، ابن العماد، ٩/ ٢٩٩.
(٢) انظر الحواشي المفهمة، ابن الناظم، ١٠١.

علىٰ كثير من الطلاب فهمها"[1]، والاختصار في المنظومات من أكثر ما يرنو إليه الناظم والحافظ علىٰ حد سواء.

المطلب الثالث: القيمة العلمية لكتاب (الطّرازات المعلّمة)، والتعريف بمصنفه.

أولاً: التعريف بالمصنف:

هو عبد الدائم بن علي الحديدي القاهري الأزهري الشافعي، كنيته أبو محمد، ومن أبرز شيوخه: ابن الجزري، وابنه المعروف بـــ ابن الناظم، الشهاب السكندري، حبيب الرومي العجمي، محمد القياتي، وغيرهم الكثير، واشتهر له ثلاثة كتب: شرح طيبة النشر في القراءات العشر، وشرح المقدّمة الجزرية "المسمّىٰ الطّرازات المعلّمة"، وشرح الهداية إلىٰ علوم الرواية، وتوفي في عام (٨٧٠ هـ) [2].

ثانيًا: القيمة العلمية للكتاب (الطّرازات المعلّمة في شرح المقدمة):

يعتبر هذا الكتاب من أبرز الشروحات علىٰ المقدمة الجزرية، ومن أهم كتب علم التجويد، وأسطّر هنا أبرز النقاط التي تبيّن القيمة العلمية لهذا الكتاب.

١- أسبقية المؤلف وتتلمذه علىٰ الناظم، فالأزهري عاصر ابن الجزري، وتتلمذ علىٰ يديه، وهذا مما لا شك فيه يزيد من أهمية كتابه.

٢- يعتبر هذا الكتاب ثالث الشروحات علىٰ المقدمة الجزرية من حيث الزمن، إذ لم يسبقه إلا شرح ابن الناظم (الحواشي المفهمة)، وشرح القليوبي (الفوائد المكية) [3].

---

(١) الطّرازات المعلّمة في شرح المقدّمة، الأزهري، عبد الدائم بن علي (ت ٨٧٠هـ)، تحقيق د. نزار خورشيد عقراوي، دار عمّار، عمّان، الطبعة الأولىٰ، ٢٠٠٣م، ٦٨.

(٢) يُنظر في ترجمته: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، السخاوي، ٤/ ٤٢، و إيضاح المكنون في الذيل علىٰ كشف الظنون، البغدادي، إسماعيل باشا (ت١٣٣٩هـ)، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٢هـ، ٢/ ٧١٩، وكشف الظنون، حاجي خليفة، ٢/ ٧٩٩، ومقدّمة تحقيق الطّرازات المعلّمة في شرح المقدِّمة، الأزهري، عبد الدائم بن علي (ت٨٧٠هـ)، تحقيق عبد الرحيم الطرهوني (مطبوع ضمن كتاب هداية المريد إلىٰ شروح متن ابن الجزري)، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولىٰ، ٢٠٠٨م، ٣٩-٤١.

(٣) انظر شرح المقدمة الجزرية، الحمد، ٩٤-٩٥.

٣- اهتمـام المؤلـف بشـرح موضـوعات المقدمـة الثلاثـة الرئيسـة: التجويـد، الوقف والابتداء، رسـم المصـحف، بشـكل مسـتفيض، وإعطـاء كـل موضـوع حقـه، وتغطية معظم جوانب تلكم الموضوعات[١].

٤- اهتمـام الأزهـري بالنقـل عـن السـابقين، ونسـبة الكـلام إلىٰ أهلـه في علـوم متعددة كالتجويد، والفقه، واللغة، وغيرها.

٥- كثرة تعقباته علىٰ المنظومة، وفي هذا دليل واضـح علىٰ تمكّـن الأزهـري في العلم وتعمقه في التجويد، فتراه لا يسلم لكل ما ورد في المنظومة، بل يتعقب وينتقـد ويحلل ويذكر الأفضل والأحسن.

٦- كثرة من استفاد من هذا الكتـاب ممـن جـاء بعـده قـديمـًا وحـديثـًا، فتكـاد لا تجد شرحـًا للمقدمة الجزرية، إلا وقد استفاد من هذا الكتاب القيّم.

٧- ومما يزيد في أهمية الكتاب وقيمته؛ سمو خلق المؤلف، وعفة لسانه، وأدبه -وهذه هي أخلاق العلماء-، فترىٰ التعقبات والاستدراكات بلسان مهـذب عفيـف، يحترم ويقدر صاحب المنظومة، ولا يبخسه حقه ومكانته.

❊ ❊ ❊

١ - انظر مقدمة تحقيق الطّرازات المعلّمة، د. نزار خورشيد، ٨.

المبحث الأول: التّعقُّبات التجويدية

يُعدُّ الجانب التجويدي هو الجانب الأبرز والأهم الذي تتعلّق به هذه المنظومة: المقدمة الجزرية، وشرحها: الطّرازات المعلّمة، وقد بلغت تعقبات الأزهري علىٰ ابن الجزري في هذا الجانب اثني عشر تعقباً.

أولاً: انفتاح الشفتين مع الواو وانطباقهما مع الميم والباء:

قال ابن الجزري:

لِلشَّفَتَيْنِ الْوَاوُ بَاءٌ مِيْمُ ** وَغُنَّةٌ مَخْرَجُهَا الْخَيْشُومُ[1].

قال الأزهري: "لم يتعرّض الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ لانفتاح الشفتين مع الواو، ولا لانطباقهما مع الميم والباء، ولعلّه اكتفىٰ بالمشافهة، وذلك أدعىٰ لظهوره"[2].

دراسة التعقب:

ذكر الإمام ابن الجزري في هذا البيت أن الواو غير المدية، والباء، والميم، تخرج من الشفتين، ولم يفصل ذلك، فجاء الأزهري وأورد تفصيلًا مهما مكملًا لكلام الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فبيَّن أن الواو غير المدية تباين الباء والميم من حيث إن الباء والميم تنطبق معهما الشفتان، بخلاف الواو غير المدية؛ التي لا تنطبق معها الشفتان، ثم علَّق معتذرًا للإمام ابن الجزري قائلًا: "ولعلّه اكتفىٰ بالمشافهة"[3].

وهذا التفصيل الذي أورده الأزهري، أشار إليه الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه النشر بشكل مختصر حيث قال: "المخرج السادس عشر: للواو غير المدية والباء والميم، مما بين الشفتين، فينطبقان علىٰ الباء والميم"[4]، ويُفهم منه أن الواو غير المدية لا

(١) منظومة المقدمة فيما يجب علىٰ قارئ القرآن أن يعلمه، ابن الجزري، محمد بن محمد (ت٨٣٣هـ)، تحقيق: أيمن سويد، دار نور المكتبات، جدة، الطبعة الرابعة، ٢٠٠٦م، ٢، البيت ١٩.

(٢) الطّرازات المعلّمة، الأزهري، ١٠٨.

(٣) المرجع السابق، ١٠٨.

(٤) النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، محمد بن محمد (ت٨٣٣هـ)، تحقيق: أ.د السالم الشنقيطي، مجمع الملك فهد، المدينة النبوية، الطبعة الأولىٰ، ١٤٣٥هـ، ٣/ ٥٣٤.

تنطبق معها الشفتان.

وكما هو ظاهر، فإن هذا التفصيل الذي ذكره الأزهري، وأشار إليه ابن الجزري في النشر، يعطي الدارس تصورًا أفضل لحالة كل حرف من الحروف الثلاثة في المخرج.

تجدر الإشارة إلىٰ أن بعض العلماء عبّر عن عدم انطباق الشفتين في الواو غير المدية بـ(الانفتاح)[(١)]، وهو ما دعا المرعشيَّ إلىٰ مزيد تفسيرٍ وتوضيحٍ لهذا التعبير حيث قال: "المراد بانفتاحهما في الواو: انفتاحًا قليلاً، وإلا فهما ينضمّان في الواو، ولكن لا يصل انضمامهما إلىٰ حد الانطباق"[(٢)].

ومن المهم هنا توضيح كيفية الانفتاح مع الانضمام في الواو، وذلك أن انضمامهما يقصد به كونهما يصبحان كالدائرة الضيقة، وانفتاحهما يُقصد به عدم التلاصق التام بينهما، لا كما أشكل علىٰ أحد المصنفين، الذي ظن أن الانضمام والانفتاح حالتان متباينتان في الواو غير المدية، فجعل انضمام الشفتين حالة كون الواو مضمومة أو ساكنة، والانفتاح في حال كانت الواو مفتوحة أو مكسورة[(٣)]، والواقع أن انفتاح الشفتين مع انضمامهما واقع مع الواو غير المدية في جميع حالاتها.

(١) انظر: اللآلئ السنية شرح المقدّمة الجزرية، القسطلاني، أحمد بن محمد (ت٩٢٣هـ)، تحقيق عبد الرحيم طرهوني (مطبوع ضمن كتاب هداية المريد إلىٰ شروح متن ابن الجزري)، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولىٰ، ٢٠٠٨م، ٣٥٧، والمنح الفكرية شرح المقدّمة الجزرية، القاري، مُلّا علي بن سلطان (ت١٠١٤هـ)، تحقيق عبد الرحيم الطرهوني (مطبوع ضمن كتاب هداية المريد إلىٰ شروح متن ابن الجزري)، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولىٰ، ٢٠٠٨م، ١٧٧-١٧٨، ودروس مهمّة في شرح الدقائق المحكَمة في شرح المقدّمة الجزرية، لاشين، سيد لاشين (ت١٤٣٢هـ)، مكتبة دار الزمان، المدينة النبوية، الطبعة الرابعة، ٢٠١١م، ٧٣.

(٢) جهد المقل، المرعشي، محمد بن أبي بكر (ت١١٥٠هـ)، تحقيق د. سالم قدوري، دار عمّار، عمّان، الطبعة الأولىٰ، ٢٠٠١م، ١٣٥، وانظر النجوم الطوالع علىٰ الدرر اللوامع في أصل مقرئ الإمام نافع، المارغني، إبراهيم بن أحمد (ت١٣٤٩هـ)، دار الفكر، بيروت، د.ط، ١٩٩٥م، ١٦٤-١٦٥.

(٣) انظر هداية القاري إلىٰ تجويد كلام الباري، المرصفي، عبد الفتاح السيد (ت١٤٠٩هـ)، مكتبة طيبة، المدينة النبوية، الطبعة الثانية، د.ت، ١/ ٦٩.

الخلاصة:

هذا التَّعقب مهم لتوضيح مخارج الحروف الثلاثة: الواو غير المدية، والباء، والميم، ويعطي تصورًا دقيقًا عنها، فمن الجيد تحديد مخرج الحرف بشكل دقيق، حتىٰ يفرّق بينه وبين غيره، خاصة في المخرج العام الواحد.

ثانيًا: لفظ (يُصَحِّح) أو (يُجَوِّد):

قال ابن الجزري:

وَالْأَخْذُ بِالتَّجْوِيدِ حَتْمٌ لَازِمُ ** مَنْ لَمْ يُجَوِّدِ الْقُرَانَ آثِم [1].

قال الأزهري: "والنُّسخة التي ضبطناها عن الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ (مَنْ لَمْ يُجَوِّد) وهي المُعتبَرة، ورأيت في بعض النسخ (مَنْ لَمْ يُصَحِّح) بدل (يُجَوِّد)، والأولىٰ أحسن؛ إذ التجويد أخص من التصحيح"[2].

دراسة التعقب:

هذا تعقّب علىٰ إحدىٰ نُسخ المنظومة، والتي ورد فيها النص بكلمة (يصحح) بدل كلمة (يجوِّد)، وهي النسخة التي اعتمد عليها ابن الناظم في شرحه[3]، وأشار إلىٰ ورود هذا اللفظ فيها عدد من شراح الجزرية[4]، وذكر صاحب المنح أنها "نسخة صحيحة"[5].

وعلل الأزهري تعقبه هذا بكون التجويد أخص من التصحيح، ويقصد أن لفظ (التجويد) شامل لمراعاة أحكام هذا العلم خاصة، وأما لفظ (التصحيح) فيقتصر

(١) منظومة المقدمة فيما علىٰ قارئ القرآن أن يعلمه، ابن الجزري، ٣، البيت ٢٧.

(٢) الطّرازات المعلّمة، الأزهري، ١٢٩.

(٣) انظر الحواشي المفهمة، ابن الناظم، ١٦٦-١٦٧.

(٤) انظر الدقائق المحكمة في شرح المقدمة، الأنصاري، زكريا بن محمد (ت٩٢٦هـ)، مكتبة الإرشاد، صنعاء، د.ط، ١٩٩٠م، ٣٧، والمنح الفكرية، القاري، ١٨٧، والجواهر المضيّة علىٰ المقدمة الجزرية، الفضالي، سيف الدين بن عطاء الله (ت١٠٢٠هـ)، تحقيق عبد الرحيم الطرهوني (مطبوع ضمن كتاب هداية المريد إلىٰ شروح متن ابن الجزري)، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولىٰ، ٢٠٠٨م، ٥٣٢.

(٥) المنح الفكرية، القاري، ١٨٧.

علىٰ مراعاة صحة النص من حيث قواعد الإعراب ونحوها، فرأىٰ أن لفظ (التجويد) أولىٰ وأخص وأكثر بيانًا للمراد.

ولكن ابن الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ رأىٰ خصوصية التصحيح هنا بأحكام التجويد عندما شرح قول الناظم: "من لم يصحح" بقوله: "أي: من لم يراعِ قواعد التجويد"[١]، وهو ما صرّح به الفضالي بشكل أوضح عندما قال: "والمراد بالتصحيح: مراعاة قواعد التجويد خاصة" معللا ذلك بقوله: "لأن الكلام في التجويد فقط"[٢]، أي: في هذه المنظومة المختصة بأحكام التجويد.

ومن المعلوم أن من يرجح لفظ (التجويد) يكون عنده التصحيح - بمراعاة قواعد الإعراب ونحوها - واجبًا أيضًا من باب الأولىٰ، وهذا ما دفع الفضالي لقوله: "وإن كان تارك التصحيح بمراعاة قواعد الإعراب آثمـًا أيضـًا"[٣].

الخلاصة:

الناظر في التحليل السابق يتبين له أن المراد بلفظَي: (التجويد) و(التصحيح) واحد في النهاية؛ لكون التصحيح في هذه المنظومة - المختصة في أحكام التجويد - لا بد وأن يكون المراد به التجويد خاصةً، وإن كان لفظ (التجويد) بدلالته المباشرة أولىٰ وأسلم من الإشكال.

ثالثًا: ترقيق حرف الألف

قال ابن الجزري:

فَرَقِّقَنْ مُسْتَفِلًا مِنْ أَحْرُفِ ** وَحَاذِرَنْ تَفْخِيمَ لَفْظِ الْأَلِفِ[٤].

وقال في النشر: "أن الألف إذا سبقها حرف مفخّم نحو (قال) ومثله (طال) و(الله) حيث وقعت مفخّمة..."[٥].

(١) الحواشي المفهمة، ابن الناظم، ١٦٧.
(٢) الجواهر المضيّة علىٰ المقدمة الجزرية، الفضالي، ٥٣٢.
(٣) المرجع السابق، ٥٣٢.
(٤) منظومة المقدمة فيما علىٰ قارئ القرآن أن يعلمه، ابن الجزري، ٤، البيت ٣٤.
(٥) النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، ٣/ ٥٣٧ و ٣/ ٥٦٦.

وقال الأزهري: كلام الناظم موافق لمن قال: "ينبغي المحافظة علىٰ ترقيق حروف الاستفال، خصوصاً إذا جاورت حروف الاستعلاء من باب أولىٰ"(١).

دراسة التعقب:

هذا التعقب يقيد الإطلاق الذي ذكره الناظم في ترقيق حرف الألف، والتحذير من تفخيمها، إذ يفهم من كلام الناظم أن الألف لا تفخّم إطلاقاً، فجاء الأزهري ليوضح أن الألف تتبع ما قبلها تفخيماً وترقيقاً، واستشهد بكلام الناظم نفسه في كتاب النشر -الذي سبق ذكره-.

وقد أسهب صاحب المنح الفكرية في التعليق علىٰ هذا وختم بقوله: "وقول الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ، محمول علىٰ ما ذكرناه، وبه نأخذ، يعني: ولو كان لفظه مطلقاً، لكنه ينبغي أن يُعتَبر مقيّداً، جمعاً بين قوله وقول غيره من المحقّقين"(٢).

وأكثر مَن ناقش هذا التّعقّب، صاحب الجواهر المضيّة، إذ أفاض وأجاد في توضيح المراد، والرد علىٰ الأقوال التي فيها لبس أو خلط، وخرج أخيراً بقوله: "فظهر لك أن الصحيح ما مشىٰ عليه الناظم في النشر، حيث قال: وأما الألف فالصحيح أنها لا توصف بترقيق ولا تفخيم، بل بحسب ما تقدّمها، فإنها تتبعه ترقيقاً وتفخيما، وما وقع في كلام بعض أئمّتنا من إطلاق ترقيقها، فإنما يريدون التحذير مما يفعله بعض العجم من المبالغة في لفظها إلىٰ أن يصيّروها كالواو، وأما نص بعض المتأخرين علىٰ ترقيقها بعد الحروف المفخّمة فهو شيء وهم فيه، ولم يسبقه إليه أحد، وقد ردّ عليه الأئمة المحقّقون من معاصريه"(٣).

وقد وهّم الناظم في كتابه النشر مَن قال أنّ الألف من حروف التفخيم، فقال: "زاد مكّي عليها -أي حروف التفخيم- الألف"(٤)، ويمكن توجيه كلام مكّي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه يقصد

(١) الطّرازات المعلّمة، الأزهري، ١٤٠، ثم استشهد بكلام ابن الناظم في كتاب النشر الذي سبق ذكره.

(٢) المنح الفكرية، القاري، ١٩٨، وذكر هذا التعقب أيضاً: القسطلاني وبيّن عدم صحة قول مَن ذهب إلىٰ تفخيمها مطلقاً، وناقشه نقاشاً جميلاً، انظر اللآلئ السنية، القسطلاني، ٣٧٤، وكذلك ذهب صاحب الدقائق المحكمة، انظر الدقائق المحكَمة في شرح المقدّمة، الأنصاري، ٤٣.

(٣) الجواهر المضيّة، الفضالي، ٥٤٤-٥٤٦، وانظر النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، ٣/ ٥٦٦.

(٤) النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، ٣/ ٥٣٧.

الألف المسبوقة بحرف تفخيم[١]، كما يُوجَّه كلام ابن الجزري هنا بأن المراد الألف المسبوقة بحرف ترقيق[٢]، ولا يخفىٰ بعد وضعف القول بالحذر من تفخيم الألف، إذا أتىٰ بعد حرف من حروف الاستعلاء، وهو رأي مرجوح لا يُعمل به[٣].

الخلاصة:

هذا التعقب مهم لتقييد الإطلاق في كلام الناظم، إذ قد يفهم منه أن الألف لا تفخم إطلاقـًا، وترقق دائمـًا، وهذا وهم وقع فيه بعض العلماء، فمن الجيد التقييد فيه وتوضيحه.

رابعـًا: عدم ذكر ترقيق الراء المُمالة.

قال ابن الجزري:

وَرَقِّقِ الرَّاءَ إِذَا مَا كُسِرَتْ ** كَذَاكَ بَعْدَ الْكَسْرِ حَيْثُ سَكَنَتْ[٤].

قال الأزهري: "دلّ منطوق: (رقّق الراء إذا ما كسرت) علىٰ ترقيقها حال الكسر، ومفهومها: علىٰ تفخيمها حال الضم والفتح، وإذا أُميلت المفتوحة، فإن الإمالة من مسوّغات الترقيق"[٥].

دراسة التعقب:

ذكر الإمام ابن الجزري في هذا البيت: أن الراء ترقق حال الكسر، وكذلك إذا سكنت وقبلها مكسور، ولم يذكر أن الراء ترقق أيضـًا وهي مفتوحة وذلك في حال كونها ممالة، فجاء الأزهري ليضيف هذه الحالة من حالات ترقيق الراء.

وقال القسطلاني: "ترقيق الراء ضرب من الإمالة، غير أنها إمالة ضعيفة لانفرادها

---

(١) انظر الرعاية، مكّي بن أبي طالب، ١٢٨-١٢٩.

(٢) انظر جهد المقل، المرعشي، ١٥٤.

(٣) انظر التمهيد في علم التجويد، ابن الجزري، محمد بن محمد (ت٨٣٣هـ)، تحقيق د. علي البواب، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولىٰ، ١٩٨٥م، ١٤٩، و شرح المقدّمة الجزرية، الدوسري، أ.د إبراهيم بن سعيد، دار الحضارة، الرياض، الطبعة الثانية، ٢٠٠٦م، الدوسري، ٩٤.

(٤) منظومة المقدمة فيما علىٰ قارئ القرآن أن يعلمه، ابن الجزري، ٥، البيت ٤١.

(٥) الطّرازات المعلّمة، الأزهري، ١٤٧.

في حرف واحد"[1].

وأحسن الأنصاري بشرح البيت وحلّ الإشكال بقوله: "كُسرت: ولو لروم أو اختلاس أو إمالة"[2].

ودافع الفضالي عن هذا بقوله: "أدرج حركة الراء الممالة في عموم الكسرة؛ نظراً إلىٰ أن المراد بها ما هو أتم من الناقصة، بحسب الكميّة كحركة الروم والاختلاس، والكيفية كحركة الإمالة"[3].

الخلاصة:

الناظر في كلام الشراح السابق يتبين له أن الراء الممالة تدخل في عموم الكسرة، مع أنها لو خصت بالذكر والتنبيه عليها لكان أولىٰ، خاصة مع كثرة ورودها في القرآن الكريم في كثير من القراءات المتواترة.

خامسًا: دقّة اللفظ

قال ابن الجزري:

فَعِنْدَ حَرْفِ الحَلْقِ أَظْهِرْ، وَادَّغِمْ ** فِي اللَّامِ وَالرَّا لاَ بِغُنَّةٍ لَزِمْ[4].

قال الأزهري: "قوله (لزم): هي النسخة الأخيرة التي ضبطناها عن الناظم، وفي النسخ المتقدمة (أتم)، ويشير إلىٰ خلاف في إظهار الغنة في اللام والراء، لأن أكثر القرّاء (...) يدغمونها بغنّة، والمشهور الذي عليه الشاطبي (...) والذي عليه العمل في الأمصار، إدغامها بغير غنّة، وإليه الإشارة بقوله (لزم) أي: إدغامًا مخصصًا لازمًا بغير غنة، ولذا قدّمه الناظم، إذ الأصل في الإدغام هو الإدخال الكامل، ولو حُمل قوله (أتم) في النسخة القديمة، علىٰ الأكمل في الإدغام بغير غنة الآتي ذكره لكان له وجه"[5].

(١) اللآلئ السنيّة، القسطلاني، ٣٧٧.
(٢) الدقائق المحكَمة في شرح المقدّمة، الأنصاري، ٤٧.
(٣) الجواهر المضيّة، الفضالي، ٥٥٦.
(٤) منظومة المقدمة فيما علىٰ قارئ القرآن أن يعلمه، ابن الجزري، ٧، البيت ٦٦.
(٥) باختصار من الطّرازات المعلّمة، الأزهري، ١٨١.

دراسة التعقب:

يتعقب الأزهري علىٰ إحدىٰ نسخ المنظومة، والتي ورد فيها لفظ (أتم)، وذلك في إدغام النون الساكنة والتنوين في اللام والراء، إذ إن لفظ (لزم) يفيد إدغامها إدغامـًا بغير غنة، وهذا ما عليه القرّاء، أما لفظ (أتم) فيشير إلىٰ إدغامها بغنة، وهذا يخالف ما عليه الشاطبي وجمهور القرّاء، ثم التمس الأزهري عذراً للناظم بحمل (أتم) علىٰ الأكمل في الإدغام بغير غنة.

وقال مُلّا القاري: "(لزم): والمعنىٰ أنه نعت لمصدر محذوف، والأظهر أن التقدير: لا تُدغم إدغامـًا مقرونـًا بغنّة، وأن قوله (لزم) جملة مستأنفة مبيِّنة أنّ الحكم السابق من الإدغام فيهما لزم جميع أفرادهما، من غير استثناء عنهما"[(١)].

وقد أزال اللبس وحلّ الإشكال الإمام الفضالي رَحِمَهُ اللَّهُ بقوله :"أتم: أي: وأدغم النون والتنوين في اللام والراء بلا غنة إدغامـًا أتم من غيره، فإن الإدغام في هذه الحالة يكون إدغامـًا كاملاً عند مَن أذهب الغنة"[(٢)]، وقال أيضـًا "وفي بعض النسخ (لا بغنّة لزم): أي لا بغنة لازمة لهما بل منفكّة عنهما، وهي موافقة لنسخة (أتم) علىٰ ما ذكرناه"[(٣)].

الخلاصة:

إن الاعتراض هنا علىٰ إحدىٰ النسخ –وهي القديمة- كما صرّح الأزهري، بمعنىٰ أن ابن الجزري عدّل التعبير وغيّر اللفظ في النسخة الأخيرة (لزم)، بما لا يحتمل اللبس بأن الإدغام هنا في اللام والراء بغير غنّة، وهو ما عليه جمهور القرّاء، فمع ثبوت هذه النسخة بهذا اللفظ، يكون اعتراض الأزهري في غير مكانه، إضافة إلىٰ أن اللفظ الآخر (أتم)، يحتمل بشكل كبير أن الإدغام أيضـًا بلا غنة، كما فسّره الفضالي، رحم الله الجميع.

---

(١) المنح الفكرية، مُلّا قاري، ٢٥١.
(٢) الجواهر المضيّة، الفضالي، ٦١٤.
(٣) المرجع السابق، ٦١٥.

سادساً: عدم ذكر مثال من القرآن الكريم .

قال ابن الجزري:

وَأَدْغِمَنْ بِغُنَّةٍ فِي يُومِنُ ** إِلَّا بِكِلْمَةٍ كَـ: دُنْيَا، عَنْوَنُو [١].

قال الأزهري: "ولم يطلع الناظم على مثال موافق للفظ القرآن إلا في قوله تعالى: (صِنْوَان) و(قِنْوَان) (...) ووزن ذلك (عِنْوَان) كما يوجد في بعض النسخ (عنون) كما تقدّم من عنوان الكتاب"[٢].

دراسة التعقب:

ذكر الإمام ابن الجزري في هذا البيت: استثناء إدغام النون الساكنة في حروفها إذا وقعت في كلمة واحدة –وهو ما يسمى الإظهار المطلق–، ثم أورد مثالين على هذا الحكم؛ أحدهما مثال على حرف الياء وهو كلمة (دنيا) [٣]، وثانيهما مثال على حرف الواو: وهو كلمة (عنونو)، فتعقبه الأزهري وغيره بأن كلمة (عنونوا) لم ترد في القرآن الكريم، والذي ورد في القرآن من هذا النوع كلمتا (صنوان) و(قنوان) فقط، فكان الأولى الإتيان بإحداهما، كما فعل في كلمة (دنيا).

وقال القسطلاني: "ولم يمكنه الإتيان بمثال من الكتاب العزيز للواو، أتى بلفظة (عِنْوَنوا) وهو ظاهر ختم الكتاب الدال عليه"[٤].

وقال الأنصاري: "لا توجد كلمة (عنونوا) في القرآن، وإنما أتى بها الناظم للقافية"[٥].

وأفضل مَن تعقّب هنا: مُلّا القاري بقوله: "وفي نسخة (صَنْوَنوا) وهو أولى لوروده في التنزيل من قوله تعالى: ﴿صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ﴾ [الرعد: ٤]، بخلاف مجئ

(١) منظومة المقدمة فيما على قارئ القرآن أن يعلمه، ابن الجزري، ٧، البيت ٦٧.

(٢) باختصار من الطّرازات المعلّمة، الأزهري، ١٨٥، وانظر الجواهر المضيّة، الفضالي، ٦١٨.

(٣) ولم يرد في القرآن الكريم هذا الحكم –الإظهار المطلق عند حرف الياء– إلا في كلمتي: (دنيا)، و(بنيان).

(٤) اللآلئ السنية، القسطلاني، ٣٩٨.

(٥) الدقائق المحكمة في شرح المقدّمة، الأنصاري، ٦٩.

العنوان"[١].

الخلاصة:

وهذا التعقب صحيح، علىٰ اعتبار التسليم بأن الناظم جاء بكلمة (عَنْوَنوا) مثالاً لاستثناء الإدغام لحرف الواو في كلمة واحدة، وهذا سبب تعقّب شرّاح القصيدة، ولكن بعد طول تأمل في البيت وجدت احتمالاً آخراً، وهو أن الناظم اكتفىٰ بمثال واحد علىٰ هذا الحكم وهو كلمة (دنيا)، أما كلمة (عنونوا) فتعني أن كلمة دنيا هي عنوان أو مثال لهذا النوع أو الحكم، ويكفيه ذكر مثال واحد، ولا يلزمه ذكر مثال ثانٍ من القرآن الكريم فضلاً عن غيره، إذ إن الحكم هو استثناء الإدغام في كلمة واحدة، بغض النظر عن الحرف الوارد بعد النون الساكنة، سواء كان ياءاً أو واواً [٢]، وليس من منهج ابن الجزري في هذه المنظومة، أن يتتبّع الأمثلة بجميع حالاتها، فهذا يطيل المنظومة، ولا كبير فائدة منه، وبهذا الفهم يرد تعقّب الأزهري وغيره رحمهم الله.

سابعًا: العطف المخالف .

قال ابن الجزري:

فُصِّلَتْ، النِّسَا، وَذِبْحِ، حَيْثُ مَا ** وَأَن لَم المَفْتُوحَ، كَسْرُ إِنَّ مَا

لَانْعَامَ، وَالْمَفْتُوحَ يَدْعُونَ مَعَا ** وَخُلْفُ الَانْفَالِ وَنَحْلٍ وَقَعَا [٣].

قال الأزهري: "عطف الناظم (ونحل) تغليبًا (فإنما) هي بكسر الهمزة، وأيضًا كسر إمّا، بعطف علىٰ المتقدِّم من غير اعتبار قيده"[٤].

دراسة التعقب:

ذكر الناظم في آخر البيت الأول (كسر إنَّ مَا) أي أنّ (إنّ ما) وردت مقطوعة في

---

(١) المنح الفكرية، القاري، ٢٥٢.

(٢) فلم يرد استثناء الإدغام في نفس الكلمة إلا في أربع كلمات: (دنيا)، (بنيان)، (صنوان)، (قنوان)، فذكر مثال واحد من أربعة يكفي.

(٣) منظومة المقدمة فيما علىٰ قارئ القرآن أن يعلمه، ابن الجزري، ٩، البيت ٨٤- ٨٥.

(٤) الطّرازات المعلّمة، الأزهري، ٢١٢.

موضع الأنعام: ١٣٤، ثم انتقل إلىٰ (أنّ ما) المفتوحة، فذكر أنها مقطوعة باتفاق في موضعين: الحج:٦٢، ولقمان: ٣٠، وذلك بقوله (يدعون معـًا)، ومختلَف فيها في موضع واحد وهو: الأنفال:٤١، ثم عطف بعد ذلك موضع النحل: ٩٥، المختلَف فيه أيضـًا، لكنه لِـــ (إنّ ما) المكسورة.

فجاء عطف موضع النحل مكسور الهمزة علىٰ موضع الأنفال مفتوح الهمزة، مما دعا الأزهري وغيره إلىٰ التعقب علىٰ الناظم، إذ إن في هذا العطف لبسـًا وغموضـًا.

وقال مُلّا القاري: "ثم اعلم أن في كلامه ما لا يخفىٰ من الإيهام والإبهام، فإنه أوهم أن كلاً منهما مفتوحة، وأبهم المكسورة، مع أن ما في النحل ثمانية مواضع غير هذه مكسورة"[1]، ثم أورد كلام بحرق[2] رَحِمَهُ ٱللَّهُ الذي حاول الدِّفاع عن الناظم بقوله: "وإنما تعيّنت لكونها اسمية، وما عداها فعلية ﴿إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ﴾ [النحل: ٩٢]، ﴿إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ﴾[النحل: ١٠٠]، ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا﴾[النحل: ٤٠]"، وردّ مُلا القاري علىٰ هذا بقوله: "وخطؤه مما لا يخفىٰ"[3].

وقد أحسن الفضالي في الدفاع عن الناظم بقوله: "وقد ظهر لك أن قول الناظم (وَخُلْفُ الاَنْفَالِ وَنَحْلٍ وَقَعَا) فيه لف ونشر غير مرتّب فتأمّل"[4].

---

(١) المنح الفكرية، القاري، ٣٠٢، وقد تتبعتُ سورة النحل فوجدت فيها عشرة مواضع مكسورة غير هذا الموضع، وهي في الآيات: ٤٠، ٥١، ٨٢، ٩٢، ١٠٠، ١٠١، ١٠٣، ١٠٥، ١١٥، ١٢٤، فهذه عشر آيات وردت فيها إنما مكسورة غير موطن الخلاف، أما موطن الخلاف فهو في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [النحل: ٩٥].

(٢) هو محمّد بن عمر الحضرمي، ولد في سيئون (اليمن)، له أكثر من ثلاثين كتابـًا، منها: ترجمة المستفيد لمعاني التجويد، وهو شرح مختصر للمقدمة الجزرية، وله شرح آخر أطول منه: تحفة القاري والمقري في شرح مقدمة الإمام ابن الجزري، انظر: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، السخاوي، ٨/ ٢٥٣، والأعلام، الزركلي، ٦/ ٣١٥.

(٣) المنح الفكرية، القاري، ٣٠٢.

(٤) الجواهر المضيّة، الفضالي، ٦٦٣.

الخلاصة:

أن هذا التعقّب صحيح، وردّ الفضالي لا يكفي، إذ إنه لا يستطيع قارئ البيت أن يحدّد موطن الخلاف المراد من خلال البيت وحده، خاصة أن الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ، عطف مكسور الهمزة علىٰ مفتوحها، وفي هذا من الإبهام ما لا يخفىٰ، والمرجو من هذه المنظومة أن تغني قارئها عن غيرها، وهذا لا يتأتّىٰ في مثل هذا الأسلوب.

ثامنًا: إهمال بعض المواطن (كلّما).

قال ابن الجزري:

وَكُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ، وَاخْتُلِفْ ** رُدُّوا، كَذَا قُلْ بِئْسَمَا، وَالْوَصْلَ صِفْ[1].

قال الأزهري: "أهمل الناظم، مواضع أخرىٰ مختَلف فيها أيضًا وهي: قوله تعالىٰ: ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ﴾ [الأعراف: ٣٨]، و﴿كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا﴾ [المؤمنون: ٤٤]، و﴿كُلَّمَآ أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ﴾ [الملك: ٨]، فجملة ذلك خمسة مواضع، اتفق علىٰ قطع واحد منها وهو الذي في سورة إبراهيم، واختلف في الأربعة الأخر"[2].

دراسة التعقب:

ذكر الإمام ابن الجزري في هذا البيت: أن (كلما) رسمت مقطوعة بلا خلاف في سورة إبراهيم:٣٤، وأشار إليها بقوله: (سألتموه)، وذكر الخلاف في موضع النساء:٩١، وأشار إليه بقوله: (رُدّوا)، ولم يذكر المواضع الثلاثة الأخرىٰ المختلف فيها أيضًا، وهي التي أشار إليها الأزهري في تعقبه.

وكان تعقّب مُلا القاري أشد لهجة وأكثر قسوة علىٰ الناظم ولمن دافع عنه، فقال: "وكذا وقع الاختلاف في آية الأعراف والمؤمنين والملك، كما نصّ الداني في المقنع علىٰ الخلاف في هذه الثلاثة، ففي هذا قصور من الناظم للكلام عن مقام المرام، حتىٰ قال ابن المصنِّف: وعبارة الناظم لا تفهم الخلاف في هذه الثلاثة[3]،

(١) منظومة المقدمة فيما علىٰ قارئ القرآن أن يعلمه، ابن الجزري، ٩، البيت ٨٦.

(٢) الطّرازات المعلّمة، الأزهري، ٢١٤، وانظر اللآلئ السنية، القسطلاني، ٤٢٠.

(٣) انظر الحواشي المفهمة، ابن الناظم، ٢٧٥.

وأما قول الرومي (طاش كبري زاده): ولعلّه سكت عنها اكتفاءً بذكر واحد منها، ولاشتهار ما عداه عندهم فعذر بارد، وعن خطور الفهم شارد"[1].

الخلاصة:

والصحيح أن هذا التّعقّب في محلّه، فقد ذكره كثير من شُرّاح المنظومة، ونصّ علىٰ الخلاف علماء الرسم كالداني[2]، وأبي داود[3]، والجهني[4]، وغيرهم[5]، وقال الشاطبي:

وَكُلَّمَا أُلْقِي اسْمَع كلَّمَا دَخَلَتْ ** وَكُلَّمَا جَاءَ عَنْ خُلْفٍ يَلِي وَفَرَا[6].

ومما يزيد في أهمية الخلاف هنا، ويستدعي ذكرها جميعًا، أنه ثمّة اختلاف في رسمها في المصاحف؛ فموضع الأعراف والملك يرسمان بالوصل، وموضع المؤمنون العمل فيه علىٰ القطع[7]، مثل موضع النساء الذي ذكره ابن الجزري.

---

(١) المنح الفكرية، ملا قاري، ٣٠٢، وانظر شرح المقدمة الجزرية، طاش كبري زاده (ت٩٦٨هـ)، تحقيق د. محمد سيدي الأمين، مجمع الملك فهد، المدينة النبوية، ١٤٢١هـ، ٢٦٣، وكذا قال الفضالي: (١)بارة الناظم لا تُفهِم الخلاف بهذه الثلاثة"، انظر الجواهر المضيّة، الفضالي، ٦٦٤.

(٢) المقنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار، الداني، عثمان بن سعيد (ت٤٤٤هـ)، تحقيق محمد دهمان، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولىٰ، ١٩٨٣م، ٥٤٢، ٥٤٩، ٥٥٨.

(٣) مختصر التبيين لهجاء التنزيل، أبو داود، سليمان بن نجاح (ت٤٩٦هـ)، تحقيق د. أحمد شرشال، مجمع الملك فهد مع مركز الملك فيصل، المدينة النبوية، د.ط، ٢٠٠٢م، ٢/ ٤١١، ولم يذكر أبو داوود موضع الأعراف، واكتفىٰ بذكر موضعي المؤمنون والملك.

(٤) البديع في رسم مصاحف عثمان، الجهني، محمد بن يوسف (ت٤٤٢هـ)، تحقيق أ.د. سعود الفنيسان، دار إشبيلية، الرياض، الطبعة الأولىٰ، ١٩٩٨م، ٦٩.

(٥) انظر هجاء مصاحف الأمصار، المهدوي، أحمد بن عمّار (ت٤٣٠هـ)، تحقيق محي الدين رمضان، مجلة معهد المخطوطات العربية، المجلّد ١٩، العدد١، الطبعة الأولىٰ، ١٩٧٣م، ٨٤- ٨٥، ومورد الظمآن في رسم القرآن، الخرّاز، محمد بن محمد بن إبراهيم (ت٧١٨هـ)، تحقيق د. أشرف طلعت، دار السلام، طباعة جامعة بروني، الطبعة الأولىٰ، ٢٠٠٢م، ٢٩٥.

(٦) عقيلة أتراب القصائد، الشاطبي، القاسم بن فيرة (ت٥٩٠هـ)، تحقيق د. أيمن سويد، دار نور المكتبات، جدة، الطبعة الأولىٰ، ٢٠٠١م، ٢٦، رقم البيت ٢٥٤.

(٧) انظر أحكام قراءة القرآن الكريم، الحصري، محمود خليل (ت١٤٠١هـ)، تحقيق محمد طلحة، جماعة تحفيظ القرآن الكريم، مكة المكرّمة، الطبعة الأولىٰ، ١٩٩٥م، ٢٨٠، و، والمنير في أحكام التجويد، شكري، أ.د أحمد خالد ورفاقه، المطابع المركزية، عمّان، الطبعة الثانية والعشرون، ٢٠١٣م، ٢١٤.

تاسعـًا: عدم بيان المتّفق علىٰ قطعه (في ما).

قال ابن الجزري:

خَلَفْتُمُونِي وَاشْتَرَوا، فِي ما اقطَعَا ** أُوحِي، أَفَضْتُمُ، اشْتَهَتْ، يَبْلُوا مَعَا

ثَانِي فَعَلْنَ، وَقَعَتْ، رُومٌ، كِلَا ** تَنْزِيْلُ، شُعَرَا، وَغَيْرَ ذِي صِلَا [(١)].

قال الأزهري: "لم يتعرّض الناظم لبيان المتّفق علىٰ قطعه، وهو موضع الشعراء، ونصّ عليه الشاطبي في العقيلة (وَفِي سِوَا الشُّعراء بِالوَصل بَعضهُم) [(٢)]، وهو في ذلك تابع للداني"[(٣)].

دراسة التعقب:

ذكر الإمام ابن الجزري في هذين البيتين المواضع التي رسمت فيها (في ما) مقطوعة، وهي أحد عشر موضعا[(٤)]، ذكرها علىٰ أنها جميعـًا في نفس الدرجة من الخلاف –بين القطع والوصل–، ولم يوضح أن موضع الشعراء: ١٤٦، هو الموضع الوحيد المتفق علىٰ قطعه من جميع ما ذكر، بينما بقية المواضع فيها خلاف، لذا تعقبه الأزهري وغيره في هذا.

وأطال مُلّا القاري كثيراً في هذا التّعقّب، ونقل كلام بعض العلماء واختلافهم فيه، وناقشهم وردّ عليهم، وختم كلامه بـ: "فإنّه موضع زلل، والله سبحانه هو المُلهِم للصواب"[(٥)]، وذكر هذا التعقب أيضـًا القسطلاني[(٦)]، والفضالي[(٧)].

---

(١) منظومة المقدمة فيما علىٰ قارئ القرآن أن يعلمه، ابن الجزري، ٩، البيت ٨٧– ٨٨.

(٢) الوسيلة إلىٰ كشف العقيلة، السخاوي، علي بن محمد (ت٦٤٣هـ)، تحقيق د. مولاي الإدريسي، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الثانية، ٢٠٠٥م، ٤٢٢، رقم البيت ٢٤٩، وتتمة البيت: (وإنّ ما توعدون الأول اعتمرا)

(٣) الطّرازات المعلّمة، الأزهري، ٢١٨.

(٤) المواضع الأحد عشر حسب ترتيب الناظم هي: الأنعام:١٤٥، النور:١٤، الأنبياء:١٠٢، المائدة:٨٤، الأنعام:١٦٥، البقرة:٢٤٠، الواقعة:٦١، الروم:٢٨، الزمر:٣، الزمر:٤٦، الشعراء:١٤٦.

(٥) المنح الفكرية، القاري، ٣٠٥.

(٦) اللآلئ السّنيّة، القسطلاني، ٤٢٢.

(٧) الجواهر المضيّة، الفضالي، ٦٦٦.

الخلاصة:

هذا التعقّب صحيح، واستدراك مهم علىٰ الناظم، فإن موضع الشعراء هو الموضع الوحيد المتّفق علىٰ قطعه، فكان الأولىٰ بيان ذلك، واختُلِف في العشرة الباقية التي ذكرها الناظم، والأشهر فيها القطع[1]، وما عدا ذلك فهو موصول بلا خلاف.

عاشراً: عدم ترجيح القطع (أين ما).

قال ابن الجزري:

فَأَيْنَمَا كَالنَّحْلِ صِلْ، وَمُخْتَلِفْ ** فِي الشُّعَرَا الْأَحْزَابِ وَالنِّسَا وُصِفْ[2].

قال الأزهري: "لم يتعرّض الناظم أيضـًا إلىٰ الموضع الراجح القطع، ونصّ عليه الشاطبي في العقيلة بقوله: (النِّسا يَقِلُّ الوَصْلُ مُعْتَمِرَا) [3]، وهو في ذلك تابع للداني في المقنع، وقال أبو جعفر الخرّاز بوصل موضعي الشعراء والأحزاب، فالموصول عنده أربعة مواضع"[4].

دراسة التعقب:

ذكر الناظم في هذا البيت أن (أينما) وردت موصولة في البقرة:١١٥، وأشار إليها بحرف (الفاء)، لأنها انفردت في هذا الموضع باتصالها بالفاء، وكذلك رسمت موصولة في سورة النحل:٧٦، ثم ذكر أن فيها خلاف في ثلاثة مواضع أخرىٰ، وهي:

---

(١) البديع، الجهني، ٧١، ومختصر التّبيين، أبو داوود، ٢/ ١٩٧، ومورد الظمآن، الخرّاز، ٢٩٦- ٢٩٨، وهجاء مصاحف الأمصار، المهدوي، ٨٥-٨٦، وإن ذهب بعض العلماء إلىٰ أن موضع الشعراء فيه خلاف كما نقل المهدوي عن ابن عيسىٰ، وكما ذهب إلىٰ ذلك الداني، وابن الأنباري، انظر هجاء مصاحف الأمصار، المهدوي، ١٢٢، والمقنع، الداني، ٤٧٠، و إيضاح الوقف والابتداء، الأنباري، محمد بن القاسم (ت٣٢٨هـ)، تحقيق محي الدين رمضان، مجمع اللغة العربية، دمشق، د.ط، ١٩٧١م، ١/ ٣٢٣.

(٢) منظومة المقدمة فيما علىٰ قارئ القرآن أن يعلمه، ابن الجزري، ٩، البيت ٨٩.

(٣) الوسيلة إلىٰ كشف العقيلة، السخاوي، ٤٣٠، رقم البيت ٢٥٦، وهذا عجز البيت، أما صدره: (والخلف في سورة الأحزاب والشعرا).

(٤) الطّرازات المعلّمة، الأزهري، ٢٢٠، وذكره أيضـًا مُلّا القاري، انظر المنح الفكرية، القاري، ٣٠٦.

الشعراء:٩٢، الأحزاب:٦١، النساء:٧٨، فجاء الأزهري متعقباً بأن الناظم لم ينص علىٰ أن موضع النساء؛ الراجح فيه القطع.

الخلاصة:

إنّ هذا التعقّب ليس في مكانه، لأن الناظم ذكر موطن النساء، وذكر أنه مما اختلف فيه، أما إذا كان الاعتراض لأنه لم يرجح القطع فيه كما فعل الشاطبي، فهذا محل خلاف بين العلماء، والعمل فيه علىٰ الوصل، فقد ذهب إلىٰ الوصل وجهاً واحداً ابن أبي داود[١]، والمهدوي[٢]، وأبو داود[٣]، والمارغني[٤]، وذهب إلىٰ الخلاف بين الوصل والقطع ابن الأنباري[٥]، والجهني[٦]، والداني [٧]، والخرّاز[٨]، والشاطبي[٩] إلّا أنه رجّح القطع، فكلام الناظم هنا كافٍ وافٍ، والتعقّب فيه تكلّف، وإلزام ما لا يلزم.

حادي عشر: ترك موضع (أن لن).

قال ابن الجزري:

وَصِلْ فَإِلَّمْ هُودَ، أَلَّنْ نَجْعَلَا ** نَجْمَعَ، كَيْلاَ تَحْزَنُوا، تَأْسَوْا عَلَىٰ [١٠].

قال الأزهري: "نقل بعضهم كلاماً في سورة المُزَّمِّل، وسكت عنه الناظم تبعاً

(١) مختصر التّبيين، ابن أبي داوود، ٢/ ٢٠٠.

(٢) هجاء مصاحف الأمصار، المهدوي، ٨٤.

(٣) كتاب المصاحف، السجستاني، ابن أبي داود عبد الله بن الأشعث (ت٣١٦هـ)، تحقيق محمد بن عبده، مكتبة الفاروق الحديثة، القاهرة، الطبعة الأولىٰ، ٢٠٠٢م، ١٠٧.

(٤) دليل الحيران شرح مورد الظمآن في رسم ضبط القرآن، المارغني، إبراهيم بن أحمد (ت١٣٤٩هـ)، تحقيق محمد قمحاوي، مكتبة الكليات الأزهرية، مصر، د.ط، د.ت، ٢٩٩-٣٠٠.

(٥) مرسوم الخط، الأنباري، محمد بن القاسم (ت٣٢٨هـ)، تحقيق امتياز عرشي، د.ن، الطبعة الأولىٰ، ١٩٧٧م، ١٨.

(٦) البديع، الجهني، ٦٧-٦٨.

(٧) المقنع، الداني، ٤٧٢.

(٨) مورد الظمآن، الخرّاز، ٢٩٩-٣٠٠.

(٩) الوسيلة إلىٰ كشف العقيلة، السخاوي، ٤٣٠.

(١٠) منظومة المقدمة فيما علىٰ قارئ القرآن أن يعلمه، ابن الجزري، ٩، البيت ٩٠.

للشـاطبي وغيـره، إذ ذكـره (يفكـر)[1] علـىٰ حكايـة الاتفـاق علـىٰ قطـع مـا عـدا الموضعين"[2].

دراسة التعقب:

ذكر الناظم في هذا البيت الموضعين المتفق علىٰ وصل (ألّن) فيهما، وهما: الكهف:٤٨، وأشار إليه بقوله: (نجعلا)، والقيامة:٣، وأشار إليه بقوله: (نجمع)، فيفهم من هذا أن باقي المواضع ترسم بالقطع، تعقّبه الأزهري بأنه ثمة موضع فيه الخلاف وهو: موضع المزمل:٢٠، ولم يذكره الناظم.

وقال مُلّا القاري: "وأما قوله (أن لن تُحصُوه) فقال بعضهم: موصول، وقال آخرون: مفصول علىٰ ما في المقنع، ولعل الشيخ اختار الفصل الذي هو الأصل، ولهذا لم يتعرّض لبيان الخلاف فيه"[3].

الخلاصة:

وهذا تعقب في محلّه، حيث ثمّة خلاف في هذا الموطن، فقد ذكره بالقطع المهدوي[4]، والجهني[5]، وأبو داود[6]، والداني[7]، وعليه العمل[8]، وذكر أنه بالوصل الأندرابي[9]، ونقله الداني عن الغازي بن قيس[10]، قال الخرّاز:

---

(١) هكذا كتبت في الكتاب، ولعلّ الصواب: (يعكّر) بالعين.

(٢) الطّرازات المعلّمة، الأزهري، ٢٢١.

(٣) المنح الفكرية، القاري، ٣٠٧، وذكر هذا التّعقّب أيضًا الفضالي، انظر الجواهر المضيّة، الفضالي، ٦٧٠.

(٤) هجاء مصاحف الأمصار، المهدوي، ٨٢.

(٥) البديع، الجهني، ٧٥.

(٦) مختصر التّبيين، أبو داود، ٣/ ٨١٠.

(٧) المقنع، الدّاني، ٤٦٧.

(٨) انظر أحكام قراءة القرآن، الحصري، ٢٧١.

(٩) معجم الرسم العثماني، الحميري، د. بشير بن حسن، مركز تفسير للدراسات القرآنية، الرياض، الطبعة الأولىٰ، ٢٠١٥م، ٢/ ٨٠٧.

(١٠) المقنع، الداني، ٤٦٧.

كَذَاكَ فِي الْمُزَّمِّل الوَصْل ذُكِر ** فِي مُقْنِعٍ عَنْ بَعضِهِم وَمَا شُهِرْ[١].

ولعلّ عدم شهرة الخلاف، وقلّة مَن ذهب إليه هو عذر الناظم في عدم ذكره.

ثاني عشر: ترك بقيّة الأسماء العشرة.

قال ابن الجزري:

ابْنٍ، مَعَ ابْنَتِ، امْرِئٍ، وَاثْنَيْنِ ** وَامْرَأَةٍ، وَاسْمٍ، مَعَ اثْنَتَيْنِ[٢].

قال الأزهري: "اقتصر الناظم من الأسماء العشرة علىٰ السبعة الأولىٰ، إذ هي الأصل، وترك الثلاثة الأخيرة للضرورة، ولو قال:

ابن مع امرئ واثنين واسم ** وثنٍّ مع ضِدٍّ بغير مَين

لَوَفّىٰ بالمقصود"[٣].

دراسة التعقب:

ذكر الناظم في هذا البيت سبعة من الأسماء العشرة التي همزتها سماعية، بحيث يُبدأ بها مكسورة، وهي: ابن، ابنة، امرئ، اثنين، امرأة، اسم، اثنتين، -علىٰ ترتيب الناظم-، وهذه السبعة وردت في القرآن الكريم، ولم يذكر الثلاثة الباقية التي لم ترد في القرآن الكريم وهي: ابنم، ايمن الله، است[٤]، وهذا هو محل تعقب الأزهري.

وذكر هذا التّعقُّب مُلّا القاري، ودافع عن الناظم فقال: "وقد ذكر سبعة منها لورودها في القرآن، إلا أنه ترك باقيها لضرورة النظم"[٥]، وقال أيضاً رداً علىٰ ابن الناظم في عدم ذكر (است): "لأن البيت لم يسعه"[٦]، فقال: "الصواب في الاعتذار أن يقال لعدم وروده في الكتاب، لا سيّما وذكره مستهجن عند أولي الألباب"[٧].

(١) مورد الظمآن، الخرّاز، ٣٠٢، رقم البيت ٤٣١.

(٢) منظومة المقدمة فيما علىٰ قارئ القرآن أن يعلمه، ابن الجزري، ١١، البيت ١٠٣.

(٣) الطّرازات المعلّمة، الأزهري، ٢٣٩.

(٤) انظر التمهيد، ابن الجزري، ٧٢، وشذا العرف في فن الصرف، الحملاوي، أحمد بن محمد (ت ١٣١٥هـ)، مراجعة وشرح حجر عاصي، دار الفكر العربي، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٩٩٩م، ٨٨.

(٥) المنح الفكرية، ملا قاري، ٣٢٥، وانظر الجواهر المضيّة، الفضالي، ٧٠٠.

(٦) انظر الحواشي المفهمة، ابن الناظم، ٣٠٥.

(٧) المنح الفكرية، ملا قاري، ٣٢٦.

الخلاصة:

وهذا التّعقّب ليس في مكانه، إذ إن الناظم ذكر الأسماء التي وردت في القرآن الكريم -كما نص عليه ملا القاري-، ولا حاجة لذكر البقيّة، فهو أراد لهذه القصيدة أن تحوي ما علىٰ قارئ القرآن أن يعلمه -كما سمّاها-، ولا شك أن الكلمات الثلاثة الأخرىٰ -مع قلّة استخدامها-، لا يُشترط معرفتها لقارئ القرآن، وإنما مكان علمها ومعرفتها؛ كتب اللغة.



المبحث الثاني: التَّعقُّبات غير التجويدية

كما تعقّب الأزهري منظومة المقدمة في بابها -التجويد-، وهو أهم ما تتعقّب به، إذ هو الهدف منها، تعقّبها كذلك في موضوعات أخرىٰ غير التجويد، وقد تنوّعت تلكم التعقّبات في ثلاثة جوانب رئيسة؛ أولها الجانب اللغوي، كاستعمال الأقل فصاحة، وحذف بعض الكلمة، وثانيها الجانب الشِّعري، وهو ما يتعلّق بقضايا الشعر التي أخطأ فيها الناظم -من وجهة نظر الأزهري-، وآخرها الجانب الشرعي، كعدم ذكر السلام مع الصلاة علىٰ النبي ﷺ، وهذا مما يزيد المتن جمالاً وكمالاً، وقد بلغت هذه التعقبات -من غير التكرار- سبعة تعقّبات في الجوانب الثلاثة السابقة، سأذكرها حسب ترتيبها في المنظومة، دون النظر إلىٰ تقسيمها علىٰ الجوانب السابقة.

أولاً: الصلاة دون السلام علىٰ النبي ﷺ .

قال ابن الجزري:

الْحَمْدُ لِلَّهِ وَصَلَّىٰ اللَّهُ ** عَلَىٰ نَبِيِّهِ وَمُصْطَفَاهُ[١]

قال الأزهري: "كان حق علىٰ الناظم أن يأتي بالصلاة قبل السلام، إذ إفراده عنها مكروه، إذ هو قرينها في الآية الكريمة، لقوله تعالىٰ: ﴿صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]"[٢].

ولعلّ الأزهري وغيره ممكن ذهبوا إلىٰ الكراهة، بنوا ذلك علىٰ كلام النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرحه لصحيح مسلم إذ قال في مقدمته: "ثم إنّه ينكر علىٰ مسلم؛ كونه اقتصر علىٰ الصلاة علىٰ رسول الله ﷺ دون التسليم، وقد أمرنا الله تعالىٰ بهما جميعاً، فإن قيل فقد جاءت الصلاة عليه غير مقرونة بالتسليم وذلك في آخر التشهد في الصلوات، فالجواب أن السلام تقدّم قبل الصلاة في كلمات التشهد"[٣].

(١) منظومة المقدمة فيما علىٰ قارئ القرآن أن يعلمه، ابن الجزري، ١، البيت ٢

(٢) الطّرازات المعلّمة، الأزهري، ٧٨.

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي، يحيىٰ بن شرف (ت٦٧٦هـ)، دار القلم، بيروت، الطبعة الأولىٰ، د.ت، ١/ ١٦٠.

دراسة التعقب:

ذكر الإمام ابن الجزري في هذا البيت: الصلاة علىٰ النبي ﷺ، ولم يذكر السلام عليه، فتعقبه الأزهري بأن هذا مكروه، واستدل بآية الأحزاب التي قرنت بينهما.

وأصل القول بالكراهة: للإمام ابن الصلاح (ت٦٤٣هـ)، ثم تبعه الإمام النووي (ت٦٧٦هـ)، ثم تبعهما في ذلك الحافظ العراقي (ت٨٠٦هـ)، والحافظ السيوطي (ت٩١١هـ)، والإمام ابن حجر الهيتمي (ت٩٧٤هـ) [١].

وردّ عليه مُلّا القاري بقوله: "وأما الجمع بين الصلاة والسلام، فهو الأولىٰ والأفضل والأكمل، ولو اقتصر علىٰ أحدهما جاز من غير كراهة"[٢]، وقال أيضًا فيمن قال بكراهة الاقتصار علىٰ الصلاة من غير تسليم: "فليس ذلك بمتأكّد، فإني لا أعلم أحداً نصّ علىٰ ذلك من العلماء ولا من غيرهم"[٣].

والتمس الأنصاري للناظم عذراً بقوله: "ولعلّه ذكره لفظًا"[٤]، وقال غيره بل يُكره تركه خطًا، فعلىٰ هذا لو ذكره خطًا لخرج عن عهدة الكراهة[٥].

الخلاصة:

إن هذا التعقب ليس في مكانه، فلم يرَ معظم العلماء حرمة ذلك ولا كراهته، وخاصة أن المقام مقام شعر واختصار، فهذا الإمام مسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقتصر علىٰ الصلاة دون السلام علىٰ النبي ﷺ في أول صحيحه، وإن كان الأكمل والأفضل الجمع بينهما.

ثانيًا: سكون السين في (لوسْطه).

قال ابن الجزري:

ثُـمَّ لأَقْصَـىٰ الحَـلْـقِ هَـمْـزٌ هَـاءُ ** ثُمَّ لِوَسْطِهِ فَعَيْنٌ حَاء [٦]

---

(١) انظر رسالة في بيان إفراد الصلاة عن السلام هل يكره أم لا، القاري، علي بن سلطان (ت١٠١٤هـ)، تحقيق محمد فاتح قايا، دار البشائر الإسلامية، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٩هـ، ٧-١٠.

(٢) المنح الفكرية، القاري، ١٥٦.

(٣) المرجع السابق، ١٥٧.

(٤) الدقائق المحكَمة في شرح المقدّمة، الأنصاري، ١٦.

(٥) الجواهر المضيّة، الفضالي، ٤٦٥

(٦) منظومة المقدمة فيما علىٰ قارئ القرآن أن يعلمه، ابن الجزري، ٢، البيت ١١.

قال الأزهري: "قول الناظم (لوسْطه) الرواية بإسكان السين لإقامة الوزن، وتحريكها هو الأفصح، إذ لم يصلح فيه (بين) بخلاف نحو وسط القوم –بإسكان السين– فإنه بالإسكان يصلح فيه (بين)، تقول: جلست وسْط القوم بإسكان السين، بخلاف وسَط الدار ونحوه"[(١)]، بفتح السين.

دراسة التعقب:

ذكر الإمام ابن الجزري في هذا البيت كلمة (لوسطه) بإسكان السين، ويرىٰ الأزهري أن تحريكها هو الأفصح، فتعقب الناظم لذلك.

وقال مُلا القاري: "ووسط الشيء محرّكة ما بين طرفيه كأوسطه، فإذا سكنت كانت ظرفـًا، أو همّـًا، فيما هو مصمت كالحلقة، فإذا كانت أجزاؤه متباينة فبالإسكان فقط، أو كل موضع صلح فيه بين فهو بالتسكين، وإلا فهو بالتحريك، (...) فقول الشارح [(٢)] في سكون السين هو لغة ضعيفة؛ ضعيف"[(٣)].

وعند الرجوع إلىٰ معاجم اللغة نجد فروقـًا كثيرة بين إسكان وتحريك السين في (وسط) منها: إذا كان الشيء مصمتـًا فوسط بالفتح، وإذا كانت أجزاؤه مخلخلة فهو بالإسكان، ومنها جلست وسط القوم بالسكون لأنه ظرف، وجلست وسط الدار بالتحريك لأنه اسم، ومنها ما كان يبين جزء من جزء فهو بالسكون مثل الحلقة من الناس والسبحة والعقد، وما كان مصمتـًا لا يبين جزء من جزء، فهو بالفتح مثل الدار وغيرها[(٤)].

---

(١) الطّرازات المعلّمة، الأزهري، ٩٦.

(٢) لعلّه يقصد الأزهري وغيره ممن ذكر هذا التعقب كالقسطلاني مثلاً، إذ هما متقدمان عليه وذكرا هذا التعقب.

(٣) باختصار من المنح الفكرية، القاري، ١٧٠.

(٤) الصحاح، الجوهري، إسماعيل بن حمّاد (ت٣٩٣هـ)، تحقيق أحمد عطّار، دار العلم، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٩٩٠م، ٣/ ١١٦٧، ومقاييس اللغة، ابن فارس، ٩٥٥، ولسان العرب، ابن منظور، ٧/ ٤٢٨-٤٨٨.

الخلاصة:

إن كثرة الفروق التي ذكرها علماء اللغة بينهما، تجعل الباب واسعـًا والجـزم في التفريـق بينهمـا صـعبـًا، ولعـلّ مـا ذهـب إليـه مـلا القـاري مـن احتمـال اللفظـين، هـو الأقرب للصواب، والله أعلم.

ثالثـًا: التضمين.

قال ابن الجزري:

ثُمَّ لأَقْصَىٰ الحَلْقِ هَمْزٌ هَاءُ ** ثُمَّ لِوَسْطِهِ فَعَيْنٌ حَاء

أَدْنَاهُ غَيْنٌ خَاؤُهَا، والْقَــافُ ** أَقْصَىٰ اللِّسَانِ فَوْقُ، ثُمَّ الْكَافُ[1].

وهو من أكثر ما تعقّب به الناظم، فقد ذكره صراحة في الأبيات: ١١، ٦٣، ٧٤، فقال: "وكان في البيت من جهة صنعة العـروض: التضـمين، وهـو إخـراج بقيـة معنىٰ الكلام في البيت الثاني"[2]، وذكره تمريضـًا في الأبيات: ١٢، ١٣، ١٦[3]، ولـم يـذكره في البيت: ٨٥، مع أن الناظم وقع فيه، ومعظم شرّاح القصيدة لم يذكروا هذا التعقب كالقسطلاني، وملا القاري، والفضالي، والأنصاري، وغيرهم.

دراسة التعقب:

ذكر الناظم في البيت الثاني: (أدناه غين خاؤها)، وهذا متعلق بالبيت الأول، وهو ما يسمىٰ في الشعر: التضمين، وهذا محل تعقب الأزهري، لأن التضمين من عيـوب الشعر عند معظم العلماء.

ولا يسـلّم أن التضـمين مـن عيـوب الشـعر، قـال ابـن الأثيـر: "وهـو عنـدي غيـر

(١) منظومة المقدمة فيما علىٰ قارئ القرآن أن يعلمه، ابن الجزري، ٢، البيتان: ١١، ١٢.

(٢) الطّرازات المعلّمة، الأزهري، ٩٧.

(٣) المرجـع السـابق، ٩٨، ١٠٠، وانظـر في تعريـف التضـمين: العقـد الفريـد، الأندلسـي، ابـن عبـد ربـه (ت٣٢٨هـ)، تحقيـق: محمـد سـعيد العريـان، دار الفكـر، بيـروت، د.ط، د.ت، ٥/ ٤٩٠، والموشـح، المرزباني، محمـد بـن عمـران(ت٣٨٤هـ)، تحقيـق علـي البجـاوي، دار نهضـة مصـر، القـاهرة، الطبعـة الأولىٰ، ١٣٨٥هـ، ٢٣، والقوافي، التنوخي، عبد الباقي بن عبد الله (ت٤٨٧هـ)، تحقيـق د. عـوني عبـد الرؤوف، مطبعة الحضارة العربية، مصر، الطبعة الثانية، ١٩٧٨م، ١٩٣.

معيب، لأنه إن كان سبب عيبه تعليق البيت الأول على الثاني، فليس ذلك بسبب يوجب عيباً، إذ لا فرق في ذلك بين الشعر والنثر، وقد ورد ذلك في القرآن الكريم"(١).

الخلاصة:

أن هذا التعقب صحيح، فالتضمين عيب في الشعر عند معظم العلماء(٢)، وإن لم يره بعضهم عيباً كابن الأثير، وإن كان يعتذر لابن الجزري بأن هذه منظومة علمية، فهو مقيّد بالمعلومة والقافية والاختصار، وغيرها من شروط وضوابط الفن (التجويد)، والشعر.

رابعاً: حذف بعض الكلمة.

قال ابن الجزري:

وَلْيَتَلَطَّفْ، وَعَلَىٰ اللهِ، وَلاَ الضْـ ** وَالْمِيمَ مِنْ مَخْمَصَةٍ وَمِنْ مَرَضْ (٣).

قال الأزهري: "وكذا لام (ولا) من (ولا الضـ) ومراده (ولا الضالين)، ولكنه لم يطعْه النظم"(٤).

دراسة التعقب:

ذكر الإمام ابن الجزري في هذا البيت، بعض الأمثلة للعناية بترقيق اللام لمجاورتها لحروف مفخمة، وذلك في (وليتلطّف) الكهف:١٩، (علىٰ الله) آل

---

(١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير، عز الدين الجزري الموصلي (ت٦٣٧هـ)، تحقيق د. أحمد الحوفي ود. بدوي طبانة، دار الرفاعي، الرياض، الطبعة الثانية، ١٩٨٣م، ٢/ ٢٣٥.

(٢) انظر الصناعتين –الكتابة والشعر، العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله (ت٣٩٥هـ)، تحقيق علي البجاوي ومحمد أبو الفضل، المكتبة العصرية، صيدا، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٦هـ، ٣٦، والعمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، القيرواني، الحسن بن رشيق (ت٤٥٦هـ)، تحقيق د. محمد قرقزان، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٨هـ، ٢/ ٨٤، والزيادة والإحسان في علوم القرآن، ابن عقيلة، محمد بن أحمد (ت١١٥٠هـ)، تحقيق فهد العندس ورفاقه، مركز تفسير للدراسات القرآنية، الرياض، الطبعة الثانية، ٢٠١٥م، ٦/ ٢٢٥.

(٣) منظومة المقدمة فيما علىٰ قارئ القرآن أن يعلمه، ابن الجزري، ٤، البيت ٣٦.

(٤) الطّرازات المعلّمة، الأزهري، ١٤٣.

عمران:١٥٩، (ولا الضالين) الفاتحة:٧، كما ذكر العناية بترقيق الميم إذا جاورت الراء المفخمة، أما محل تعقب الأزهري هنا، فهو في حذف بعض كلمة (الضالين)، كما صرّح بقوله: "ولكنه لم يطعه النظم"، فاكتفىٰ بقوله: (ولا الضـــ)، وإن كانت عبارة غيره في التعقب أكثر صراحة ووضوحـًا كما سيأتي.

وذهب أ.د غانم الحمد إلىٰ أن هذا النوع –حذف بعض الكلمة–، من الضرورات الشعرية التي لا تحط من فصاحة القصيدة وجماليتها(١).

ولا يخفىٰ أن الضرورة هي التي ألجأت الناظم لمثل هذا، قال مُلا القاري: "وإنما قطع المصنّف الكلمة للضرورة، وإلا فلا يجوز مثل هذا إلا في حالة الاضطرار لا في حالة الاختيار، ولا في الاختبار، لا قراءة ولا كتابة"(٢).

وعلّل الفضالي الوقف علىٰ الضاد بقوله: "وإنما وقف علىٰ الضاد الساكنة من (ولا الضالين)، لأنها بدل عن لام التعريف، كما وقف علىٰ لام التعريف مَن قال:

دعْ ذا وقدِّمْ ذا وألحقنا بذا ال (٣)،

وقيل لضرورة النظم" (٤).

الخلاصة:

أن هذا التعقب في مكانه، إذ أن تقطيع الكلمة لا يجوز اختياراً ولا اختباراً، قراءة ولا كتابة –كما ذكر القاري–، ولا يعذر الناظم هنا بضرورة الشعر أو ضيق المقام،

(١) انظر شرح المقدمة الجزرية، الحمد، ٨٢-٨٣، والعروض والقافية، السيد، د. عبد الرحمن السيد، مطبعة قاصد خير، القاهرة، د.ط، د.ت، ١٠٨-١١٢.

(٢) المنح الفكرية، القاري، ٢٠٣.

(٣) البيت لغيلان بن حريث، وتتمته: (بالشحم إنّا قد مللناه بجل)، وفي بعض المصادر: (وعجِّل) بدل (وقدِّم)، انظر: الكتاب، سيبويه، عمرو بن عثمان (ت١٨٠هـ)، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ، ٤/ ١٤٧، والمقتضب، المبرد، محمد بن يزيد (ت٢٨٥هـ)، تحقيق د. محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولىٰ، د.ت، ١/ ٨٤، ورصف المباني في شرح حروف المعاني، المالقي، أحمد بن عبد النور (ت٧٠٢هـ)، تحقيق د. أحمد الخرّاط، دار القلم، دمشق، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ، ٤١.

(٤) الجواهر المضيّة، الفضالي، ٥٤٨.

أو عدم إطالة المنظومة، فابن الجزري لم يقع فيه إلا في هذا الموطن، بمعنىٰ أن الضرورة ليست مُلحّة، والحاجة إليه ليست مُلجئة، فلو تخلّص منه لسلمت القصيدة كلها منه، ولو اضطر لزيادة بيت أو اختصار مثال.

خامسًا: السّناد .

قال ابن الجزري:

وَأَوَّلَيْ مِثْلٍ وَجِنْسٍ إنْ سَكَنْ ** أَدْغِمْ كَـ: قُل رَّبِّ، وَبَل لَّا، وَأَبِنْ [1].

وذكره الأزهري في ثلاثة مواضع: في اثنين منهما بلفظ الإقواء وذلك في البيت رقم ٥٠، ورقم ٦٢، فقال في الأول متعقّبًا: " ثم استثنىٰ الناظم من هذه القاعدة من المثلين، ما إذا كان الأول حرف مد ولين بقوله (وأبن) بقطع الهمزة، بمعنىٰ أظهِر، أي أبان الشيء: أي افصله وأظهره، ولو أتىٰ به الناظم فقال (وَاظْهِرَنْ) بوصل الهمزة من الاستفهام، لخلص من عيب الإقواء في علم القافية، وإن كان جائزاً عندهم"[2].

وقال في الموضع الثاني:

وأَظْهِرِ الْغُنَّةَ مِنْ نُونٍ وَمِنْ ** مِيْمٍ إِذَا مَا شُدِّدَا، وَأَخْفِيَنْ [3].

قال: "البيت فيه عيب وهو الإقواء، لكنه جائز علىٰ غير الأحسن، وفيه التضمين، وموقع بيان ذلك علم القوافي، والمُوقع للناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ذلك ضيق النظم والاختصار"[4].

وذكره في موضع ثالث من غير أن يذكر اسمه، وذلك في البيت:

وَلَيْسَ فِي الْقُرْآنِ مِنْ وَقْفٍ وَجَبْ ** وَلاَ حَرَامٍ غَيْرِمَا لَهُ سَبَبْ [5].

قال الأزهري: "قول الناظم (وجب) -بلفظ الماضي- هي النسخة التي ضبطناها عنه آخراً، وفي النسخ القديمة السابقة بصيغة المستقبل، والأول أحسن،

---

(١) منظومة المقدمة فيما علىٰ قارئ القرآن أن يعلمه، ابن الجزري، ٥، البيت ٥٠.

(٢) الطّرازات المعلّمة، الأزهري، ١٦٠.

(٣) منظومة المقدمة فيما علىٰ قارئ القرآن أن يعلمه، ابن الجزري، ٧، البيت ٦٢.

(٤) الطّرازات المعلّمة، الأزهري، ١٧٤.

(٥) منظومة المقدمة فيما علىٰ قارئ القرآن أن يعلمه، ابن الجزري، ٨، البيت ٧٨.

والثاني جائز، وقد عُلِم ما فيه من القافية وضعفه"[١].

دراسة التعقب:

تعقّب الأزهري علىٰ الناظم في الأبيات الثلاثة السابقة بما يسمّىٰ في العروض بالسّناد، إلا أن الأزهري ذكر في البيتين الأولين: أن الناظم وقع بعيب الإقواء، وهذا فيه إشكال، لأن الإقواء هو اختلاف حركة الروي المطلق، كأن تكون مرفوعة وتمّ كسرها[٢]، والروي في البيتين المذكورين هو حرف النون، وحرف النون ساكن فيها كلها، فحركة الروي ليست مختلفة، فلا يكون إقواءً، وإنما الاختلاف في الحركة واقع في الحرف الذي قبل حرف الروي، وهذا ما يسمىٰ بالسّناد، وهو كل عيب يحدث قبل الروي، كإرداف قافية، وتجريد أخرىٰ، واختلاف الحركات قبل الردف[٣]، وهو ما وقع فيه الناظم في البيت الثالث بإحدىٰ نسخ المنظومة، وذلك بلفظ (يجب) بكسر الجيم، وتعقبه الأزهري فيه.

وهذا ليس من العيوب الشعرية المتفق عليها، فبعض علماء الشعر لا يرونه عيبًا، قال الصّقلي: "وكان الخليل لا يجيز هذا النوع، وأجازه الأخفش وهو الصواب"[٤].

(١) الطّرازات المعلّمة، الأزهري، ٢٠٤، وانظر المنح الفكرية، القاري، ٢٨٦.

(٢) انظر القوافي، الأخفش، سعيد بن مسعدة (ت٢١٥هـ)، تحقيق عزة حسن، مطبعة وزارة الثقافة، دمشق، الطبعة الأولىٰ، ١٩٧٠م، ٤١، والشافي في علم القوافي، ابن القطاع الصّقلّي، أبو القاسم بن جعفر (ت٥١٥هـ)، تحقيق د. صالح العايد، دار إشبيلية، الرياض، الطبعة الأولىٰ، ١٩٩٨م، ٧٩، والموشّح، المرزباني، ١١، وخالف في هذا أبو عبيدة والقاسم بن سلام والقزاز القيرواني، فجعلوا الإقواء: نقصان حرف من الفاصلة، انظر الموجز في علم القوافي، الأنباري، عبد الرحمن بن محمد (ت٥٧٧هـ)، تحقيق عبد الهادي هاشم، مجلة مجمع اللغة العربية، دمشق، مجلد ٣١، ١٩٥٦م، ٥٦، والشافي في علم القوافي، ابن القطاع الصقلي، ٧٩.

(٣) انظر العقد الفريد، ابن عبد ربه، ٥/ ٤٨٩، والعمدة، ابن رشيق، ١/ ٣١٧، واختلف العلماء في تعريفه، فقال الزجاجي: "هو كل عيب يلحق بالقافية، ما خلا الإقواء والإكفاء والإبطاء"، وعرّفه الرماني بأنه: "اختلاف ما قبل الروي أو بعده علىٰ أي وجه كان بحركة أو بحرف"، انظر الشافي في علم القوافي، ابن القطاع الصقلي، ٩٠-٩٦.

(٤) الشافي في علم القوافي، ابن القطاع الصقلي، ٩٤، وانظر العمدة، ابن رشيق، ١/ ٢٩٨.

الخلاصة:

هذا التعقب من باب ذكر الأحسن، وإلا فقد أشار الأزهري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في البيت الأول إلىٰ أنه: (جائز عندهم)، وفي البيت الثاني قال: (جائز علىٰ غير الأحسن)، وفي البيت الثالث قال: (الأول: أحسن، والثاني: جائز)، فيُلتمس العذر للناظم، بأن هذا جائز عند كثير من علماء الشعر.

سادسًا: سكون فاء (ظفْر)

قال ابن الجزري:

ظَاهِرْ، لَظَىٰ، شُوَاظُ، كَظْمٍ، ظَلَمَا ** اغْلُظْ، ظَلامَ، ظُفْرٍ، انْتَظِرْ، ظَمَا [(١)].

قال الأزهري: "سكّن الناظم الفاء علىٰ اللغة غير الفصيحة لإقامة الوزن"[(٢)].

دراسة التعقب:

ذكر الناظم في هذا البيت عشر كلمات فيها حرف الظاء، مما ورد في القرآن الكريم، وذلك في سياق حصر الكلمات القرآنية التي فيها حرف الظاء، ومن تلكم الكلمات (ظفر)، وقد ذكرها الناظم بسكون الفاء، وهذا ما جعل الأزهري يتعقب علىٰ الناظم علىٰ اعتبار أن سكون الفاء فيها لغة غير فصيحة عند الأزهري، وقد وردت في القرآن الكريم بضمها في القراءات المتواترة.

وقال ملا القاري: "وأما الظفر: بضمتين، ويجوز إسكان الفاء لغة، وقُرِء بها شاذاً[(٣)]، (...) وسكّن الناظم الفاء في (ظفر) ضرورة، لأنه وقع في القرآن بضم الفاء، وقال الرومي: أو لم يقصد ذكرها في القرآن بعينه، بل قصد الإشارة إلىٰ ذلك، وبعده لا يخفىٰ"[(١)].

---

(١) منظومة المقدمة فيما علىٰ قارئ القرآن أن يعلمه، ابن الجزري، ٦، البيت ٥٤.

(٢) الطّرازات المعلّمة، الأزهري، ١٦٦.

(٣) قرأ بها ساكنة: أبي والحسن والأعرج والأعمش، وهو تخفيف من المثقّل وهو لغة، انظر القراءات الشاذة، ابن خالويه، الحسين بن أحمد (ت٣٧٠هـ)، تحقيق محمد الشعباني، دار الصحابة، طنطا، الطبعة الأولىٰ، ٢٠٠٠م، ٧٢، وإعراب القراءات الشواذ، العكبري، عبد الله بن الحسين (ت٦١٦هـ)، تحقيق محمد عزوز، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٩٩٦م، ١/ ٥٤٥، ومعجم القراءات، الخطيب، د. عبد اللطيف، دار سعد الدين، دمشق، الطبعة الأولىٰ، ٢٠٠٢م، ٢/ ٥٧٨-٥٧٩.

(١) باختصار من المنح الفكرية، القاري، ٢٣٤- ٢٣٥، وانظر الجواهر المضيّة، الفضالي، ٥٩٣.

بل إن احتمال قصد الإشارة إليها كبير، ولا مانع من ذلك، فقد أشار الناظم إلىٰ الكلمات القرآنية في هذه المنظومة كثيراً، خاصة في هذا الباب -الضاد والظاء-، لأن الإتيان بنفس الكلمة القرآنية في نظم مختصر، فيه من المشقّة ما لا يخفىٰ، وأكتفي بمثال واحد من نفس هذا البيت، وهو قوله (ظاهر) في أول كلمة في البيت، أراد بها: كل ما اشتُقّ من (ظهر)، كلفظة ظاهر، تظاهرا، وغيرهما كثير[1]، فلم يأتِ بكل لفظة كما وردت في القرآن، فلمَ الاعتراض هنا؟.

الخلاصة:

هـذا التعقب في غير مكانه، إذ إن الضمة والسكون في الكلمة هنا لغتان صحيحتان[2]، وإن لم يُقرأ بالسكون في المتواتر، لكنه ثابت في لغة العرب ومقروء به في الشاذ، ولا يخفىٰ أن القراءات المتواترة لم تجمع كل ما صحّ في لغة العرب.

سابعـًا: الصلاة علىٰ آل النبي ﷺ

قال ابن الجزري:

وَالحَمْدُ للهِ لَهَـا خِتَـــامُ ** ثُمَّ الصَّـلاَةُ بَعْدُ وَالسَّـلاَمُ [3].

قال الأزهري: "ولم يُطع الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ، أن يصلي علىٰ آله وصحبه لضيق المقام، وطلبًا للاختصار، مع قصده لذلك، وعظيم الاهتمام، وقد كمّلتها ببيت في ذلك فتمّ النظام، فقلت:

علىٰ النبي المصطفىٰ المختار ** وآله وصحبه الأطهار "[4].

دراسة التعقب:

ذكر الإمام ابن الجزري في هذا البيت-وهو آخر أبيات المنظومة-: الصلاة

---

(١) ورد الأصل (ظهر) أكثر من خمسين مرة في القرآن الكريم بصيغ مختلفة: منها: ظاهر، تظاهرا، ظاهراً، ظهرها...

(٢) انظر مقاييس اللغة، ابن فارس، ٥٢٥، ولسان العرب، ابن منظور، ٤/ ٥٩٦-٥٩٧.

(٣) منظومة المقدمة فيما علىٰ قارئ القرآن أن يعلمه، ابن الجزري، ١١، البيت ١٠٧.

(٤) الطّرازات المعلّمة، الأزهري، ٢٤٥.

والسلام، ولم يحدد المتعلّق بهما، فتعقبه الأزهري بأنه لم يصلِّ علىٰ آل الرسول ﷺ وصحبه، وعلل ذلك بضيق المقام، وطلباً للاختصار، والمتأمل في البيت يلحظ أن الناظم لم يذكر المتعلق بالصلاة والسلام، لتدل علىٰ العموم للنبي وآله وصحبه، وقد أوضح هذا المعنىٰ طاش كبري زاده بقوله: "وإنما لم يذكر متعلق الصلاة والسلام، لتعيّن كون الصلاة علىٰ النبي، عليه الصلاة والسلام والتحية والإكرام"[١].

أما الفضالي فقد التمس عذراً آخراً للناظم فقال: "ولم يذكر الناظم الصلاة علىٰ الآل والصحب، استغناءً بما ذكره أولاً، وطلباً للاختصار"[٢]، ويرد عليه بما بيّن في دراسة التعقب، بأن الناظم لم يذكر لفظ النبي أيضاً.

الخلاصة:

إن هذا التعقّب إنما هو من باب ذكر الأكمل والأتم، في حال لو ذكر الناظم لفظ النبي في البيت، أما وأنه لم يذكر لفظ النبي فتفيد الصلاة والسلام هنا العموم للنبي وآله وصحبه، لذا لا يلزم الناظم به، خاصة أنه ذكره في أول المنظومة -كما اعتذر الفضالي له-، أما زيادة بيت من أجل ذلك كما فعل الأزهري، ففيه إطالة للمنظومة وإخراجها عن بابها، فما ذكره الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ هنا كافٍ، لضيق المقام، وطلباً للاختصار.



(١) شرح المقدمة الجزرية، طاش كبري زاده، ٣١٥.

(٢) الجواهر المضيّة، الفضالي، ٧١٠.

الخاتمة

الحمـد لله الـذي وفقنـي لإتمـام هـذا البحـث، والـذي خرجـت فيـه بالنتـائج والتوصيات الآتية:

النتائج:

١- بلغت تعقبات الأزهري في الطّرازات المعلّمة علىٰ المقدمة الجزرية، تسعة عشر تعقبًا -من غير المكرر-، وأما مع المكرر فقد بلغت التعقبات سبعة وعشرين تعقبًا.

٢- تدور تعقبات الأزهري حول الناحية العلمية -التجويدية- وهي أكثرها، ثم الناحية اللغوية والشعرية، ثم الناحية الشرعية مثل جمع الصلاة والسلام علىٰ النبي ﷺ، وكذا الصلاة علىٰ آل النبي ﷺ.

٣- الأزهري أحيانًا يعتذر للناظم عند التعقب عليه، ويبرِّر له الوقوع في تلكم المآخذ، وذلك في عشر مرات، وأحيانًا لا يعتذر للناظم ولا يبرر له، وذلك في تسع مرات أخرىٰ.

٤- الأزهري في تعقباته غالبًا لا يذكر البديل في النظم عن ما ذكره الناظم، وذلك في أربعة عشر تعقبًا، وأحيانًا يذكر البديل إما بنظم بيت آخر، أو تبديل كلمة بأخرىٰ، أو حرف بغيره من نفس نظم ابن الجزري، وذلك في خمسة تعقبات فقط.

٥- معظم تعقبات الأزهري ذكرها غيره من الشرّاح، وقد بلغت خمسة عشر تعقبًا، وبعضها لم تذكر عند غيره وذلك في أربعة تعقبات فقط.

٦- معظم تعقبات الأزهري في مكانها، وهي استدراكات نافعة علىٰ المنظومة، وذلك في اثني عشر تعقّبًا، وبعضها في غير مكانه، وفيها لزوم ما لا يلزم، والصواب فيها أقرب للناظم وما نظم، وذلك في سبعة تعقبات.

٧- المقدمة الجزرية فيها نوع من الغموض في باب المقطوع والموصول، بحيث من العسير علىٰ القارئ، أن يفهم الباب دون الرجوع إلىٰ مصادر أخرىٰ، لذا كثرت التعقبات في هذا الباب.

٨- التزم الأزهري الأخلاق العلمية وأخلاق العلماء في تعقباته، فلم ترد منه أي كلمة أو إشارة لا تليق بمكانة عالم، أو خلق فاضل، كما قد يقع من بعض العلماء - غفر الله لهم-.

٩- يُعتَبر كتاب الطّرازات المعلّمة من أهم وأقدم شروح المقدمة الجزرية، وهو حافل بالنكات العلمية، والتعليلات، والترجيحات.

١٠- التعقبات العلمية لا تنقص من شأن المتعقّب عليه، بل في الغالب ترفع مكانته، وتخلّص وتصوِّب عمله.

أما أبرز التوصيات فهي:

١- ضرورة التخلق بأخلاق العلماء الكبار في التعقبات العلمية.

٢- دراسة تعقبات شارحي المقدِّمة الجزرية الآخرين، خاصة القدامىٰ منهم، ففي دراسة التعقبات فوائد كثيرة.

٣- توجيه الطلاب إلىٰ قراءة كتب السلف في علوم الشريعة عموماً، وفي علوم القرآن والتجويد خصوصاً، ففيها من الخير أكثره ومن النفع أعظمه.

٤- تدريب الطلاب علىٰ مهارة التعقّب علىٰ الكتب العلمية القيّمة، وذلك مع التزام أخلاق طلبة العلم.



المصادر والمراجع

١ - **إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين**، الزبيدي، محمد مرتضىٰ (ت١٢٠٥هـ)، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولىٰ، د.ت.

٢ - **أحكام قراءة القرآن الكريم**، الحصري، محمود خليل (ت١٤٠١هـ)، تحقيق محمد طلحة، جماعة تحفيظ القرآن الكريم، مكة المكرّمة، الطبعة الأولىٰ، ١٩٩٥م.

٣- **استدراكات السلف في التفسير في القرون الثلاثة الأولىٰ**، الزهراني، نايف بن سعيد، دار ابن الجوزي، الطبعة الأولىٰ، ١٤٣٠هـ.

٤ - **إعراب القراءات الشواذ**، العكبري، عبد الله بن الحسين (ت٦١٦هـ)، تحقيق محمد عزوز، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٩٩٦م.

٥ - **الأعلام**، الزركلي، خير الدين (ت١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة السابعة، ١٩٨٦م.

٦- **إنباء الغمر بأبناء العمر**، ابن حجر، أحمد بن علي (ت٨٥٢هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ.

٧- **إيضاح المكنون في الذيل علىٰ كشف الظنون**، البغدادي، إسماعيل باشا (ت١٣٣٩هـ)، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٢هـ.

٨- **إيضاح الوقف والابتداء**، الأنباري، محمد بن القاسم (ت٣٢٨هـ)، تحقيق محي الدين رمضان، مجمع اللغة العربية، دمشق، د.ط، ١٩٧١م.

٩- **البحر المحيط في أصول الفقه**، الزركشي، محمد بن عبد الله (ت ٧٩٤هـ)، دار الكتبي، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٤هـ.

١٠- **البديع في رسم مصاحف عثمان**، الجهني، محمد بن يوسف (ت٤٤٢هـ)، تحقيق أ.د. سعود الفنيسان، دار إشبيلية، الرياض، الطبعة الأولىٰ، ١٩٩٨م.

١١- **تاج العروس**، الزبيدي، محمد مرتضىٰ (ت ١٢٠٥هـ)، مكتبة الحياة، د.ط، د.ت.

١٢- **تعقبات الحافظ مغلطاي في كتابه (إكمال تهذيب الكمال) علىٰ الإمام الدارقطني**، دحام، د. أحمد حامد، الجامعة العراقية، كلية العلوم الإسلامية، د.ت، العدد ٣٨/ ١.
١٣- **التمهيد في علم التجويد**، ابن الجزري، محمد بن محمد (ت٨٣٣هـ)، تحقيق د. علي البواب، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولىٰ، ١٩٨٥م.
١٤- **تهذيب اللغة**، الأزهري، محمد بن أحمد (ت ٣٧٠هـ)، تحقيق محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ٢٠٠١م.
١٥- **جهد المقل**، المرعشي، محمد بن أبي بكر (ت١١٥٠هـ)، تحقيق د. سالم قدوري، دار عمّار، عمّان، الطبعة الأولىٰ، ٢٠٠١م.
١٦- **الجواهر المضيّة علىٰ المقدمة الجزرية**، الفضالي، سيف الدين بن عطاء الله (ت١٠٢٠هـ)، تحقيق عبد الرحيم الطرهوني (مطبوع ضمن كتاب هداية المريد إلىٰ شروح متن ابن الجزري)، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولىٰ، ٢٠٠٨م.
١٧- **الحواشي المفهمة في شرح المقدمة**، ابن الناظم، أحمد بن محمد (ت٨٢٧هـ)، تحقيق فرغلي عرباوي، مكتبة أولاد الشيخ للتراث، القاهرة، الطبعة الأولىٰ، ٢٠٠٦م.
١٨- **الدراسات الصوتية عند علماء التجويد**، الحمد، د. غانم قدوري، مطبعة الخلود، بغداد، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٦هـ.
١٩- **دروس مهمّة في شرح الدقائق المحكَمة في شرح المقدّمة الجزرية**، لاشين، سيد لاشين (ت١٤٣٢هـ)، مكتبة دار الزمان، المدينة النبوية، الطبعة الرابعة، ٢٠١١م.
٢٠- **الدقائق المحكمة في شرح المقدمة**، الأنصاري، زكريا بن محمد (ت٩٢٦هـ)، مكتبة الإرشاد، صنعاء، د.ط، ١٩٩٠م.
٢١- **دليل الحيران شرح مورد الظمآن في رسم ضبط القرآن**، المارغني، إبراهيم بن

أحمد (ت١٣٤٩هـ)، تحقيق: محمد قمحاوي، مكتبة الكليات الأزهرية، مصر، د.ط، د.ت.

٢٢- **رسالة في بيان إفراد الصلاة عن السلام هل يكره أم لا**، القاري، علي بن سلطان (ت١٠١٤هـ)، تحقيق محمد فاتح قايا، دار البشائر الإسلامية، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٩هـ.

٢٣- **رصف المباني في شرح حروف المعاني**، المالقي، أحمد بن عبد النور (ت٧٠٢هـ)، تحقيق د. أحمد الخرّاط، دار القلم، دمشق، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ.

٢٤- **الزيادة والإحسان في علوم القرآن**، ابن عقيلة، محمد بن أحمد (ت١١٥٠هـ)، تحقيق فهد العندس ورفاقه، مركز تفسير للدراسات القرآنية، الرياض، الطبعة الثانية، ٢٠١٥م.

٢٥- **السبعة في القراءات**، ابن مجاهد، أحمد بن موسىٰ (ت٣٢٤هـ)، تحقيق جمال شرف، دار الصحابة، طنطا، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٨هـ.

٢٦- **الشافي في علم القوافي**، ابن القطاع الصّقلّي، أبو القاسم بن جعفر (ت٥١٥هـ)، تحقيق د. صالح العايد، دار إشبيلية، الرياض، الطبعة الأولىٰ، ١٩٩٨م.

٢٧- **شذا العرف في فن الصرف**، الحملاوي، أحمد بن محمد (ت ١٣١٥هـ)، مراجعة وشرح حجر عاصي، دار الفكر العربي، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٩٩٩م.

٢٨- **شذرات الذهب في أخبار مَن ذهب**، ابن العماد، عبد الحي (ت١٠٨٩هـ)، دار السيرة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ.

٢٩- **شرح صحيح مسلم**، النووي، يحيىٰ بن شرف (ت٦٧٦هـ)، دار القلم، بيروت، الطبعة الأولىٰ، د.ت.

٣٠- **شرح المقدمة الجزرية**، الحمد، أ.د. غانم قدوري، دار الغوثاني للدراسات

القرآنية، دمشق، الطبعة الثانية، ١٤٣٨هـ.
٣١- **شرح المقدّمة الجزرية**، الدوسري، أ.د إبراهيم بن سعيد، دار الحضارة، الرياض، الطبعة الثانية، ٢٠٠٦م.
٣٢- **شرح المقدمة الجزرية**، طاش كبري زاده (ت٩٦٨هـ)، تحقيق د. محمد سيدي الأمين، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، ١٤٢١هـ.
٣٣- **الصحاح**، الجوهري، إسماعيل بن حمّاد (ت٣٩٣هـ)، تحقيق أحمد عطّار، دار العلم، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٩٩٠م.
٣٤- **صحيح البخاري**، البخاري، محمد بن إسماعيل (ت٢٥٦هـ)، المطبعة السلفية، القاهرة، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٠هـ.
٣٥- **الصناعتين –الكتابة والشعر–**، العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله (ت٣٩٥هـ)، تحقيق علي البجاوي ومحمد أبو الفضل، المكتبة العصرية، صيدا، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٦هـ.
٣٦- **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، السخاوي، محمد بن عبد الرحمن (ت٩٠٢هـ)، دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ط، د.ت.
٣٧- **طبقات الحفاظ**، السيوطي، جلال الدين(ت٩١١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٣هـ.
٣٨- **طبقات المفسرين**، الداوودي، محمد بن علي (ت٩٤٥هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٣هـ.
٣٩- الطّرازات **المعلّمة في شرح المقدِّمة**، الأزهري، عبد الدائم بن علي (ت٨٧٠هـ)، تحقيق عبد الرحيم الطرهوني (مطبوع ضمن كتاب هداية المريد إلىٰ شروح متن ابن الجزري)، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولىٰ، ٢٠٠٨م.
٤٠- **الطّرازات المعلّمة في شرح المقدّمة**، الأزهري، عبد الدائم بن علي (ت

٨٧٠هـ)، تحقيق د. نزار خورشيد عقراوي، دار عمّار، عمّان، الطبعة الأولىٰ، ٢٠٠٣م.
٤١ – **العروض والقافية**، السيد، د. عبد الرحمن السيد، مطبعة قاصد خير، القاهرة، د.ط، د.ت.
٤٢ – **العقد الفريد**، الأندلسي، ابن عبد ربه (ت٣٢٨هـ)، تحقيق: محمد سعيد العريان، دار الفكر، بيروت، د.ط، د.ت.
٤٣ – **عقيلة أتراب القصائد**، الشاطبي، القاسم بن فيرة (ت٥٩٠هـ)، تحقيق د. أيمن سويد، دار نور المكتبات، جدة، الطبعة الأولىٰ، ٢٠٠١م.
٤٤ – **العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده**، القيرواني، الحسن بن رشيق (ت٤٥٦هـ)، تحقيق د. محمد قرقزان، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٨هـ.
٤٥ – **غاية النهاية في طبقات القرّاء**، ابن الجزري، محمد بن محمد (ت٨٣٣هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٢هـ.
٤٦ – **القراءات الشاذة**، ابن خالويه، الحسين بن أحمد (ت٣٧٠هـ)، تحقيق محمد الشعباني، دار الصحابة، طنطا، الطبعة الأولىٰ، ٢٠٠٠م.
٤٧ – **القوافي**، الأخفش، سعيد بن مسعدة (ت٢١٥هـ)، تحقيق عزة حسن، مطبعة وزارة الثقافة، دمشق، الطبعة الأولىٰ، ١٩٧٠م.
٤٨ – **القوافي**، التنوخي، عبد الباقي بن عبد الله (ت٤٨٧هـ)، تحقيق د. عوني عبد الرؤوف، مطبعة الحضارة العربية، مصر، الطبعة الثانية، ١٩٧٨م.
٤٩ – **القوافي**، الحميري، نشوان بن سعيد (ت٥٧٣هـ)، تحقيق، محمد عزيز، الدار السلفية، بومباي، الطبعة الأولىٰ، ١٩٧٠م.
٥٠ – **الكتاب**، سيبويه، عمرو بن عثمان (ت١٨٠هـ)، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ.
٥١ – **كتاب المصاحف**، السجستاني، ابن أبي داود عبد الله بن الأشعث

(ت٣١٦هـ)، تحقيق محمد بن عبده، مكتبة الفاروق الحديثة، القاهرة، الطبعة الأولىٰ، ٢٠٠٢م.

٥٢- **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، حاجي خليفة، مصطفىٰ بن عبد الله (ت١٠٦٧هـ)، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٢هـ.

٥٣- **لسان العرب**، ابن منظور، محمد بن مكرم (ت٧١١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ٢٠٠٣م.

٥٤- **اللآلئ السنية شرح المقدّمة الجزرية**، القسطلاني، أحمد بن محمد (ت٩٢٣هـ)، تحقيق عبد الرحيم طرهوني (مطبوع ضمن كتاب هداية المريد إلىٰ شروح متن ابن الجزري)، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولىٰ، ٢٠٠٨م.

٥٥- **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**، ابن الأثير، عز الدين الجزري الموصلي (ت٦٣٧هـ)، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة الوطنية، د.ط، د.ت.

٥٦- **المحكم والمحيط الأعظم**، المرسي، علي بن إسماعيل (ت ٤٥٨هـ)، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢١ه.

٥٧- **مختصر التبيين لهجاء التنزيل**، أبو داود، سليمان بن نجاح (ت٤٩٦هـ)، تحقيق د. أحمد شرشال، مجمع الملك فهد مع مركز الملك فيصل، المدينة النبوية، د.ط، ٢٠٠٢م.

٥٨- **مرسوم الخط**، الأنباري، محمد بن القاسم (ت٣٢٨هـ)، تحقيق امتياز عرشي، د.ن، الطبعة الأولىٰ، ١٩٧٧م.

٥٩- **معجم الرسم العثماني**، الحميري، د. بشير بن حسن، مركز تفسير للدراسات القرآنية، الرياض، الطبعة الأولىٰ، ٢٠١٥م.

٦٠- **معجم القراءات**، الخطيب، د. عبد اللطيف، دار سعد الدين، دمشق، الطبعة الأولىٰ، ٢٠٠٢م.

٦١- **معجم المؤلفين**، كحّالة، عمر رضا (ت١٤٠٨هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولىٰ، د.ت.
٦٢- **مقاييس اللغة**، ابن فارس، أحمد بن فارس (ت٣٩٥هـ)، مراجعة أنس الشامي، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولىٰ، ٢٠٠٨م.
٦٣- **المقتضب**، المبرد، محمد بن يزيد (ت٢٨٥هـ)، تحقيق د. محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولىٰ، د.ت.
٦٤- **المقنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار**، الداني، عثمان بن سعيد (ت٤٤٤هـ)، تحقيق محمد دهمان، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولىٰ، ١٩٨٣م.
٦٥- **المنح الفكرية شرح المقدّمة الجزرية**، القاري، مُلّا علي بن سلطان (ت١٠١٤هـ)، تحقيق عبد الرحيم الطرهوني (مطبوع ضمن كتاب هداية المريد إلىٰ شروح متن ابن الجزري)، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولىٰ، ٢٠٠٨م.
٦٦- **منظومة المقدمة فيما يجب علىٰ قارئ القرآن أن يعلمه**، ابن الجزري، محمد ابن محمد (ت٨٣٣هـ)، تحقيق: أيمن سويد، دار نور المكتبات، جدة، الطبعة الرابعة، ٢٠٠٦م.
٦٧- **المنير في أحكام التجويد**، شكري، أ.د أحمد خالد ورفاقه، المطابع المركزية، عمّان، الطبعة الثانية والعشرون، ٢٠١٣م.
٦٨- **الموجز في علم القوافي**، الأنباري، عبد الرحمن بن محمد (ت٥٧٧هـ)، تحقيق عبد الهادي هاشم، مجلة مجمع اللغة العربية، دمشق، مجلد ٣١، ١٩٥٦م.
٦٩- **مورد الظمآن في رسم القرآن**، الخرّاز، محمد بن محمد بن إبراهيم (ت٧١٨هـ)، تحقيق د. أشرف طلعت، دار السلام، طباعة جامعة بروني، الطبعة الأولىٰ، ٢٠٠٢م.

٧٠- **الموشح**، المرزباني، محمد بن عمران(ت٣٨٤هـ)، تحقيق علي البجاوي، دار نهضة مصر، القاهرة، الطبعة الأولىٰ، ١٣٨٥هـ.

٧١- **النجوم الطوالع علىٰ الدرر اللوامع في أصل مقرئ الإمام نافع**، المارغني، إبراهيم بن أحمد (ت١٣٤٩هـ)، دار الفكر، بيروت، د.ط، ١٩٩٥م.

٧٢- **النشر في القراءات العشر**، ابن الجزري، محمد بن محمد (ت٨٣٣هـ)، تحقيق: أ.د السالم الشنقيطي، مجمع الملك فهد، المدينة النبوية، الطبعة الأولىٰ، ١٤٣٥هـ.

٧٣- **هجاء مصاحف الأمصار**، المهدوي، أحمد بن عمّار (ت٤٣٠هـ)، تحقيق محي الدين رمضان، مجلة معهد المخطوطات العربية، المجلّد ١٩، العدد١، الطبعة الأولىٰ، ١٩٧٣م.

٧٤- **هداية القاري إلىٰ تجويد كلام الباري**، المرصفي، عبد الفتاح السيد (ت١٤٠٩هـ)، مكتبة طيبة، المدينة النبوية، الطبعة الثانية، د.ت.

٧٥- **الوافي في شرح الشاطبية**، القاضي، عبد الفتاح بن عبد الغني (ت١٤٠٣هـ)، دار السلام، القاهرة، الطبعة الثانية، ٢٠٠٤م.

٧٦- **الوسيلة إلىٰ كشف العقيلة**، السخاوي، علي بن محمد (ت٦٤٣هـ)، تحقيق د. مولاي الإدريسي، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الثانية، ٢٠٠٥م.



خِطابُ التَّهْييج فِي القُرآن الكَريمِ
دِراسَةٌ مَوْضُوعِيَّةٌ

إعداد

د. عمر بن عبد العزيز بوريني

أستاذ التفسير وعلوم القرآن المشارك بجامعة طيبة

المملكة العربية السعودية – المدينة المنورة

ملخص البحث

الحمدُ لله ربِّ العالَمين، والصلاةُ والسلامُ علىٰ نبيِّنا محمدٍ، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين، أمّا بعْد:

فهذا مُلخَّصُ بحثٍ بعنوان (**خِطابُ التَّهْييجِ في القرآنِ الكريم: دراسة موضوعية**). مقدّم من الباحث: عمر عبد العزيز محمد بوريني، الأستاذ المشارك في التفسير وعلوم القرآن بجامعة طيبة.

الكلمات المفتاحية: خطاب، التهييج، القرآن، الكريم.

قسمتُ البحث إلىٰ ثلاثة مباحث، تناولت في المبحث الأول: مفهوم خطاب التهييج في القرآن ومسمّياته وأهمّيّته. والمبحث الثاني: جعلته للحديث عن أساليبه. أما المبحث الثالث: فجاء لبيان الأغراض البيانيّة لخطاب التهييج.

تهدف هذه الدراسة إلىٰ تحقيق جملة من الأهداف من أهمها: بيان مفهوم خطاب التهييج، وأهمّيته، وأساليبه، وإظهار صور الإعجاز القرآني من خلال بيان أغراض خطاب التهييج البيانية.

تقوم الدراسة علىٰ المنهج الاستقرائي الاستنباطي، من خلال تتبع الآيات التي اشتملت علىٰ خطاب التهييج، ودراستها من كتب التفسير وعلوم القرآن، لاستنباط أساليب خطاب التهييج وأغراضه البيانية منها.

خلصت الدراسة إلىٰ مجموعة من النتائج أبرزها: وضْع مفهومٍ لخطاب التهييج في القرآن حيث يُقْصَدُ به "كَلامُ اللهِ تَعالىٰ في القُرآنِ الكَريمِ الموَجَّهُ للمُكَلَّفين علىٰ جِهَة الطَّلَبِ بِأساليبَ مَخْصُوصَةٍ لِتَحْرِيكِ نُفُوسِهِم وَحَثِّها وَبَعْثها علىٰ الاسْتِجابةِ لَه". ومنها: أن خطاب التهييج في القرآن الكريم جاء علىٰ أساليبَ عَديدةٍ، لتحقيق أغراض بيانيّة متنوعة، يُحَدِّدُها السِّياق والأسلوب الوارد عليه هذا الخطاب.

وخرجت الدراسة بجملة من التوصيات أهمها: ضرورة العناية بالخطاب القرآني، لما فيه من أساليب متنوعة، وأغراض بيانية بديعة. وضرورة العناية بخطاب التهييج في القرآن، ودراسته دراسة مقارنة بين النحويين والبلاغيين والمفسرين والباحثين في علوم القرآن، حيث لم يأخذ هذا الخطاب كفايته من الدراسة والبحث.

مقدمة

الحمدُ لله الذي أنزل القرآنَ الكريمَ بِوُجوهٍ مِنَ الخِطاباتِ مُتَعَدِّدَة، وجَعَلها علىٰ أساليبَ وفنونٍ في الكلام مُتَفرِّدَة، والصلاةُ والسلامُ علىٰ نبيِّنا محمدٍ، صاحِبِ المعْجِزةِ الخالدَة، والشَّفاعَةِ العُظمَىٰ والحوضِ لِأُمَّتِهِ الوارِدَة، أمّا بعْد:

فقد ورد الخطاب في القرآن الكريم علىٰ وجوهٍ عَديدة، وأساليبَ فَريدة، وكُلُّ خطابٍ جاء لأغراض بيانيّة، يُحَدِّدُها السِّياق والأسلوب الوارد عليه هذا الخطاب.

ولعلَّ أوَّل مَن تكلَّم في أنواع الخطاب في القرآن الكريم هو الإمام ابن الجوزي[1] المتوفىٰ سنة (٥٩٧هـ) في كتابه (المدهش)، حيث ذكر خمسةَ عشرَ نوعًا من خطابات القرآن، ولم يذكر بينها خطاب التهييج.

ثم جاء الإمام الزركشي[2] المتوفىٰ سنة (٧٩٤هـ)، وتوسّع في بيان أنواع الخطاب في القرآن، حيث ذكر في كتابه (البرهان في علوم القرآن) أكثر من ثلاثين نوعًا من وجوه خطابات القرآن الكريم، وهو أوّل من أضاف إليها خطاب التهييج.

ثم تابعه في ذلك الإمام السيوطي[3] المتوفىٰ سنة (٩١١هـ) في كتابه (الإتقان في علوم القرآن)، حيث نقل وجوه الخطابات عن الإمام الزركشي مع بعض الاختلافات اليسيرة.

وجميع هؤلاء الأئمة لم يعرِّفوا بخطابات القرآن، ولم يذكروا أساليبها، ولم يوضِّحوا أغراضها البيانية، وإنما اكتفوا بذكر نوع الخطاب مع التمثيل علىٰ كل نوع

(١) ينظر: المدهش، ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت٥٩٧هـ)، تحقيق الدكتور مروان قباني، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ، ص١٥.

(٢) ينظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت٧٩٤هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسىٰ البابي الحلبي وشركائه، الطبعة الأولىٰ، ١٣٧٦هـ، ٢/ ٢١٧ وما بعدها.

(٣) ينظر: الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ)، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ، ٣/ ١٠٩ وما بعدها.

بآيات من القرآن الكريم.

أما خطاب التهييج عند المفسرين، فقد تعددتْ عباراتُهم فيه، واختلفتْ مسمَّياتُهم عليه[١]، وتفاوَتوا في نِسبة الإشارةِ إليه، وتكلّموا علىٰ أساليبه وأغراضه البيانية، تارةً بِصُورةٍ خَفِيّة وأخرىٰ جَلِيّة.

لذا جاءت هذه الدراسة بعنوان (خطاب التهييج في القرآن الكريم: دراسة موضوعية)، لتعطي تصّورًا عن هذا النوع من الخطاب، من حيث: مفهومه، ومسمَّياته، وأهميته، وأساليبه، وأغراضه البيانية.

أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلىٰ تحقيق جملة من الأهداف، أهمها:

١- بيان مفهوم خطاب التهييج.

٢- بيان أهمية خطاب التهييج.

٣- بيان أساليب خطاب التهييج في القرآن الكريم.

٤- إظهار صور الإعجاز القرآني من خلال بيان الأغراض البيانية لخطاب التهييج في القرآن الكريم.

الدراسات السابقة:

لم أقف – فيما بحثتُ- علىٰ دراسة تناولت هذا الموضوع علىٰ وجه التحديد. ولكني أفدت كثيراً من كتب علوم القرآن وأقوال المفسرين المبثوثة في تفاسيرهم، حول الآيات موضوع الدراسة.

مشكلة الدراسة

إن المشكلة التي تعالجها الدراسة، تكمن في الإجابة عن التساؤلات الآتية: ما مفهوم خطاب التهييج؟ ما أهميته؟ ما أساليبه في القرآن الكريم؟ ما أغراضه البيانية؟

---

(١) سيأتي تفصيل ذلك عند الحديث عن مسمّيات خطاب التهييج. ينظر: ص٧.

حدود الدراسة

تتناول هذه الدراسة نوعًا واحدًا من خطابات القرآن الكريم المتعددة، وهو خطاب التهييج، وبيان مفهومه، وأهميته، وأساليبه، وأغراضه البيانية في القرآن الكريم.

منهجية الدراسة

تقوم الدراسة علىٰ المنهج الاستقرائي الاستنباطي، من خلال تتبع الآيات التي اشتملت علىٰ خطاب التهييج.

وقد قمتُ في سبيل ذلك بالخطوات الآتية:

١- تخريج الآيات بذكر اسم السورة ورقم الآية بعد ورودها مباشرة.

٢- ترتيب السور في الموضوع الواحد حسب ورودها في ترتيب المصحف، وكذلك ترتيب الآيات حسب ورودها في السورة الواحدة.

٣- بيان أقوال المفسرين معزوّة إلىٰ أصحابها، مع اختصارها ما أمكن.

٤- ترتيب المصادر والمراجع في الهامش حسب تاريخ وفاة مؤلفيها، فبدأتُ بالأقدم وفاةً، وربما أكتفي بذكر عبارة المتقدم منهم وأشير إلىٰ الباقي.

خطة البحث

مقدمة.

المبحث الأول: مفهوم خطاب التهييج في القرآن الكريم ومسمّياته وأهميته.

المبحث الثاني: أساليب خطاب التهييج في القرآن الكريم.

المبحث الثالث: الأغراض البيانية لخطاب التهييج في القرآن الكريم.

خاتمة.

المبحث الأول

مفهوم خطاب التهييج ومسمَّياته وأهمّيته

أولًا: مفهوم خطاب التهييج في القرآن الكريم.

قبل الحديث عن مفهوم خطاب التهييج في القرآن الكريم، لا بدّ من تعريف الخطاب لغةً واصطلاحًا، وتعريف التهييج لغةً واصطلاحًا، ثم الخروج بتصوّر عن مفهوم خطاب التهييج في القرآن الكريم في ضوء هذه التعريفات.

معنىٰ الخِطاب لغةً:

ذكرتْ كتبُ اللغةِ[1] مَعانيَ متعددةً للفِعل (خَطَبَ) تعود في أصلها إلىٰ معنيين اثنين: أحدهما: المواجهة بالكلام. والثاني: اختلاف لَوْنَين. والذي يعنينا في هذا المقام هو المعنىٰ الأول.

قال ابن فارس: "(خَطَبَ) الْخَاءُ وَالطَّاءُ وَالْبَاءُ أَصْلَانِ: أَحَدُهُمَا الْكَلَامُ بَيْنَ

---

(١) ينظر: جمهرة اللغة، ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت٣٢١هـ)، تحقيق رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٩٨٧م، ١/ ٢٩١.

وتهذيب اللغة، الأزهري، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي أبو منصور (ت٣٧٠هـ)، تحقيق محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ٢٠٠١م، ٧/ ١١١.

والصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت٣٩٣هـ)، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧هـ، ١/ ٣٥٢.

والمحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت٤٥٨هـ)، تحقيق:عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ، ٥/ ١٢٣.

والمفردات في غريب القرآن، الراغب، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت٥٠٢هـ)، تحقيق صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٢هـ، ص٢٨٦.

ولسان العرب، ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ، ١/ ٣٦٠.

والقاموس المحيط، الفيروزأبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت٨١٧هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثامنة، ١٤٢٦هـ، ص٨٠.

اثْنَيْنِ، يُقَالُ خَاطَبَهُ يُخَاطِبُهُ خِطَابًا، وَالْخُطْبَةُ مِنْ ذَلِكَ. وَفِي النِّكَاحِ الطَّلَبُ أَنْ يُزَوَّجَ...وَالْخَطْبُ: الْأَمْرُ يَقَعُ؛ وَإِنَّمَا سُمِّيَ بِذَلِكَ لِمَا يَقَعُ فِيهِ مِنَ التَّخَاطُبِ وَالْمُرَاجَعَةِ...".(١)

معنىٰ الخطاب اصطلاحًا:

عرَّفه الأصوليُّون بأنه: كلامُ الله تعالىٰ المتعلِّق بأفعال المكَلَّفين بالاقتضاء أو التخيير.(٢)

ولكن تعريف الأصوليين يشمل الحثَّ علىٰ الفعل أو التَّرك، ويشمل التخيير وهو الإباحة، وهو لا يقتضي أمرًا ولا نهيًا، فلا يناسبه خطاب التهييج.

---

(١) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي أبو الحسين (ت٣٩٥هـ)، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ، ٢/ ١٩٨-١٩٩.

(٢) يُقصَدُ بِالِاقْتِضَاءِ: مَا يُفْهَمُ مِنْ خِطَابِ التَّكْلِيفِ مِنْ اسْتِدْعَاءِ الْفِعْلِ أَو التَّرْكِ، وَبِالتَّخْيِيرِ: التَّسْوِيَةَ بَيْنَ الْفِعْلِ وَالتَّرْكِ.

ينظر: روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه علىٰ مذهب الإمام أحمد بن حنبل، ابن قدامة المقدسي، أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي الشهير بابن قدامة المقدسي (ت٦٢٠هـ)، مؤسسة الريّان، الطبعة الثانية، ١٤٢٣هـ، ١/ ٩٨.

والإحكام في أصول الأحكام، الآمدي، أبو الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي الآمدي (ت٦٣١هـ)، تحقيق عبد الرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، ١/ ٩٥.

ورفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب، السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (ت٧٧١هـ)، تحقيق علي محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود، عالم الكتب، لبنان، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٩هـ، ص٤٨٢.

والتمهيد في تخريج الفروع علىٰ الأصول، الإسنوي، عبد الرحيم بن الحسن بن علي الإسنوي الشافعيّ أبو محمد جمال الدين (ت٧٧٢هـ)، تحقيق د. محمد حسن هيتو، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٠هـ، ص٤٨.

والموافقات، الشاطبي، إبراهيم بن موسىٰ بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (ت٧٩٠)، تحقيق أبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٧هـ، ١/ ٢٦١.

وشرح التلويح علىٰ التوضيح، التفتازاني، سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني (ت٧٩٣هـ)، مكتبة صبيح بمصر، ١/ ٢٠.

والبحر المحيط في أصول الفقه، الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت٧٩٤هـ)، دار الكتبي، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٤هـ، ١/ ١٥٦.

لذا يمكن تعريف الخطاب اصطلاحًا بأنه: " كلامُ الله تعالىٰ المتعلِّق بأفعال المكلَّفين أمرًا أو نهيًا ". وهذا التعريف يستقيم مع خطاب التهييج علىٰ هذا القيد.

معنىٰ التهييج لغةً:

أجْمَعَتْ كُتُبُ اللغة[١] علىٰ أنّ الفِعل (هَيَجَ) الهاء والياء والجيم، يعود في أصله إلىٰ معنيين: أحدهما: ثَورانُ الشَّيْءِ وبَعْثُه وحَرَكَته. الثاني: يُبْسُ النَّبات. والذي يعنينا في هذا المقام هو المعنىٰ الأول.

قال ابن فارس: "(هَيَجَ) الْهَاءُ وَالْيَاءُ وَالْجِيمُ أَصْلَانِ صَحِيحَانِ: أَحَدُهُمَا يَدُلُّ عَلَىٰ ثَوَرَانِ شَيْءٍ... هَاجَ الْفَحْلُ هَيْجًا وَهِيَاجًا. وَكَذَلِكَ الدَّمُ: وَالْهَيْجَاءُ تُمَدُّ وَتُقْصَرُ. وَهِجْتُ الشَّرَّ وَهَيَّجْتُهُ. وَهَيَّجْتُ النَّاقَةَ فَانْبَعَثَتْ. وَيُقَالُ لِلنَّاقَةِ النَّزُوعِ إِلَىٰ وَطَنِهَا: مِهْيَاجٌ...".[٢]

معنىٰ التهييج اصطلاحًا:

عرَّفه البلاغيّون بأنه: " كُلُّ كلام دالٍّ علىٰ الحثِّ علىٰ الفِعلِ لِمَن لا يُتَصَوَّرُ مِنه تَرْكُه، وعلىٰ تَرْكِ الفِعلِ لِمَن لا يُتَصَوَّرُ منه فِعْلُه".[٣]

---

(١) ينظر: جمهرة اللغة، ابن دريد، ٢/ ١٠٤٦. وتهذيب اللغة، الأزهري، ٦/ ١٨٥. والصحاح، الجوهري، ١/ ٣٥٢. والمحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده، ٤/ ٣٦٦. والمفردات في غريب القرآن، الراغب، ص٨٤٨.

وأساس البلاغة، الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري جار الله (ت٥٣٨هـ)، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٩هـ، ٢/ ٣٨٤.

ومختار الصحاح، ابن أبي بكر الرازي، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت٦٦٦هـ)، تحقيق يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت، صيدا، الطبعة الخامسة، ١٤٢٠هـ، ص٣٣٠.

ولسان العرب، ابن منظور، ٢/ ٣٩٤. والقاموس المحيط، الفيروزأبادي، ص٢١١.

(٢) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ٦/ ٢٣.

(٣) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، العلوي (ت٧٤٥هـ)، يحيىٰ بن حمزة بن علي بن إبراهيم الحسيني العلويّ الطالبي الملقب بالمؤيد بالله، المكتبة العنصرية، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٣هـ، ٣/ ٩٣.

غير أن هذا التعريف غير جامع، لأنه مقصورٌ علىٰ الآيات التي كان الخطاب فيها مُوَجَّهًا للنبي ﷺ فقط، إمّا علىٰ وجه الأمر، وإمّا علىٰ وجه النهي، فيستقيم التعريف عندئذ.(١)

وحتىٰ يكونَ خطابُ التهييجِ جامعًا، وعامًّا للنبي ﷺ، ولغيره من المؤمنين والكافرين، يمكن تعريفه بأنه: " الكلامُ الذي يُثيرُ النفْسَ لتحقيق أمرٍ ما".

معنىٰ خطاب التهييج في القرآن الكريم:

إذا أردنا أن نعرّف خطاب التهييج في القرآن الكريم علىٰ الاتّساع، ليشمل اصطلاح البلاغيين، وكذلك أقوال المفسرين والباحثين في علوم القرآن، يمكن القول بأنه: " كَلامُ اللهِ تَعالىٰ فِي القُرآنِ الكَرِيمِ الموَجَّهُ للمُكَلَّفِين علىٰ جِهَةِ الطَّلَبِ بِأساليبَ مَخْصُوصَةٍ لِتَحْرِيكِ نُفُوسِهِم وَحَثِّها وَبَعْثِها علىٰ الاسْتِجابَةِ لَه ".

وبهذا نكون قد خرجنا من الخلاف بين اصطلاح البلاغيين كصناعة، وبين استعمال المفسرين لهذا المصطلح علىٰ الاتّساع في السياق القرآني.

---

(١) وممّا يؤيِّدُ ما ذكرتُه أن المؤلِّفَ نفْسَه – صاحب الطراز وهو من ذكر تعريف البلاغيين – قد أتىٰ بأمثلة من الآيات كان الخطاب فيها جميعًا مُوَجَّهًا للنبي صلىٰ الله عليه وسلم.

قال صاحب الطراز: "فالأمر مثاله قوله تعالىٰ: ﴿ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴾ [الزمر:٢]. وقوله تعالىٰ: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ﴾ [الروم:٣٠]. وقوله تعالىٰ: ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ﴾ [هود:١١٢]. والمعلوم من حاله عليه السلام أنه حاصل علىٰ هذه الأمور كلها من عبادة الله تعالىٰ، وإقامة وجهه للدين، والاستقامة علىٰ الدعاء إليه، لا يفتر عن ذلك، ولا يتصور منه خلافها، لأن خلافها معصوم منه الأنبياء، فلا يمكن تصوره من جهتهم بحال، ولكن ورودها علىٰ هذه الأوامر إنما كان علىٰ جهة الحثّ له بهذه الأوامر وأمثالها. وكذلك ورد في المناهي كقوله تعالىٰ: ﴿ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [الأنعام: ٣٥]. وقوله تعالىٰ: ﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [الزمر: ٦٥]. وحاشاه أن يكون جاهلًا، أو أن يفعل أفعال السفهاء والجهال، وأنّىٰ يخطُر بباله الشِّرْك بالله وهو أوَّل من دعا إلىٰ عبادته وحث عليها؟ وهكذا القول فيما كان واردًا في الأوامر والنواهي له عليه السلام، فإنما كان علىٰ جهة الإلهاب علىٰ فعل الأوامر، والانكفاف عن المناهي والتهييج لداعيته، وحثًا له علىٰ ذلك، فالأمر في حقّه علىٰ تحصيل الفعل، والكفّ عن المناهي فيما كان يعلم وجوبه عليه ويتحقق الانكفاف عنه، إنما هو علىٰ جهة التأكيد والحث بالتهييج والإلهاب".

الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، العلوي (ت٧٤٥هـ)، ٣/ ٩٣.

ثانيًا: مسمَّيات خطاب التهييج في القرآن الكريم.

ذَكَرَ المفَسِّرونَ مُسَمَّياتٍ أُخرَىٰ لخِطابِ التهييج، تُعَدُّ مُرادِفاتٍ له، تارةً مقرونةً به، وتارةً أخرىٰ مستقلةً عنه، ومن ذلك:

الإلهاب(١) أو التلهيب(٢)، التحريك(٣)، التحضيض(٤) أو الحَضّ(٥)، التحريض(٦)،

---

(١) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري جار الله (ت ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ، ١/ ٢٠٣.
والبحر المحيط في التفسير، أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت٧٤٥هـ)، تحقيق صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ، ٢/ ٣٠.
ومدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (ت٧١٠هـ)، تحقيق يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٩هـ، ١/ ١٤١.

(٢) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت٨٨٥هـ)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ٢/ ٤٨٨.
والتحرير والتنوير «تحرير المعنىٰ السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤هـ، ١٧/ ١٠٦.

(٣) ينظر: مدارك التنزيل، النسفي، ٢/ ٥٤٣.
عناية القاضي وكفاية الراضي (حاشية الشهاب علىٰ تفسير البيضاوي)، الشهاب الخفاجي، أحمد بن محمد بن عمر الشهاب الخفاجي (ت١٠٦٩هـ)، دار صادر، بيروت، ٦/ ٤٣٠.
وفتح البيان في مقاصد القرآن، صدّيق حسن خان، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (ت١٣٠٧هـ)، تقديم عبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، المكتبة العصريَّة، بَيروت، صَيدا، ١٤١٢هـ، ٩/ ٣٢٣.

(٤) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت٥٤٢هـ)، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٢هـ، ٢/ ٢٢٢.
والتسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي ، أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله الغرناطي الكلبي (ت٧٤١هـ)، تحقيق الدكتور عبد الله الخالدي، نشر شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٦هـ، ٢/ ٣٢٤.

(٥) ينظر: البحر المحيط، أبو حيان، ٨/ ٩. ونظم الدرر، البقاعي، ١٣/ ٢٠٥.

(٦) ينظر: بحر العلوم، السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (ت٣٧٣هـ)، تحقيق علي معوض وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ، ١/ ١٨١.
وعناية القاضي، الشهاب، ٣/ ٦٤.

التنشـــــيط[1]،التحفيـــــز[2]، الترغيـــــب[3]، التشــــجيع[4]، التنبيـــــه[5]، التشـــويق[6]، الإغـــراء[7]، الإغضـــاب[8]، الحَـــثّ[9]،

(١) ينظر: فتح البيان، صديق خان، ٥/ ١٢٨.

(٢) ينظر: أوضح التفاسير، الخطيب، محمد محمد عبد اللطيف بن الخطيب (ت١٤٠٢هـ)، المطبعة المصرية ومكتبتها، الطبعة السادسة، ١٣٨٣هـ، ص٢٦.

(٣) ينظر: بحر العلوم، السمرقندي، ٢/ ٨٩. والكشاف، الزمخشري، ١/ ٥٣١.

(٤) ينظر: المحرر الوجيز، ابن عطية، ٣/ ٨.

(٥) ينظر: البحر المحيط، أبو حيان، ٢/ ٥٠٤.

(٦) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت ٦٨٥هـ)، تحقيق محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٨هـ، ٥/ ٢٧.

ولباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن المعروف بالخازن (ت٧٤١هـ)، تصحيح محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٥هـ، ٤/ ٣٤.

وروح البيان، إسماعيل حقي، بن مصطفىٰ الإستانبولي الحنفي الخلوتي، المولىٰ أبو الفداء (ت١١٢٧هـ)، دار الفكر، بيروت، ١/ ٧٤.

(٧) ينظر: التفسير الكبير، الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٠هـ، ٢٩/ ٥٣١.

وتفسير القرآن العظيم، ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت٧٧٤هـ)، تحقيق محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٩هـ،١/ ٣٨٧.

ومحاسن التأويل، القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (ت١٣٣٢هـ)، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٨هـ، ٢/ ٥٧.

(٨) ينظر: إرشاد العقل السليم إلىٰ مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفىٰ العمادي (ت٩٨٢هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٦/ ١٣٠.

وروح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت ١٢٧٠هـ)، تحقيق علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٥هـ، ٩/ ٢٢٧.

وروح البيان، إسماعيل حقي، ٦/ ٧٨.

(٩) ينظر: نظم الدرر، البقاعي، ٥/ ١٥٥.

والبحر المديد في تفسير القرآن المجيد، ابن عجيبة، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة =

البَعث[١]، الهَزّ[٢]، الإثارة[٣]، الاستنهاض[٤].

ومن الملاحَظ أن معظم هذه المسَمَّيات إنّما تصلح لأن تكون أغراضًا بيانية يخْرُجُ إليها خِطابُ التهييج، كما سيأتي بيانه.

كما يلاحَظُ أيضًا أن الزركشي[٥] جَعَلَ كثيرًا منها خِطاباتٍ مُسْتَقِلَّةً، غير خطاب التهييج. فنظَر إلىٰ سياق كُلِّ خِطابٍ وغَرَضِهِ البيانيّ فَسَمّاه به كخِطابٍ مُسْتَقِلٍّ، علىٰ أنّني أرىٰ أنَّ هذه الخطابات تدخُلُ في خطاب التهييج وأغراضِهِ البيانية، لأن الهدفَ منها التهييجُ والإلهابُ والتحريكُ، كما سيأتي بيانه.

=

الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (ت١٢٢٤هـ)، تحقيق أحمد عبد الله القرشي رسلان، الناشر: الدكتور حسن عباس زكي، القاهرة، ١٤١٩هـ، ٢/ ٦١٢. وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت١٣٧٦هـ)، تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٠هـ، ص١٨٧.

(١) ينظر: الكشاف، الزمخشري، ١/ ٢٧١. والتفسير الكبير، الرازي، ٦/ ٤٣٥. وأنوار التنزيل، البيضاوي، ١/ ١٤١. واللباب في علوم الكتاب، ابن عادل الحنبلي، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (ت٧٧٥هـ)، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٩هـ، ٤/ ١١٣.

(٢) ينظر: البحر المحيط، أبو حيان، ١/ ٦٣٧.

(٣) ينظر: المحرر الوجيز، ابن عطية، ١/ ١٠٧ . والتفسير الكبير، الرازي، ١/ ٢٣٤.

وأيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، الجزائري، جابر بن موسىٰ بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الخامسة، ١٤٢٤هـ، ٢/ ٣٤٧.

(٤) ينظر: نظم الدرر، البقاعي، ٦/ ٢٤٢.

(٥) ينظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ٢/ ٢١٧، حيث ذكر في النوع الثاني والأربعين: وُجُوه الْمُخَاطَبَاتِ وَالْخِطَاب فِي الْقُرْآنِ. وذَكَرَ منها ثلاثةً وثلاثينَ وَجْهًا. وذكر منها في الثالث والعشرين: خطاب التهييج (٢/ ٢٤٧). وفي الرابع والعشرين: خطاب الإغضاب (٢/ ٢٤٨). وفي الخامس والعشرين: خطاب التشجيع والتحريض (٢/ ٢٤٨). وفي السادس والعشرين: خطاب التنفير (٢/ ٢٤٩). وفي السابع والعشرين: خطاب التحنن والاستعطاف (٢/ ٢٥٠). وفي الثامن والعشرين: خطاب التحبيب (٢/ ٢٥٠). وفي التاسع والعشرين: خطاب التعجيز (٢/ ٢٥٠). وفي الثلاثين: خطاب التَّحْسِير والتَّلَهُّف (٢/ ٢٥١). وفي الحادي والثلاثين: خطاب التكذيب (٢/ ٢٥١). وفي الثاني والثلاثين: خطاب التشريف (٢/ ٢٥١). وغيرها من الخطابات التي تصلح لأن تكون أغراضًا بيانية لخطاب التهييج.

ثالثًا: أهمية خطاب التهييج:

لخطابِ التهييجِ أهميةٌ كبيرةٌ في فهم المراد من الكلام، حيث يدفعُ المخاطَبَ علىٰ الاستجابة لما يريده المتكلِّم، وذلك لما يثيره هذا الخطاب في نفسِ المخاطَبِ من الهزّ والتحريك والبعث والتحفيز لمشاعره وأحاسيسه، فيمضي نحو تحقيق المراد منه بكل قوة ونشاط، بعيدًا عن التكاسُل والتخاذل والخمول.

ثم إن في معرفة أساليب خطاب التهييج وأنواعها وأدواتها باعِثًا كبيرًا علىٰ تطبيق هذه الأساليب وتوظيفها في خطاب من يقوم بواجب الدعوة إلىٰ الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتدريس والوعظ، بما يثير في نفس المخاطَبين حوافز الاستجابة، وسرعة القيام بالمراد منهم بكل حُبٍّ ونشاطٍ وهِمّةٍ وحَيويّةٍ.

وتكمنُ أهمية خطاب التهييج أيضًا في الوقوف علىٰ الأغراض البيانية التي يخرجُ إليها هذا الخطاب، إذ بمعرفتها تتجلّىٰ المعاني المرادة منه علىٰ ما سيأتي بيانه.



المبحث الثاني

أساليب خطاب التهييج في القرآن الكريم

إنَّ المتأمِّلَ في خطاب التهييج في القرآن الكريم يجد أن هذا الخطاب جاء علىٰ أساليبَ كثيرةٍ متنوعةٍ ومتعددةٍ، أضافت جانبًا عظيمًا من جوانب الإعجاز القرآني، من حيث التفنّن في أسلوب الخطاب، واتّساع الألفاظ، بما يشدّ السامعين إليه، ويجعلهم يقبلون عليه.

ويمكن استنباط هذه الأساليب من خلال الآيات التي ذكرها العلماء والمفسِّرون علىٰ أنها من باب التهييج أو مرادفاته، وقد وقفتُ من خلال هذه الآيات علىٰ الأساليب الآتية:[1]

الشرط، والنهي، والأمر، والاستفهام، والنداء، والنفي، والحصر، والتأكيد، والتخصيص بالذكر.

أولًا: أسلوب الشرط.

يمكن تصنيف الآيات التي وردت علىٰ صيغة الشرط، وذكرَ المفسِّرون أنها من قبيل خطاب التهييج إلىٰ مجموعتين:

١-المجموعة الأولىٰ:

آيات[2] ورَدَتْ علىٰ صيغة الشرط كان الخطاب فيها موجَّهًا للنبي صلىٰ الله عليه وسلم بتحذيره من الشِّرْكِ واتّباعِ أهواءِ أهلِ الكتاب والمشركين. والمراد من هذا الخطاب أمّته تهييجًا وإلهابًا لهم. منها: قوله تعالىٰ: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن

(١) لم أقم بتعريف هذه الأساليب ولا أدواتها، إلاّ ما يقتضيه المقام، إذ الأمر يطول، وليس هذا من مقصد البحث، وإنما اكتفيتُ بذكر الأسلوب مع بعض الأمثلة التطبيقية من الآيات، وأردفتها بأقوال المفسرين باختصار شديد.

(٢) ينظر: سورة البقرة: ١٢٠، ١٤٥. الأنعام: ١١٦. الرعد: ٣٧. النحل: ٣٧. الإسراء: ٧٤. الزمر: ٤٥.

وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ [البقرة:١٢٠]. وقوله تعالىٰ: ﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُواْ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [البقرة:١٤٥]. وقوله تعالىٰ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴾ [الرعد:٣٧]. وقوله تعالىٰ: ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [الزمر:٦٥].

ذهب بعض المفسرين[١] إلىٰ أن هذا الخطاب ليس مقصودًا به النبي صلىٰ الله عليه وسلم، وإنما المقصود به أُمَّته. لأنه لا يَصِحُّ خطابُ النبي صلىٰ الله عليه وسلم بذلك وهو المعصوم.

قال ابن عطية: "وقوله تعالىٰ: (وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ) الآية، خِطاب للنبي صلىٰ الله عليه وسلم والمراد أمّته، وما ورد من هذا النوع الذي يوهم من النبي صلىٰ الله عليه وسلم ظلمًا متوقعًا فهو محمول علىٰ إرادة أمّته لعصمة النبي صلىٰ الله عليه وسلم، وقطعنا أن ذلك لا يكون منه فإنما المراد مَن يمكن أن يقع ذلك منه، وخوطب النبي صلىٰ الله عليه وسلم تعظيمًا للأمر".[٢]

وقد عَدَّ الزركشي[٣] هذه الآيات وأشباهها من خطاب العَيْنِ والمرادُ به غيرُه.

ثم قال الزركشي: "وَبِهَذَا يَزُولُ الْإِشْكَالُ الْمَشْهُورُ فِي أَنَّهُ كَيْفَ يَصِحُّ خِطَابُهُ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ ثُبُوتِ عِصْمَتِهِ عَنْ ذَلِكَ كُلِّهِ؟ وَيُجَابُ أَيْضًا بِأَنَّ ذَلِكَ عَلَىٰ سَبِيلِ الْفَرْضِ، وَالْمُحَالُ يَصِحُّ فَرْضُهُ لِغَرَضٍ.[٤] وَالتَّحْقِيقُ أَنَّ هَذَا وَنَحْوَهُ مِنْ بَابِ خِطَابِ الْعَامِ مِنْ غَيْرِ قَصْدِ شَخْصٍ معين والمعنىٰ اتِّفَاقُ جَمِيعِ الشَّرَائِعِ عَلَىٰ ذَلِكَ، وَيُسْتَرَاحُ حِينَئِذٍ مِنْ إِيرَادِ هَذَا السُّؤَالِ مِنْ أَصْلِهِ".[٥]

(١) ينظر: المحرر الوجيز، ابن عطية، ١/ ٢٢٣. والبحر المحيط، أبو حيان، ٦/ ٣٩٧. والبرهان في علوم القرآن، الزركشي، ٢/ ٣٥٨.
(٢) المحرر الوجيز، ابن عطية، ١/ ٢٢٣.
(٣) ينظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ٢/ ٢٤٢.
(٤) قلتُ: والغرضُ هو التهييج والإلهاب.
(٥) ينظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ٢/ ٢٤٣.

وذهب أكثر المفسرين[1] إلىٰ أن المقصودَ بهذا الخطابِ النبيُّ صلىٰ الله عليه وسلم وأُمَّته، وحَمَلُوه علىٰ التهييج والإلهاب.

قال الزمخشري: "وقوله (وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم) بعد الإفصاح عن حقيقة حاله المعلومة عنده في قوله (وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ) كلام وارد علىٰ سبيل الفرض والتقدير، بمعنىٰ: ولئن اتبعتهم مثلًا بعد وضوح البرهان والإحاطة بحقيقة الأمر (إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ) المرتكبين الظلم الفاحش. وفي ذلك لطف للسامعين وزيادة تحذير، واستفظاع لحال من يترك الدليل بعد إنارته ويتبع الهوىٰ، وتهييج وإلهاب للثبات علىٰ الحق".[2]

علىٰ أنَّ ما سلكه ابن عطية والزركشي وغيرهما فيه من التأدُّب مع النبي صلىٰ الله عليه وسلم، واستثقال مجاورة مصطلح التهييج لاسمه ﷺ.

٢- المجموعة الثانية:

آيات وردت خطابًا للمؤمنين، وهذه المجموعة يمكن تقسيمها إلىٰ قسمين:

القسم الأول: آيات[3] وردت علىٰ صيغة الشرط تهييجًا للإيمان الموجود أصلًا

---

(١) فمثلًا: عند تفسير قوله تعالىٰ ﴿ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [البقرة:١٤٥] ينظر التفاسير الآتية:
الكشاف، الزمخشري، ١/ ٢٠٣. ومدارك التنزيل، النسفي، ١/ ١٤١. وتفسير ابن عرفة، ابن عرفة، ١/ ١٨٢. وإرشاد العقل السليم، أبو السعود، ١/ ١٧٥. وروح البيان، إسماعيل حقي، ١/ ٢٥٢.
وعند تفسير قوله تعالىٰ ﴿ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴾ [الرعد:٣٧] ينظر التفاسير الآتية:
الكشاف، الزمخشري، ٢/ ٥٣٤. وأنوار التنزيل، البيضاوي، ٣/ ١٩٠. ونظم الدرر، البقاعي، ١٠/ ٣٥٩. وإرشاد العقل السليم، أبو السعود، ٥/ ٢٦. والبحر المديد، ابن عجيبة، ٣/ ٣٤. وروح المعاني، الألوسي، ٧/ ١٥٩. والتحرير والتنوير، ابن عاشور، ١٣/ ١٦١.

(٢) الكشاف، الزمخشري، ١/ ٢٠٣.

(٣) ينظر أيضًا: سورة البقرة: ٢٢٨، ٢٤٨، ٢٧٨. آل عمران: ١١٨، ١٣٩، ١٧٥. المائدة: ٢٣، ٥٧. الأنعام: ١١٨. الأعراف: ١٩٤. الأنفال: ١، ٤١. التوبة: ١٣. يونس: ٨٤. الحجر: ٧. النحل: ١١٤. مريم: ١٨. الأنبياء: ٣٨، ٦٨. العنكبوت: ٢٩. النور: ٢، ١٧. الأحزاب: ٣٢. الأحقاف: ٤. الصف: ١١. الممتحنة: ٦. الطور: ٣٤.

في نفوس المؤمنين. مثل قوله تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة:٢٧٨]. وقوله تعالىٰ: ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [المائدة:٢٣]. وقوله تعالىٰ: ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [الأنفال:١]. وقوله تعالىٰ: ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الأنفال:٤١]. وقوله تعالىٰ: ﴿ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [التوبة:١٣]. وقوله تعالىٰ: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴾ [يونس:٨٤].

وعمدتُ إلىٰ ذكر هذه الآيات السِّت لأن الزركشي[1] ذَكَرها بِعَيْنِها، وجعلها مثالًا علىٰ خطاب التهييج، ضمن حديثه عن وجوه خطابات القرآن.

ذهب كثير من المفسرين[2] إلىٰ القول بأن الشرط علىٰ هذه الصيغة لا يُقْصَدُ به

---

(١) ينظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ٢/ ٢٤٧.

(٢) فمثلًا عند تفسير قوله تعالىٰ ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [الأنفال:١]. ينظر التفاسير الآتية:

تفسير ابن عرفة، ابن عرفة، محمد بن محمد ابن عرفة الورغمي التونسي المالكي أبو عبد الله (ت٨٠٣هـ)، تحقيق جلال الأسيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ٢٠٠٨م، ٢/ ٢٧٧.

وفتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت ١٢٥٠هـ)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٤ هـ، ٢/ ٣٢٣. وفتح البيان، صديق خان، ٥/ ١٢٨. والتحرير والتنوير، ابن عاشور، ٩/ ٢٥٤.

وعند تفسير قوله تعالىٰ ﴿ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ ﴾ [النور:٢] ينظر التفاسير الآتية:

الكشاف، الزمخشري، ٣/ ٢٠٩. ومدارك التنزيل، النسفي، ٢/ ٤٨٧. والتفسير الكبير، الرازي، ٢٣/ ٣١٧.

وفتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي علىٰ الكشاف)، الطيبي، شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (ت٧٤٣هـ)، الناشر: جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، الطبعة الأولىٰ، ١٤٣٤هـ، ١١/ ١٠.

وأنوار التنزيل، البيضاوي، ٤/ ٩٨. ولباب التأويل، الخازن، ٣/ ٢٧٩. والبحر المحيط، أبو حيان، =

حقيقة الشرط، فحَمَلُوُه علىٰ معنىٰ التهييج والإلهاب، والحثّ علىٰ الاستجابة لما في هذه الآيات، لأن الشرط الحقيقي معناه وقوع الشيء لوقوع غيره، نحو: إن زُرْتَني أكْرَمْتُك، فالإكرامُ متوقِّفٌ علىٰ الزيارة، والمعنىٰ غيرُ مُتَحَقِّقٍ علىٰ هذا في هذه الآيات وأشباهِها، إذْ ليس المعنىٰ في الآية الأولىٰ: ذروا الربا إن كنتم مؤمنين، وإن لم تكونوا مؤمنين فكُلوه. وليس معنىٰ الآية الثانية: علىٰ الله توكّلوا إن كنتم مؤمنين، وإن لم تكونوا مؤمنين فلا تتوكلوا عليه. وليس معنىٰ الآية الثالثة: أطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين، وإن لم تكونوا مؤمنين فلا تطيعوهما. وهكذا باقي الآيات.

قال الزركشي: "قوله تعالىٰ: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [المائدة:٢٣] لَا يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ مَنْ لَمْ يَتَوَكَّلْ يَنْتَفِي عَنْهُمُ الْإِيمَانُ، بَلْ حَثٌّ لَهُمْ عَلَىٰ التَّوَكُّلِ. وَقَوْله: ﴿فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَوۡهُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [التوبة:١٣]. وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [البقرة:٢٧٨] فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ وَصَفَهُمْ بِالْإِيمَانِ عِنْدَ الْخِطَابِ، ثُمَّ قَالَ: (إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ) فَقَصَدَ حَثَّهُمْ عَلَىٰ تَرْكِ الرِّبَا، وَأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ حَقُّهُمْ أَنْ يَفْعَلُوا ذَلِكَ".[1]

وهذا ما ذهب إليه ابن عاشور أيضًا، فعند تفسير قوله تعالىٰ: ﴿يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثۡلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [النور:١٧] يقول ابن عاشور: "وَقَوْلُهُ: (إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ) تَهْيِيجٌ وَإِلْهَابٌ لَهُمْ يَبْعَثُ حِرْصَهُمْ عَلَىٰ أَنْ لَا يَعُودُوا لِمِثْلِهِ، لِأَنَّهُمْ حَرِيصُونَ عَلَىٰ إِثْبَاتِ إِيمَانِهِمْ، فَالشَّرْطُ فِي مِثْلِ هَذَا لَا يَقْصِدُ بِالتَّعْلِيقِ، إِذْ لَيْسَ الْمَعْنَىٰ: إِنْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ فَعُودُوا لِمِثْلِهِ، وَلَكِنْ لَمَّا كَانَ احْتِمَالُ حُصُولِ مَفْهُومِ الشَّرْطِ مُجْتَنَبًا كَانَ فِي ذِكْرِ الشَّرْطِ بَعْثٌ عَلَىٰ الِامْتِثَالِ، فَلَوْ تَكَلَّمَ أَحَدٌ فِي الْإِفْكِ بَعْدَ هَذِهِ الْآيَةِ مُعْتَقِدًا وُقُوعَهُ فَمُقْتَضَىٰ الشَّرْطِ أَنَّهُ يَكُونُ كَافِرًا".[2]

=

٨/ ٩. ونظم الدرر، البقاعي، ١٣/ ٢٠٥. وإرشاد العقل السليم، أبو السعود، ٦/ ١٥٦. وعناية القاضي، الشهاب، ٦/ ٣٥٤-٣٥٥. والبحر المديد، ابن عجيبة، ٤/ ٧. وروح المعاني، الألوسي، ٩/ ٢٨٢.

(١) ينظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ٢/ ٢٤٧.

(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ١٨/ ١٨٢.

وعنـد تفسـير قولـه تعـالىٰ: ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّ ﴾ [الأحزاب:٣٢] يقول ابن عاشور: "وَالتَّقْيِيد بِقَوْلِهِ: (إِنِ اتَّقَيْتُنَّ) لَيْسَ لِقَصْدِ الِاحْتِرَازِ عَنْ ضِدِّ ذَلِكَ، وَإِنَّمَا هُوَ إلهابٌ وتَحريضٌ علىٰ الِازْدِيَادِ مِنَ التَّقْوَىٰ".(١)

القسم الثاني:

آيات عامّة(٢) جاءت علىٰ صيغة الشرط لحثّ المؤمنين وتهييجهم علىٰ النفقات وفعل الخيرات، وطلب العلم، وتحذيرهم من الإثم والفساد والتهاون مع الأعداء، وبيان رحمة الله بالمؤمنين، وغير ذلك.

فمن باب التهييج علىٰ النفقات وفعل الخيرات، جاء قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٧٣](٣). وقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمٗا﴾ [النساء:١٢٧](٤). ومن باب التهييج علىٰ طلب العلم، جاء قوله تعالىٰ: ﴿ فَلَوۡلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرۡقَةٖ مِّنۡهُمۡ طَآئِفَةٞ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوۡمَهُمۡ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَحۡذَرُونَ ﴾ [التوبة:١٢٢](٥). ومن باب التهييج وتحذير المؤمنين من الإثم، جاء قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَكۡسِبۡ إِثۡمٗا فَإِنَّمَا يَكۡسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦۚ﴾ [النساء:١١١](٦). ومن باب التهييج وتحذير المؤمنين من الفساد، جاء قوله تعالىٰ: ﴿فَلَوۡلَا كَانَ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مِن قَبۡلِكُمۡ أُوْلُواْ بَقِيَّةٖ يَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡفَسَادِ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [هود:١١٦](٧). ومن باب التهييج وتحذير

---

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٢٢/ ٧.

(٢) ينظر: سورة البقرة: ٢٧٣. النساء: ١١، ١٢٧. التوبة: ١٢٢. هود: ١١٦. الكهف: ١٥. النور: ٢١. الممتحنة:٢، الواقعة: ٥٧.

(٣) ينظر: بحر العلوم، السمرقندي، ١/ ١٨١.

(٤) ينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٢/ ٣٧٧.

(٥) ينظر: التفسير الكبير، الرازي، ١٦/ ١٧١.

(٦) ينظر: نظم الدرر، البقاعي، ٥/ ٣٩٧.

(٧) ينظر: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (ت٧٥٦هـ)، تحقيق الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، ٦/ ٤٢٢.

والجواهر الحسان في تفسير القرآن، الثعالبي، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي =

المؤمنين من الأعداء، جاء قوله تعالىٰ: ﴿إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا۟ لَكُمْ أَعْدَآءً﴾ [الممتحنة:٢][١].

ومن باب التهييج لبيان رحمة الله بالمؤمنين، جاء قوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾ [النور:٢١]. [٢]

ثانيًا: أسلوب النهي:

يمكن تصنيف الآيات التي جاءت علىٰ أسلوب النهي، وذكَر المفسرون أنها من باب خطاب التهييج إلىٰ مجموعتين:

١-المجموعة الأولىٰ:

آيات[٣] جاء الخطاب فيها موجهًا للنبي صلىٰ الله عليه وسلم، تنهاه عن الشكّ والتكذيب بآيات الله وطاعة الكافرين. والمراد بها أمّته تهييجًا وإلهابًا لهم. مثل قوله تعالىٰ: ﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ [آل عمران:٦٠]. وقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ [الأنعام:١١٤]. وقوله تعالىٰ: ﴿فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ [يونس:٩٤]. وقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [يونس:٩٥]. وقوله تعالىٰ: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان:٥٢]. وقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓا۟ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ وَٱدْعُ إِلَىٰ

=

(ت٨٧٥هـ)، تحقيق محمد علي معوض وعادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٨هـ، ٣/ ٣٠٧.

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٨/ ١١٥.

(٢) ينظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، الفيروزأبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت٨١٧هـ)، تحقيق محمد علي النجار، الناشر: المجلس الأعلىٰ للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ١/ ٣٣٧.

وفتح القدير، الشوكاني، ٤/ ١٨. وفتح البيان، صديق خان، ٩/ ١٨٨.

(٣) ينظر: سورة البقرة: ١٤٧. آل عمران: ٦٠. الأنعام: ١١٤. يونس: ٩٤-٩٥. الإسراء: ٢٢. الحج: ٦٧. طه:١٦. الفرقان: ٥٢. الشعراء: ٢١٣. القصص: ٨٦-٨٨. الأحزاب: ٤٨. القلم: ٨.

رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [القصص:٨٦-٨٨]. وغيرها من الآيات.

ولما كان النبي صلىٰ الله عليه وسلم معصومًا عن مِثل هذه الأمور[١]، ذهب فريق من المفسرين[٢] إلىٰ أن الخطاب في هذه الآيات وأشباهها ليس مرادًا به النبي صلىٰ الله عليه وسلم، وإنما المراد به أمَّته.

قال ابن عطية: "(فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ) الخطاب للنبي صلىٰ الله عليه وسلم والمراد أُمَّته".[٣]

وذهب أكثر المفسرين[٤] إلىٰ أن هذا الخطاب مقصود به النبي ﷺ وأمَّته، وهو محمول علىٰ التهييج والإلهاب.

قال البيضاوي: "(فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ) خطاب للنبي صلّىٰ الله عليه وسلّم علىٰ طريقة التهييج لزيادة الثبات أو لكلّ سامع".[٥]

وقد سبق توضيح أن مسلك ابن عطية والزركشي وغيرهما هو الأسلم، لأنَّ فيه تأدُّبًا مع النبي ﷺ، وذلك بعد مجاورة مصطلح التهييج لاسم النبي ﷺ.

---

(١) يراجَع (ص١٢) من هذا البحث. عند الكلام عن الآيات التي جاءت علىٰ أسلوب الشرط، وكان الخطاب فيها موجهًا للنبي صلىٰ الله عليه وسلم.

(٢) ينظر: المحرر الوجيز، ابن عطية، ١/ ٢٢٤. والبحر المحيط، أبو حيان، ٢/ ٣٥. والبرهان في علوم القرآن، الزركشي، ٢/ ٣٥٨.

(٣) المحرر الوجيز، ابن عطية، ١/ ٢٢٤.

(٤) عند تفسير قوله تعالىٰ ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ [الأنعام:١١٤] ينظر التفاسير الآتية:
الكشاف، الزمخشري، ٢/ ٦٠. والتفسير الكبير، الرازي، ١٣/ ١٢٤. وأنوار التنزيل، البيضاوي، ٢/ ١٧٩. ولباب التأويل، الخازن، ٢/ ١٤٩. واللباب، ابن عادل الحنبلي، ٨/ ٣٩٤. وتفسير ابن عرفة، ابن عرفة، ٢/ ١٨٥.
وغرائب القرآن ورغائب الفرقان، النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (ت٨٥٠هـ)، تحقيق الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٦هـ، ٣/ ١٥٠.
ونظم الدرر، البقاعي، ٧/ ٢٣٧. وإرشاد العقل السليم، أبو السعود، ، ٣/ ١٧٧. وعناية القاضي، الشهاب، ٤/ ١١٦. وروح المعاني، الألوسي، ٤/ ٢٥٥.

(٥) أنوار التنزيل، البيضاوي، ٢/ ٢٠.

٢-المجموعة الثانية:

آيات[١] ورد الخطاب فيها للمؤمنين، بأسلوب النهي، وذكر المفسرون أنها من باب خطاب التهييج. من ذلك: تهييج المؤمنين علىٰ عدم أكل أموال الناس بالباطل، وعدم نسيان الفضل بين الأزواج بعد الطلاق، وعدم موالاة الأعداء واتخاذهم بطانة، وغير ذلك.

فمن باب التهييج علىٰ عدم أكل أموال الناس بالباطل، جاء قوله تعالىٰ: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ ﴾ [البقرة:١٨٨].[٢] ومن باب التهييج علىٰ عدم نسيان الفضل بين الأزواج بعد الطلاق، جاء قوله تعالىٰ: ﴿وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ ﴾ [البقرة:٢٣٧].[٣] ومن باب التهييج علىٰ عدم موالاة الأعداء واتخاذهم بطانة، جاء قوله تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ ﴾ [آل عمران:١١٨].[٤] وقوله تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا ﴾ [المائدة:٥٧].[٥] وقوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ ۙ أَن تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى ۚ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ ۚ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [الممتحنة:١].[٦]

---

(١) ينظر: سورة البقرة:١٨٨، ٢٣٧. آل عمران:١١٨. المائدة:٥٧. الممتحنة:١.

(٢) ينظر: نظم الدرر، البقاعي، ٣/ ٩٤.

(٣) ينظر: تفسير ابن عرفة، ابن عرفة، ١/ ٢٩١.

(٤) ينظر: تفسير ابن عرفة، ابن عرفة، ١/ ٤٠٢. ونظم الدرر، البقاعي، ٥/ ٣٨.

(٥) ينظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص٢٣٧.

(٦) ينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٨/ ١١٥. ونظم الدرر، البقاعي، ١٩/ ٤٨٤. وعناية القاضي، الشهاب، ٨/ ١٨٤. وروح المعاني، الألوسي، ١٤/ ٢٦١. والتحرير والتنوير، ابن عاشور، ٢٨/ ١٣٥. وتيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص٨٥٤.
وأضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (ت١٣٩٣هـ) ، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ، ٨/ ٨٣.

ثالثًا: أسلوب الأمر:

تعددت الموضوعات التي جاءت بأسلوب الأمر في خطاب التهييج في القرآن الكريم، من هذه الموضوعات:

* تهييج المؤمنين وذلك بأمرهم بقتال المشركين: كقوله تعالىٰ: ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴾ [البقرة:١٩٠].[1] وقوله تعالىٰ: ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلۡأَشۡهُرُ ٱلۡحُرُمُ فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ وَخُذُوهُمۡ وَٱحۡصُرُوهُمۡ وَٱقۡعُدُواْ لَهُمۡ كُلَّ مَرۡصَدٖۚ [التوبة:٥].[2] وقوله تعالىٰ: ﴿وَقَٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ كَآفَّةٗ كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ كَآفَّةٗۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾ [التوبة:٣٦].[3]

* تهييج المؤمنين وذلك بأمرهم بتقوىٰ الله تعالىٰ: كقوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدۡ وَصَّيۡنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَإِيَّاكُمۡ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ ﴾ [النساء:١٣١].[4]

* تهييج المؤمنين وذلك بأمرهم بالتوكل علىٰ الله تعالىٰ: كقوله تعالىٰ: ﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَعَلَيۡهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ﴾ [يوسف:٦٧].[5]

* تهييج المؤمنين وذلك بأمرهم بالتسبيح: كقوله تعالىٰ: ﴿ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ﴾ [الأحزاب:٤٢].[6]

* تهييج المؤمنين وذلك بأمرهم بالصدقة: كقوله تعالىٰ: ﴿ وَلَا تُؤۡتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمۡوَٰلَكُمُ ٱلَّتِي جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ قِيَٰمٗا وَٱرۡزُقُوهُمۡ فِيهَا وَٱكۡسُوهُمۡ وَقُولُواْ لَهُمۡ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ﴾ [النساء:٨].[7]

---

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ١/ ٣٨٧. ومحاسن التأويل، القاسمي، ٢/ ٥٧.

(٢) ينظر: المحرر الوجيز، ابن عطية، ٣/ ٨.

(٣) ينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٤/ ١٣١.

وجامع البيان في تفسير القرآن، الإيجي، محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الحسني الحسيني الإيجي الشافعيّ (ت٩٠٥هـ)، الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٤هـ، ٢/ ٦٣.

(٤) ينظر: نظم الدرر، البقاعي، ٥/ ٢٢٠.

(٥) ينظر: البحر المديد، ابن عجيبة، ٢/ ٦١٢.

(٦) ينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٦/ ٣٨٦.

(٧) ينظر: تفسير ابن عرفة، ابن عرفة، ٢/ ٩.

رابعًا: أسلوب الاستفهام

تعددت الموضوعات التي جاءت بأسلوب الاستفهام في خطاب التهييج في القرآن الكريم، من هذه الموضوعات:

* تهييج المؤمنين وذلك بحثِّهم على الصدقة بأسلوب الاستفهام: كقوله تعالى: ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافٗا كَثِيرَةٗۚ ﴾ [البقرة: ٢٤٥].(١)

* تهييج المؤمنين وذلك بحثِّهم على الجهاد بأسلوب الاستفهام: كقوله تعالى: ﴿ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوۡمٗا نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ وَهَمُّواْ بِإِخۡرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٍۚ ﴾ [التوبة: ١٣].(٢)

* تهييج المؤمنين وذلك بحثِّهم على التوبة بأسلوب الاستفهام: كقوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسۡتَغۡفِرُونَهُۥۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ [المائدة: ٧٤].(٣) وقوله تعالى: ﴿ أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ ﴾ [التوبة: ١٠٤].(٤)

* تهييج المؤمنين وذلك بحثِّهم على التفكُّر والتدبُّر بأسلوب الاستفهام: كقوله تعالى: ﴿ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الأنعام: ٥٠].(٥) وقوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ ﴾ [محمد: ٢٤].(٦)

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٢/ ٤٨١.

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٤/ ١٠٣.
والجامع لأحكام القرآن، القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ، ٨/ ٨٦. ومحاسن التأويل، القاسمي، ٥/ ٣٥٩. وأيسر التفاسير، الجزائري، ٢/ ٣٤٧.

(٣) ينظر: المحرر الوجيز، ابن عطية، ٢/ ٢٢٢.

(٤) ينظر: تفسير الجلالين، المحلي، جلال الدين محمد بن أحمد المحلي (ت٨٦٤هـ)، وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت٩١١هـ)، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولى، ص ٢٥٨.
وتفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٤/ ١٨٢. وجامع البيان، الإيجي، ٢/ ٩٩. ومحاسن التأويل، القاسمي، ٥/ ٤٩٥.

(٥) ينظر: المحرر الوجيز، ابن عطية، ٢/ ٢٩٤. والجواهر الحسان، الثعالبي، ٢/ ٤٦٦.

(٦) ينظر: لباب التأويل، الخازن، ٤/ ١٤٨.

خامسًا: أسلوب النفي.

جاء خطاب التهييج في القرآن الكريم على أسلوب النفي، من ذلك:

* قوله تعالى: ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة:٢٤].وهذا النفي يفيد التهييج.(١)

* وقوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَغُلَّ ۚ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [آل عمران:١٦١]. وهذا النفي يفيد التهييج. (٢)

* وقوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ﴾ [التوبة:١٢٠] وهذا النفي يفيد التهييج. (٣)

سادسًا: أسلوب التأكيد.

وردت آيات في خطاب التهييج على أسلوب التأكيد، منها:

* قوله تعالى: ﴿حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة:١٨٠].

قال البقاعي: "وأكَّد الوُجوبَ بقوله: (حقـًا) وكذا قوله: (على المتقين) فهو إلهاب وتهييج وتذكير بما أمامَه مِن القُدوم على مَن يسأله على النقير والقِطمير".(٤)

* وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ﴾ [الانشقاق:٦].

قال أبو العباس البسيلي(٥): "هذا التأكيدُ تهْييجٌ على العمل الصالح، والكفِّ عن

---

(١) ينظر: المحرر الوجيز، ابن عطية، ١/ ١٠٧ . والتفسير الكبير، الرازي، ١/ ٢٣٤.

(٢) ينظر: عناية القاضي، الشهاب، ٣/ ٧٦.

(٣) ينظر: بحر العلوم، السمرقندي، ٢/ ٩٧. والكشاف، الزمخشري، ٢/ ٣٢١. والبحر المحيط، أبو حيان، ٥/ ٥٢٢. وغرائب القرآن، النيسابوري، ٣/ ٥٤٥. ونظم الدرر، البقاعي، ٩/ ٤٤. وفتح القدير، الشوكاني، ٢/ ٤٧٢. وفتح البيان، صديق خان، ٥/ ٤٢٢.

(٤) نظم الدرر، البقاعي، ٢/ ٣٥ .

(٥) هو أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد البسيلي التونسي (ت٨٣٠هـ)، فقيه مالكي مفسِّر، من أهل تونس، له تفسير كبير جمع فيه املاءات شيخه ابن عرفة في دروسه التفسيرية، وأضاف له زيادات. وله "تقييد" صغير عن ابن عرفة يقف عند سورة الصف.

ينظر: شجرة النور الزكيّة في طبقات المالكيّة، مخلوف، محمد بن محمد بن عمر بن علي ابن سالم مخلوف (ت١٣٦٠هـ)، تعليق عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، لبنان، الطبعة الأولى، =

العمل السيء".[١]

* وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ﴾ [الليل:٤].

قال ابن عرفة: "كَوْنُ السَّعْيِ شَتَّىٰ مَعْلومٌ، والمقصودُ التَّهْييجُ علىٰ العَمَلِ، بِدَليلِ ما بَعْدَه".[٢]

سابعًا: ذِكْرُ بعْضِ الألفاظِ والإتْيانُ ببعضِها علىٰ صيغة مُعَيَّنة.

هناك آياتٌ ذَكَرَ المفسِّرون أنها أفادتْ معنىٰ التهييج والإلهاب، بسبب ما ورَدَ فيها مِنْ ذِكْرِ بعضِ الألفاظ بِعَينِها، أو إتْيانِها علىٰ صِيَغٍ مُعَيَّنة. ومن ذلك:

* ذكر لفظ (ربكم) مضافًا إلىٰ ضمير المخاطَبين في قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة:٢١].

قال ابن عرفة: "قال الطِّيبي: أكثرُ اقترانِ النّاسِ بلفظِ الرّبِّ. قال ابنُ عَرَفة: لأنه تكليفٌ للجميع من المؤمنين والكافرين، فحَسُن فيه وصفُ التربية بالإحسان والإنعامِ علىٰ سبيل التهييجِ للامتثال".[٣]

* ذكر لفظ البنين مضافًا إلىٰ إبراهيم عليه السلام في قوله تعالىٰ: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [البقرة:١٣٢].

قال أبو حيان: "وَفِي النِّدَاءِ لِمَنْ بِحَضْرَةِ الْمُنَادِي، وَكَوْنُ النِّدَاءِ بِلَفْظِ الْبَنِينَ

=

١٤٢٤هـ، ١/ ٣٦١.

والأعلام، الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي الدمشقي (ت ١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الخامسة عشر، ٢٠٠٢ م، ١/ ٢٢٧.

ومعجم المفسرين، نويهض، عادل، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤٠٩ هـ، ١/ ٧١.

(١) نكت وتنبيهات في تفسير القرآن المجيد، البسيلي، أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد البسيلي التونسي (ت٨٣٠هـ)، مما اختصره من تقييده الكبير عن شيخه الإمام ابن عرفة وزاد عليه، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٩هـ، ٣/ ٦٢٣.

(٢) تفسير ابن عرفة، ابن عرفة، ٤/ ٣٣٥.

(٣) تفسير ابن عرفة، ابن عرفة، ١/ ٦٧. وينظر: روح البيان، إسماعيل حقي، ١/ ٧٤.

مُضَافَيْنِ إِلَيْهِ، تَلَطُّفٌ غَرِيبٌ، وَتَرْجِئَةٌ لِلْقَبُولِ، وَتَحْرِيكٌ وَهَزٌّ، لِمَا يُلْقَىٰ إِلَيْهِمْ مِنْ أَمْرِ الْمُوَافَاةِ عَلَىٰ دِينِ الْإِسْلَامِ الَّذِي يَنْبَغِي أَنْ يَتَلَطَّفَ فِي تَحْصِيلِهِ".(١)

* ذكر الأنفُس في قوله تعالىٰ: ﴿يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾ [البقرة:٢٢٨].

قال الزمخشري: "فإن قلت: هلّا قيل: يتربصن ثلاثة قروء، كما قيل تربص أربعة أشهر؟ وما معنىٰ ذكر الأنفُس؟ قلت: في ذِكر الأنفُس تهييجٌ لهُنَّ علىٰ التربُّص وزيادةُ بَعْث، لأنّ فيه ما يستنكفن منه فيحملهن علىٰ أن يتربصن، وذلك أنَّ أنفُس النساء طوامحُ إلىٰ الرِّجال، فأُمِرن أن يقْمَعن أنفُسَهن ويغلبنها علىٰ الطموح ويُجبِرنَها علىٰ التربُّص".(٢)

* ذكر المستضعَفين والنساء والوِلْدان في قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾ [النساء:٧٥].

قال السعدي: "هذا حثٌّ مِن الله لعباده المؤمنين، وتهييجٌ لهم علىٰ القتال في سبيله، وأن ذلك قد تعيَّن عليهم، وتوجَّه اللوم العظيم عليهم بتركه، فقال: (وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ) والحالُ أن المستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا، ومع هذا فقد نالهم أعظم الظلم من أعدائهم، فهم يدعون الله أن يخرجهم من هذه القرية الظالم أهلها لأنفسهم بالكفر والشرك، وللمؤمنين بالأذىٰ والصد عن سبيل الله، ومنعهم من الدعوة لدينهم والهجرة. ويدعون الله أن يجعل لهم وليًّا ونصيرًا يستنقذهم من هذه القرية الظالم أهلها، فصار جهادكم علىٰ هذا الوجه من باب القتال والذبّ عن عيالاتكم وأولادكم ومحارمكم، لا من باب الجهاد الذي هو الطمع في الكفار، فإنه وإن كان فيه فضل عظيم ويلام المتخلف عنه أعظم اللوم، فالجهاد الذي فيه استنقاذ المستضعفين منكم أعظم أجرًا

(١) البحر المحيط، أبو حيان، ١/ ٦٣٧.

(٢) الكشاف، الزمخشري، ١/ ٢٧١

وينظر: التفسير الكبير، الرازي، ٦/ ٤٣٥. وأنوار التنزيل، البيضاوي، ١/ ١٤١. ومدارك التنزيل، النسفي، ١/ ١٨٨. واللباب، ابن عادل الحنبلي، ٤/ ١١٣. وغرائب القرآن، النيسابوري، ١/ ٦٢٥.

وأكبر فائدة، بحيث يكون من باب دفع الأعداء".[١]

* ذكر الشراء على وجه المثَل في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾ [التوبة:١١١].

قال السمرقندي: "معناه: إنه طلبَ من المؤمنين أن يَفْدُوا أنفُسَهم وأموالَهم، ويَخرجوا إلىٰ الجهاد في سبيل الله، ليُثيبَهم الجَنَّة. وذكَر الشراء علىٰ وجه المثَل، لأنَّ الأموالَ والأنفُسَ كُلَّها لله تعالىٰ، وهي عند أهلها عارية، ولكنه أراد به التحريض والترغيب في الجهاد، وهذا كقوله: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ [البقرة: ٢٤٥]".[٢]

* ذكر الأهل علىٰ لسان امرأة العزيز مُضافًا إلىٰ عزيز مصر في قوله تعالىٰ: ﴿وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ ۚ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [يوسف:٢٥].

قال القشيري: "قالت: «ما جَزاءُ مَنْ أَرادَ بِأَهْلِكَ سُوءاً؟» فَذِكْرُ الأهلِ هاهنا غايةُ تهييج الحميّة وتذكيرٌ بالأَنَفَة".[٣]

* الإتيان بلفظ (علىٰ) في قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود:٦].

قال ابن عجيبة: " أي: كل ما يدِبُّ عليها عاقلاً أو غيره، إِلَّا عَلَىٰ اللهِ رِزْقُها غذاؤها ومعاشها لتكفله إياه بذلك تفضلًا وإحسانًا. وإنما أتىٰ بعلىٰ التي تقتضي الوجوب تحقيقًا لوصوله، وتهييجًا علىٰ التوكل، وقطع الوساوس فيه".[٤]

* إضافة (الدِّين) إلىٰ ضمير المخاطَبين علىٰ لسان فرعون في قوله تعالىٰ:

(١) تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص١٨٧.

(٢) بحر العلوم، السمرقندي، ٢/ ٨٩.

(٣) لطائف الإشارات، القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ت٤٦٥هـ)، تحقيق إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، الطبعة الثالثة، ٢/ ١٨٠.

(٤) البحر المديد، ابن عجيبة، ٢/ ٥٠٩.

﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴾ [غافر:٢٦].

قال ابن عاشور: " وَالْإِضَافَةُ فِي قَوْلِهِ: (دِينكُمْ) تَعْرِيضٌ بِأَنَّهُمْ أَوْلَىٰ بِالذَّبِّ عَنِ الدِّينِ، وَإِنْ كَانَ هُوَ دِينُهُ أَيْضًا، لَكِنَّهُ تَجَرَّدَ فِي مُشَاوَرَتِهِمْ عَنْ أَنْ يَكُونَ فِيهِ مُرَاعَاةٌ لِحَظِّ نَفْسِهِ، كَمَا قَالُوا هُمْ ﴿ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ﴾ [الْأَعْرَاف: ١٢٧] وَذَلِكَ كُلُّهُ إِلْهَابٌ وَتَحْضِيضٌ ".(١)

* تصوير المغتاب بمن يأكل لحم أخيه مُضافًا إلىٰ المخاطَبين في قوله تعالىٰ: ﴿ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ ﴾ [الحجرات:١٢].

قال السمين الحلبي: " كنَّىٰ بذلك عن تناول الأعراض بما لا يليق والغيبة، فَصَوَّر لهم أن المغتابَ بمنزلةِ مَن يأكل لحم أخيه ميتًا، وفيه منفرات كثيرة – وذكر منها – إضافته للمخاطبين تهييجًا لهم وإلهابًا".(٢)

* * *

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٢٤/ ١٢٥.

(٢) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، السمين الحلبي، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (ت٧٥٦هـ)، تحقيق محمد باسل عيون السود، الكتب العلمية، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٧هـ، ٤/ ١٥.

المبحث الثالث

الأغراض البيانيّة لخطاب التهييج في القرآن الكريم

لِخطاب التهييج في القرآن الكريم أهدافٌ وأغراضٌ بيانيّة كثيرة، ذكرها المفسِّرون في معرض تفسيرهم للآيات التي قالوا إنها من باب خطاب التهييج، من أهمّ هذه الأغراض:

الإغضاب أو إلهاب الغضب، التشجيع والتحريض والإلهاب والحثّ والتحضيض والتحريك والهَزّ والتحفيز والتنشيط والبَعْث، التنفير والتحذير والازدجار والتَّرْك، التحنُّن والاستعطاف وإظهار الشَّفَقة، التحبُّب والتلطُّف والترفُّق والتأنيس، التعجيز، التحسير والتلهُّف والتفجُّع والتأسُّف، التكذيب، التشويق والتفخيم، الاستفظاع، التثبيت والدوام، التقنيط والتشنيع والتقبيح، التوبيخ، التعجيب، الإغراء، التنبيه وعدم الغفلة.

أولًا: الإغضاب أو إلهاب الغضب.

جَعَلَ الزركشي (الإغضاب)[1] خطابًا مستقلًا عن خطاب التهييج، ومثَّل عليه بقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [الممتحنة:٩]. وقوله تعالى: ﴿ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴾ [الكهف:٥٠]. وقوله تعالى: ﴿ وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءً ۖ فَلَا تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ أَوْلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [النساء:٨٩].

وأرىٰ أنّ (الإغضاب) أو إلهاب الغضب، غرض بياني لخطاب التهييج، كما فَعَلَ بعضُ المفسرين. من ذلك:

* قوله تعالىٰ: ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [النور:٢].

---

(١) ينظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ٢/ ٢٤٨.

قال الزمخشري: "وقوله ﴿إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ من باب التهييج **وإلهاب الغضب** لله ولدِينه".[1]

* وقوله تعالىٰ: علىٰ لسان قوم نوح ﴿ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ﴾ [المؤمنون:٢٤].

قال أبو السعود: "﴿ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ ﴾ أي يريدُ أنْ يطلُبَ الفضلَ عليكم ويتقدَّمَكم بادِّعاءِ الرِّسالةِ مع كونهِ مثلكم، وصفوه بذلك **إغضابًا** للمُخاطَبين عليه عليه السَّلامُ وإغراءً لهم علىٰ معاداته عليه السَّلامُ".[2]

ثانيًا: التشجيع والتحريض والإلهاب والحثّ والتحضيض والتحريك والهزّ والتحفيز والتنشيط والبعث (كلها بمعنىٰ واحد) وهذه كلُّها مرادفات للتهييج.

جَعَلَ الزركشي (التشجيع والتحريض)[3] خطابًا مستقلًا عن خطاب التهييج، ومثَّل عليه بعدّة آيات، منها قوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ ﴾ [الصف:٤]. وقوله تعالىٰ: ﴿ بَلَىٰ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴾ [آل عمران:١٢٥].

وأرىٰ أنّ هذه المسمّيات وأشباهها مرادفات لخطاب التهييج، كما وردت عند كثير من المفسرين.[4]

---

(١) الكشاف، الزمخشري، ٣/ ٢٠٩

وينظر: مدارك التنزيل، النسفي، ٢/ ٤٨٧. والتفسير الكبير، الرازي، ٢٣/ ٣١٧. وفتوح الغيب، الطيبي، ١١/ ١٠. ولباب التأويل، الخازن، ٣/ ٢٧٩. والبحر المحيط، أبو حيان، ٨/ ٩. والبحر المديد، ابن عجيبة، ٤/ ٧.

(٢) إرشاد العقل السليم، أبو السعود، ٦/ ١٣٠. وينظر: روح المعاني، الألوسي، ٩/ ٢٢٧. وروح البيان، إسماعيل حقي، ٦/ ٧٨.

(٣) ينظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ٢/ ٢٤٨.

(٤) يراجع صفحة (٧) من هذا البحث. (مسمّيات خطاب التهييج)

ثالثًا: التنفير والتحذير والازدجار والتَّرْك

جَعَلَ الزركشي[(١)] (التنفير) خطابًا مستقلًا عن خطاب التهييج، ومثَّل عليه بقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ [الحجرات:١٢].

وأرىٰ أنّ (التنفير) غرض بياني لخطاب التهييج، كما فَعَلَ بعضُ المفسرين، وأضافوا إليه أغراضًا بيانيّة أخرىٰ كالتحذير والزجر والتَّرْك. ومن الآيات التي وردت لهذه الأغراض:

* قوله تعالىٰ: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢٢].

قال أبو حيان: "(وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ) جُمْلَةٌ حَالِيَّةٌ، وَفِيهَا مِنَ التَّحْرِيكِ إِلَىٰ **تَرْكِ** الْأَنْدَادِ وَإِفْرَادِ اللهِ بِالْوَحْدَانِيَّةِ مَا لَا يَخْفَىٰ، أَيْ أَنْتُمْ مِنْ ذَوِي الْعِلْمِ وَالتَّمْيِيزِ بَيْنَ الْحَقَائِقِ وَالْإِدْرَاكِ لِلَطَائِفِ الْأَشْيَاءِ وَالِاسْتِخْرَاجِ لِغَوَامِضِ الدَّلَائِلِ، فِي الرُّتْبَةِ الَّتِي لَا تَلِيقُ لِمَنْ تَحَلَّىٰ بِهَا أَنْ يَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَهُ".[(٢)]

* وقوله تعالىٰ: ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَّا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ ۚ وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة:١٤٥].

قال الزمخشري: "وقوله (وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم) بعد الإفصاح عن حقيقة حاله المعلومة عنده في قوله (وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ) كلام وارد علىٰ سبيل الفرض والتقدير، بمعنىٰ: ولئن اتبعتهم مثلًا بعد وضوح البرهان والإحاطة بحقيقة الأمر (إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ) المرتكبين الظلم الفاحش. وفي ذلك لطف للسامعين وزيادة **تحذير**، واستفظاع لحال من يترك الدليل بعد إنارته ويتبع الهوىٰ، وتهييج وإلهاب للثبات علىٰ الحق".[(٣)]

(١) ينظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ٢/ ٢٤٩.
(٢) البحر المحيط، أبو حيان، ١/ ١٦٢.
(٣) الكشاف، الزمخشري، ١/ ٢٠٣.

نلحظ هنا أن الزمخشري استنبط أكثر من غرض بياني لهذه الآية، كاللطف والتحذير والاستفظاع والثبات.

* وقوله تعالىٰ: ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴾ [الأعراف:٨٤].

قال أبو حيان: "(فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ) خِطَابٌ لِلرَّسُولِ أَوْ لِلسَّامِعِ قِصَّتَهُمْ كَيْفَ كَانَ مَآلُ مَنْ أَجْرَمَ، وَفِيهِ إِيقَاظٌ **وَازْدِجَارٌ** أَنْ تَسْلُكَ هَذِهِ الْأُمَّةُ هَذَا الْمَسْلَكَ"[١].

رابعًا: التحنُّن والاستعطاف وإظهار الشَّفَقَة.

جَعَلَ الزركشي (التحنُّن والاستعطاف)[٢] خطابًا مستقلًا عن خطاب التهييج، وتابعه السيوطي[٣] علىٰ هذا، ومثَّلا عليه بقوله تعالىٰ: ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ﴾ [الزمر:٥٣].

وأرىٰ أن (التحنُّن والاستعطاف) وإظهار الشفقة أغراض بيانية لخطاب التهييج، كما فَعَلَ بعضُ المفسرين، ومن الآيات الواردة علىٰ هذه الأغراض:

* قوله تعالىٰ: ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ ﴾ [البقرة:٢٣٣].

قال أبو حيان: "ثُمَّ أُضِيفَ الْأَوْلَادُ إِلَىٰ الْوَالِدَاتِ تَنْبِيهًا عَلَىٰ **شَفَقَتِهِنَّ** عَلَىٰ الْأَوْلَادِ، وَهَزًّا لَهُنَّ وَحَثًّا عَلَىٰ الْإِرْضَاعِ".[٤]

---

(١) البحر المحيط، أبو حيان، ٥/ ١٠٣.
(٢) ينظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ٢/ ٢٥٠.
(٣) ينظر: الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، ٣/ ١١٥.
(٤) البحر المحيط، أبو حيان، ٢/ ٥٠٤.

خامسًا: التحبُّب والتلطُّف والترفُّق والتأنيس.

جَعَلَ الزركشي (التحبُّب) [١] خطابًا مستقلًا عن خطاب التهييج، وتابعه السيوطي [٢] علىٰ هذا، ومثَّلا له بقوله تعالىٰ: ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ ﴾ [مريم:٤٢]. وقوله تعالىٰ: ﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ ﴾ [القمان:١٦]. وقوله تعالىٰ: ﴿ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِيٓ ﴾ [طه:٩٤].

وأرىٰ أنّ (التحبُّب) غرض بياني لخطاب التهييج، كما فَعَلَ بعضُ المفسرين، وأضافوا إليه التلطُّف والترفُّق والتأنيس، ومنه:

* قوله تعالىٰ: ﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [المائدة:٧٤].

قال ابن عطية: "ثم **رفق** جَلَّ وعَلا بِهم بتحضيضه إياهم علىٰ التوبة وطلب المغفرة، ثم وصف نفسه بالغفران والرحمة استجلابًا للتائبين **وتأنيسًا** لهم ليكونوا علىٰ ثقة من الانتفاع بتوبتهم". [٣]

* قوله تعالىٰ: ﴿ وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ [القمر:١٥].

قال ابن جزي: " تَحضيضٌ علىٰ الإدِّكار، فيه **مُلاطَفَةٌ** جَميلةٌ مِن الله لِعِبادِه ". [٤]

سادسًا: التعجيز.

جَعَلَ الزركشي (التعجيز) [٥] خطابًا مستقلًا عن خطاب التهييج، ومثَّلَ عليه بقوله تعالىٰ: ﴿ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ ﴾[البقرة:٢٣]. وقوله تعالىٰ: ﴿ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ ﴾ [الطور:٣٤]. ووافقه السيوطي [٦] علىٰ هذا، ومثَّل عليه بالآية الأولىٰ فقط.

وأرىٰ أنّ (التعجيز) غرض بياني لخطاب التهييج، كما فَعَلَ بعضُ المفسرين.

---

(١) ينظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ٢/ ٢٥٠.
(٢) ينظر: الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، ٣/ ١١٥.
(٣) المحرر الوجيز، ابن عطية، ٢/ ٢٢٢.
(٤) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، ٢/ ٣٢٤
(٥) ينظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ٢/ ٢٥٠.
(٦) ينظر: الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، ٣/ ١١٥.

ومن ذلك:

* قوله تعالىٰ: ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ ﴾ [البقرة:٢٤]

قال ابن عطية: "وفي قوله: (وَلَن تَفْعَلُواْ) إثارةٌ لِهِمَمِهِم وتَحريكٌ لِنُفوسِهم، لِيكونَ **عَجْزُهم** بَعْدَ ذلكَ أبدَع".[1]

* وقوله تعالىٰ: ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗۖ لَّوۡلَا يَأۡتُونَ عَلَيۡهِم بِسُلۡطَٰنِۭ بَيِّنٖۖ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا ﴾ [الكهف:١٥].

قال القرطبي: "قوله تعالىٰ: (هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗ) أي قال بعضهم لبعض: هؤلاء قومنا أي أهل عصرنا وبلدنا، عبدوا الأصنام تقليدًا من غير حجة. (لَّوۡلَا) أي هلّا. (يَأۡتُونَ عَلَيۡهِم بِسُلۡطَٰنِۭ بَيِّنٖ) أي بحجة علىٰ عبادتهم الصنم. وقيل: (عَلَيۡهِم) راجع إلىٰ الآلهة، أي هلّا أقاموا بيّنة علىٰ الأصنام في كونها آلهة، فقولهم: (لَّوۡلَا) تحضيض بمعنىٰ **التعجيز**، وإذا لم يمكنهم ذلك لا يجب أن يلتفت إلىٰ دعواهم".[2]

سابعًا: التحسير والتلهُّف والتفجُّع والتأسُّف.

جَعَلَ الزركشي (التحسير والتلهُّف)[3] خطابًا مستقلًا عن خطاب التهييج، ومثَّل له بقوله تعالىٰ: ﴿ قُلۡ مُوتُواْ بِغَيۡظِكُمۡ ﴾ [آل عمران:١١٩].

وأرىٰ أن (التحسير والتلهُّف) غرض بياني لخطاب التهييج، كما فَعَلَ بعضُ المفسرين، وأضافوا له: التفجُّع والتأسُّف. ومن ذلك:

* قوله تعالىٰ: ﴿ فَلَوۡلَا كَانَ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مِن قَبۡلِكُمۡ أُوْلُواْ بَقِيَّةٖ يَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡفَسَادِ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ [هود:١١٦].

قال السمين الحلبي: "«لولا» تحضيضيةٌ دخلها معنىٰ **التفجُّع** عليهم، وهو

(١) المحرر الوجيز، ابن عطية، ١/ ١٠٧. وينظر: التفسير الكبير، الرازي، ١/ ٢٣٤.
(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ١٠/ ٣٦٦. وينظر: التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، ١/ ٤٦٠.
(٣) ينظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ٢/ ٢٥١.

قريبٌ مِنْ مجازِ قوله تعالىٰ: ﴿ يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِ ﴾ [يس:٣٠]".[١]

وقال الثعالبي: " فَلَوْلا: هي التي للتحضيض، لكن يقترن بها هنا مَعْنَىٰ **التفجُّع والتأسُّف** الذي ينبغي أنْ يقعَ من البَشَر عَلَىٰ هذه الأُمَمِ التي لم تهتدِ، وهذا نحو قوله سبحانه: ﴿ يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِ ﴾ [يس:٣٠]".[٢]

ثامنًا: التكذيب.

جَعَلَ الزركشي (التكذيب)[٣] خطابًا مستقلًا عن خطاب التهييج، ومثّل له بقوله تعالىٰ: ﴿ قُلۡ فَأۡتُواْ بِٱلتَّوۡرَىٰةِ فَٱتۡلُوهَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾ [آل عمران:٩٣]. وقوله تعالىٰ: ﴿ قُلۡ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشۡهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا ﴾ [الأنعام:١٥٠].

وأرىٰ أن (التكذيبَ) غرضٌ بيانيٌّ لخطاب التهييج، غيرُ مُستقلٍّ عنه.

تاسعًا: التشويق والتفخيم.

ورد خطاب التهييج في القرآن الكريم، والغرض منه تشويق المخاطَبين، من ذلك:

* قوله تعالىٰ: ﴿ وَهَلۡ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلۡخَصۡمِ إِذۡ تَسَوَّرُواْ ٱلۡمِحۡرَابَ ﴾ [ص:٢١].

قال البيضاوي: "(وَهَلۡ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلۡخَصۡمِ) استفهامٌ معناه التعجيبُ **والتشويقُ** إلىٰ استماعِه".[٤]

* وقوله تعالىٰ: ﴿ قُلۡ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيۡرٖ مِّن ذَٰلِكُمۡۖ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ﴾ [آل عمران:١٥].

قال أبو السعود: "(قُلۡ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيۡرٖ مِّن ذَٰلِكُمۡ) إثرَ ما بيّن شأنَ مُزخْرَفات الدنيا وذكر ما عنده تعالىٰ مِن حُسْن المآب إجمالًا[٥]، أمرَ النبيَّ صلَّىٰ الله عليهِ وسلم

(١) الدر المصون، السمين الحلبي، ٦/ ٤٢٢.
(٢) الجواهر الحسان، الثعالبي، ٣/ ٣٠٧.
(٣) ينظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ٢/ ٢٥١.
(٤) أنوار التنزيل، البيضاوي، ٥/ ٢٧. وينظر: لباب التأويل، الخازن، ٤/ ٣٤.
(٥) يشير إلىٰ الآية التي قبلها، وهي قوله تعالىٰ ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلۡبَنِينَ وَٱلۡقَنَٰطِيرِ =

بتفاصيل ذلك المجمَل للناس مبالغةً في الترغيب. والخطابُ للجميع، والهمزةُ للتقرير، أي أأُخبرُكم بما هو خير مما فُصِّل من تلك المستلذّات المزيّنة لكم، وإبهام الخير **لتفخيمِ** شأنِه **والتشويقِ** إليه".(١)

عاشرًا: الاستفظاع.

ورد خطاب التهييج في القرآن الكريم، والغرض منه الاستفظاع، من ذلك:

* قوله تعالىٰ: ﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُواْ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ [البقرة:١٤٥].

قال الزمخشري: "وقوله (وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم) بعد الإفصاح عن حقيقة حاله المعلومة عنده في قوله (وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ) كلام وارد علىٰ سبيل الفرض والتقدير، بمعنىٰ: ولئن اتبعتهم مثلًا بعد وضوح البرهان والإحاطة بحقيقة الأمر (إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ) المرتكبين الظلم الفاحش. وفي ذلك لطف للسامعين وزيادة تحذير، **واستفظاع** لحال من يترك الدليل بعد إنارته ويتبع الهوىٰ، وتهييج وإلهاب للثبات علىٰ الحق".(٢)

حادي عشر: التثبيت والدوام.

ورد خطاب التهييج في القرآن الكريم، والغرض منه التثبيت والدوام، من ذلك:

* قولــه تعــالىٰ: ﴿ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴾ [يونس:٩٤-٩٥].

قال الزمخشري: "(فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ)، (وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ) أي

= ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَـٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴾ [آل عمران:١٤].

(١) إرشاد العقل السليم، أبو السعود، ٢/ ١٥.

(٢) الكشاف، الزمخشري، ١/ ٢٠٣.

فاثبُت وَدُمْ علىٰ ما أنت عليه من انتفاء المرية عنك والتكذيب بآيات الله. ويجوز أن يكون علىٰ طريقة التهييج والإلهاب، كقوله ﴿فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَافِرِينَ ۝٨٦ وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ﴾ [القصص:٨٦-٨٧]. ولزيادة **التثبيت** والعِصمة".(١)

ثاني عشر: التقنيط والتشنيع والتقبيح.

ورد خطاب التهييج في القرآن الكريم، والغرض منه التقنيط والتشنيع والتقبيح، من ذلك:

* قوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر:٦٥].

قال أبو السعود: "(لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ) كلامٌ واردٌ علىٰ طريقةِ الفرضِ لتهييجِ الرُّسلِ **وإقناط** الكفرةِ، والإيذانِ بغايةِ **شناعةِ** الإشراكِ **وقُبحهِ**، وكونِه بحيثُ ينهىٰ عنه من لا يكادُ يمكن أنْ يباشرَه فكيف بِمَن عَداهُ".(٢)

ثالث عشر: التوبيخ.

ورد خطاب التهييج في القرآن الكريم، والغرض منه التوبيخ، من ذلك:

* قوله تعالىٰ: ﴿أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [التوبة:١٣].

قال القرطبي: " (أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوا أَيْمَانَهُمْ) **توبيخ**، وفيه معنىٰ التحضيض".(٣)

---

(١) الكشاف، الزمخشري، ٢/ ٣٧٠.
وينظر: أنوار التنزيل، البيضاوي، ٣/ ١٢٣. ومدارك التنزيل، النسفي، ٢/ ٤١. وإرشاد العقل السليم، أبو السعود، ٢/ ٤٦.

(٢) إرشاد العقل السليم، أبو السعود، ٧/ ٢٦٢.
وينظر: البحر المديد، ابن عجيبة، ٥/ ٩٩. وروح البيان، إسماعيل حقي، ٨/ ١٣٣. وروح المعاني، الألوسي، ١٢/ ٢٧٨.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٨/ ٨٦.

رابع عشر: التعجيب.

ورد خطاب التهييج في القرآن الكريم، والغرض منه التعجيب، من ذلك:

* قوله تعالىٰ: ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴾ [الشعراء:٢٣-٢٥].

قال ابن عاشور: "(قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ)، أَعْرَضَ فِرْعَوْنُ عَنْ خِطَابِ مُوسَىٰ، وَاسْتَثَارَ نُفُوسَ الْمَلَأِ مِنْ حَوْلِهِ، وَهُمْ أَهْلُ مَجْلِسِهِ، فَاسْتَفْهَمَهُمُ اسْتِفْهَامَ **تَعَجُّبٍ** مِنْ حَالِهِمْ، كَيْفَ لَمْ يَسْتَمِعُوا مَا قَالَهُ مُوسَىٰ، فَنَزَّلَهُمْ مَنْزِلَةَ مَنْ لَمْ يَسْتَمِعْهُ تَهْيِيجًا لِنُفُوسِهِمْ، كَيْ لَا تَتَمَكَّنَ مِنْهُمْ حُجَّةُ مُوسَىٰ، فَسَلَّطَ الِاسْتِفْهَامَ عَلَىٰ نَفْيِ اسْتِمَاعِهِمْ كَمَا تَقَدَّمَ. وَهَذَا التَّعَجُّبُ مِنْ حَالِ اسْتِمَاعِهِمْ وَسُكُوتِهِمْ يَقْتَضِي التَّعَجُّبَ مِنْ كَلَامِ مُوسَىٰ بِطَرِيقِ فَحْوَىٰ الْخِطَابِ فَهُوَ كِنَايَةٌ عَنْ تَعَجُّبٍ آخَرَ".(١)

خامس عشر: الإغراء.

ورد خطاب التهييج في القرآن الكريم، والغرض منه الإغراء، من ذلك:

* قوله تعالىٰ: ﴿ وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ ﴾ [البقرة:١٩٠].

قال ابن كثير: "هُوَ تَهْيِيجٌ **وَإِغْرَاءٌ** بِالْأَعْدَاءِ الَّذِينَ هِمَّتُهُمْ قِتَالُ الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ، أَيْ كما يقاتِلُونكم فاقْتُلوهُم أَنْتُمْ".(٢)

* وقوله تعالىٰ: ﴿ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ وَهَمُّوا۟ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ [التوبة:١٣].

قال ابن كثير: "وَهَذَا أَيْضًا تَهْيِيجٌ وتحْضِيضٌ **وإغْراءٌ** علَىٰ قِتالِ الْمُشْرِكِينَ النَّاكِثِينَ بِأَيْمانِهِم الَّذِينَ هَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ مِنْ مَكَّةَ".(٣)

---

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ١٩/ ١١٨.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ١/ ٣٨٧. وينظر: محاسن التأويل، القاسمي، ٢/ ٥٧.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٤/ ١٠٣. وينظر: محاسن التأويل، القاسمي، ٥/ ٣٥٩.

سادس عشر: التنبيه وعدم الغفلة.

ورد خطاب التهييج في القرآن الكريم، والغرض منه التنبيه وعدم الغفلة، من ذلك:

* قوله تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ﴾ [الحجرات:٢].

قال الزمخشري: "إعادة النداء عليهم: استدعاءٌ منهم لتجديدِ الاستبصارِ عندَ كُلِّ خِطابٍ وارِدٍ، وتَطريةُ الإنصاتِ لكلِّ حُكْمٍ نازِلٍ، وتَحريكٌ منهم **لئلّا يفتروا ويغفلوا** عن تأمُّلِهم وما أخذوا به عند حضور مجلس رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم من الأدب الذي المحافظة عليه تعود عليهم بعظيم الجَدوىٰ في دِينِهِم".(١)

* وقوله تعالىٰ: ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ [الرحمن:١٦].

قال ابن عطية: "وكرّر قوله: (فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) تأكيدًا أو تنبيهًا للنفوس وتحريكًا لها، وهذه طريقة من الفصاحة معروفة، وهي من كتاب الله في مواضع، وفي حديث النبي صلىٰ الله عليه وسلم، وفي كلام العرب وذهب قوم منهم ابن قتيبة وغيره إلىٰ أن هذا التكرار إنما هو لما اختلفت النِّعَمُ المذكورةُ كرّرَ التوقيف مع كل واحدة منها، وهذا حسن. قال الحسين بن الفضل: التكرار **لطرد الغفلة** ولا تأكيد".(٢)



(١) الكشاف، الزمخشري، ٤/ ٣٥١. وينظر: مدارك التنزيل، النسفي، ٣/ ٣٤٧ .

(٢) المحرر الوجيز، ابن عطية، ٥/ ٢٢٦.

الخاتمة

أختم هذا البحث بما توصَّلْتُ فيه إلىٰ أهمّ النتائج والتوصيات:

أولًا: أهم النتائج.

١. يُقصَدُ بخِطاب التهييج في القرآن الكريم علىٰ الاتّساع: كَلامُ اللهِ تَعالىٰ في القُرآنِ الكَريمِ الموَجَّهُ للمُكَلَّفين علىٰ جِهَة الطَّلَبِ بِأساليبَ مَخْصُوصَةٍ لِتَحْرِيكِ نُفُوسِهِم وَحَثِّها وَبَعْثها علىٰ الاسْتِجابةِ لَه.

٢. جاء خطاب التهييج في القرآن الكريم علىٰ أساليب عديدة من أبرزها: الشرط، والنهي، والأمر، والاستفهام، والنداء، والنفي، والحصر، والتأكيد، والتخصيص بالذكر. وقد يأتي الخطاب الواحد علىٰ أكثر من أسلوب.

٣. أوَّلُ مَن تكلَّم في أنواع الخطاب في القرآن الكريم هو الإمام ابن الجوزي المتوفىٰ سنة (٥٩٧هـ) في كتابه (المدهش) ، ولم يذكر بينها خطاب التهييج. ثم جاء الإمام الزركشي المتوفىٰ سنة (٧٩٤هـ)، وتوسّع في بيان أنواع الخطاب في القرآن، حيث ذكر في كتابه (البرهان في علوم القرآن) أكثر من ثلاثين نوعًا من وجوه خطابات القرآن الكريم، وهو أوّل من أضاف إليها خطاب التهييج. ثم تابعه في ذلك الإمام السيوطي المتوفىٰ سنة (٩١١هـ) في كتابه (الإتقان في علوم القرآن)، حيث نقل وجوه الخطابات عن الإمام الزركشي مع بعض الاختلافات اليسيرة. وجميع هؤلاء الأئمة لم يعرِّفوا بخطابات القرآن، ولم يذكروا أساليبها، ولم يوضِّحوا أغراضها البيانية، وإنما اكتفوا بذكر نوع الخطاب مع التمثيل علىٰ كل نوع بآيات من القرآن الكريم.

٤. ذَكَرَ المفَسِّرونَ مُسَمَّياتٍ أُخرَىٰ لخِطابِ التهييج، تُعَدُّ مُرادِفاتٍ له، ومن ذلك: الإلهاب، والتحضيض، والتحريض، والتحريك، والتحفيز، والتشجيع، والتنشيط، والحثّ، والبَعْث، والهزّ، والإغضاب، والتشويق. ومن الملاحَظ أن معظم هذه المسَمَّيات إنّما تصلح لأن تكون أغراضًا بيانية يخْرُجُ إليها خِطابُ التهييج.

٥. لخطابِ التهييجِ أهميةٌ كبيرةٌ في فهم المراد من الكلام، حيث يدفعُ المخاطَبَ علىٰ الاستجابة لما يريده المتكلِّم، وذلك لما يثيره هذا الخطاب في نفسِ

المخاطَبِ من الهزّ والتحريك. ثم إن في معرفة أساليب خطاب التهييج وأنواعها وأدواتها باعِثٌ كبيرٌ علىٰ تطبيق هذه الأساليب وتوظيفها في خطاب المتكلِّم. وتكمنُ أهمية خطاب التهييج أيضًا في الوقوف علىٰ الأغراض البيانية التي يخرجُ إليها هذا الخطاب، إذ بمعرفتها تتجلّىٰ المعاني المرادة منه.

٦. لِخطاب التهييج في القرآن الكريم أهدافٌ وأغراضٌ بيانيّة كثيرة، أهمّها: الإغضاب، التشجيع والتحريض والإلهاب والحثّ والتحضيض والتحريك والهَزّ والتحفيز والتنشيط والبَعْث، التنفير والتحذير والازدجار والتَّرْك، التحنُّن والاستعطاف وإظهار الشَّفَقة، التحبُّب والتلطُّف والترفُّق والتأنيس، التعجيز، التحسير والتلهُّف والتفجُّع والتأسُّف، التكذيب، التشويق والتفخيم، الاستفظاع، التثبيت والدوام، التقنيط والتشنيع والتقبيح، التوبيخ، التعجيب، الإغراء، التنبيه وعدم الغفلة. وقد يأتي الخطاب الواحد لتحقيق أكثر من غرض بلاغي، يحدّده السياق والأسلوب.

ثانيًا: أهم التوصيات.

١. العناية بدراسة الخطاب القرآني علىٰ وجه العموم، من حيث أساليبه وأغراضه البيانية.

٢. العناية بدراسة خطاب التهييج في القرآن الكريم علىٰ وجه الخصوص، ودراسته دراسة أسلوبية مقارنة بين البلاغيين والمفسرين والباحثين في علوم القرآن.

٣. الاهتمام بمسألة: هل خطابُ التهييجِ المتّجِه للنبي صلىٰ الله عليه وسلَّم يُقصَدُ به هو، أو تُقصَدُ به أُمَّته؟

وبعد، فهذا ما تيسَّر لي في هذا البحث، سائلًا الله تعالىٰ أن يتقبَّل منّي هذا العمل، وأن يرزقني الإخلاص في القول والعمل، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام علىٰ نبيّنا محمد، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

المصادر والمراجع

١. **الإتقان في علوم القرآن**، السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ)، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ.

٢. **الإحكام في أصول الأحكام**، الآمدي، أبو الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي الآمدي (ت٦٣١هـ)، تحقيق عبد الرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق.

٣. **إرشاد العقل السليم إلىٰ مزايا الكتاب الكريم**، أبو السعود، محمد بن محمد ابن مصطفىٰ العمادي (ت٩٨٢هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٤. **أساس البلاغة**، الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري جار الله (ت٥٣٨هـ)، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٩ هـ.

٥. **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (ت١٣٩٣هـ)، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ.

٦. **الأعلام**، الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي الدمشقي (ت ١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الخامسة عشر، ٢٠٠٢ م.

٧. **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت ٦٨٥هـ)، تحقيق محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٨هـ.

٨. **أوضح التفاسير**، الخطيب، محمد محمد عبد اللطيف بن الخطيب (ت١٤٠٢هـ)، المطبعة المصرية ومكتبتها، الطبعة السادسة، ١٣٨٣هـ.

٩. **أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير**، الجزائري، جابر بن موسىٰ بن عبد القادر ابن جابر أبو بكر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الخامسة، ١٤٢٤هـ.

١٠. **بحر العلوم**، السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (ت٣٧٣هـ)، تحقيق علي معوض وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٣ه.

١١. **البحر المحيط في أصول الفقه**، الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت٧٩٤هـ)، دار الكتبي، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٤هـ.

١٢. **البحر المحيط في التفسير**، أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف ابن حيان أثير الدين الأندلسي (ت٧٤٥هـ)، تحقيق صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ.

١٣. **البحر المديد في تفسير القرآن المجيد**، ابن عجيبة، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (ت١٢٢٤هـ)، تحقيق أحمد عبد الله القرشي رسلان، الناشر: الدكتور حسن عباس زكي، القاهرة، ١٤١٩هـ.

١٤. **البرهان في علوم القرآن**، الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله ابن بهادر الزركشي (ت٧٩٤هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسىٰ البابي الحلبي وشركائه، الطبعة الأولىٰ، ١٣٧٦هـ.

١٥. **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**، الفيروزأبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت٨١٧هـ)، تحقيق محمد علي النجار، الناشر: المجلس الأعلىٰ للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة.

١٦. **التحرير والتنوير «تحرير المعنىٰ السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»**، ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤هـ.

١٧. **التسهيل لعلوم التنزيل**، ابن جزي الكلبي، أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله الغرناطي (ت٧٤١هـ)، تحقيق الدكتور عبد الله الخالدي، نشر شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٦ه.

١٨. **تفسير ابن عرفة**، ابن عرفة، محمد بن محمد ابن عرفة الورغمي التونسي المالكي أبو عبد الله (ت٨٠٣هـ)، تحقيق جلال الأسيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ٢٠٠٨م.

١٩. **تفسير الجلالين**، المحلي، جلال الدين محمد بن أحمد المحلي (ت٨٦٤هـ)، وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت٩١١هـ)، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولىٰ.

٢٠. **تفسير القرآن العظيم**، ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت٧٧٤هـ)، تحقيق محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٩هـ.

٢١. **التفسير الكبير**، الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٠هـ.

٢٢. **التمهيد في تخريج الفروع علىٰ الأصول**، الإسنوي، عبد الرحيم بن الحسن ابن علي الإسنوي الشافعيّ أبو محمد جمال الدين (ت٧٧٢هـ)، تحقيق د. محمد حسن هيتو، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٠هـ.

٢٣. **تهذيب اللغة**، الأزهري، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي أبو منصور (ت٣٧٠هـ)، تحقيق محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ٢٠٠١م.

٢٤. **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت١٣٧٦هـ)، تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٠هـ.
٢٥. **جامع البيان في تفسير القرآن**، الإيجي، محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الحسني الحسيني الإِيجي الشافعيّ (ت٩٠٥هـ)، الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٤هـ.
٢٦. **الجامع لأحكام القرآن**، القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر ابن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ.
٢٧. **جمهرة اللغة**، ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت٣٢١هـ)، تحقيق رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٩٨٧م.
٢٨. **الجواهر الحسان في تفسير القرآن**، الثعالبي، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد ابن مخلوف الثعالبي (ت٨٧٥هـ)، تحقيق محمد علي معوض وعادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٨هـ.
٢٩. **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون**، السمين الحلبي، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (ت٧٥٦هـ)، تحقيق الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق.
٣٠. **رفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب**، السبكي، تاج الدين عبد الوهاب ابن تقي الدين السبكي (ت٧٧١هـ)، تحقيق علي محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود، عالم الكتب، لبنان، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٩هـ.
٣١. **روح البيان**، إسماعيل حقي، بن مصطفىٰ الإستانبولي الحنفي الخلوتي ،

المولىٰ أبو الفداء (ت١١٢٧هـ)، دار الفكر، بيروت.

٣٢. **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت ١٢٧٠هـ)، تحقيق علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٥هـ.

٣٣. **روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه علىٰ مذهب الإمام أحمد بن حنبل**، ابن قدامة المقدسي، أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي الشهير بابن قدامة المقدسي (ت٦٢٠هـ)، مؤسسة الريّان، الطبعة الثانية، ١٤٢٣ه.

٣٤. **شجرة النور الزكيّة في طبقات المالكيّة**، مخلوف، محمد بن محمد بن عمر ابن علي ابن سالم مخلوف (ت١٣٦٠هـ)، تعليق عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، لبنان، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٤ هـ، ١/ ٣٦١.

٣٥. **شرح التلويح علىٰ التوضيح**، التفتازاني، سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني (ت٧٩٣هـ)، مكتبة صبيح بمصر.

٣٦. **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت٣٩٣هـ)، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧هـ.

٣٧. **الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز**، العلوي (ت٧٤٥هـ)، يحيىٰ ابن حمزة بن علي بن إبراهيم الحسيني العلويّ الطالبي الملقب بالمؤيد بالله، المكتبة العنصرية، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٣هـ.

٣٨. **عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ**، السمين الحلبي، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (ت٧٥٦هـ)، تحقيق محمد باسل عيون السود، الكتب العلمية، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٧هـ.

٣٩. **عناية القاضي وكفاية الراضي (حاشية الشهاب علىٰ تفسير البيضاوي)**،

الشهاب الخفاجي، أحمد بن محمد بن عمر الشهاب الخفاجي (ت١٠٦٩هـ)، دار صادر، بيروت.

٤٠. **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد ابن حسين القمي النيسابوري (ت٨٥٠هـ)، تحقيق الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٦هـ.

٤١. **فتح البيان في مقاصد القرآن**، صدّيق حسن خان، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (ت١٣٠٧هـ)، تقديم عبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، المكتبة العصريَّة، بَيروت، صَيدا، ١٤١٢ه.

٤٢. **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**، الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت ١٢٥٠هـ)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٤هـ.

٤٣. **فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي علىٰ الكشاف)**، الطيبي، شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (ت٧٤٣هـ)، الناشر: جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، الطبعة الأولىٰ، ١٤٣٤ه.

٤٤. **القاموس المحيط**، الفيروزأبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت٨١٧هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثامنة، ١٤٢٦هـ.

٤٥. **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري جار الله (ت٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ.

٤٦. **لباب التأويل في معاني التنزيل**، الخازن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن المعروف بالخازن (ت٧٤١هـ)، تصحيح محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٥هـ.

٤٧. **اللباب في علوم الكتاب**، ابن عادل الحنبلي، أبو حفص سراج الدين عمر ابن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (ت٧٧٥هـ)، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٩هـ.

٤٨. **لسان العرب**، ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ.

٤٩. **لطائف الإشارات**، القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ت٤٦٥هـ)، تحقيق إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، الطبعة الثالثة.

٥٠. **محاسن التأويل**، القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (ت١٣٣٢هـ)، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٨هـ.

٥١. **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت٥٤٢هـ)، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٢هـ.

٥٢. **المحكم والمحيط الأعظم**، ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت٤٥٨هـ)، تحقيق:عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ.

٥٣. **مختار الصحاح**، ابن أبي بكر الرازي، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت٦٦٦هـ)، تحقيق يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت، صيدا، الطبعة الخامسة، ١٤٢٠هـ.

٥٤. **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (ت٧١٠هـ)، تحقيق يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٩هـ.

٥٥. **المدهش**، ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت٥٩٧هـ)، تحقيق الدكتور مروان قباني، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ.

٥٦. **معجم المفسرين**، نويهض، عادل، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤٠٩ هـ.

٥٧. **معجم مقاييس اللغة**، ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي أبو الحسين (ت٣٩٥هـ)، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ.

٥٨. **المفردات في غريب القرآن**، الراغب، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت٥٠٢هـ)، تحقيق صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٢هـ.

٥٩. **الموافقات**، الشاطبي، إبراهيم بن موسىٰ بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (ت٧٩٠)، تحقيق أبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٧هـ.

٦٠. **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت٨٨٥هـ)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

٦١. **نكت وتنبيهات في تفسير القرآن المجيد**، البسيلي، أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد البسيلي التونسي (ت٨٣٠هـ)، مما اختصره من تقييده الكبير عن شيخه الإمام ابن عرفة وزاد عليه، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٩هـ.

الإجماع في التفسير
عند الإمام السمعاني

إعداد

د. عمر بن عبد العزيز الدهيشي

أستاذ التفسير وعلوم القرآن المشارك – جامعة الملك سعود

كلية التربية – قسم الدراسات القرآنية

ملخص البحث

حكىٰ الإمام السمعاني في تفسيره جملة من الإجماعات التفسيرية علىٰ بعض معاني الآيات الكريمات، ولما للإجماع من مكانة سامية، ومرتبة متقدمة في مراتب الاستدلال، لاقت الرغبة جمع تلك الإجماعات التفسيرية مع بيان الدواعي لحكاية الإجماع، وإظهار قيمة تلك الإجماعات ومكانتها، خاصة أن جملة منها لم يسبقه فيها أحد، وخلصت الدراسة إلىٰ نتائج أهمها:

١/ تساهل المصنف في حكاية الإجماع.

٢/ استفادة المصنف الظاهرة من الإمام الواحدي في تفاسيره الثلاثة، بصرف النظر عن استفادتهما من شيخ واحد ومفسر متقدم عليهما وهو الإمام الثعلبي صاحب الكشف والبيان.

٣/ ظهر للباحث أن الإمام البغوي وهو معاصر له قد استفاد من تفسير السمعاني وليس العكس. والله أسأل التوفيق والتسديد.



المقدمة

الحمد لله الجليل، العظيم الجميل، خلق كل شيء فأحسنه وقدر المقادير فأتقنه، والصلاة والسلام علىٰ الهادي النذير والسراج المنير صلاة وسلاماً سرمداً إلىٰ يوم الدين، وعلىٰ آله وأصحابه مصابيح الدجىٰ وأنوار الهدىٰ ومن سار علىٰ دربهم باقتفاء وعلىٰ آثارهم باهتداء، أما بعد:

تتعدد الأدلة في الشريعة الإسلامية ويتنوع الاستدلال بها، بين أدلة متفق عليها بين سائر الأمة، وأدلة مختلف فيها، ويأتي في مقدمة الأدلة المتفق عليها الكتاب والسنة، ويلحق بهما ما بني عليهما وهو الإجماع في المرتبة الثالثة، قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾[النساء١١٥] قال ابن كثير [٧٧٤هـ] : قد تكون المخالفة لنص الشارع، وقد تكون لما أجمعت عليه الأمة المحمدية فيما علم اتفاقهم عليه تحقيقاً، فإنها قد ضمنت لهم العصمة في اجتماعهم من الخطأ، تشريفاً لهم وتعظيماً لنبيهم ﷺ. (١)

وفي الحديث: (سَأَلْتُ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ لَا يَجْمَعَ أُمَّتِي عَلَىٰ ضَلَالَةٍ فَأَعْطَانِيهَا)(٢).

وقد اهتم علماء الأمة بالإجماع وأولوه عنايتهم في نقله والتثبت منه في شتىٰ أبواب العلوم الشرعية المتنوعة، ومنها إجماعاتهم في تفسير آيات الله عز وجل سواء المتعلقة بالأحكام أو غيرها.

وبما إن القول بالإجماع ونقله وحكايته يدخله الاجتهاد، فيحتمل الصحة والخطأ، والموافقة والمخالفة، رغبت أن تكون دراستي للإجماعات التفسيرية المحكية عند أحد أعلام التفسير وأقطابه الجامع بين علم التفسير والفقه وأصوله الإمام أبي المظفر منصور بن محمد السمعاني المتوفىٰ [٤٨٩هـ] وذلك في كتابه التفسير، والله أسأل التوفيق والتسديد والإعانة.

---

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٤١٣).

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده (٤٥/ ٢٠٠) [٢٧٢٢٤] والطبراني في معجمه الكبير [٢١٧١]، وقال محقق المسند : صحيح لغيره.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

إضافة لما سبق..

١/ إن حمل معنىٰ الآية الكريمة علىٰ قول أجمع عليه المفسرون من السلف يعد من أقوىٰ أنواع التفسير، بل يجب اعتماده وعدم مخالفته كما هو مقرر في أصول التفسير.

٢/ مكانة المفسر ومنزلة التفسير فقد جمع بين فني الرواية والدراية في تفسيره مع إلمام بالفقه وأصوله ونظر في سائر العلوم الشرعية، وكونه يُعدُّ من متقدمي التفسير.

٣/ إثراء الملكة التفسيرية في كون الدراسة تتعلق بالتفسير الأثري والمقارنة بين أقوال السلف في التفسير.

حدود البحث:

اقتصر البحث علىٰ إجماعات المفسرين التي حكاها الإمام السمعاني في تفسيره، بصيغ الإجماع المتنوعة المذكورة في كتب أصول الفقه، كأجمع وأجمعوا واتفق واتفقوا.. الخ، عدا ما عزي إلىٰ عامة المفسرين فإنه لا يعد من صيغ الإجماع ؛لاحتمال إرادة الجماعة الكثيرة، فدلالته علىٰ عموم أفراده ظنية وليست قطعية، فهي ليست صريحة في الدلالة علىٰ الإجماع.(١)

كذلك الاقتصار علىٰ الإجماعات التفسيرية المتعلقة بمعنىٰ الآية، دون

---

(١) ينظر: تاج العروس (٣٣/ ١٤٥)، ويمكن الاستفادة من مقالة منشورة في موقع الألوكة للأستاذ الدكتور: عبد الله بن مبارك آل سيف بعنوان: علم مسائل الإجماع علىٰ الرابط:
/http://www.alukah.net/sharia/0/65278

ووقفت علىٰ سبعة مواضع عزيت إلىٰ عامة المفسرين وفيها ما يدل إما تصريحًا أو تلميحًا علىٰ إرادة قول الجمهور وليس الإجماع، كقوله في : قوله تعالىٰ: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلۡبَنِينَ ﴾ قَالَ الْحسن: المزين: هُوَ الشَّيْطَان؛ لِأَن الله تَعَالَىٰ ذمّ الدُّنْيَا بأبلغ ذمّ، فَلَا يزينه فِي الْأَعْين. وَقَالَ عَامَّة الْمُفَسّرين: المزين: هُوَ الله تَعَالَىٰ، وتزيينه: أَنه حبب فِي قُلُوبهم شَهْوَة النِّسَاء والبنين. (١/ ٣٠٠). وفي قول الله تعالىٰ (إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلىٰ أهلها) الآية، قال: وَالْقَوْل الثَّالِث وَهُوَ قَول عَامَّة الْمُفَسّرين : أَن الْمُرَاد مِنْهُ رد مَفَاتِيح الْكَعْبَة.. (١/ ٤٣٩)

الإجماعات المحكية في القراءات أو العقيدة أو بعض الأحكام الشرعية التي تذكر من باب الاستطراد ولا أثر لها في المعنىٰ.

أهداف البحث.

١/ جمع الإجماعات المحكية عند المفسر في تفسيره ودراستها.

٢/ بيان دواعي إيراد الإجماعات التفسيرية عند الإمام السمعاني حال ذكره للإجماع في آيات كريمات قد تكون ظاهرة المعنىٰ واضحة الدلالة ومع ذلك يحكي الإجماع عليه.

٣/ إظهار قيمة الإجماعات المحكية عند المصنف.

الدراسات السابقة.

بعد البحث ومراجعة قواعد المعلومات القرآنية يمكن تقسيم الدراسات السابقة إلىٰ قسمين:

الأول: ما يتعلق بإجماع المفسرين:

وفيها دراستان :

-الإجماع في التفسير للدكتور : محمد بن عبد العزيز الخضيري وقصره علىٰ ستة مفسرين فقط، وهم : ابن جرير وابن أبي حاتم والماوردي والواحدي وابن عطية والقرطبي، وجملة الإجماعات الواردة عند السمعاني -هنا- لم ترد في الرسالة عدا موضعين فقط.

-الإجماع في التفسير جمعا ودراسة للباحث: عمار بن محمد الجماعي، وهي رسالة ماجستير، أكمل فيها ما ابتدأه الدكتور الخضيري وذلك في سائر كتب التفسير عدا الكتب الستة المشمولة في كتاب الخضيري، إلا أنه لم يأت إلا علىٰ بعض الإجماعات هنا، حيث أحصيت سبعة عشر إجماعـًا عند الإمام السمعاني، لم يأت في رسالته منها إلا سبعة إجماعات فقط، وبعد الدراسة اختلفت النتيجة في بعضها، كذلك هنا سأحرص علىٰ بيان المنهج العام للمفسر في تعامله مع إجماعات المفسرين، وبيان الدواعي لذكرها علىٰ وجه الخصوص؛ لإكمال الموضوع من

جميع جوانبه.

الثاني: ما يتعلق بتفسير الإمام السمعاني، وتوجد دراسات متنوعة خدمة التفسير، وهي علىٰ النحو التالي:

-رسائل تتعلق بتحقيق ودراسة التفسير وفيها مجموعة رسائل.

-رسائل تتعلق بمنهج الإمام السمعاني في تفسيره، وتوجد ثلاث رسائل، الأولىٰ: د. خالد بن يوسف واصل، والثانية للباحث: ثناء الله بوتو، والثالثة للباحث: عبد العزيز اليحيىٰ.

-رسائل تتعلق باختيارات الإمام السمعاني في تفسيره، وتوجد مجموعة رسائل.

-فيما يتعلق بعلوم القرآن في تفسيره، توجد رسالة للباحث: محمد حسن العجمي.

-رسائل تتعلق بالدخيل في التفسير، وتوجد ثلاث رسائل.

-رسالة تتعلق بالظواهر اللغوية عند أبي المظفر السمعاني في تفسيره للباحث: محمد عبد المنعم.

ويأتي هذا البحث تكملة للجهود التي خدمت هذا التفسير القيم، وذلك فيما يتعلق بإجماعات المفسرين في تفسير الإمام السمعاني.

منهج البحث:

اتبعت منهج الاستقراء لمواضع الإجماع، والتحليل لمباحث البحث ومطالبه، وكانت علىٰ النحو التالي:

١/ أحصيت مواضع الإجماع في التفسير كاملاً.

٢/ اقتصرت علىٰ الإجماعات التفسيرية دون بقية الإجماعات المتعلقة بالقراءات أو الأحكام الشرعية، أو العقيدة.

٣/ قسمت البحث علىٰ صيغ الإجماع المعتبرة عند علماء الأصول.

٤/ في كل مطلب تتم دراسة من وافق المصنف في حكاية الإجماع، ثم عرض أقوال المفسرين في الآية، وأختمها بالنتيجة.

٥/ عند ذكر الأعلام أكتفي بذكر سنة الوفاة فقط عوضـاً عن التعريف به ؛كـي لا يطول البحث.

٦/ تخريج الأحاديث والآثار مع ذكر حكم العلماء عليها من حيث الصحة وغيره.

خطة البحث:

اشتمل البحث علىٰ مقدمة وتمهيد وأربعة مباحث، وهي علىٰ النحو التالي:

المقدمة: وفيها أهمية الموضوع وأسباب اختياره وحدود البحث، وأهدافه، والدراسات السابقة، وخطة البحث.

التمهيد، ويشتمل علىٰ :

- التعريف بالإجماع لغة واصطلاحـًا.
- التعريف بالمؤلِّف والمؤلَّف.
- دواعي ذكر الإجماع عند الإمام السمعاني.

المبحث الأول: حكاية الإجماع بصيغة (أجمع)، وفيه ثمانية مطالب:

المطلب الأول: حكاية الإجماع في قوله تعالىٰ: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ يَأۡتِيَ رَبُّكَ أَوۡ يَأۡتِيَ بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَۗ يَوۡمَ يَأۡتِي بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفۡسًا إِيمَٰنُهَا لَمۡ تَكُنۡ ءَامَنَتۡ مِن قَبۡلُ أَوۡ كَسَبَتۡ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيۡرًا﴾ [النساء١٥٨].

المطلب الثاني: حكاية الإجماع في قوله تعالىٰ: (ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ﴾ [إبراهيم١٤].

المطلب الثالث: حكاية الإجماع في قوله تعالىٰ: ﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا كَلِمَةٗ طَيِّبَةٗ كَشَجَرَةٖ طَيِّبَةٍ أَصۡلُهَا ثَابِتٞ وَفَرۡعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [إبراهيم٢٤].

المطلب الرابع: حكاية الإجماع في قوله تعالىٰ: ﴿كُلّٗا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنۡ عَطَآءِ رَبِّكَۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحۡظُورًا﴾ [الإسراء٢٠].

المطب الخامس: حكاية الإجماع في قوله تعالىٰ: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا

مَّحۡمُودٗا﴾ [الإسراء٧٦].

المطلب السادس: حكاية الإجماع في قوله تعالىٰ: (فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلۡتَ إِلَيَّ مِنۡ خَيۡرٖ فَقِيرٞ﴾ [القصص٢٤].

المطلب السابع: حكاية الإجماع في قوله تعالىٰ: (فَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةٗۖ قَالُواْ لَا تَخَفۡۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٖ﴾ [الذاريات٢٨].

المطلب الثامن: حكاية الإجماع في قوله تعالىٰ: (وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ﴾ [الحشر٩].

المبحث الثاني: حكاية الإجماع بصيغة (جميع)، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: حكاية الإجماع في قوله تعالىٰ: (مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ فَلۡيَمۡدُدۡ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لۡيَقۡطَعۡ فَلۡيَنظُرۡ هَلۡ يُذۡهِبَنَّ كَيۡدُهُۥ مَا يَغِيظُ﴾ [الحج١٥].

المطلب الثاني: حكاية الإجماع في قوله تعالىٰ: (وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَرۡضِعِيهِۖ فَإِذَا خِفۡتِ عَلَيۡهِ فَأَلۡقِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ﴾ [القصص٩].

المطلب الثالث: حكاية الإجماع في قوله تعالىٰ: (وَأَنۢبَتۡنَا عَلَيۡهِ شَجَرَةٗ مِّن يَقۡطِينٖ﴾ [الصافات١٤٦].

المبحث الثالث: حكاية الإجماع بصيغة (أجمعوا)، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: حكاية الإجماع في قوله تعالىٰ: (فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوۡلًا غَيۡرَ ٱلَّذِي قِيلَ لَهُمۡ﴾ [البقرة٤٥].

المطلب الثاني: حكاية الإجماع في قوله تعالىٰ: (وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا ٱلۡبَلَدَ ءَامِنٗا﴾ [إبراهيم٣٥].

المطلب الثالث: حكاية الإجماع في قوله تعالىٰ: (إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ [النصر١].

المبحث الرابع: حكاية الإجماع بصيغة (اتفقوا و اتفاق)، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: حكاية الإجماع في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة٣٠].

المطلب الثاني: حكاية الإجماع في قوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾ [النساء٧٥].

المطلب الثالث: حكاية الإجماع في قوله تعالى: ﴿قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ﴾ [ق٢٧].

الخاتمة: وفيها أهم النتائج.

الفهارس.

❊ ❊ ❊

تمهيد

قبل الخوض في غمار البحث ومطالبه يحسن إيراد مقدمات أساسية كتوطئة لما بعدها من مباحث ومطالب، وهي علىٰ النحو التالي:

أولاً: التعريف بالإجماع.

- **الإجماع في اللغة.**

الجيم والميم والعين أصل واحد يدل علىٰ تضام الشيء، يقال: جمعت الشيء جمعاً[١].

فالإجماع الإحكام، وهو أن تجمع الشيء المتفرق، وأجمع أمره أي جعله جميعاً بعدما كان متفرقاً. [٢]

والإجماع الاتفاق علىٰ الشيء، وأجمعوا علىٰ الأمر أي : اتفقوا عليه. [٣]

- **الإجماع في الاصطلاح.**

عرفه الأصوليون بأنه: اتفاق مجتهدي هذه الأمة بعد النبي ﷺ في عصر علىٰ أي أمر كان[٤].

قوله: (اتفاق) الاتفاق: جنس يعم الأقوال، والأفعال، والسكوت والتقرير.

قوله: (مجتهدي) خرج به اتفاق بعضهم، واتفاق العامة، وبإضافته إلىٰ الأمة يخرج اتفاق الأمم السابقة.

وبقوله: (بعد وفاة النبي ﷺ) يخرج الإجماع في زمنه ﷺ فلا ينعقد.

وقوله: (في عصر) يخرج توهم اجتماع كلهم في جميع الأعصار إلىٰ يوم القيامة، بل يكفي وجوده في عصر ثم يصير حجة عليهم، وعلىٰ من بعدهم.

---

(١) مقاييس اللغة (٢٠٧).

(٢) ينظر: مختار الصحاح (٦٠)، لسان العرب (٢/ ٢٠٤).

(٣) ينظر: المصباح المنير (١/ ١٠٩).

(٤) وهو تعريف ابن السبكي في جمع الجوامع، ينظر: تشنيف المسامع بجمع الجوامع للزركشي (٣/ ٥٧).

وقوله: (علىٰ أي أمر كان) يعم الإثبات والنفي، والأحكام الشرعية والعقلية واللغوية والتفسيرية. [1]

ثانيًا: التعريف بالمؤلِّف(٢)، والمؤلَّف.

هو الإمام العلامة، مفتي خراسان، شيخ الشافعية أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد التميمي السمعاني المروزي الحنفي كان، ثم الشافعي[3].

ولد سنة ٤٢٦هـ في شهر ذي الحجة.

تفقّه علىٰ والده الإمام أبي منصور حتّىٰ برع في مذهب أبي حنيفة وبزّ أقرانه وصار من فحول النظر، ومكث كذلك ثلاثين سنة ثم صار إلىٰ مذهب الشافعي، وأظهر ذلك في سنة ثمان وستين وأربع مائة[4].

قال عنه حفيده صاحب الأنساب[5]: (وجدُّنا الإمام أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني إمام عصره بلا مدافعة وعديم النظر في فنه[6] ولا أقدر علىٰ أن أصف بعض مناقبه، ومن طالع تصانيفه وأنصف عرف محلّه من العلم، **صنف التفسير الحسن المليح الّذي استحسنه كل من طالعه**، وأملىٰ المجالس في الحديث وتكلم علىٰ كل حديث بكلام مفيد، وصنف التصانيف في الحديث مثل: منهاج أهل السنة والانتصار والرد علىٰ القدرية وغيرها، وصنف في أصول الفقه القواطع، وهو مغنٍ عما صنّف في ذلك الفن، وفي الخلاف: البرهان، وهو مشتمل علىٰ قريب من ألف مسألة خلافية والأوساط والمختصر الّذي سار في الآفاق والأقطار الملقب بالاصطلام.

---

(١) ينظر: المرجع السابق.

(٢) ينظر: الأنساب (٧/ ١٣٩)، وفيات الأعيان (٣/ ٢١١)، تاريخ الإسلام (١٠/ ٦٤٠)، سير أعلام النبلاء (١٩/ ١١٤) طبقات المفسرين للداودي (٢/ ٣٣٩).

(٣) سير أعلام النبلاء (١٩/ ١١٤).

(٤) ينظر: طبقات الشافعية لابن كثير (٤٨٩).

(٥) الأنساب للسمعاني (٧/ ٢٢٣- ٢٢٤).

(٦) هذه مبالغة في الوصف لا تنبغي، وقد يتساهل كثير من المترجمين بمثل هذه الأوصاف وإضفاء بعض الألقاب... والله سبحانه يقول: (وفوق كل ذي علم عليم).

وكان فقيهـًا مناظراً، فانتقل بالحجاز في سنة اثنتين وستين وأربعمائة إلىٰ مذهب الشافعيّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ وأخفىٰ ذلك وما أظهره إلىٰ أن وصل إلىٰ مرو، وجرىٰ به في الانتقال محن ومخاصمات وثبت علىٰ ذلك ونصر ما اختاره، وكان مجالس وعظه كثير النكت والفوائد).

ومن ثناء العلماء عليه ما قاله عبد الغافر الفارسي: وحيد عصره فِي وقته فضلاً وَطَرِيقَةً وزهداً وورعـًا، من بيت العلم و الزهد، تفقه بأبيه وصار من فحول أهل النظر..

وقال إمام الحرمين: لو كان الفقه ثوبـًا طاويـًا لكان أبو المظفر السمعاني طرازه.

وقال أبو علي بن الصفار: إذا ناظرت أبا المظفر فكأني أناظر رجلاً من أئمة التابعين مما أرىٰ عليه من آثار الصالحين[(١)].

وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ سليم المعتقد، ومن أئمة أهل السنة قال الذهبي [٧٤٨هـ]: (وله الأمالي في الحديث تعصب لأهل الحديث والسنة والجماعة، وكان شوكا في أعين المخالفين وحجة لأهل السنة..) [(٢)].

توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ يوم الجمعة الثالث والعشرين من ربيع الأول سنة تسع وثمانين وأربع مائة، وقد عاش ثلاثـًا وستين سنة رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

أما تفسيره: فيعد من أبرز التفاسير السلفية، الموافقة لعقيدة أهل السنة والجماعة، وهو من التفاسير المتوسطة ليس بالطويل ولا المختصر، يتميز بوضوح العبارة وسلاسة الأسلوب، سماه بـ(تفسير القرآن)، عُني فيه بذكر المكي والمدني وأسماء السور وذِكر ما ورد في فضلها من أحاديث، وأسباب النزول، وله اهتمام بأقوال الصحابة والتابعين، مع تساهل في إيراد الإسرائيليات والإكثار منها، وله عناية بآيات الأحكام مع عدم الإفاضة في الأقوال، يستشهد بالشعر وأقوال العرب، ويورد القراءات المتواترة والشاذة... فهو تفسير جامع احتوىٰ علىٰ أصول التفسير وعلومه، فرحمة الله علىٰ أبي المظفر السمعاني.

(١) ينظر: الطبقات للسبكي (٥/ ٣٣٨) وما بعدها، سير أعلام النبلاء (١٩/ ١١٨).
(٢) سير أعلام النبلاء (١٩/ ١١٩).

ثالثًا: دواعي ذكر الإجماع عند الإمام السمعاني:

أورد الإمام السمعاني جملة من إجماعات المفسرين علىٰ معاني بعض الآيات الكريمات، وفي النظر إلىٰ مجموع تلك الإجماعات، يمكن استنباط أبرز دواعي ذكر الإجماع والاستدلال به عند المصنف، وهي:

أولاً: الجمع بين الأقوال المختلفة اختلاف تنوع لا تضاد، فحكاية الإجماع علىٰ المعنىٰ العام التي تؤول إليه الأقوال الأخرىٰ فيه دلالة علىٰ أنه وإن اختلفت التفسيرات لفظيًا إلا أن المعنىٰ العام متفق، وتكون من باب اختلاف التنوع لا التضاد، كتفسيره للكلمة الطيبة في قول الله تعالىٰ ﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا كَلِمَةٗ طَيِّبَةٗ﴾، وبيانه للمراد بالفتح في قول الله تعالىٰ ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾.

ثانيًا: دفع توهم معنىٰ فاسد للآية أُثِر عن بعض السلف، فيكون ردُّه عليه بحكاية الإجماع علىٰ القول الآخر الذي قاله جمهور السلف لرد ذلك القول، كحكايته إجماع المفسرين علىٰ أن المقام المحمود هو مقام الشفاعة، وليس الذي ذهب إليه مجاهد بن جبر وغيره وهو أن يقعد الله سبحانه وتعالىٰ محمداً ﷺ معه علىٰ العرش؛ وذلك أنه لا يناسب المقام الإلهي سبحانه وتنزيهه عن ذلك.

ثالثًا: تحرير محل النزاع، فحين تتعدد أقوال المفسرين في لفظ أو معنىٰ من المعاني يحكي الإمام السمعاني الموطن الذي اتفقت عليه كلمة المفسرين واجتمع عليه قولهم تحريراً لمحل النزاع، ثم بعد ذلك يبني عليه الآراء وتعدد الأقوال في بقية الآية أو السياق ويسرد أدلتها ويرجح بينها، كحكايته لإجماع المفسرين علىٰ أن الذين تبوؤا الدار والإيمان أنهم الأنصار، ثم بعد ذلك بدأ في توجيه كونهم تبوؤا الإيمان من قبل المهاجرين.

رابعًا: وجود اشتراك في معنىٰ اللفظة بين معنىٰ قريب ومعنىٰ بعيد، فيحكي الإجماع علىٰ المعنىٰ البعيد كي لا ينصرف الذهن إلىٰ المعنىٰ القريب، كحكايته الإجماع علىٰ أن المراد بالسماء في قوله تعالىٰ: ﴿فَلۡيَمۡدُدۡ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ أنه سقف البيت، وليس السماء المعروفة.

خامسًا: تعيين معنىٰ اللفظ المحتمل لمعان متعددة، أو بيان مجمل اللفظ، فهناك ألفاظ لها عدة وجوه من المعاني فيحكي الإجماع علىٰ وجه منها تقوية للمراد وإبعاداً للمعاني الأخرىٰ، وهذا كثير كحكاية الإجماع علىٰ أن المراد بـ(الخير) في قوله تعالىٰ: ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ هو الطعام، والبلد في قوله تعالىٰ: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا﴾ أنه مكة، والقرية هي مكة... وغيرها.

سادسًا: حكاية الإجماع في الآية للاستدلال به علىٰ ترجيح قول في تفسير آية أخرىٰ، كحكايته الإجماع أن المراد بالغلام العليم الذي بُشِّر به إبراهيم عليه السلام في سورة الذاريات هو إسحاق عليه السلام، أما الغلام الحليم الوارد في سورة الصافات فالأقرب هو إسماعيل عليه السلام علىٰ أحد القولين.

هذه أبرز دواعي ذكر الإجماعات التفسيرية عند الإمام السمعاني فيما ظهر للباحث بعد جمعها ودراستها، والله أعلم.



المبحث الأول
حكاية الإجماع بصيغة (أجمع)

ذكر الإمام السمعاني جملة من الإجماعات التفسيرية في مصنفه، متَّبِعـًا صيغ الإجماع المحكية عن الأئمة المجتهدين، والعلماء السابقين، كأجمع واتفق وغيرها، وفي هذا المبحث أورد ما جاء منها بصيغة: أجمع.

المطلب الأول: حكاية الإجماع في قوله تعالىٰ:

﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَـٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَـٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَـٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَـٰنِهَا خَيْرًا﴾.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ [(١)]: ﴿أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَـٰتِ رَبِّكَ ۗ﴾ **أجمع الْمُفَسِّرُونَ علىٰ أَنه أَرَادَ بِهِ طُلُوع الشَّمْس من مغْرِبهَا، إِلَّا فِي رِوَايَة: شَاذَّة عَن معَاذ بن جبل -رضي الله عنه- أَنه: خُرُوج الدَّجَّال، وَخُرُوج يَأْجُوج وَمَأْجُوج** [(٢)].

وَقد ثَبت بِرِوَايَة ابْن مَسْعُود -رضي الله عنه- عَن النَّبِي ﷺ أَنه قَالَ فِيهِ: " هِيَ طُلُوع الشَّمْس من مغْرِبهَا " [(٣)] **وَكَذَلِكَ رَوَاهُ أَبُو سعيد الْخُدْرِيّ مَرْفُوعا بِلَفْظِهِ** [(٤)].

---

(١) تفسير القرآن (٢/ ١٥٩).

(٢) لم أجد هذه الرواية في مظانها من كتب التفسير بالأثر كابن جرير وابن أبي حاتم والسيوطي في الدر المنثور، وراجعت موسوعة التفسير المأثور -صدرت حديثـًا- ولم أجد الإشارة إلىٰ هذه الرواية. بل لم أجد رواية البتة نصت علىٰ أن الآيات هي طلوع الشمس من مغربها والدجال وخروج يأجوج، أو خروج الدجال ويأجوج ومأجوج فحسب !! أما الحديث النبوي فهو في : طلوع الشمس من مغربها والدجال ودابة الأرض كما في صحيح مسلم [١٥٨] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) لم أجده مرفوعـًا، والمروي عن ابن مسعود رضي الله عنه موقوف عليه، أخرجه سعيد بن منصور في تفسيره (٩٣٩) وقال محققه: سنده حسن لذاته، وابن جرير (١٠/ ٢٢) وابن أبي شيبة (١٥/ ١٧٩)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٥٧) إلىٰ عبد بن حميد.

(٤) رواه الإمام أحمد في مسنده (١٧/ ٣٦٨) [١١٢٦٦]، وابن جرير في تفسيره (١٠/ ١٤)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٤٢٧) والترمذي في جامعه ح[٣٠٧١] وقال: حديث حسن غريب، ورواه بعضهم ولم يرفعه. ورواه ابن أبي شيبة موقوفـًا (١٥/ ١٧٩).

وَقَالَ ابْن مَسْعُود -رضي الله عنه- : إِن الشَّمْس وَالْقَمَر يطلعان يَوْمئِذٍ أسودين[١].

وروى صَفْوَان بن عَسَّال الْمرَادِي -رضي الله عنه -عَن النَّبِي ﷺ أَنه قَالَ: " إِن للتَّوْبَة بَابا قبل الْمغرب، عرضه سَبْعُونَ ذِرَاعا؛ فَهُوَ مَفْتُوح إِلَى أَن تطلع الشَّمْس من مغْربهَا، ثمَّ يغلق فَلَا تقبل التَّوْبَة بعده " فَهَذَا معنى قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ يَأۡتِي بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾[٢].

الدراسة:

أولاً: قبل دارسة الإجماع لزم بيان مسألة وهي: هل المراد بالآيات في قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ يَأۡتِي بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ هي نفسها المذكورة في أول الآية في قوله تعالى: ﴿أَوۡ يَأۡتِيَ بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَۗ﴾ أو أنها تختلف، حيث إن هذه المسألة يتعلق بها ما بعدها.

للمفسرين رأيان، الأول: أنها واحدة، وهو الذي مال إليه ابن جرير وابن عطية وغيرهما[٣]؛ ولذا رجحوا أن المراد هنا طلوع الشمس من مغربها على وجه التحديد؛ لحديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ يَأۡتِي بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ قال: طلوع الشمس من مغربها. [٤]

وحديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ يَأۡتِي بَعۡضُ

---

(١) لم أجد الأثر عن ابن مسعود رضي الله عنه، لكن جاء في حديث ابن عباس رضي الله عنهما المرفوع : والشمس والقمر قد طلعا من مغاربهما، فينظر الناس فإذا هما أسودان كالعكمين لا ضوء لهما ولا نور... الحديث قال ابن كثير في تفسيره (٣/ ٣٧٦) : رواه الحافظ أبو بكر بن مردويه في تفسيره... عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً... وهو حديث غريب جداً بل منكر، بل موضوع.

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده (٣٠/ ١٦) والترمذي في جامعه [٣٥٣٦] وابن جرير في تفسيره (١٠/ ١٥)، قال الترمذي : حديث حسن صحيح..

(٣) ينظر: تفسير الطبري (١٠/ ١٣)، المحرر الوجيز (٣/ ٥٠٠)، معالم التنزيل (٢/ ١٧٣)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٩/ ١٢٩)..

(٤) سبق تخريجه قريباً ص(٢٨١).

ءَايَـٰتِ رَبِّكَ ﴾ قال: (طلوع الشمس من مغربها). [1]

قال الطبري [٣١٠هـ] عند قوله تعالىٰ: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَـٰتِ رَبِّكَ﴾ : (وأولىٰ الأقوال بالصواب في ذلك ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله ﷺ أنه قال: ذلك حين تطلع الشمس من مغربها) [2].

فمستندهم هنا حديث رسول الله ﷺ.

الرأي الثاني: أنها تختلف، فقيل إن المراد بقوله تعالىٰ: ﴿أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَـٰتِ رَبِّكَ﴾: أنهم توعدوا بالشيء العظيم من أشراط الساعة ؛ليذهب الفكر في ذلك كل مذهب، ثم خصص بعد ذلك بقوله تعالىٰ: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَـٰتِ رَبِّكَ﴾ التي ترفع التوبة معها، وقد بينت الأحاديث أنها طلوع الشمس من مغربها.. [3]

وقيل: غرغرة الإنسان عند الموت أو ما يكون في مثابتها لمن لم يغرغر، قال تعالىٰ: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٔـٰنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ﴾ [النساء١٨].

وفي الحديث : (**إِنَّ اللهَ يَقْبَلُ تَوْبَةَ الْعَبْدِ مَا لَمْ يُغَرْغِرْ**) [4].

قال أبو حيان [٧٤٥هـ] : (**وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ**: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَـٰتِ رَبِّكَ﴾ **غَيْرَ قَوْلِهِ**: ﴿أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَـٰتِ رَبِّكَ﴾ **فَيَكُونُ هَذَا عِبَارَةً عَنْ مَا يُقْطَعُ بِوُقُوعِهِ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ، وَيَكُونُ قَوْلُهُ**: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَـٰتِ رَبِّكَ﴾ **فِيهِ وَصْفٌ مَحْذُوفٌ يَدُلُّ عَلَيْهِ الْمَعْنَىٰ، تَقْدِيرُهُ : يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آياتِ رَبِّكَ الَّتِي يَرْتَفِعُ مَعَهَا التَّوْبَةُ**...) [5].

ويقوي هذا الرأي إعادة آيات ربك في الآية؛ إذ لو كانت هذه تلك لكان التركيب

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط (٢/ ٢٩٤) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٢٢) رواه الطبراني في الأوسط ورجاله ثقات).

(٢) تفسير الطبري (١٠/ ٢٨).

(٣) ينظر: المحرر الوجيز (٣/ ٥٠٠)، البحر المحيط (١٢/ ٤٠٤).

(٤) رواه الإمام أحمد في مسنده (١٠/ ٣٠٠)، والترمذي في جامعه [٣٥٣٧] وقال: حديث حسن غريب.

(٥) البحر المحيط (١٢/ ٤٠٤).

يوم يأتي بعضها، أي : بعض آيات ربك. [١]

ثانيًا: حكاية الإجماع عند المفسرين في هذه الآية.

حكىٰ الإمام السمعاني الإجماع علىٰ (الآيات) الأولىٰ، في قوله تعالىٰ: ﴿أَو يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ أنها طلوع الشمس من مغربها، وهو قول مجاهد والسدي، وقتادة -إلا أنه قال: آية موجبة طلوع الشمس من مغربها أو ما شاء الله[٢]، ولم يجزم بأنه طلوع الشمس من مغربها-، وغيرهم.

ولم أجد أحداً من المفسرين وافق السمعاني في حكاية الإجماع علىٰ هذا الموضع، عدا الواحدي [٤٦٨هـ] قال: (قال المفسرون عامة: يعني طلوع الشمس من مغربها). [٣]

ومن المعلوم أن هذه الصيغة محتملة للإجماع وليست قاطعة؛ فإن لفظ (عامة) قد يطلق ويراد به العموم، وقد يطلق ويراد به الجماعة الكثيرة، فدلالته علىٰ عموم أفراده ظنية وليست قطعية. [٤]

أما حكاية الإجماع علىٰ المراد بـ(الآيات) الثانية : ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ ما ذكره الرازي [٦٠٤هـ] في تفسيره بقوله: (وأجمعوا علىٰ أن المراد بهذه الآيات علامات القيامة) [٥]، وذلك علىٰ وجه العموم لا التخصيص.

وحكايته هنا عامة وليست مخصوصة بعلامة طلوع الشمس من مغربها.

ثالثًا: آراء المفسرين في المراد بـ﴿أَو يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾.

جاء عن السلف في المراد بـ(الآيات) هنا، أربعة أقوال:

القول الأول: أنه طلوع الشمس من مغربها، قاله ابن مسعود -في رواية زرارة بن

---

(١) ينظر: المرجع السابق.
(٢) ينظر: تفسير مجاهد (٣٣١)، تفسير الطبري (١٠/ ١٣)، الدر المنثور (٦/ ٢٦٦).
(٣) التفسير البسيط (٨/ ٥٤٧).
(٤) ينظر: تاج العروس (٣٣/ ١٤٥).
(٥) التفسير الكبير (١٤/ ٧).

أوفى عنه- وأبو هريرة -في رواية ابن سيرين عنه- وأبو سعيد الخدري - في رواية عطية عنه- وابن عمرو -في رواية ابن أبي مليكة عنه- رضي الله تعالىٰ عنهم جميعـًا، ومجاهد وقتادة والسدي، ومقاتل بن سليمان وغيرهم. [(١)]

وعزا البغوي القول إلىٰ أكثر المفسرين[(٢)]، وابن عطية والخازن ومحمد صديق حسن خان إلىٰ جمهور المفسرين[(٣)].

القول الثاني: أنه طلوع الشمس والقمر من مغربهما، رواه مسروق عن ابن مسعود رضي الله عنه[(٤)].

القول الثالث: أنه إحدىٰ الآيات الثلاث طلوع الشمس من مغربها والدابة وفتح يأجوج ومأجوج، قال به ابن مسعود رضي الله عنه في رواية القاسم عنه[(٥)].

القول الرابع: أنه طلوع الشمس من مغربها والدجال ودابة الأرض، قاله أبو هريرة رضي الله عنه. [(٦)]

رابعـًا: النتيجة.

حكاية إجماع المفسرين علىٰ أن المراد بـ(الآيات) في هذه الآية طلوع الشمس من مغربها لا تثبت في الموضعين.

وغالب المفسرين -فيما ظهر- يرون أن (الآيات) في الموضعين المراد بها معنىٰ واحداً ولم يفرقوا بينهما، والله أعلم.

---

(١) ينظر: تفسير الطبري (١٠/ ٢٣)، مصنف ابن أبي شيبة (١٥/ ٦٥)، الدر المنثور (٦/ ٢٧٦)، زاد المسير (٣/ ١٥٦)، تفسير مقاتل (١/ ٥٩٨)، تفسر السمرقندي (١/ ٤٩٧).

(٢) ينظر: معالم التنزيل (٢/ ١٧٣).

(٣) ينظر: المحرر الوجيز (٣/ ٤٩٩)، لباب التأويل في معاني التنزيل (٢/ ١٧٥)، فتح البيان (٤/ ٢٨٣).

(٤) ينظر: المراجع السابقة.

(٥) ينظر: تفسير الطبري (١٠/ ٢٦)، زاد المسير (٣/ ١٥٦).

(٦) ينظر: النكت والعيون (٢/ ١٩٠)، زاد المسير (٣/ ١٥٧).

المطلب الثاني: حكاية الإجماع في قوله تعالىٰ:

﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ﴾ [إبراهيم٢٢]

قال الإمام السمعاني [٤٨٩هـ] : فإن قيل : كيف يكون لله مقام، وقد قال: ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ﴾ [إبراهيم٢٢]؟ قلنا: أجمع أهل التَّفْسِير أَن مَعْنَاهُ: ذَلِك لمن خَافَ مقَامه بَين يَدي، وَهُوَ مثل قوله تعالىٰ: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن٤٣] (١).

الدراسة:

أولاً: حكىٰ الإمام السمعاني الإجماع علىٰ أن تفسير قوله تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ﴾ أي : لمن خاف مقامه بين يدي ربه، ولم أقف علىٰ أحد من المفسرين حكىٰ الإجماع غيره، سوىٰ الإمام الواحدي [٤٦٨هـ] نسبه إلىٰ أكثر المفسرين (٢).

ثانيـًا: أقوال المفسرين في الآية:

عامة المفسرين أوردوا قولين في تفسير الآية:

الأول: أنه من باب إضافة المصدر إلىٰ المفعول أي : ذلك لمن خاف مقامه بين يدي رب العالمين يوم القيامة، ونُسب هذا القول إلىٰ ابن عباس رضي الله عنهما والكلبي (٣).

ويؤيده ما ورد في السنة عن ابن عباس رضي الله عنهما قَالَ: لَمَّا أَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَىٰ نَبِيِّهِ ﷺ : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارًا﴾ تَلَاهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَىٰ أَصْحَابِهِ ذَاتَ لَيْلَةٍ، أَوْ قَالَ يَوْما فَخَرَّ فَتًىٰ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ، فَوَضَعَ النَّبِيُّ ﷺ يَدَهُ عَلَىٰ فُؤَادِهِ، فَإِذَا هُوَ يَتَحَرَّكُ، فَقَالَ: «يَا فَتَىٰ، قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ» فَقَالَهَا فَبَشَّرَهُ بِالْجَنَّةِ، فَقَالَ أَصْحَابُهُ:

(١) تفسير القرآن (٣/ ١٠٨).

(٢) التفسير البسيط (١٢/ ٤٢٢).

(٣) ينظر: التفسير البسيط (١٢/ ٤٢٢)، زاد المسير (٤/ ٣٥٠).

يَا رَسُولَ اللهِ، أَمِنْ بَيْنِنَا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " أَمَا سَمِعْتُمْ قَوْلَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ﴾.[1]

وارتضى هذا القول جمع من المفسرين منهم: ابن جرير، والنحاس، والسمرقندي، وابن أبي زمنين، والثعلبي، والماوردي، والبغوي، وابن الجوزي، وابن كثير، وغيرهم.[2]

الثاني: أنه من باب إضافة المصدر إلى الفاعل، أي: لمن خاف مقامي عليه ومراقبتي له، ومنه قوله تعالى: : ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الرعد٣٣].

واختار هذا القول من المفسرين: مكي بن أبي طالب، وابن سعدي[3].

وجملة من المفسرين[4] أوردوا كلا القولين لاحتمالهما، قال ابن عطية [٥٤١هـ] : وقوله: مَقامِي يحتمل أن يريد به المصدر من القيام على الشيء بالقدرة، ويحتمل أن يريد به الظرف لقيام العبد بين يديه في الآخرة، فإضافته- إذا كان مصدرا- إضافة المصدر إلى الفاعل، وإضافته- إذا كان ظرفا- إضافة الظرف إلى حاضره، أي مقام حسابي)[5].

وهو الأقرب فالآية تحتمل المعنيين ولكل قول ما يؤيده في عموم دلالات الآيات الكريمات والأحاديث النبوية.

---

(١) أخرجه الحاكم في مستدركه (٢/ ٣٨٢) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٢) ينظر: تفسير الطبري (١٣/ ٦١٣)، معاني القرآن للنحاس (٣/ ٥٢٠)، بحر العلوم (٢/ ٢٣٧)، تفسير القرآن العزيز (٢/ ٣٦٤)، الكشف والبيان (١٥/ ٣٦٠)، النكت والعيون (٣/ ١٢٦)، معالم التنزيل (٤/ ٣٤٠)، زاد المسير (٤/ ٣٥٠)، تفسير القرآن العظيم (٤/ ٤٨٤).

(٣) ينظر: تفسير الهداية (٥/ ٣٧٨٧)، تيسير الكريم الرحمن (٣٩٩).

(٤) كالفراء في المعاني (٢/ ٧١) ونقل عنه القول الثاني الواحدي في البسيط (١٢/ ٣٢٢) وهو ليس في كتابه المعاني لكن لعله في كتبه الأخرى، والأخفش حيث نقل عنه ذلك الثعلبي في الكشف والبيان (١٥/ ٣٦١) ولم أجده في كتابه المعاني، والماتريدي في تأويلات أهل السنة (٦/ ٣٧٥)، والثعلبي في الكشف والبيان (١٥/ ٣٦١)، وابن عطية في المحرر الوجيز (٥/ ٢٣٣)، وأبي حيان في البحر المحيط (١٦/ ٤٨١)، والزمخشري في الكشاف (٣/ ٣٦٩) وغيرهم.

(٥) المحرر الوجيز (٥/ ٢٣٣).

ثالثًا: النتيجة.

حكاية إجماع المفسرين هنا لا تثبت؛ فهناك مفسرون قبل السمعاني أوردوا كلا القولين -كما سبق- فالأقرب نسبته إلىٰ أكثر المفسرين كقول الواحدي [٤٦٨هـ]، والله أعلم.

المطلب الثالث: حكاية الإجماع في قوله تعالىٰ:

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [إبراهيم٢٤]

قال الإمام السمعاني في قوله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [إبراهيم٢٤] : أجمع الْمُفَسِّرُونَ علىٰ أَن الْكَلِمَة الطّيبَة هَاهُنَا: لَا إِلَه إِلَّا الله.

الدراسة:

أولاً: حكىٰ الإمام السمعاني الإجماع علىٰ أن المراد بالكلمة الطيبة هي : كلمة الإخلاص (لا إله إلا الله)، ولم أجد أحداً -حسب البحث والدراسة- حكىٰ الإجماع هنا غيره، عدا الواحدي [٤٦٨هـ] نسبه إلىٰ عامة المفسرين[1]، وأبو القاسم الكرماني [٥٠٥هـ] عزاه إلىٰ جل المفسرين[2] وابن القيم [٧٥١هـ] إلىٰ جمهور المفسرين[3].

ثانيـًا: أقوال المفسرين في الآية.

أورد المفسرون في المراد بالكلمة الطيبة أقوالاً:

القول الأول: أن المراد بالكلمة الطيبة القرآن الكريم.

---

(١) البسيط (١٢/ ٤٦٢)، وسبق بيان أن نسبة القول بمثل هذا لا يعد إجماعـًا علىٰ الأظهر، وفي الوسيط (٣/ ٢٩) عزاه إلىٰ الجميع.

(٢) غرائب التفسير وعجائب التأويل (١/ ٥٧٨).

(٣) ينظر: التفسير القيم (٣٤٠).

جاء ذلك في الحديث المرفوع عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: [وفيه] إِنِ اللهَ قَلَبَ الْعِبَادَ ظَهْرًا لِبَطْنٍ، فَكَانَ خَيْرَ الْعَرَبِ قُرَيْشٌ، وَهِيَ الشَّجَرَةُ الْمُبَارَكَةُ الَّتِي قَالَ اللهُ - عَزَّ وَجَلَّ - فِي كِتَابِهِ: ﴿مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾ يعني: القرآن، ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ [إبراهيم: ٢٤] قُرَيْشًا ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ﴾ يَقُولُ: أَصْلُهَا كَرَمٌ ﴿وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾.. الحديث[(١)].

ذكره الماتريدي[(٢)].

الثاني: أن الكلمة الطيبة هي كلمة الإخلاص (لا إله إلا الله)، قاله ابن عباس[(٣)]، ومحمد بن كعب القرظي، [(٤)]ومقاتل[(٥)].

واختاره جمع من المفسرين كالسمرقندي، وابن أبي زمنين، والثعلبي، والبغوي، وابن رجب. [(٦)]

الثالث: أن المراد بالكلمة الطيبة العبد المؤمن؛ إذ عموم الكلمة الطيبة -شهادة الإخلاص وغيرها- لا تقع إلا منه، قاله ابن عباس رضي الله عنهما -في رواية محمد ابن سعد-والربيع بن أنس وعطية العوفي[(٧)].

واختار هذا القول الزجاج، ومكي بن أبي طالب[(٨)]، قال الزجاج [٣١١هـ]: (ضرب الله - عزَّ وجلَّ - للإيمان به مثلًا، وللكفر به مَثَلاً، فجعل مَثل المؤمنِ في

(١) أورده السيوطي في الدر المنثور (٨/ ٥١٨ – ٥١٩) وعزاه إلىٰ ابن مردويه، وأخرجه الطبراني في الكبير (١٧/ ٨٦) مطولاً لكن دون ذكر الشاهد هنا وهو قول: (يعني القرآن)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٧/ ٢٢٤٤)، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٢٣) دون ذكر الشاهد، وقال: وفيه حسين السلولي ولم أعرفه وبقية رجاله ثقات.

(٢) ينظر: تفسير الماتريدي (٦/ ٣٨٧) وعزاه إلىٰ أبي بكر الكيساني.

(٣) ينظر: تفسير الطبري (١٣/ ٦٣٥) وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٨/ ٥٠٩) إلىٰ ابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٤) ينظر: كتاب الدعاء للطبراني (٤٦٠).

(٥) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٤٠٤).

(٦) ينظر: بحر العلوم (٢/ ٢٤١)تفسير القرآن العزيز (٢/ ٣٦٢)، الكشف والبيان (١٥/ ٣٧٣)، معالم التنزيل (٦٨٥)، روائع التفسير (١/ ٥٨٨).

(٧) ينظر: تفسير الطبري (١٢/ ٦٣٦)، تفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٤١) الدر المنثور (٨/ ٥٠٩).

(٨) ينظر: معاني القرآن (٣/ ١٦٠)، الهداية (٥/ ٣٨٠٤).

نطقه بتوحيده والإيمان بنبيه واتباع شريعته، كالشجرَة الطيبة...)[(١)].

ومن المفسرين من ذكر كلا القولين –الثاني والثالث– كابن جرير والماوردي وابن عطية والقرطبي وغيرهم.[(٢)]

ثالثًا: النتيجة.

إن كان مراد الإمام السمعاني في حكاية الإجماع بأن الجميع يقول: المراد بـ(كلمة طيبة) لا إله إلا الله، فهذا لا يُسلَّم.

وإن كان مراده أن الأقوال الأخرىٰ تؤول إلىٰ هذا القول (كلمة الإخلاص) وأنها تتفق معه وتأتلف ولا تختلف في المراد، فحكاية الإجماع صحيحة، فالأقوال بينها تداخل وعموم وخصوص، فتحقيق كلمة الإخلاص يكون بالعمل، وثمرتها في نفس المؤمن ما يصدر عنه من خير وبر وقول وعمل صالح؛ لذا اكتفىٰ جمع من المفسرين المحققين كابن جرير والقرطبي –كما سبق– بذكر القولين دون تقوية أحدهما علىٰ الآخر ؛لدلالة علىٰ ما بينهما من تداخل وعموم وخصوص وأنه من باب اختلاف التنوع لا التضاد، والله أعلم.

المطلب الرابع: حكاية الإجماع في قوله تعالىٰ:

﴿وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ [الإسراء٢٠].

قال الإمام السمعاني في قَول الله تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ [الإسراء٢٠] أَي: مَمْنُوعًا، وَأجْمع أهل التَّفْسِير أَن معنىٰ عَطاء رَبك فِي هَذِه السُّورَة هُوَ الدُّنْيَا، فَإِن الْآخِرَة لِلْمُتقين، وَلَيْسَ للْكفَّار فِيهَا نصيب.

وَفِي بعض المسانيد عَن النَّبِي ﷺ أَنه قَالَ: (إِن الله قسم بَيْنكُم أخلاقكم كَمَا قسم بَيْنكُم أرزاقكم، وَإِن الله تَعَالَىٰ يُعْطي الدُّنْيَا من يحب وَمن لَا يحب، وَلَا يُعْطي الدّين إِلَّا من يحب)[(١)].

(١) ينظر: معاني القرآن (٣/ ١٦٠).

(٢) ينظر: تفسير الطبري(١٣/ ٦٣٥) وما بعدها، النكت والعيون (٣/ ١٣٢)، المحرر الوجيز (٥/ ٢٤٣)، العز بن عبد السلام (٢/ ١٦٣)، الجامع لأحكام القرآن (١٢/ ١٣٢) إرشاد العقل السليم (٥/ ٣٤).

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده (٦/ ١٨٩) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وأبو نعيم في الحلية =

الدراسة.

أولاً: حكىٰ الإمام السمعاني إجماع المفسرين علىٰ أن المراد بالعطاء في الآية هو عطاء الدنيا أي رزق الدنيا، ولم أقف علىٰ غيره من المفسرين حكىٰ الإجماع هنا، سوىٰ ابن الجوزي في زاد المسير نسبه إلىٰ المفسرين[(١)].

ثانيًا: أقوال المفسرين في الآية.

ذكر المفسرون قولين في المراد بالعطاء الوراد في الآية الكريمة:

الأول: الرزق في الدنيا، قال به : ابن عباس رضي الله عنهما –من طريق ابن جريج– والحسن البصري، وقتادة، والسدي، ومقاتل بن سليمان. [(٢)]

وهو اختيار جل المفسرين، كيحيىٰ بن سلام، وابن جرير، والسمرقندي، والواحدي، والبغوي، وابن الجوزي، والقرطبي، وغيرهم. [(٣)]

الثاني: المراد بـ(من عطاء ربك) الطاعات لمريد الآخرة، والمعاصي لمريد العاجلة، فيكون العطاء عبارة عما قسم الله للعبد من خير أو شر.

قال به: ابن عباس رضي الله عنهما[(٤)].

وهو ما ذكره ابن كثير في تفسيره، بقوله : ([كلاً] أي كل واحد من الفريقين الذين أرادوا الدنيا والذين أرادوا الآخرة نمدهم فيما هم فيه [من عطاء ربك] أي : هو المتصرف الحاكم الذي لا يجور، فيعطي كلاً ما يستحقه من الشقاوة والسعادة، ولا راد لحكمه ولا مانع لما أعطىٰ، ولا مغير لما أراد..) [(١)].

=

(٤/ ١١٦) قال محقق المسند : إسناده ضعيف.

(١) زاد المسير (٥/ ٢١).

(٢) ينظر: تفسير الطبري (١٤/ ٥٣٨– ٥٣٩)، تفسير مقاتل (٢/ ٥٢٦)، الدر المنثور (٩/ ٢٨٤).

(٣) ينظر: تفسير يحيىٰ بن سلام (١/ ١٢٥)، تفسير الطبري (١٤/ ٥٣٨)، تفسير السمرقندي (٢/ ٣٠٦)، الوجيز (٦٣٠)، معالم التنزيل (٧٣٩)، زاد المسير (٥/ ٢١)، الجامع لأحكام القرآن (١٣/ ٤٩) أبو حيان في البحر المحيط (١٧/ ٣٥٦).

(٤) نسبه إلىٰ ابن عباس رضي الله عنهما ابن عطية في المحرر (٥/ ٤٥٨)، وأبو حيان في البحر المحيط (١٧/ ٣٥٧).

(١) تفسير القرآن العظيم (٥/ ٦٣).

وأورد هذا القول ابن عطية[١] من المحتملات التفسيرية لهذه الآية، ومثله أبو حيان[٢]، إلا أنهما قدما الاحتمال الأول –القول الأول- ؛ لأن لفظ (العطاء) ينبو على الإمداد بالمعاصي، والله أعلم.

ثالثًا: النتيجة.

حكاية الإجماع في الآية لا تثبت.

وإن كانت عبارة الإمام السمعاني هنا تحتمل كلا المعنيين، فقوله : [معنى عَطاء رَبك فِي هَذِه السُّورَة هُوَ الدُّنْيَا] تحتمل الرزق، وتحتمل أيضًا الأعمال الصالحة والطالحة في الدنيا –القول الثاني-، إلا أن استدلاله بالأثر عن ابن مسعود رضي الله عنه يقوي ميله وقصده القول الأول، والله أعلم.

المطلب الخامس: حكاية الإجماع في قوله تعالى:

﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحۡمُودًا﴾ [الإسراء٧٦].

قال الإمام السمعاني في قوله تعالى: : ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحۡمُودًا﴾ [الإسراء٧٦]. أجمع الْمُفَسِّرُونَ أَن هَذَا مقَام الشَّفَاعَة، وَقد ثَبت هَذَا عَن النَّبِي ﷺ، وَفِي رِوَايَة أبي هُرَيْرَة رضي الله عنه أَن النَّبِي ﷺ قَرَأَ قَوْله: ﴿عَسى أَن يَبْعَثك رَبك مقَاما مَحْمُودًا﴾ قَالَ: (هُوَ الْمقَام الَّذِي أشفع فِيهِ لأمتي)[٣].

وَرُوِيَ أَنه عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام قَالَ: (أَنا سيد الْأَنْبِيَاء إِذا بعثوا، وَأَنا وافدهم إِذا تكلمُوا، وَأَنا مبشرهم إِذا أبلسوا، وَأَنا إِمَامهمْ إِذا سجدوا؛ أَقُول فيسمع، وأشفع فأشفع، وأسأل فَأعْطِي)[٤].

(١) ينظر: المحرر الوجيز (٥/ ٤٥٨).

(٢) ينظر: البحر المحيط (١٧/ ٣٥٧).

(٣) رواه الإمام أحمد في مسنده (١٥/ ٤٢٨)، وابن جرير في تفسيره (١٥/ ٤٧) وقال محقق المسند: حسن لغيره.

٤)) رواه الترمذي بلفظ قريب منه (٨٢٣) ح[٣٦١٠] وقال: حسن غريب، والبيهقي في الدلائل (٥/ ٤٨٤).

الدراسة.

أولاً: حكىٰ الإمام السمعاني الإجماع علىٰ أن المراد بالمقام المحمود في الآية هو مقام الشفاعة، ووافقه علىٰ حكاية الإجماع الواحدي في البسيط والوسيط[(١)].

وعزاه إلىٰ جمهور المفسرين النسفي وابن حجر، وإلىٰ أكثر أهل العلم ابن جرير الطبري[(٢)].

ثانيـًا: أقوال المفسرين في الآية:

أورد المفسرون أقوالاً عدة في المراد بالمقام المحمود، منها:

القول الأول: أنه مقام الشفاعة، قاله ابن مسعود وسلمان الفارسي وحذيفة بن اليمان وابن عمر وابن عباس –من طريق كريب– وأبو سعيد الخدري وجابر بن عبد الله وغيرهم رضي الله تعالىٰ عن الجميع، ومجاهد –من طريق ابن أبي نجيح– والحسن البصري وقتادة.[(٣)]

واختار هذا القول جل المفسرين كمقاتل، ويحيىٰ بن سلام، وابن جرير، والزجاج، والسمرقندي، وابن أبي زمنين، والثعلبي، والبغوي وغيرهم.[(٤)]

القول الثاني: أن المقام المحمود الذي وعد الله نبيه محمداً ﷺ أن يبعثه إياه هو أن يقعده معه علىٰ عرشه، وجاء في الأثر عن النبي ﷺ أنه قرأ ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحۡمُودًا﴾ [الإسراء٧٦]. قال : يجلسه علىٰ السرير.[(٥)]

---

(١) ينظر: البسيط (١٣/ ٤٤٣)، الوسيط (٣/ ١٢٢).

(٢) ينظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل (٢/ ٢٧٣)، فتح الباري (١١/ ٥١٩)، تفسير الطبري (١٥/ ٤٥).

(٣) ينظر: تفسير الطبري (١٥/ ٤٤) وما بعدها، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٥٠٨) وما بعدها، الدر المنثور (٩/ ٤٢٥) وما بعدها.

(٤) ينظر: تفسير مقاتل (٢/ ٥٤٦)، تفسير يحيىٰ بن سلام (١/ ١٥٦)، تفسير الطبري (١٥/ ٤٧)، معاني القرآن (٣/ ٢٥٦)، وبحر العلوم (٢/ ٣٢٥)، وتفسير الكتاب العزيز (٣/ ٢٤)، والكشف والبيان (١٦/ ٤٣٢) ومعالم التنزيل (٧٥٣) ومدارك التنزيل (٢/ ٢٧٣)، والتسهيل لابن جزي (١/ ٤٥٣).

(٥) أخرجه أبو يعلىٰ الفراء في إبطال التأويلات ص(٢٦٦)، وأورده الديلمي في الفردوس (٣/ ٥٨) كلاهما عن ابن عمر رضي الله عنهما، ونقل الذهبي في كتاب العلو (١٧٠) عن الإمام أحمد قوله (وأما =

قال به ابن مسعود –من طريق عاصم عن أبي وائل–[١]، وعبد الله بن سلام –من طريق سيف السعدي–[٢]، وابن عباس –من طريق سعيد بن جبير–[٣] رضي الله تعالىٰ عنهم جميعـًا، ومجاهد بن جبر –من طريق ليث–[٤].

وقيل غير ذلك[٥] إلا أنها في الجملة تدخل في القول الأول وهو عموم الشفاعة.

ثالثـًا: النتيجة.

حكاية الإجماع هنا لا تثبت كما هو ظاهر، فقد قال بالقول الثاني جملة من الصحابة ومجاهد، وقولهم هذا غير مدفوع صحته كما قاله ابن جرير الطبري [٣١٠هـ][٦]، إذا حمل علىٰ ما يليق به سبحانه، قال ابن عطية [٥٤٢هـ]: (حكىٰ الطبري عن فرقة منها مجاهد أنها قالت: المقام المحمود هو أن الله عز وجل يجلس محمدا ﷺ معه علىٰ عرشه، وروت في ذلك حديثـًا، وعضد الطبري جواز ذلك بشطط من القول، وهو لا يخرج إلا علىٰ تلطف في المعنىٰ، وفيه بعد، ولا ينكر مع ذلك أن يروىٰ، والعلم يتأوله). [٧]

وقال ابن حجر [٨٥٢هـ] (وبالغ الواحدي فنقل فيه الإجماع، ولكن أشار إلىٰ ما جاء عن مجاهد وزيفه... وبالغ في رد هذا القول –يعني قول مجاهد–) [٨].

قلت: كذلك الإمام السمعاني بعد حكايته للإجماع أورد قول مجاهد وغيره،

= قضية قعود نبينا علىٰ العرش فلم يثبت في ذلك نص، بل في الباب حديث واه).

(١) أخرجه الثعلبي في الكشف والبيان (١٦/ ٤٤٨)

(٢) أخرجه الثعلبي في الكشف والبيان (١٦/ ٤٤٩)وهما روايتان ضعيفتان كما أفاده محقق التفسير.

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير (١٢/ ٦١) قال الهيثمي في المجمع (٧/ ٥١): وفيه ابن لهيعة وهو ضعيف إذا لم يتابع، وعطاء بن دينار قيل لم يسمع من سعيد بن المسيب.

(٤) أخرجه ابن جرير (١٥/ ٤٧)، وأورده السيوطي في الدر (٩/ ٤٢٧) وهي صحيحة عنه.

(٥) ينظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٣/ ١٤٧) وما بعدها، البحر المحيط (١٧/ ٥٣٦) وما بعدها.

(٦) تفسير الطبري (١٥/ ٥١).

(٧) المحرر الوجيز (٥/ ٥٢٩)، وينظر: فتح الباري.

(٨) فتح الباري (١١/ ٥١٩).

فلعله يرىٰ أنه قول شاذ لا يلتفت إليه، فالشاذ لا حكم له، وقد قال ابن عبد البر [٤٦٣هـ] : (وَمُجَاهِدٌ وَإِنْ كَانَ أَحَدَ الْمُقَدَّمِينَ فِي الْعِلْمِ بِتَأْوِيلِ الْقُرْآنِ، فَإِنَّ لَهُ قَوْلَيْنِ فِي تَأْوِيلِ اثْنَيْنِ هُمَا مَهْجُورَانِ عِنْدَ الْعُلَمَاءِ مَرْغُوبٌ عَنْهُمَا أَحَدُهُمَا... وَالْآخَرُ قَوْلُهُ فِي قَوْلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾..) [(١)].

أو كونه يرىٰ أن قول مجاهد ليس قسيماً للقول الأول وهو الشفاعة، وإنما قوله يبين الحالة التي تكون فيها الشفاعة.

أو يقال: إن الإمام السمعاني يرىٰ أن الإجماع يحصل وإن خالفه واحد أو اثنان من العلماء، كرأي ابن جرير في مخالفة الواحد والاثنين لا يعده مخالفا لجماعة العلماء، والله أعلم.

المطلب السادس: حكاية الإجماع علىٰ قوله تعالىٰ:
﴿ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص٢٤]

قال الإمام السمعاني : وَقَوله: ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص٢٤] أجمع الْمُفَسِّرُونَ علىٰ أَنه طلب من الله الطَّعَام لجوعه، قَالَ ابْن عَبَّاس فلقَة خبز، أَو قَبْضَة تمر [(٢)]. وَقَالَ سعيد بن جُبَير: لم يكن علىٰ وَجه الأَرْض أكْرم مِنْهُ، وَكَانَ مُحْتَاجا إِلَىٰ شقّ تَمْرَة [(٣)]. وَقَالَ مُجَاهِد: طلب الْخبز [(٤)].

الدراسة.

أولاً: حكىٰ الإمام السمعاني إجماع المفسرين علىٰ أن المراد بالخير في قول الله تعالىٰ ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص٢٤] الطعام، والمعنىٰ: إني محتاج إلىٰ طعام.

---

(١) التمهيد (٧/ ١٥٧).

(٢) هذه روايتان عن ابن عباس رضي الله عنهما، الأولىٰ أخرجها ابن أبي شيبة في مصنفه (١٣/ ٢١٦)، والثانية عزاها السيوطي في الدر (١١/ ٤٥١) إلىٰ عبد الله بن أحمد في زوائد الزهد، وابن أبي حاتم.

(٣) أخرجها يحيىٰ بن سلام في تفسيره (٢/ ٥٨٦).

(٤) تفسير البغوي (٦٨٧).

وعزا القول إلىٰ جميع المفسرين ابن عطية في المحرر[١]، والقرطبي في جامعه[٢]، وإلىٰ الأكثرين البيضاوي والنسفي وأبو السعود[٣].

ثانيًا: أقوال المفسرين في الآية.

اتفقت كلمة المفسرين علىٰ أن المراد بالخير في الآية هو الطعام، فقد جاء ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما من طرق كثيرة، وسعيد بن جبير وإبراهيم التيمي وإبراهيم النخعي ومجاهد والسدي وابن السائب[٤]، وغيرهم.

وهو ما ذكره سائر المفسرين كمجاهد ومقاتل ويحيىٰ بن سلام والطبري وابن أبي زمنين والثعلبي والواحدي وغيرهم. [٥]

ويؤيده ما جاء في الحديث المرفوع عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لما سقىٰ موسىٰ للجاريتين ثم تولىٰ إلىٰ الظل فقال: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ قال: إنه يومئذ فقير إلىٰ كف من تمر). [٦]

هذا هو قول عامة المفسرين إلا أن بعضهم ينسبه إلىٰ أكثر المفسرين كالبيضاوي وغيره -كما سبق-[٧] وحجتهم أن كلمة (خير) تشمل كل خير قل أو كثر، من طعام أو متاع أو مال أو غيره؛ إلا أن تخصيص المراد به هنا الطعام ورد عنهم جميعًا كما سبق، قال الرازي [٦٠٤هـ]: (وَاعْلَمْ أَنَّ هَذَا الْكَلَامَ يَدُلُّ عَلَىٰ الْحَاجَةِ، إِمَّا إِلَىٰ الطَّعَامِ أَوْ إِلَىٰ غَيْرِهِ، إِلَّا أَنَّ الْمُفَسِّرِينَ حَمَلُوهُ عَلَىٰ الطَّعَامِ)[١]، فقد اتفقت روايات السلف علىٰ ذلك،

---

(١) المحرر الوجيز (٤/ ٢٨٤) في ط.دار الكتب العلمية، وفي طبعة وزارة الأوقاف القطرية [سائر المفسرين] (٦/ ٥٨٥).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٦/ ٢٥٩).

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٤/ ١٧٥)، مدارك التنزيل (٢/ ٦٣٧)، إرشاد العقل السليم (٧/ ٩).

(٤) ينظر: تفسير الطبري (١٨/ ٢١٥) وما بعدها، الدر المنثور (١١/ ٤٥٠) وما بعدها.

(٥) ينظر: تفسير مجاهد (٥٢٧)، تفسير مقاتل (٣/ ٣٤١)، تفسير يحيىٰ بن سلام (٢/ ٥٨٦)، تفسير القرآن العزيز (٣/ ٣٢٢)، الكشف والبيان (٢٠/ ٤٣٠)، الواحدي في البسيط (١٧/ ٣٧٣)، ابن عطية في المحرر الوجيز (٦/ ٥٨٥)، الهداية لمكي (٨/ ٥٥١٧)، زاد المسير (٦/ ٢١٣).

(٦) عزاه السيوطي في الدر المنثور (١١/ ٤٥٢) إلىٰ ابن مردويه.

(٧) ينظر: ص (٣٥).

(١) التفسير الكبير (٢٤/ ٢٠٥).

ويقويه أيضـًا السياق القرآني في تسلسل الأحداث، قال أبو السعود [٩٢٨هـ] (وحملَه الأكثرونَ علىٰ الطعامِ بمعونةِ المقامِ) [(١)] والله أعلم.

النتيجة.

حكاية الإجماع صحيحة والله أعلم.

المطلب السابع: حكاية الإجماع في قوله تعالىٰ:

﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ﴾ [الذاريات٢٨].

قال الإمام السمعاني في قوله تعالىٰ: : ﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُواْ لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ﴾ [الذاريات٢٨]. : أجمع المفسرون علىٰ أنه إسحاق عليه السلام[(٢)].

الدراسة.

أولاً: حكىٰ الإمام السمعاني الإجماع علىٰ أن المراد بالغلام في قوله تعالىٰ: ﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ﴾ هو إسحاق بن إبراهيم عليهما السلام، ولم أجد أحداً حكىٰ الإجماع غيره.

وإنما نسب هذا القول جملة من المفسرين إلىٰ جمهورهم، كابن عطية والزمخشري والقرطبي وأبي حيان، وغيرهم [(٣)].

ثانيـًا: أقوال المفسرين في الآية.

ذكر المفسرون قولين في المراد بالغلام الوارد في الآية:

الأول: أنه إسحاق عليه السلام، قال به : مقاتل بن سليمان. [(٤)]

واختاره جمهور المفسرين، كابن جرير، والسمرقندي، وابن أبي زمنين، ومكي ابن أبي طالب، والزمخشري، وابن عطية، وغيرهم. [(١)]

(١) إرشاد العقل السليم (٧/ ٩).

(٢) تفسير السمعاني (٥/ ٢٧٥).

(٣) ينظر: المحرر الوجيز (٨/ ٧٤)، الكشاف (٥/ ٦١٦)، الجامع لأحكام القرآن (١٩/ ٤٩٤)، البحر المحيط (٢٣/ ٥٨٠)، مدارك التنزيل للنسفي (٣/ ٣٦٧).

(٤) تفسير مقاتل (٤/ ١٣٠).

(١) ينظر: تفسير الطبري (٢١/ ٥٢٧)، وبحر العلوم (٣/ ٣٤٥)، تفسير القرآن العزيز (٤/ ٢٨٧)، الهداية =

استدلالاً بأن البشارة كانت بالولد لسارة أم إسحاق، وليس لهاجر أم إسماعيل، وبدلالة آية هود ﴿فَبَشَّرْنَـٰهَا بِإِسْحَـٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَـٰقَ يَعْقُوبَ﴾ [هود٧١]، وكذلك السياق التاريخي[(١)]، والله أعلم.

الثاني: أنه إسماعيل ﷺ، قاله مجاهد بن جبر. [(٢)]

قال ابن عطية [٥٤١هـ] : وهذا وهم. [(٣)]

ثالثا: النتيجة.

حكاية الإجماع في الآية لا تثبت، إلا إن كان رأي الإمام السمعاني في مخالفة الواحد والاثنين لا تؤثر على إجماع المفسرين، فهو صحيح، أو أن مقصوده بالإجماع هنا رأي الجمهور فهو كذلك صحيح، والله أعلم.

المطلب الثامن: حكاية الإجماع في قوله تعالىٰ:

﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾ [الحشر٩].

قال الإمام السمعاني في قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾ [الحشر٩]: أجمع أهل التَّفْسِير علىٰ أَن الْمُرَاد بهم الْأَنْصَار[(٤)].

الدراسة.

أولاً: حكىٰ الإمام السمعاني الإجماع علىٰ أن المراد بالذين تبوؤا الدار والإيمان من قبلهم هم الأنصار، ولم أجد أحداً حكاه غيره، سوىٰ الإمام القرطبي نفىٰ الخلاف عنه، بقوله : (لا خلاف أن الذين تبوؤا الدار هم الأنصار الذين استوطنوا المدينة قبل المهاجرين إليها) [(١)].

=

(١١/ ٧٠٩٣)، الكشاف (٥/ ٦١٦)، المحرر الوجيز (٨/ ٧٤)، القرطبي في الجامع (١٩/ ٤٩٤)، وأبو حيان في البحر المحيط (٢٣/ ٥٨٠).

(١) ينظر: تفسير الطبري (٢١/ ٥٢٧).

(٢) تفسير مجاهد (٦١٩)، وينظر: تفسير الطبري (٢١/ ٥٢٧)، تفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣١٢)، الدر المنثور (١٣/ ٦٨١) وعزاه إلىٰ عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) المحرر الوجيز (٨/ ٧٤).

(٤) تفسير السمعاني (٥/ ٤٠٠).

(١) الجامع لأحكام القرآن (٢٠/ ٣٥٨).

ثانيـًا: أقوال المفسرين.

اتفقت كلمة المفسرين أن المراد بالذين تبوؤا الدار في الآية هم الأنصار، وممن قال به: ابن عباس(١)رضي الله عنهما، ومجاهد وقتادة ومقاتل وابن زيد بن أسلم. (٢)

وهو ما ذكره المفسرون كابن جرير، والزجاج، والسمرقندي، والثعلبي، ومكي، والقشيري، والواحدي، والبغوي، الزمخشري، وابن عطية، والقرطبي، وغيرهم. (٣)

ومعنىٰ الآية : والذين تبوؤا المدينة قبل المهاجرين وآمن كثير منهم قبل بعض المهاجرين، قاله ابن كثير(٤).

وقيل: تبوؤا المدينة قبلهم والإيمان؛ لأن الأنصار لم يؤمنوا قبل المهاجرين، وعطف الإيمان علىٰ الدار علىٰ معنىٰ وآثروا الإيمان أو اعتقدوا الإيمان. (٥)

وقيل: والذين تبوؤا الدار والإيمان من قبلهم، أن (من قبلهم) وإن انصرف إلىٰ الإيمان، فالمراد من قبل هجرتهم ؛لأن الأنصار كانوا قد آمنوا قبل هجرتهم أي من قبل قدوم المهاجرين إليهم، والله أعلم. (٦)

ثالثـًا: النتيجة.

حكاية الإجماع هنا صحيحة والله أعلم.

---

(١) أخرجه عبد الله بن وهب في جامعه (التفسير١ / ٦٨).

(٢) ينظر: تفسير مجاهد (٦٥٢)، ومقاتل بن سليمان (٤/ ٢٧٩)، تفسير الطبري (٢٢/ ٥٢٥) وما بعدها، الدر المنثور (١٤/ ٣٦٧) وما بعدها.

(٣) ينظر: تفسير الطبري (٢٢/ ٥٢٥)، معاني القرآن وإعرابه (٥/ ١٤٥)، تفسير السمرقندي (٣/ ٤٢٨)، الكشف والبيان (٢٦/ ٢٢٣)، الهداية (١١/ ٧٣٩٢)، لطائف الإشارات (٣/ ٥٦١)، البسيط (٢١/ ٣٨١)، معالم التنزيل (١٢٩٤)، الكشاف (٦/ ٨٠)، المحرر الوجيز (٨/ ٢٦٦)، الجامع لأحكام القرآن (٢٠/ ٣٥٨)، التسهيل لابن جزي (٢/ ٣٦٠)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٨/ ٦٨).

(٤) تفسير القرآن العظيم (٨/ ٦٨)، وينظر: تفسير الطبري (٢٢/ ٥٢٥).

(٥) ينظر : تفسير مقاتل (٤/ ٢٧٩)، البسيط للواحدي (٢١/ ٣٨٠).

(٦) ينظر: الكشف والبيان (٢٦/ ٢٢٣)، تفسير السمرقندي (٣/ ٤٢٨)، تفسير السمعاني (٥/ ٤٠١).

المبحث الثاني
حكاية الإجماع بصيغة (جميع)

المطلب الأول: حكاية الإجماع في قوله تعالىٰ:

﴿فَلۡيَمۡدُدۡ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الحج١٥].

قال الإمام السمعاني في قوله تعالىٰ: : ﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ فَلۡيَمۡدُدۡ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لۡيَقۡطَعۡ فَلۡيَنظُرۡ هَلۡ يُذۡهِبَنَّ كَيۡدُهُۥ مَا يَغِيظُ﴾ [الحج١٥] الْمُرَاد من السَّمَاء: سَمَاء بَيته فِي قَول جَمِيع الْمُفَسّرين، وَهُوَ السّقف.

الدراسة:

أولاً: حكىٰ الإمام السمعاني في قوله تعالىٰ: : ﴿فَلۡيَمۡدُدۡ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ الإجماع علىٰ أن المراد بالسماء هنا هو سماء البيت وهو سقفه، وكل ما علاك فهو سماء، ولم أجد أحداً حكىٰ الإجماع علىٰ ذلك، لكن نسب البغوي [٥١٦هـ] هذا القول إلىٰ الأكثرين(١)، ومثله ابن الجوزي [٥٩٧هـ]. (٢)

ثانيـًا: أقوال المفسرين في الآية.

قبل ذكر أقوال المفسرين في المراد بالسماء في الآية، أورد ما ذكره المفسرون من أقوال في معنىٰ الآية.

-اختلف المفسرون في مَنِ المراد بـ(ينصره الله)، فقيل: هو النبي ﷺ، والمعنىٰ: من كان من الناس يحسب أن لن ينصر الله محمداً ﷺ في الدنيا والآخرة، فليمدد بحبل.. قاله قتادة.

وقيل: بل عائد إلىٰ المشكك (من كان يظن أن لن ينصره الله)، والمعنىٰ: من كان يظن أن لن يرزقه الله في الدنيا والآخرة فليمدد بسبب إلىٰ سماء البيت ثم

(١) ينظر: معالم التنزيل (٨٦٠).
(٢) ينظر: زاد المسير (٥/ ٤١٤).

ليختنق، قاله مجاهد. [1]

-كذلك اختلف المفسرون في معنىٰ النصر، فقيل: الغلبة قاله قتادة وابن زيد[2].

وقيل: الرزق، والمعنىٰ: من كان يظن أن لن يرزق الله محمداً في الدنيا ولن يعطيه، قاله ابن عباس رضي الله عنهما. [3]

-أما المراد بالسماء في الآية، فقيل: سقف البيت، قاله به جُلُّ المفسرين من السلف ومن بعدهم، كابن عباس رضي الله عنهما في روايات متعددة عنه، ومجاهد والضحاك وقتادة[4]، ومقاتل، ويحيىٰ بن سلام.

واختيار ابن جرير والزجاج والسمرقندي، ومكي بن أبي طالب، والواحدي، والبغوي وغيرهم. [5]

وقيل: المراد بالسماء السماء المعروفة، والمعنىٰ: فليمدد بحبل إليها فليقطع عن محمد ﷺ ما يأتيه من الوحي، قاله به: عبد الرحمن بن زيد بن أسلم[6]، فيكون القطع علىٰ هذا ليس الاختناق، بل هو جزم السبب وقطعه[7].

ومال إلىٰ هذا أبو جعفر النحاس [٣٣٨هـ] في قوله: (من أحسن ما قيل فيها أنّ المعنىٰ: من كان يظنّ أن لن ينصر الله جلّ وعزّ محمدا ﷺ، وأنه يتهيّأ له أن يقطع

---

(١) ينظر: تفسير الطبري ١٦/ ٤٧٩) وما بعدها، زاد المسير (٥/ ٤١٣).

(٢) ينظر: المرجعان السابقان.

(٣) ينظر: المرجعان السابقان.

(٤) ينظر: تفسير سفيان الثوري (٢٠٨)، تفسير عبد الرزاق (٢/ ٣٩٨)، تفسير الطبري (١٦/ ٤٨٠) وما بعدها، الدر المنثور (١٠/ ٤٣١- ٤٣٢).

(٥) ينظر: تفسير مقاتل (٣/ ١١٩)، تفسير يحيىٰ بن سلام (١/ ٣٥٧)، تفسير الطبري ((١٦/ ٤٨٤)، معاني القرآن (٣/ ٤١٧)، تفسير السمرقندي (٢/ ٤٥٢)، تفسير الهداية (٧/ ٤٨٥٦)، البسيط (١٥/ ٣١٠)، معالم التنزيل (٨٦٠)، التسهيل لابن جزي (٢/ ٣٤)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٥/ ٤٠٢).

(٦) ينظر: تفسير الطبري (١٦/ ٤٧٩)، تفسير ابن أبي حاتم (٨/ ٢٤٧٨) الدر المنثور (١٠/ ٤٣٢) قال ابن زيد : من كان يظن أن لن ينصر الله نبيه ﷺ ويكايد هذا الأمر ليقطعه عنه ومنه، فليقطع ذلك من أصله من حيث يأتيه؛ فإن أصله في السماء، فليمدد بسبب إلىٰ السماء ثم ليقطع عن النبي ﷺ الوحي الذي يأتيه من الله.

(٧) ينظر: المحرر الوجيز (٦/ ٢٢٣).

النصر الذي أوتيه، فليمدد بسبب إلىٰ السماء، أي فليطلب حيلة يصل بها إلىٰ السماء ﴿ثُمَّ لْيَقْطَعْ﴾ أي ثم ليقطع النصر إن تهيّأ له ﴿فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ﴾ وحيلته ما يغيظه من نصر النبيّ ﷺ)[1].

وقد رد هذا القول الواحدي [٤٦٨هـ] بقوله: (وهذا التفسير لا يوافق معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللهُ﴾ ؛لأن من ظن ذلك لا يقال له: إن كنت تظن أنه غير منصور فاقطع النصر عنه، ولو كان أول الكلام: من يغيظه أن ينصره الله، أو ما أشبه هذا؛ حج تفسير ابن زيد، وليس في أوائل الآية: من أراد أن يكايده، أو يقطع النصر عنه، أو شيء من هذا المعنىٰ الذي بنىٰ ابن زيد تفسير باقي الآية عليه) [2].

ثالثًا: النتيجة.

حكاية الإجماع هنا لا تثبت، وأنه لا يَعدُ إلا أن يكون قول جمهور المفسرين، والله أعلم.

المطلب الثاني: حكاية الإجماع في قوله تعالىٰ:

﴿ فَأَلْقِيهِ فِي ٱلْيَمِّ﴾ [القصص٩].

قال الإمام السمعاني في تفسير قول الله تعالىٰ : ﴿فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي ٱلْيَمِّ﴾ [القصص٩] اليم: الْبَحْر، وَالْمرَاد مِنْهُ هَاهُنَا علىٰ قَول جَمِيع الْمُفَسّرين هُوَ النّيل[3].

الدراسة.

أولاً: لم أجد أحداً من المفسرين حكىٰ الإجماع علىٰ أن المراد باليم في الآية هو نيل مصر، ولم أقف كذلك علىٰ أحد قال غيره، إلا أن بعضهم ذكره بصيغة التمريض [قيل] [1].

---

(١) إعراب القرآن للنحاس (٣/ ٦٣).

(٢) التفسير البسيط (١٥/ ٣١٤).

(٣) تفسير السمعاني (٤/ ١٢٣).

(١) كالزمخشري في الكشاف (٤/ ٤٨٣) والنسفي في مدارك التنزيل (٢/ ٦٢٩).

ثانيـًا: أقوال المفسرين في المراد باليم.

تكاد تتفق كلمة المفسرين علىٰ أن المراد باليم هو النيل، فهو قول ابن عباس رضي الله عنهما[1] والسدي[2] ومقاتل[3] وابن جرير، والسمرقندي والماوردي والبغوي، وابن عطية وغيرهم.[4]

إلا أن بعض المفسرين لم يسم اليَمَّ، واكتفىٰ ببيان أن المراد به البحر فقط، كيحيىٰ بن سلام، والزجاج، وابن أبي زمنين [5].

النتيجة.

يظهر أن حكاية الإجماع صحيحة، ويعضده مجموع الروايات في قصة موسىٰ عليه السلام كحديث الفتون[6]، وما رواه ابن جرير وغيره[7] عن ابن إسحاق وفيه: لَمَّا وَلَدَتْ مُوسَىٰ أُمُّهُ أَرْضَعَتْهُ، حَتَّىٰ إِذَا أَمَرَ فِرْعَوْنُ بِقَتْلِ الْوِلْدَانِ مِنْ سَنَتِهِ تِلْكَ عَمَدَتْ إِلَيْهِ، فَصَنَعَتْ بِهِ مَا أَمَرَهَا اللهُ تَعَالَىٰ، جَعَلَتْهُ فِي تَابُوتٍ صَغِيرٍ، وَمَهَّدَتْ لَهُ فِيهِ، ثُمَّ عَمَدَتْ إِلَىٰ النِّيلِ فَقَذَفَتْهُ فِيهِ، وَأَصْبَحَ فِرْعَوْنُ فِي مَجْلِسٍ لَهُ كَانَ يَجْلِسُهُ عَلَىٰ شَفِيرِ النِّيلِ كُلَّ غَدَاةٍ، فَبَيْنَا هُوَ جَالِسٌ، إِذْ مَرَّ النِّيلُ بِالتَّابُوتِ فَقَذَفَ بِهِ وَآسِيَةُ ابْنَةُ مُزَاحِمٍ امْرَأَتُهُ جَالِسَةٌ إِلَىٰ جَنْبِهِ، فَقَالَ: إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ فِي الْبَحْرِ، فَأْتُونِي بِهِ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ أَعْوَانُهُ حَتَّىٰ جَاءُوا بِهِ، فَفَتَحَ التَّابُوتَ فَإِذَا فِيهِ صَبِيٌّ فِي مَهْدِهِ، فَأَلْقَىٰ اللهُ عَلَيْهِ مَحَبَّتَهُ..

ولا يعكر عليه من لم يسم اليَمّ ؛فكأنه ظاهر لا يحتاج إلىٰ بيان، فمن المعلوم أن قصر فرعون كان في مصر، وأن نهر النيل يشرع جزء منه داخل القصر والله أعلم.

---

(١) ينظر: تفسير معالم التنزيل (٩٧٣).

(٢) ينظر: تفسير الطبري (١٨/ ١٥٧)، تفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٢٩٤٢)، الدر المنثور (١١/ ٤٢١).

(٣) ينظر : تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٣٦٦).

(٤) ينظر: تفسير الطبري (١٨/ ١٥٧)، تفسير السمرقندي (٢/ ٥٩٩)، النكت والعيون (٤/ ٢٣٥)، معالم التنزيل (٩٧٣)، المحرر الوجيز(٦/ ٥٧١)، التفسير الكبير (٢٤/ ٥٧٩)، تفسير العز بن عبد السلام (٢/ ٤٨٠)، تفسير البيضاوي (٢/ ١٧٢)، البحر المحيط (٢٠/ ٤٧٢)، الدر المصون (٥/ ٤٣٧).

(٥) ينظر: تفسير يحيىٰ بن سلام (٢/ ٥٧٩)، معاني القرآن (٤/ ١٣٣)، تفسير القرآن العزيز (٣/ ٣١٧).

(٦) حديث الفتون رواه النسائي في الكبرىٰ (١٠/ ١٧٢) وأخرجه ابن جرير في التفسير (١٦/ ٦٤)، قال ابن كثير في التفسير (٥/ ٢٩٣) : وهو موقوف علىٰ ابن عباس رضي الله عنهما.. وكأنه تلقاه مما أبيح نقله من الإسرائيليات عن كعب الأحبار أو غيره، والله أعلم.

(٧) تفسير الطبري (١٦/ ٥٧)، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٩/ ٢٩٤٥).

المطلب الثالث. حكاية الإجماع في قوله تعالىٰ:

﴿وَأَنۢبَتۡنَا عَلَيۡهِ شَجَرَةً مِّن يَقۡطِينٖ﴾ [الصافات١٤٦].

قال الإمام السمعاني في قوله تعالىٰ: ﴿وَأَنۢبَتۡنَا عَلَيۡهِ شَجَرَةً مِّن يَقۡطِينٖ﴾ [الصافات١٤٦] هَا هُنَا هُوَ الدُّبَّاء فِي قَول جَمِيع الْمُفَسّرين[١].

الدراسة.

أولاً: حكىٰ الإمام السمعاني الإجماع علىٰ أن المراد باليقطين في الآية هو الدباء، ووافقه الإمام الواحدي في الوسيط[٢]، والبغوي في معالم التنزيل[٣]، ونسبه إلىٰ الجمهور بعض المفسرين.[٤]

ثانيـًا: أقوال المفسرين في المراد بـ(اليقطين).

ذكر المفسرون في المراد باليقطين ثلاثة أقوال:

الأول: أنها شجرة لا يعرف نوعها، سماها الله يقطينـًا، قاله: سعيد بن جبير في رواية عنه[٥].

الثاني: أنها شجرة من الشجر الذي لا يقوم علىٰ ساق، فكل شجرة لا تقوم علىٰ ساق كالدباء والبطيخ والحنظل فهي عند العرب يقطين، قاله: ابن عباس رضي الله عنهما وسعيد بن جبير ومجاهد والحسن[٦].

واختاره اللغويون من المفسرين كأبي عبيدة، والزجاج وابن قتيبة.[١]

---

(١) تفسير السمعاني (٤/ ٤١٦).

(٢) ينظر: الوسيط في التفسير (٥/ ٣٣٥).

(٣) (١١٠١).

(٤) كالكرماني في غرائب التفسير (٢/ ٩٨٥)، والبيضاوي (٥/ ١٩)، والنسفي (٣/ ١٣٧)، وابن كثير (٧/ ٤٠)، وأبي السعود (٧/ ٢٠٦).

(٥) ينظر: تفسير ابن جرير (١٩/ ٦٣٦)، الدر المنثور (١٢/ ٤٨١).

(٦) ينظر: المرجعان السابقان، وتفسير مجاهد (٥٧٠)، سفيان الثوري (٢٥٤).

(١) ينظر: مجاز القرآن (٢/ ١٧٥)، معاني القرآن (٤/ ٣١٤)، تفسير غريب القرآن (٣٧٥)، وفي لسان العرب (٧/ ٤٢٨) واليقطين: كل شجر لا يقوم علىٰ ساق... وقال ابن فارس (مقاييس اللغة٨٦٣): القاف والطاء والنون أصل صحيح يدل علىٰ استقرار بمكان وسكون. وهو يوافق المعنىٰ.

قال الواحدي [٤٦٨هـ]: (اليقطين كان معروشـًا ليحصل لـه ظـل؛ لأنـه لـو كـان منبسطـًا علىٰ الأرض لـم يكن أن يستظل به). [١]

الثالث: أنه القرع علىٰ وجه الخصوص، قاله: ابن مسعود وأبو هريرة وابن عباس في رواية عنه رضي الله عنهم جميعـًا، ومجاهد والضحاك [٢]، ومقاتل بن سليمان. [٣]

واختاره من المفسرين يحيىٰ بن سلام وابن أبي زمنين والبغوي والنسفي. [٤]

قال ابن عطية [٥٤١هـ] : (وعلىٰ هذين القولين –الثاني والثالث– فإما أن يكـون قوله (شَجَرَةً) تجوزاً، وإما أن يكون أنبتها عليه ذات ساق خرقـًا للعادة؛ لأن الشجرة في كلام العرب إنما يقال لما كان علىٰ ساق من عود..) [٥].

النتيجة.

حكاية إجماع المفسرين علىٰ أن المراد بالشجرة في الآية هو الدباء خاصة لا تثبت.

❋ ❋ ❋

(١) التفسير البسيط (١٩/ ١١٣).

(٢) ينظر : تفسير الطبري (١٩/ ٦٣٤) وما بعدها، والدر المنثور (١٢/ ٤٦٥) وما بعدها.

(٣) ينظر : تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٦٢١).

(٤) ينظر : تفسير يحيىٰ بن سلام (٢/ ٨٤٣)، تفسير القرآن العزيز (٤/ ٧٣)، معالم التنزيل (١١٠١)، مدارك التنزيل (٣/ ١٣٧).

(٥) المحرر الوجيز (٧/ ٣١٢).

المبحث الثالث
حكاية الإجماع بصيغة (أجمعوا)

المطلب الثاني: حكاية الإجماع في قوله تعالىٰ:

﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلاً غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ﴾ [البقرة٤٥].

قال الإمام السمعاني في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلاً غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ﴾ [البقرة٤٥] أَجمعُوا علىٰ أَنهم بدلُوا قَول الحطة بِالْحِنْطَةِ. (١)

الدراسة.

أولاً: حكىٰ الإمام السمعاني الإجماع علىٰ أن تبديل قول القوم هو قولهم: حنطة بدل (حطة)، وعزا هذا القول إلىٰ جميع المفسرين الإمام الواحدي في الوسيط. (٢)

ثانيـًا: أقوال المفسرين في الآية.

ذكر المفسرون عدة أقوال في القول الذي بدلوه:

فقيل: بدلوا حطة بـ: حنطة، قاله ابن عباس رضي الله عنهما وعكرمة ومجاهد(٣).

وقيل: بدلوا بقول: حبة في شعرة، وفيه الحديث النبوي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: قال الله تعالىٰ لبني إسرائيل: ﴿وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَـٰيَـٰكُمْ﴾ فبدلوا، فدخلوا الباب يزحفون علىٰ أستاههم، وقالوا: حبة في شعرة) (٤).

وقيل: بدلوا بقول: حنطة حمراء مثقوبة، فيها شعرة سوداء، قاله ابن مسعود ﷺ (١).

---

(١) تفسير السمعاني (١/ ٨٤).

(٢) ينظر: (١/ ١١٤).

(٣) ينظر: تفسير مجاهد (٢٠٣)، تفسير الطبري (١/ ٧٢٦)، تفسير ابن أبي حاتم (١/ ١١٧) وما بعدها.

(٤) رواه الشيخان، صحيح البخاري كتاب أحاديث الأنبياء [٣٤٠٤]، صحيح مسلم كتاب: التفسير ح[٣٠١٥]، وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما: (حنطة في شعيرة) السيرة لابن هشام (١/ ٥٣٥).

(١) ينظر: تفسير الطبري (١/ ٧٢٥)، تفسير ابن أبي حاتم (١/ ١١٩) وما بعدها.

وقيل: بدلوا بقول: حبة في شعيرة، قاله قتادة والحسن. [1]

وقيل غير ذلك؛ [2] ولذا مال بعض المفسرين أنهم لم يؤمروا بكلمة بعينها، وإنما أمروا بقول معناه التوبة والاستغفار، فخالفوه إلىٰ قول ليس معناه معنىٰ ما أمروا به، ولم يمتثلوا أمر الله. وأنهم لو جاءوا بلفظ آخر مستقل بمعنىٰ ما أمروا به، لم يؤاخذوا به [3].

وهو وجيه لو لم يرد فيه حديث نبوي، أما وقد جاء النص فوجب المصير إليه، قال أبو حيان [٧٤٥هـ] بعد إيراد جملة من الأقوال المحكية : (والذي ثبت في البخاري ومسلم أن رسول الله ﷺ فسر ذلك بأنهم قالوا : حبة في شعرة، فوجب المصير إلىٰ هذا القول، واطراح تلك الأقوال، ولو صح شيء من الأقوال السابقة لحمل اختلاف الألفاظ علىٰ اختلاف القائلين، فيكون بعضهم قال كذا، وقال بعضهم : كذا، فلا يكون تضاد). [4]

ثالثًا: النتيجة.

حكاية الإجماع هنا علىٰ قول حنطة لا يثبت، كيف وهو قد خالف النص النبوي الصحيح الصريح.

المطلب الثاني: حكاية الإجماع في قوله تعالىٰ:

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا﴾ [إبراهيم٣٥].

قال الإمام السمعاني في قول الله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا﴾ [إبراهيم٣٥] : وأجمعوا أن البلد هو مكة[5].

الدراسة.

أولاً: حكىٰ الإمام السمعاني الإجماع علىٰ أن المراد بالبلد في الآية، هي مكة،

---

(١) ينظر: المرجعان السابقان.

(٢) ينظر: زاد المسير (١/ ٨٦) وذكر خمسة أقوال.

(٣) ينظر: معاني القرآن للزجاج (١/ ١٣٩)، تفسير الكشاف (١/ ٢٧٢).

(٤) البحر المحيط (٢/ ٣٧٢).

(٥) تفسير السمعاني (٣/ ١١٩).

ولم أجد أحداً حكاه غيره، إلا أن كلمتهم اتفقت على أن المراد بالبلد في الآية مكة، كالآية التي سبقتها في سورة البقرة، في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾.

ثانيـًا: أقوال المفسرين في الآية.

اتفقت كلمة المفسرين على أن المراد بالبلد مكة، وهو ظاهر في السياق القرآني والسرد التاريخي، وممن نص على ذلك من المفسرين مجاهد ومقاتل، والطبري، والزجاج، والسمرقندي وابن أبي زمنين، وغيرهم[١].

وقد دعا الخليل ﷺ لمكة مرتين، في سورة البقرة قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا﴾ [البقرة١٣٥]، وفي سورة إبراهيم قال سبحانه: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا﴾ [إبراهيم٣٥]، فقد سأل في الأوّل أَن يجعله من جملة البلاد التي يأمن أهلها ولا يخافون، وفي الثاني أن يخرجه من صفة كان عليها من الخوف إلى ضدها من الأمن، كأنه قال: هو بلد مخوف، فاجعله آمناً[٢]..

ثالثـًا: النتيجة.

حكاية الإجماع صحيحة.

المطلب الثالث: حكاية الإجماع في قوله تعالى:

﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾ [النصر١].

قال الإمام السمعاني في قوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾ [النصر١].: أَجمعُوا على أَن الْفَتْح هُوَ فتح مَكَّة[٣].

الدراسة.

أولاً: حكى الإمام السمعاني إجماع المفسرين على أن المراد بالفتح في سورة

(١) ينظر: تفسير مقاتل (٢/ ٤٠٨)، تفسير الطبري (١٣/ ٦٨٧)، معاني القرآن (٣/ ١٦٤)، تفسير السمرقندي (٢/ ٢٤٥)، تفسير القرآن العزيز (٢/ ٣٧٢)، الكشف والبيان (١٥/ ٣٩٧)، الهداية لمكي (٥/ ٣٧٢٢)، معالم التنزيل (٦٨٩) المحرر الوجيز (٥/ ٢٥٣).

(٢) ينظر: تفسير الكشاف (٣/ ٣٨٢).

(٣) تفسير السمعاني (٦/ ٢٩٦).

النصر هو فتح مكة، وعزا الثعلبي هذا القول إلىٰ عامة المفسرين[1]، وقال ابن كثير: فتح مكة قولاً واحداً. [2]

ثانيًا: أقوال المفسرين في المراد بالفتح.

قيل المراد بالفتح هنا: فتح مكة علىٰ وجه الخصوص، وذلك أنه وبعد فتح مكة دخل الناس في دين الله أفواجًا، قاله: أبو هريرة وابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وابن زيد. [3]

واختاره جل المفسرين كابن جرير، والزجاج، والثعلبي، والواحدي وغيرهم. [4]

وقيل: إنه يعم مكة وغيرها مما فتح بعدها من الحصون والمدائن، عزاه القرطبي إلىٰ ابن عباس رضي الله عنهما وسعيد بن جبير. [5]

واختاره السمرقندي، وابن عطية، وابن جزي، وغيرهم. [6]

ثالثًا: النتيجة.

حكاية الإجماع صحيحة؛ حيث إن الأقوال الأخرىٰ لا تنافي الأول، بل تضمنته وزيادة، ففتح مكة كالبوابة للفتوحات التالية له، فعليه حكاية الإجماع هنا ثابتة والله أعلم.

---

(١) الكشف والبيان (٣٠/ ٤٠٩).

(٢) تفسير ابن كثير (٨/ ٥١٣).

(٣) ينظر: تفسير مجاهد (٧٥٨)، تفسير الطبري (٢٤/ ٧٠٥)، الدر المنثور (١٥/ ٧٢٧) وعزا قول أبي هريرة رضي الله عنه إلىٰ ابن مردويه.

(٤) ينظر: تفسير الطبري (٢٤/ ٧٠٥)، معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٣٧٣)، الكشف والبيان (٣٠/ ٤٠٩)، تفسير البسيط (٢٤/ ٣٩٩)، معالم التنزيل (١٤٤٠)، الهداية لمكي (١٢/ ٨٤٧٧)، ابن الجوزي في الزاد (٩/ ٣١١).

(٥) ينظر: الجامع لأحكام القرآن (٢٢/ ٥٣٩).

(٦) ينظر: تفسير السمرقندي (٣/ ٣٦١)، المحرر الوجيز (٨/ ٧٠٤)، التسهيل (٢/ ٦٢٠).

المبحث الرابع
حكاية الإجماع بصيغتي (اتفقوا و اتفاق)

المطلب الأول: حكاية الإجماع في قوله تعالىٰ:

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة٣٠].

قال الإمام السمعاني في قول الله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة٣٠] اتَّفقُوا علىٰ أَن الـمُرَاد بِهَذَا الْخَلِيفَة آدم ﷺ[١].

الدراسة.

أولاً: حكىٰ الإمام السمعاني علىٰ أن المراد بالخليفة في قول الله تعالىٰ ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة٣٠] أنه آدم ﷺ، ووافقه الواحدي في الوسيط[٢]، وعزا القرطبي القول إلىٰ جميع أهل التأويل[٣].

ثانيـًا: أقوال المفسرين في المعني بالخليفة في الآية.

أورد المفسرون قولين في المعني بالخليفة، فقيل: هو آدم ﷺ، وهو قول ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهما[٤] ومقاتل[٥].

واختاره جمع من المفسرين كالبغوي، والزمخشري والعز بن عبد السلام وغيرهم.[٦]

ويقوي هذا القول السياق القرآني.

وقيل: بل الخليفة مفرد خلائف أي يخلف بعضهم بعضـًا قرنـًا بعد قرن،

---

(١) تفسير السمعاني (١/ ٦٣).

(٢) ينظر: الوسيط للواحدي (١/ ١١٣).

(٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن (١/ ٣٩٤).

(٤) ينظر: تفسير الطبري (١/ ٤٧٩)، تفسير ابن أبي حاتم (١/ ٧٦).

(٥) ينظر: تفسير مقاتل (١/ ٩٧).

(٦) ينظر: معالم التنزيل (٢٥)، الكشاف (١/ ٢٥١) تفسير العز بن عبد السلام (١/ ١١٤) أضواء البيان (١/ ١١٥).

وجيلاً بعد جيل، كما قال تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام١٦٥] ﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ﴾ [النمل٦٢] وهو محكي عن الحسن البصري وابن سابط ومحمد بن إسحاق.[(١)]

واختاره الراغب الأصفهاني، وابن كثير.[(٢)]

ومن المفسرين من أورد القولين ولم يرجح بينها كابن عطية والرازي[(٣)]؛ لكون القولين قد يجتمعان ويتفقان دون أن يختلفا ويفترقا، وذلك في صرف احتمال نسبة الظلم إلىٰ آدم ﷺ والخلفاء من بعده، وإنما المراد أمته، قال ابن جرير [٣١٠هـ]: (وَهَذَا التَّأْوِيلُ –قول ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهم– وَإِنْ كَانَ مُخَالِفًا فِي مَعْنَىٰ الْخَلِيفَةِ مَا حُكِيَ عَنِ الْحَسَنِ مِنْ وَجْهٍ، فَمُوَافِقٌ لَهُ مِنْ وَجْهٍ. فَأَمَّا مُوَافَقَتُهُ إِيَّاهُ فَصَرْفُ مُتَأَوِّلِيهِ إِضَافَةَ الْإِفْسَادِ فِي الْأَرْضِ وَسَفْكِ الدِّمَاءِ فِيهَا إِلَىٰ غَيْرِ الْخَلِيفَةِ. وَأَمَّا مُخَالَفَتُهُ إِيَّاهَا فَإِضَافَتُهُمَا الْخِلَافَةَ إِلَىٰ آدَمَ بِمَعْنَىٰ اسْتِخْلَافِ اللهِ إِيَّاهُ فِيهَا، وَإِضَافَةُ الْحَسَنِ الْخِلَافَةَ إِلَىٰ وَلَدِهِ بِمَعْنَىٰ خِلَافَةِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا، وَقِيَامِ قَرْنٍ مِنْهُمْ مَقَامَ قَرْنٍ قَبْلَهُمْ...)[(٤)].

ثالثًا: النتيجة.

حكاية الإجماع لا تثبت هنا، والله أعلم.

المطلب الثاني: حكاية الإجماع في قوله تعالىٰ:

﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا﴾ [النساء٧٥].

قال الإمام السمعاني في قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾ [النساء٧٥]. –القرية– هِي مَكَّة بِاتِّفَاق الْمُفَسّرين[(٥)].

---

(١) ينظر: تفسير الطبري (١/ ٤٧٩)، تفسير ابن أبي حاتم (١/ ٧٦).

(٢) ينظر: تفسير الراغب (١/ ١٣٨)، تفسير ابن كثير (١/ ٢١٦).

(٣) ينظر: تفسير ابن عطية المحرر الوجيز (١/ ١٦٧)، التفسير الكبير (١/ ١٥٢).

(٤) تفسير الطبري (١/ ٤٧٩).

(٥) تفسير السمعاني (١/ ٤٤٧).

الدراسة.

أولاً: حكىٰ الإمام السمعاني اتفاق كلمة المفسرين علىٰ أن المراد بالقرية في الآية الكريمة هي مكة، وحكىٰ الإجماع غيره من محققي التفسير كالماوردي في قوله : هي مكة في قول جميع المفسرين. [١]

والواحدي : مكة في قول جميع المفسرين. [٢]

وابن عطية، حيث قال: والقرية هنا مكة بإجماع من المتأولين. [٣]

وغيرهم كابن الجوزي والقرطبي وأبي حيان. [٤]

ثانيًا: أقوال المفسرين في الآية.

قال به من السلف ابن عباس وعائشة رضي الله عنهم ومجاهد وقتادة وابن زيد والسدي. [٥]

ثالثًا: النتيجة.

حكاية الإجماع صحيحة، والله أعلم.

المطلب الثالث: حكاية الإجماع في قوله تعالىٰ:

﴿قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا﴾ [ق٢٧].

قال الإمام السمعاني في قوله تعالىٰ: : ﴿قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطۡغَيۡتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدٖ﴾ [ق٢٧] القرين: هَاهُنَا هُوَ الشَّيْطَان بِاتِّفَاق الْمُفَسّرين[٦].

الدراسة.

أولاً: حكىٰ الإمام السمعاني اتفاق المفسرين علىٰ أن المراد بالقرين في الآية هو

(١) النكت والعيون (١/ ٥٠٦).

(٢) البسيط (٦/ ٥٩٩).

(٣) المحرر الوجيز (٢/ ٦٠٣).

(٤) ينظر: زاد المسير (٢/ ١٣٢)، الجامع لأحكام القرآن (٦/ ٤٦٠)، البحر المحيط (٩/ ٥١١).

(٥) ينظر: تفسير الطبري (٧/ ٢٢٥) وما بعدها، تفسير ابن المنذر (٢/ ٧٩٢)، تفسير ابن أبي حاتم (٣/ ١٠٠٢).

(٦) تفسير السمعاني (٥/ ٢٤٣).

الشيطان، وقال ابن عطية [٥٤١هـ]: هو شيطانه في الدنيا ومغويه بلا خلاف. [١] ونقل ذلك عنه القرطبي وأبو حيان.[٢]وعزاه ابن الجوزي إلىٰ الجمهور. [٣]

ثانيـًا: أقوال المفسرين في الآية.

ذكر المفسرون قولين في المراد بالقرين الوارد في الآية الكريمة:

قيل: هو الشيطان، قاله ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وابن زيد والضحاك وقتادة، [٤]ومقاتل بن سليمان. [٥]

واختاره جل المفسرين كابن جرير، والسمرقندي، وابن أبي زمنين والثعلبي وابن عطية وغيرهم. [٦]

وقيل: هو المَلَك الذي يكتب السيئات، قال به سعيد بن جبير. [٧]

وهو مروي عن ابن عباس ومقاتل[٨].

واختاره الفراء. [٩]

ثالثـًا: النتيجة.

حكاية الإجماع هنا لا تثبت، والله أعلم.

---

(١) المحرر الوجيز (٨/ ٤٥).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٩/ ٤٤٩)، البحر المحيط (٢٣/ ٥٣٤).

(٣) زاد المسير (٨/ ١٧).

(٤) ينظر: تفسير مجاهد (٦١٥)، تفسير عبد الرزاق (٣/ ٢٣٠)، تفسير الطبري (٢١/ ٤٤٠).

(٥) تفسير مقاتل (٤/ ١١٣).

(٦) ينظر: تفسير الطبري (٢١/ ٤٤٠)، تفسير السمرقندي (٣/ ٣٣٦)، تفسير القرآن العزيز (٤/ ٢٧٤)، الكشف والبيان (٢٤/ ٤٧٢)، المحرر الوجيز (٨/ ٤٧)، الوسيط للواحدي (٤/ ١٦٧)، تفسير القرآن العظيم (٧/ ٤٠٣).

(٧) ينظر: الكشف والبيان (٢٤/ ٤٠٣)، البسيط (٢٠/ ٤٠٢)، معالم التنزيل (١٢٢٩).

(٨) ينظر: تنوير المقباس (٥/ ٢٥٩)، معالم التنزيل (١٢٢٩).

(٩) ينظر: معاني القرآن (٣/ ٧٩).

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام علىٰ أشرف الأنبياء وخاتم الرسالات، وعلىٰ آله وصحبه أولي الفضل والمكرمات، أما بعد:

فبعد جمع للإجماعات التفسيرية التي حكاها الإمام السمعاني في تفسيره ودراستها، خلصت إلىٰ نتائج عدة، من أبرزها:

١/ أورد المصنف سبعة عشر إجماعـًا تفسيريـًا، وبعد دراستها ومقارنتها بأقوال السلف واختيارات المفسرين السابقين للمصنف، خلصت إلىٰ أن سبعة منها صحيحة، و حكاية الإجماع في البقية مرجوحة.

٢/ يُعدُّ المصنف متساهلاً في حكايته للإجماعات التفسيرية فغالبها لا يوافق عليه كما هو مبين في الدراسة التفصيلية.

٣/ حكىٰ المصنف إجماعات أخرىٰ في تفسيره تنحصر في القراءات والعقيدة وبعض الأحكام الشرعية.

٤/ حكىٰ الإمام السمعاني ستة إجماعات تفسيرية لم يسبق إليها، ولم يحكها غيره من المفسرين.

٥/ كثيراً ما يوافق المصنفُ الإمامَ الواحدي[٤٦٨هـ] في حكايته الإجماع، فقد وافقه في سبعة مواضع، مما يقوي استفادة المصنف من تفاسير الواحدي خاصة البسيط والوسيط، بصرف النظر عن استفادتهما من شيخ واحد ومفسر متقدم عليهما وهو الإمام الثعلبي صاحب الكشف والبيان.

٦/ وافق الإمام البغوي [٥١٦هـ] المصنفَ في حكايته للإجماع علىٰ موضع واحد فقط، وخالفه في موضع آخر، حيث عزاه إلىٰ جمهور المفسرين، بينما المصنف حكىٰ الإجماع عليه، مما يقوي أن الإمام البغوي قد استفاد من المصنف في تفسيره، وليس العكس، والله أعلم.

٧/ غالب الإجماعات التي حكاها المصنف تكون علىٰ مواضع ليست مظنة تنازع أو اختلاف ؛ولذا اجتهدت في إيراد جملة من الدواعي التي أظنها دعت المصنف لإيراد مثل تلك الإجماعات.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع

١. إبطال التأويلات لأخبار الصفات، القاضي أبو يعلىٰ محمد بن الحسين ابن الفراء، تحقيق: محمد بن حمد الحمود النجدي (الكويت: دار إيلاف الدولية).
٢. إرشاد العقل السليم إلىٰ مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد ابن محمد بن مصطفىٰ (بيروت: دار إحياء التراث العربي).
٣. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي، أشرف علىٰ طبعه: بكر أبو زيد، ط١ (مكة المكرمة: دار عالم الفوائد، ١٤٢٦هـ).
٤. الأنساب، عبد الكريم بن محمد التميمي السمعاني، تحقيق: أكرم البوشي، ط١ (بيروت : دار محمد أمين دبح، ١٤٠٤هـ).
٥. البحر المحيط في تفسير القرآن العظيم، أبو حيان محمد بن يوسف، تحقيق: د. عبد الله التركي، ط١ (مصر: دار هجر، ١٤٣٦هـ).
٦. تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضىٰ الحسيني الزبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين دار الهداية.
٧. تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، المؤلف، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: الدكتور بشار عوّاد معروف، ط١ (مصر: دار الغرب الإسلامي، ٢٠٠٣م).
٨. التسهيل لعلوم التنزيل، محمد بن أحمد بن جزي الكلبي، ضبطه: محمد سالم هاشم، ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ).
٩. تشنيف المسامع بجمع الجوامع لتاج الدين السبكي، لأبي عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، تحقيق: د سيد عبد العزيز – د عبد الله ربيع، ط١ (مكة: مكتبة قرطبة للنشر والتوزيع، ١٤١٨هـ).
١٠. التفسير البسيط، علي بن أحمد الواحدي، تحقيق: مجموعة رسائل علمية، وأشرف علىٰ الطباعة: د. عبد العزيز بن سطام، وأ.د. تركي العتيبي، مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

١١. تفسير الثوري، سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ).
١٢. تفسير الدر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين السيوطي، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط١(مصر: دار هجر، ١٤٢٤هـ).
١٣. تفسير الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى، [المقدمة وتفسير سورتي الفاتحة والبقرة] تحقيق: د. محمد بسيوني، ط١ (مصر: جامعة طنطا، ١٤٢٠هـ).
١٤. تفسير السمرقندي (بحر العلوم)، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي، تحقيق: علي معوض وعادل عبد الموجود وزكريا النوتي، ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ).
١٥. تفسير القرآن العزيز، محمد بن عبد الله بن عيسىٰ المعروف بابن أبي زَمَنِين المالكين تحقيق: حسين بن عكاشة - محمد بن مصطفىٰ الكنز، ط١ (القاهرة: الفاروق الحديثية، ١٤٢٣هـ).
١٦. تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن كثير، تحقيق : سامي السلامة، ط٢(الرياض : دار طيبة، ١٤٢٢هـ).
١٧. تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن كثير، تحقيق : سامي السلامة، ط٢(الرياض : دار طيبة، ١٤٢٢هـ).
١٨. تفسير القرآن العظيم، عبد الرحمن بن محمد الرازي ابن أبي حاتم، تحقيق: أسعد محمد الطيب، ط١ (الرياض : مكتبة نزار الباز، ١٤١٧هـ).
١٩. تفسير القرآن من الجامع لابن وهب، عبد الله بن وهب بن مسلم المصري القرشي، تحقيق: ميكلوش موراني، ط١ (دار الغرب الإسلامي، ٢٠٠٣م).
٢٠. تفسير القرآن، أبو المظفر منصور بن محمد السمعاني، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، ط١ (الرياض: دار الوطن، ١٤١٨هـ).
٢١. تفسير القرآن، عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام الملقب بسلطان العلماء،

تحقيق: الدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهبي، ط١ (بيروت: دار ابن حزم، ١٤١٦هـ).

٢٢. التفسير القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق:

٢٣. التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي، ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ).

٢٤. تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، محمد بن محمد بن أبو منصور الماتريدي، تحقيق: د. مجدي باسلوم، ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٦هـ).

٢٥. تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، ط١ (بيروت: دار الكلم الطيب، ١٤١٩هـ).

٢٦. تفسير عبد الرزاق، عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني، تحقيق: د. محمود محمد عبده، ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٩).

٢٧. تفسير مجاهد، أبو الحجاج مجاهد بن جبر، تحقيق: محمد عبد السلام، ط١ (مصر: دار الفكر، ١٤١٠هـ).

٢٨. تفسير مقاتل بن سليمان، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، ط١ (بيروت: دار إحياء التراث، ١٤٢٣هـ).

٢٩. تفسير يحيىٰ بن سلام، يحيىٰ بن سلام بن أبي ثعلبة، تحقيق: الدكتورة هند شلبي، ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٥هـ).

٣٠. تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، ينسب: لعبد الله بن عباس - رضي الله عنهما -، جمعه: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادىٰ، (لبنان: دار الكتب العلمية).

٣١. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق : عبدالرحمن اللويحق، ط٣ (بيروت : مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ).

٣٢. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، تحقيق : عبد الله التركي، ط١ (القاهرة : دار هجر، ١٤٢٢هـ).

٣٣. الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق: د. عبد الله التركي، ط١ (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٧).

٣٤. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي، تحقيق: د أحمد محمد الخراط، (دمشق: دار القلم).

٣٥. الدعاء، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، تحقيق: مصطفىٰ عبد القادر عطا، ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ).

٣٦. دلائل النبوة، أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق:عبد الرحمن عثمان، ط١ (القاهرة:المكتبة السلفية، ١٣٨٩هـ).

٣٧. روائع التفسير (الجامع لتفسير الإمام ابن رجب الحنبلي)، عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، جمع وترتيب: طارق بن عوض الله بن محمد، ط١ (المملكة العربية السعودية، دار العاصمة، ١٤٢٢هـ).

٣٨. زاد المسير في علم التفسير، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، ط٣ (بيروت : المكتب الإسلامي، ١٤٠٤).

٣٩. سنن الترمذي، محمد بن عيسىٰ الترمذي، إشراف ومتابعة:صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، ط١ (الرياض : دار السلام، ١٤٢٠هـ).

٤٠. السنن الكبرىٰ، أحمد بن شعيب النسائي، حققه وخرج أحاديثه : حسن عبد المنعم شلبي، إشراف : شعيب الأرنؤوط، ط١ (بيروت : مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ).

٤١. سنن سعيد بن منصور، سعيد بن منصور الخرساني، تحقيق: سعد الحميد، ط١ (الرياض: دار الصميعي، ١٤١٤هـ).
٤٢. سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط ، محمد نعيم العرقسوسي، ط٩ (بيروت : مؤسسة الرسالة، ١٤١٣هـ).
٤٣. السيرة النبوية لابن هشام، عبد الملك بن هشام، تحقيق: مصطفىٰ السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، ط٢ (مصر: مطبعة مصطفىٰ البابي الحلبي، ١٣٧٥).
٤٤. صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، اهتمام:عبد المالك مجاهد، ط١ (الرياض : دار السلام، ١٤١٧هـ).
٤٥. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، اهتمام:عبد المالك مجاهد، ط٢ (الرياض : دار السلام، ١٤٢١هـ).
٤٦. طبقات الشافعية الكبرىٰ، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي، تحقيق: د محمود محمد الطناحي و د. عبد الفتاح محمد الحلو، ط٢ (مصر: دار هجر، ١٤١٣هـ).
٤٧. طبقات المفسرين، أحمد بن محمد الداودي، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي، ط١ (الرياض : مكتبة العلوم والحكم، ١٤١٧هـ).
٤٨. العلو للعلي الغفار في إيضاح صحيح الأخبار وسقيمها، أبو عبد الله محمد ابن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، تحقيق: أشرف بن عبد المقصود، ط١ (الرياض: مكتبة أضواء السلف، ١٤١٦هـ).
٤٩. غرائب التفسير وعجائب التأويل، محمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم برهان الدين الكرماني، (جدة: دار القبلة للثقافة الإسلامية).
٥٠. غريب القرآن، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تحقيق: أحمد صقر (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٣٩٨هـ).

٥١. فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي ابن حجر، ط١ (الرياض: دار السلام، ١٤١٨هـ).
٥٢. فتحُ البيان في مقاصد القرآن، أبو الطيب محمد صديق خان، عني بطبعهِ وراجعه: عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، ط١ (بيروت: المكتبة العصرية، ١٤١٢هـ).
٥٣. الفردوس بمأثور الخطاب، شيرويه بن شهردار، أبو شجاع الديلميّ الهمذاني، تحقيق: السعيد بن بسيوني زغلول، ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٦هـ).
٥٤. الكشاف عن غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، محمود الزمخشري، تحقيق : عادل عبد الموجود، علي معوض، ط١ (الرياض : دار العبيكان، ١٤١٨هـ).
٥٥. الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أبو إسحاق أحمد بن محمد الثعلبي، تحقيق: مجموعة رسائل علمية، الإخراج بإشراف: د. صلاح باعثمان وحسن الغزالي وزيد مهارش، ط١ (جدة: دار التفسير، ١٤٣٦هـ).
٥٦. لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمد المعروف بالخازن، تصحيح: محمد علي شاهين، ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٣هـ).
٥٧. لسان العرب، جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، (مصر : دار الحديث، ١٤٢٣هـ).
٥٨. مجاز القرآن، أبو عبيدة معمر بن المثنىٰ التيمىٰ البصري، تحقيق: محمد فواد سزگين
٥٩. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، علي بن أبي بكر الهيثمي، (بيروت : دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ).
٦٠. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، عبد الحق بن عطية الأندلسي، ط٢ (قطر : مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٤٢٨هـ).

٦١. مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي، تصحيح : محمد حلاق، ط١، (بيروت : دار إحياء التراث، ١٤١٩).

٦٢. المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبد الله الحاكم، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط١ (بيروت : دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ).

٦٣. مسند الإمام أحمد، أحمد بن حنبل الشيباني، إشراف: عبد الله التركي، ط٢(بيروت : مؤسسة الرسالة، ١٤٢٩هـ).

٦٤. مسند الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، تحقيق: حسين سليم أسد، ط١(بيروت : دار ابن حزم، ١٤٢١هـ).

٦٥. المصباح المنير، أحمد بن محمد الفيومي، اعتناء : يوسف الشيخ محمد، ط٢ (بيروت : المكتبة العصرية، ١٤١٨هـ).

٦٦. المصنف، عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، ط٢ (بيروت : المكتب الإسلامي، ١٤٠٣هـ).

٦٧. المصنف في الأحاديث والآثار، أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة، تحقيق: محمد عوامة، ط١ (الرياض : مكتبة الرشد، ١٤٠٩هـ).

٦٨. معالم التنزيل، الحسين بن مسعود البغوي، ط١ (بيروت: دار ابن حزم، ١٤٢٣هـ).

٦٩. معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، ط١ (بيروت: دار عالم الكتب، ١٤٠٨هـ).

٧٠. معاني القرآن، أبو جعفر النحاس أحمد بن محمد (المتوفى: ٣٣٨هـ)، تحقيق: محمد علي الصابوني، ط١ (مكة المكرمة، جامعة أم القرى، ١٤٠٩هـ).

٧١. معاني القرآن، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي ومحمد علي النجار وعبد الفتاح إسماعيل الشلبي، ط١ (مصر: الدار المصرية).

٧٢. المعجم الأوسط، سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق : طارق بن عوض الله، عبد المحسن بن إبراهيم، (القاهرة : دار الحرمين، ١٤١٥هـ).

٧٣. المعجم الكبير، سليمان بن أحمد أبو القاسم الطبراني، تحقيق: حمدي السلفي، ط٢ (الموصل: مكتبة الزهراء، ١٤٠٤هـ).

٧٤. مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا، اعتنىٰ به: محمد عوص وفاطمة أصلان، ط١(بيروت : دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٢هـ).

٧٥. النكت والعيون، علي بن محمد الماوردي، تحقيق: السيد بن عبد المقصود (بيروت: دار الكتب العلمية).

٧٦. الهداية إلىٰ بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، أبو محمد مكي بن أبي طالب، تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي – جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، ط١ (الشارقة: كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، ١٤٢٩هـ).

٧٧. الوسيط في تفسير القرآن المجيد، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي، تحقيق وتعليق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، د. أحمد محمد صيرة، د. أحمد عبد الغني الجمل، د.عبد الرحمن عويس، ط١ (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤١٥هـ).

٧٨. وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان، شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر ابن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، (بيروت : دار الثقافة).

❊ ❊ ❊

نَظْمُ الْجَوَاهِر فِي التَّفْسِير

نَظْمُ:

أَبِي فَارِسٍ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ عَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ مُحَمَّدٍ اللَّمْطِيِّ الْـمَغْرِبِيِّ الْـمِكْنَاسِيِّ الْـمَدَنِيِّ

(ت: ٩٦٤هـ)

دراسة وتحقيق

د. ممدوح بن تركي بن محمد القحطاني

أستاذ التفسير وعلوم القرآن المشارك بجامعة شقراء

ملخص البحث

عنوان البحث: نظم الجواهر في التفسير، لأبي فارس عبد العزيز بن عبد الواحد المكناسي المغربي (ت: ٩٦٤هـ)، دراسة وتحقيق.

موضوع البحث: دراسة وتحقيق لقصيدة في علوم القرآن نَظَمَهَا: أَبُو فَارِسٍ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عَبْدِ الْوَاحِدِ الْـمَغْرِبِيُّ الْـمِكْنَاسِيُّ الْـمَدَنِيُّ، وجعلها في أربعة وسبعين ومئة بيت (١٧٤) من البحر الطويل، وهي منظومة جيدة السبك جليلة المعاني، سابقة علىٰ جميع المنظومات في هذا الفن، وناظمها عالم من العلماء لم يأخذ حظه من الدراسة، وقد قسم هذه المنظومة تقسيمًا حسنًا جدًا، وذكر فيها بعد المقدمة ستةَ أبواب، وجعل تحت كل باب عددًا من الفصول، ثم خاتمة، ذكر فيها أربعة أنواع من علوم القرآن.

وقد جعلت البحث في قسمين رئيسين وخاتمة، الأول منهما: قسم الدراسة، وفيه تعريف بالمؤلِّف وبمنظومته، والقسم الثاني هو النص المحقق، واعتمدت في تحقيقه علىٰ ثلاث نسخ خطية، وقد ضبطت النص ضبطًا كاملًا مع التعليق علىٰ ما يحتاج إليه، ثم بعد ذلك خاتمة فيها أبرز النتائج والتوصيات.

أبرز النتائج: صحة نسبتها إلىٰ ناظمها، والتعريف بهذا العالم عبد العزيز المكناسي الذي لم تُنْشَرْ أكثر كتبه، والتعريف بمنظومته التي لا تكاد تعرف، وإخراجها محققة مضبوطة.

أبرز التوصيات: إخراج بقية كتب المكناسي، وكتابة شرح يبرز مكنوناتها ويكشف النقاب عن مسائلها.

الكلمات الدلالية:

نظم، الجواهر، تفسير، المكناسي، نقاية العلوم، النقاية

❋ ❋ ❋

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، وأزكىٰ الصلاة وأتم التسليم علىٰ أشرف الخلق أجمعين، وعلىٰ آله وصحابته أجمعين، والتابعين لهم بإحسان إلىٰ يوم الدين، أما بعد:

فإن أهم ما تنفق فيه الأعمار، وأجل ما تبذل فيه ساعات الليل والنهار، ما يتعلق بالكتاب العزيز، فالعلم به أجل العلوم وأزكاها، وأشرفها وأعلاها، وخدمة كتاب الله عز وجل من خير الأعمال التي يرجىٰ ثوابها، والعلماء - رحمهم الله - ضربوا في ذلك بسهم وافر، وإن من حقوقهم علينا أن نبرز جهودهم وأعمالهم تحقيقًا وتعليقًا ودراسةً ونشرًا.

ومن هذه المؤلفات القصيدة الموسومة بـ**"نظم الجواهر في التفسير"** لأبي فارس عبد العزيز بن عبد الواحد اللَّمْطِيِّ الـمِكْنَاسِيِّ الـمَغْربي، العالم الأديب الشاعر، الذي فاضت قريحته بنظم جملة من علوم القرآن الكريم في هذه القصيدة العلمية التي جاءت علىٰ البحر الطويل.

ولأهمية هذه القصيدة وسبقها علىٰ جميع ما ألف من منظومات في الفن الذي اصطلح عليه بعلوم القرآن أو علوم التفسير؛ اخترتها لتحقيقها والتعليق عليها وإخراجها، لعلها تكون نافعة للمشتغلين بهذا العلم الجليل، راجيًا أن تكون عدة للدارسين، متداولة في حلقات العلم، ومقصدًا للشارحين.

وقد قسمت العمل إلىٰ قسمين رئيسين:

القسم الأول: الدراسة، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: التعريف الموجز بالمؤلف، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: اسمه وكنيته ونسبه ومولده.

المطلب الثاني: حياته العلمية، وشيوخه، وتلاميذه، وثناء العلماء عليه.

المطلب الثالث: مصنفاته، ووفاته.

المبحث الثاني: التعريف الموجز بالمنظومة، ونسخها الخطية، ويشتمل علىٰ مطلبين:

المطلب الأول: التعريف الموجز بالمنظومة، وفيه ثلاثة فروع:

الفرع الأول: تحقيق اسم المنظومة، ونسبتها إلىٰ مؤلفها.

الفرع الثاني: تعريف بالمنظومة وموضوعها، ومصادرها.

الفرع الثالث: وصف المنظومة ومنهجها وقيمتها العلمية.

المطلب الثاني: دراسة النسخ الخطية، وفيه فرعان:

الفرع الأول: وصف النسخ الخطية، ونماذج منها، والمصطلحات والرموز المستخدمة.

الفرع الثاني: منهجي في التحقيق.

القسم الثاني: النص المحقق.

الخاتمة:

وتشتمل علىٰ أبرز النتائج التي توصلت إليها، وأهم التوصيات، ثم الفهرس.

وأسأل الله تعالىٰ التوفيق والسداد.

❋ ❋ ❋

القسم الأول: الدراسة

المبحث الأول: التعريف الموجز بالمؤلف[1]

المطلب الأول: اسمه وكنيته ونسبه ومولده.

اسمه: عبد العزيز بن عبد الواحد بن محمد بن موسىٰ اللمطي الفاسي المكناسي المغربي ثم المدني المالكي.

اللمطي: نسبة لقبيلة من زناتة[2] من قبائل البربر[3]، وفي "مختصر فتح رب الأرباب بما أهمل في لب اللباب من واجب الأنساب": لمطة "أرض أقصىٰ المغرب وقبيلة من البربر ساكنة بها"[4].

الفاسي: نسبة إلىٰ مدينة فاس، مدينة مشهورة في المملكة المغربية[5].

---

(١) مصادر ترجمته:
١. "فهرس أحمد المنجور" ص٣٥.
٢. "درر الحبب" لابن الحنبلي ١/ ٨٠٠.
٣. "الكواكب السائرة " للغزي ٢/ ١٦٧.
٤. "درة الحجال" للمكناسي ٣/ ١٣٢.
٥. "شذرات الذهب" لابن العماد ١٠/ ٤٩٦.
٦. "نيل الابتهاج بتطريز الديباج" للتنبكتي برقم (٣٢٩).
٧. "شجرة النور الزكية" لمخلوف ١/ ٤٠٨
٨. "سلم الوصول إلىٰ طبقات الفحول" لحاجي خليفة ٢/ ٢٨٣.
٩. "الأعلام" للزركلي ٤/ ٢٢.
١٠. "معجم المؤلفين" لكحالة ٥/ ٢٥٢.

(٢) "نيل الابتهاج بتطريز الديباج" ص ٣٠٩، "سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس" ٣/ ٨٢.

(٣) "جمهرة أنساب العرب" لابن حزم ص٤٩٦، "تاريخ ابن خلدون" ٦/ ٢٧٠.

(٤) ص٥٤.

(٥) تقع علىٰ ضفاف نهر فاس، شرق العاصمة الرباط بما يقرب من مئة كيلو متر، وهي من أكبر مدن المملكة المغربية، وكانت عاصمة البلاد قبل الرباط، وتشتهر بوجود جامع القرويين، وهي بلاد كثيرة الخيرات، انظر "المسالك والممالك" للبكري ٢/ ٧٩٥، "معجم البلدان" ٤/ ٢٣٠، "الموسوعة العربية العالمية" ١٧/ ١٩٢.

المكناسي: نسبة إلىٰ مكناس وهي بلدة قريبة من فاس[١]، سميت باسم قبيلة مكناسة، وهي قبيلة من البربر[٢].

المغربي: نسبة إلىٰ بلاد المغرب.

المدني: نسبة إلىٰ المدينة النبوية، علىٰ صاحبها أفضل الصلاة وأزكىٰ السلام.

المالكي: نسبة إلىٰ مذهبه الفقهي، فهو من أتباع الإمام مالك رحمه الله[٣].

كنيته: أبو فارس[٤].

لقبه: عز الدين.

ولم تذكر المصادر التي وقفت عليها تاريخ مولده، ويظهر من نسبته إلىٰ فاس أنه ولد بها، وقرأ علىٰ علمائها، ومنهم أبو العباس الزقاق[٥]، ثم هاجر إلىٰ المشرق؛ إما لطلب العلم أو لقصد حج البيت، ثم دخل الشام، ثم استقر به المقام بالمدينة النبوية وبها توفي، رحمه الله.

ومصادر ترجمته شحيحةٌ معلوماتُها، ينقل بعضها عن بعض، ولكني جمعت منها قدرًا صالحًا أثبتُّ هنا أهم ما فيه، ولعل الله أن ييسر لي - في مستقبل الأيام - الاطلاع علىٰ مصادر أخرىٰ تكشف النقاب عن أحواله ومسيرته العلمية.

المطلب الثاني: شيوخه، وتلاميذه، وثناء العلماء عليه.

شيوخه:

لم أجد بعد طول بحث ذكرًا لشيوخه، ولكني وجد أنه قد أخذ بفاس عن أبي العباس أحمد بن علي بن قاسم الزقاق (ت ٩٣٢هـ)[٦].

---

(١) تقع في الجنوب الغربي من مدينة فاس، وتبعد عنها ما يقرب من ستين كيلو متر وهي بلدة خصيبة ذات أنهار وعيون، ينسب إليها كثير من العلماء، "معجم البلدان" للحموي ٥/ ١٨١، "الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون" لابن غازي ص٩.

(٢) "جمهرة أنساب العرب" لابن حزم ص٤٩٦.

(٣) "شجرة النور الزكية" لمحمد مخلوف ١/ ٤٠٨

(٤) "فهرس أحمد المنجور" ص٣٥

(٥) انظر المصدر السابق، وسيأتي ذكره في المطلب الثاني.

(٦) فقيه حافظ، رحل وحج ولقي العلماء، من مؤلفاته "شرح مختصر خليل"، وشرح بعض "المنهج =

وزار بيت المقدس[1] وحلب ودمشق[2] سنة ٩٥١هـ وسكن المدينة، ولقيه أحمد بن أحمد بن عمر بن محمد التكروري التنبكتي (ت٩٩١هـ)[3] بالمدينة عام ستة وخمسين وتسع مئة؛ وحادثه بها[4].

تلاميذه:

لا شك أن كثيرًا من التلاميذ أخذوا عنه ودرسوا عليه، لما ذُكِرَ من سعة علمه وتصدره للتدريس، غير أني لم أجد إلا ثلاثة هم:

١. محمد بن عمر بن أحمد السفيري الشافعي شمسُ الدين (ت ٩٥٦هـ)[5]، استجازه لما دخل حلب[6].

٢. أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الرحمن اليَسِّيتني (ت ٩٥٩هـ) [7]، أخذ

=

المنتخب في قواعد المذهب"، انظر "فهرس أحمد المنجور" ص٣٠، وص٣٥، "نيل الابتهاج" برقم (١٣٩)، "شجرة النور الزكية" لمخلوف ١/ ٣٩٦.

(١) "الكواكب السائرة " ٢/ ١٦٧.

(٢) حلب: مدينة كبرىٰ عريقة أثرية مشهورة في شمال سوريا، ينسب إليها كثير من العلماء، "معجم البلدان" ٢/ ٢٨٢، "الموسوعة العربية العالمية" ٩/ ٤٩٩.

ودمشق: أشهر وأكبر مدن الجمهورية السورية، من أقدم مدن العالم، وكانت عاصمة للخلافة في عهد الدولة الأموية، يخترقها نهر بردَىٰ، وتحيط بها بساتين الغوطة، وفيها الجامع الأموي، "المسالك والممالك" للبكري ١/ ٤٦٣، "معجم البلدان" للحموي ٢/ ٤٦٣، "الموسوعة العربية العالمية" ١٠/ ٣٨١.

(٣) عالم متفنن محدث أصولي بياني منطقي مشارك في العلوم، ينسب إلىٰ تنبكتو في بلاد مالي، رحل إلىٰ المشرق ولقي جماعة من العلماء، ثم رجع إلىٰ بلده، وجلس لإسماع البخاري ومسلم ومن مؤلفاته "شرح منظومة المغيلي في المنطق"، و"شرح السنوسية الصغرىٰ"، وهو والد صاحب "نيل الابتهاج بتطريز الديباج" الذي ستأتي ترجمته، انظر "نيل الابتهاج" برقم (١٤٤).

(٤) "نيل الابتهاج" برقم (٣٢٩).

(٥) محدث شافعي، ولد بحلب، وسافر إلىٰ دمشق والقاهرة، له "شرح علىٰ صحيح البخاري"، انظر "درر الحبب" ٢/ ٢٥٨، "شذرات الذهب" لابن العماد ١٠/ ٤٤٨، "الأعلام" ٦/ ٣١٧.

(٦) "درر الحبب" ١/ ٨٠٤، "الكواكب السائرة " ٢/ ١٦٧، "شذرات الذهب" ١٠/ ٤٩٧.

(٧) فقيه نحوي أصولي متفنن، ارتحل إلىٰ كثير من البلدان وقصد مكة والمدينة وأخذ عن علمائهما ثم رجع إلىٰ فاس فدرَّس بها، من تآليفه: "شرح مختصر خليل" لم يكمله، "جزء في تصحيح قبلة فاس"، " حقوق السلطان علىٰ الرعية وحقوقهم عليه"، "سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس" للكتاني ٣/ ٧٦، "الأعلام" ٦/ ٦.

عنه بمكة[١].

٣. أبو ذر أحمد بن أحمد بن أحمد بن إبراهيم موفقُ الدين الحلبي (ت٩٦٢هـ)[٢]، استجازه لما دخل حلب[٣].

وكان المكناسي ـ رحمه الله ـ شاعرًا مجيدًا، وله قصائد كثيرة، منها قوله[٤]:

ذوو المناصب إما أن يكون لهم ❖ نصب، وإلا فهم فيها ذوو نصبِ

فلا تعرج عليها ما بقيت وكن ❖ لله محتسبًا في تركها تُصِبِ

لا سيما منصب القاضي فإنك إن ❖ تزغ عن الحق فيه كنت ذا عطبِ

فإن قضىٰ الله يومًا بالقضاء أخي ❖ عليك فاعدل ولكن لا إلىٰ الذهب

وقال لما زار دمشق وبيت المقدس والخليل[٥]:

مررت بالشام وقد زينت ❖ بكل ما تهوىٰ نفوس الورىٰ

فقلت ما أحسنها جنة ❖ سبحان من أنشاها من ثرىٰ

ومن شعره[٦]:

كففت عن الوصال طويلَ شوقي ❖ إليك وأنتِ للروح الخليلُ

وكفك للطويل فدتك نفسي ❖ قبيح ليس يرضاه الخليلُ

(١) "شجرة النور الزكية" لمخلوف ١/ ٤٠٩.

(٢) محدث وَلِيَ مشيخة الشيوخ بحلب، وتولىٰ التدريس، وحصلت له الحظوة عند أكابر الدولة العثمانية، "درر الحبب" ١/ ١٦٥.

(٣) "درر الحبب" ١/ ٨٠٤، "الكواكب السائرة" ٢/ ١٦٧، "شذرات الذهب" ١٠/ ٤٩٧.

(٤) "درر الحبب" ١/ ٨٠٢، "الكواكب السائرة" ٢/ ١٦٧، "شذرات الذهب" ١٠/ ٤٩٧.

(٥) "درر الحبب" ١/ ٨٠١.

والخليل: مدينة فلسطينية قديمة، تقع في الضفة الغربية، وهي في جنوب بيت المقدس بقرابة خمسين كيلومتر، يقال إن فيها قبر إبراهيم الخليل عليه السلام، وفيها المسجد الإبراهيمي، "معجم البلدان" ٢/ ٣٨٧، "الموسوعة العربية العالمية" ١/ ١٦٠.

(٦) "درر الحبب" ١/ ٨٠١.

وله أشعار أخرىٰ[1].

ثناء العلماء عليه:

قال ابن الحنبلي[2] عن المكناسي: هو "شيخ القراء بالمدينة"، وقال: "اجتمعت به فإذا هو عالم عامل، فاضل مفنَّنٌ، أديب أريب، شاعر صالح، خَيِّرٌ دمث الأخلاق كثير الوقار والتواضع عند التلاق"[3].

"وقد أُلزمَ مرة في ملأ، فلم يكترث ولم يتغير وجهه لسلامة صدره.

وعن بعض المدنيين: إنه بحيث لا يظن فيما بينهم إلا من اليمانيين، لما أنهم أرق قلوبا وألين أفئدة بنص الحديث، وهو بهذا المنار"[4].

وقال عنه: "لم يخلف بالمدينة مثله"[5].

وقال أحمد المنجور[6]: "الفقيه المتفنن المحقق"، "كان آية في التوسع في العلوم والتفنن فيها، بعث لأخيه شيخنا عثمان اللمطي[7] منظومة له في نيف وعشرين فنًّا، ونظمه حلو رشيق يدل علىٰ تفننه وتحقيقه، حج أزيد من ثلاثين حجة"[1].

---

(١) انظرها في المصدر السابق ١/ ٨٠٢.

(٢) هو رضي الدين أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن يوسف المعروف بابن الحنبلي، ولد في حلب عام ٩٠٨هـ، عالم مؤرخ متفنن، له مؤلفات كثيرة، منها: "درر الحبب"، و"إخبار المستفيد بأخبار خالد بن الوليد"، و"إغاثة العارض في تصحيح واقعات الفرائض"، و"الزبد والضرَب في تاريخ حلب"، وله "ديوان شعر"، توفي عام ٩٧١هـ، انظر "الكواكب السائرة" للغزي ٣/ ٣٩، "شذرات الذهب" لابن العماد ١٠/ ٥٣٣، "الأعلام" للزركلي ٥/ ٣٠٢.

(٣) "درر الحبب" ١/ ٨٠٠.

(٤) المصدر السابق ١/ ٨٠٤.

(٥) "درر الحبب" ١/ ٨٠٦.

(٦) هو أحمد بن علي بن عبد الرحمن، أبو العباس المنجور، فقيه مغربي، أديب، أصله من مكناس، من مؤلفاته: "شرح المنهج المنتخب" في قواعد الفقه المالكي، "مراقي المجد لآيات السعد"، "حاشية علىٰ السنوسية الكبرىٰ"، وسكناه ووفاته بفاس عام ٩٩٥هـ، انظر "شجرة النور الزكية" لمخلوف ١/ ٤١٥، "الأعلام" للزركلي ١/ ١٨٠.

(٧) هو أخو الشيخ أبي فارس عبد العزيز المكناسي، عالم فقيه مجيد للقرآن حفظًا وأداءً ورسمًا وضبطًا وعلمًا بأحكامها، وكاد يحفظ "الكافية الشافية" لابن مالك، عالم بالعروض، له معرفة بالتفسير، وقرأ بالسبع، توفي عام ٩٥٤هـ، انظر "نيل الابتهاج" برقم (٣٨٨)، "شجرة النور الزكية" ١/ ٤٠٨.

(١) "فهرس أحمد المنجور" ص٣٥.

وقال التنبكتي[(١)]: " الإمام العالم العلامة المتفنن الفصيح الناظم الناثر"[(٢)].

وقال الغزي[(٣)]: " شيخ القراء بالمدينة المنورة. كان فاضلًا، مفننًا، شاعرًا، صالحًا، دمث الأخلاق، كثير التواضع"[(٤)].

ونحوه قول ابن العماد[(٥)]: " الإمام العالم الأديب، شيخ القراء بالمدينة المنورة، كان فاضلًا، علَّامة، مفنِّنًا، شاعرًا، صالحًا، دمث الأخلاق، كثير التواضع"[(٦)].

المطلب الثالث: مصنفاته، ووفاته.

جل كتب المكناسي منظومات وقصائد، بل كل الذي وقفت عليه قصائد ومنظومات إلا تعليقه علىٰ مختصر خليل.

قيل عنه: "له منظومات شتىٰ في ثمانية وعشرين علمًا"[(٧)]، ونظمه عالٍ رائق، وصدق مَن قال: "كل نظمه حلو رشيق"[(١)].

ويظهر علىٰ مصنَّفاته النمط التعليمي، فإن جلها متون تعليمية، وهذا من دلائل حرصه علىٰ نشر العلوم وتقريبها لطلاب العلم.

---

(١) هو أحمد بابا بن أحمد بن أحمد بن عمر التكروري التنبكتي السوداني، أبو العباس، مؤرخ فقيه، ينسب إلىٰ تنبكتو في بلاد مالي، له مؤلفات منها "نيل الابتهاج بتطريز الديباج " في تراجم المالكية، و"كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج"، وله حواش ومختصرات، توفي عام ١٠٣٦هـ وقيل قبل ذلك، "شجرة النور الزكية" لمخلوف ١/ ٤٣٣، "الأعلام" للزركلي ١/ ١٠٢.

(٢) "نيل الابتهاج" برقم (٣٢٩)، وانظر "شجرة النور الزكية" ١/ ٤٠٨.

(٣) هو محمد بن محمد بن محمد الغَزِّي العامري القرشي الدمشقيّ، أبو المكارم، نجم الدين، مؤرخ، أديب، له مؤلفات كثيرة منها "الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة"، "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر"، "حسن التنبه لما ورد في التشبه"، توفي بدمشق عام ١٠٦١هـ، انظر "خلاصة الأثر" للمحبي ٤ / ١٨٩، "الأعلام" للزركلي ٧/ ٦٣.

(٤) "الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة " ٢/ ١٦٧

(٥) عبد الحي بن أحمد بن محمد المعروف بابن العماد العكري الحنبلي، أبو الفلاح، علامة، مؤرخ، فقيه حنبلي، من مؤلفاته "شذرات الذهب في أخبار من ذهب"، و"شرح غاية المنتهىٰ" لم يكمله، و"شرح بديعية ابن حجة"، توفي بمكة المكرمة عام ١٠٨٩هـ، انظر "خلاصة الأثر" للمحبي ٢/ ٣٤٠، و"السحب الوابلة علىٰ ضرائح الحنابلة" لابن حميد ٢/ ٤٦٠، "الأعلام" للزركلي ٣/ ٢٩٠.

(٦) "شذرات الذهب" ١٠/ ٤٩٦.

(٧) "درر الحبب" ١/ ٨٠٢، "الكواكب السائرة " ٢/ ١٦٧.

(١) "شجرة النور الزكية" ١/ ٤٠٨.

مصنفاته[1]:

١. ألفية في النحو، ضاهىٰ بها ألفية ابن مالك[2].

٢. الجامع المهذب في شرح مشكل فصيح ثعلب، (خ)، وقفت عليه وصحت عندي نسبته إليه بما كُتِبَ علىٰ المخطوط وبأسلوب المؤلف وبأدلة أخرىٰ، ولم يُذكر في الفهارس ولا في الكتب التي اطلعت عليها في ترجمته، وقد رَمز لعدد أبياته بقوله: (عَـبْقَشٍ) أي أنه بحساب الجُمَّل[3] في اثنين وسبعين ومئة وألف بيت (١١٧٢) علىٰ طريقة المغاربة في عدِّ الشين أَلْفًا، والمشارقة يعدونها ثلاث مئة، وفرغ من نظمه في عام أربعة وخمسين وتسع مئة (٩٥٤هـ) كما نص عليه في الخاتمة.

٣. تحفة الأحباب، أرجوزة في علم الصرف[4]، (خ).

٤. تقييد علىٰ مختصر خليل[5].

٥. درر الأصول، في أصول الفقه[1]، (خ).

٦. الدرر في علم المنطق، أو الدر في المنطق[2]، قصيدة لامية، (خ).

---

(١) انظر بعضها في "الأعلام" للزركلي ٤/ ٢٢، و"معجم المؤلفين" ٥/ ٢٥٢، "هدية العارفين" ١/ ٥٨٤.
أشرت إلىٰ الكتب التي وقفت عليها مخطوطةً بالحرف (خ)، وجلها ضمن المجموع الذي فيه "نظم الجواهر"، وأشرت إلىٰ الكتب المطبوعة بالحرف (ط)، وأما رقم ١ و٤ فلم أقف عليهما.

(٢) "نيل الابتهاج" برقم (٢٧٦)، "درة الحجال" ٣/ ١٣٢.

(٣) حساب الجمَّل نوع من أنواع الحساب يجعل فيه لكل حرف من الحروف الأبجدية عدد من الواحد إلىٰ الأَلْف، علىٰ هذا الترتيب: أ ب ج د ه و ز ح ط ي ك ل م ن س ع ف ص ق ر ش ت ث خ ذ ض ظ غ، فمن الألِف إلىٰ الياء للآحاد، ومن الياء إلىٰ القاف للعشرات، ومن القاف إلىٰ الظاء للمئات، والغين بألف، والمغاربة يخالفون في ستة أحرف، وهي السين والصاد والشين والضاد والظاء والغين، انظر "مفاتيح العلوم" للخوارزمي ص٢١٩-٢٢٠، و"المطالع النصرية" ص٢٧٥، و"المعجم الوسيط" ص١، وص١٤١.

(٤) "درر الحبب" ١/ ٨٠٣"، "الكواكب السائرة " ٢/ ١٦٧، "شذرات الذهب" ١٠/ ٤٩٧، "كشف الظنون" ١/ ٣٦١.

(٥) "نيل الابتهاج" برقم (٢٧٦)، "درة الحجال" ٣/ ١٣٢.

(١) "درر الحبب" ١/ ٨٠٣"، "الكواكب السائرة " ٢/ ١٦٧، "شذرات الذهب" ١٠/ ٤٩٧، "كشف الظنون" ١/ ٧٥١.

(٢) "درر الحبب" ١/ ٨٠٣"، "الكواكب السائرة " ٢/ ١٦٧، "شذرات الذهب" ١٠/ ٤٩٧

٧. غنية الإعراب ومدخل المزيد للطلاب[(١)]، أرجوزة في النحو نظمها سنة ٩٣٥هـ[(٢)]، (خ).

٨. قرة الأبصار في سيرة المشفع المختار[(٣)]، أرجوزة طويلة في السيرة النبوية، وهي مشهورة، وعليها شروح كثيرة ، (ط).

٩. لب لباب المصطلح، أرجوزة في مصطلح الحديث، (خ).

١٠. ما يوجب تركه الدماء من واجبات الحج عند العلماء، أرجوزة صغيرة تقع في لوح، (خ).

١١. منهج الوصول ومهيع السالك للأصول، في أصول الدين[(٤)]، (خ).

١٢. المورث لمشكل المثلث، نظم فيها مثلث قطرب[(٥)]، مشهور جدًا، وعليه شروح، (ط).

١٣. نتائج الأنظار ونخبة الأفكار للنُّظَّار[(٦)]، أرجوزة في علم الجدل، (خ).

١٤. نزهة الألباب في علم الحساب[(٧)]، (خ).

١٥. نظم الجواهر في علم التفسير[(١)]، وهو هذا الذي أقدم له.

---

(١) "درر الحبب" ١/ ٨٠٣،"الكواكب السائرة " ٢/ ١٦٧، "شذرات الذهب" ١٠/ ٤٩٧، "كشف الظنون" ٢/ ١٢١٠.

(٢) "سلم الوصول إلىٰ طبقات الفحول" لحاجي خليفة ٢/ ٢٨٣.

(٣) "المعسول" ١٧/ ١٥.

(٤) "درر الحبب" ١/ ٨٠٣، "الكواكب السائرة " ٢/ ١٦٧، "شذرات الذهب" ١٠/ ٤٩٧، "كشف الظنون" ٢/ ١٨٨١.

(٥) انظر "فهرس مخطوطات المسجد النبوي" رقم الحاسب (٤٢٧٤)، وانظر "مجلة المناهل" العدد ٣ السنة الثانية عام ١٣٩٥هـ، ص٩ كتبها عبد الله كنون.

(٦) "درر الحبب" ١/ ٨٠٣،"الكواكب السائرة " ٢/ ١٦٧، "شذرات الذهب" ١٠/ ٤٩٧، "كشف الظنون" ٢/ ١٩٢٤.

(٧) "درر الحبب" ١/ ٨٠٣، "الكواكب السائرة " ٢/ ١٦٧، "شذرات الذهب" ١٠/ ٤٩٧، "كشف الظنون" ٢/ ١٩٤٠.

(١) "درر الحبب" ١/ ٨٠٣"، الكواكب السائرة " ٢/ ١٦٧، "شذرات الذهب" ١٠/ ٤٩٧، "كشف الظنون" ١/ ٦١٨.

١٦. نظم العقود في المعاني والبيان، ويسمىٰ عقود الدرر في علمي البلاغة[١]، وسماه الناظم "نظم عقود الدر" كما في البيت رقم (١١١) من "نظم الجواهر"، وسماه أيضاً "نظم العقود" كما في البيتين (١٤١)، (١٤٣)، (خ).

١٧. نظم سور القرآن[٢]، قصيدة من البحر البسيط نظم فيها أسماء سور القرآن مرتبة حسب ترتيبها في المصحف، (خ).

"إلىٰ غير ذلك من المنظومات الرائقة، والأشعار الفائقة"[٣].

وفاته:

بعد زيارته الشام عاد إلىٰ المدينة المنورة، وتوفي بها[٤] في سنة أربع وستين وتسع مئة (٩٦٤هـ)[٥].

* * *

(١) "درر الحبب" ١/ ٨٠٣، "الكواكب السائرة" ٢/ ١٦٧، "شذرات الذهب" ١٠/ ٤٩٧، "كشف الظنون" ٢/ ١١٥٦.

(٢) "الأعلام" للزركلي ٤/ ٢٢.

(٣) "درر الحبب" ١/ ٨٠٤.

(٤) "شذرات الذهب" ١٠/ ٤٩٧.

(٥) "درر الحبب" ١/ ٨٠٦، "الكواكب السائرة" ٢/ ١٦٧، وفي "درة الحجال" ٣/ ١٣٣ أنه توفي بالمدينة في نحو عام ٩٨٠هـ.

المبحث الثاني
التعريف الموجز بالمنظومة، ونسخها الخطية

المطلب الأول: التعريف الموجز بالمنظومة:

الفرع الأول: تحقيق اسم المنظومة، ونسبتها إلىٰ مؤلفها.

نص الناظم علىٰ اسم النظم بقوله:

وَسَمَّيْتُهُ: «نَظْمَ الجَوَاهِرِ» عَائِذًا ❖ بِرَبِّي مِنَ التَّسْمِيعِ فِعْلًا وَمِقْوَلَا

ولا اجتهاد بعد هذا النص من الناظم، وقد ذُكر للكتاب أسماء وأوصاف أخر، منها:

١. نظم جواهر السيوطي[١].
٢. نظم جواهر السيوطي في علم التفسير[٢].
٣. نظم جواهر السيوطي في التفسير[٣].
٤. نظم الجواهر في علوم التفسير[٤].

ولم يسمه في "كشف الظنون"، وإنما ذكر كتابًا للسيوطي اسمه "الجواهر في علم التفسير" وقال: "نَظْمُهُ للشيخ عبد العزيز بن عبد الواحد المدني"[٥].

ولم أقف علىٰ كتاب للسيوطي اسمه "الجواهر في التفسير"، ويبدو لي – والله أعلم – أن من ذكر جواهر السيوطي أخذه من قول الناظم:

وَقَدْ كَانَ هَذَا العِلْمُ غَيْرَ مُدَوَّنٍ ❖ فَأَلَّفَهُ الحَبْرُ السِّرَاجِيُّ أَوَّلَا

وَتَمَّمَهُ الشَّيْخُ الجَلَالِيُّ بَعْدَهُ ❖ فَجَاءَ بِحَمْدِ اللهِ عِلْمًا مُكَمَّلَا

(١) "درر الحبب" ١/ ٨٠٣، "الأعلام" للزركلي ٤/ ٢٢، "معجم المؤلفين" ٥/ ٢٥٢، "معجم المفسرين" لعادل نويهض ١/ ٢٨٨.

(٢) "الكواكب السائرة" للغزي ٢/ ١٦٧، "شذرات الذهب" ١/ ٤٩٧، "هدية العارفين" ١/ ٥٨٤.

(٣) "هدية العارفين" ١/ ٥٨٤.

(٤) "الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي ـ التفسير وعلومه" ص٦٠٥، فهرست مصنفات تفسير القرآن" ١/ ١٢٩٦.

(٥) "كشف الظنون" ١/ ٦١٨.

وَلَــمْ أَرَ تَأْلِيفًــا لِغَيْرِهِمَــا بِــهِ ❖ فَأَلَّفْــتُ هَــذَا الــنَّظْمَ فِيــهِ لِيَسْــهُلَا

عَلَـىٰ مُبْتَغِـي تَحْصِـيلِ أَنْوَاعِـهِ، وَلَـمْ ❖ أُغَـادِرْ مِـنَ الأَنْـوَاعِ نَوْعًـا فَحَصَّـلَا

وَسَــمَّيْتُهُ: «نَظْــمَ الجَــوَاهِرِ» عَائِــذًا ❖ بِرَبِّـي مِـنَ التَّسْـمِيعِ فِعْـلًا وَمِقْـوَلَا

فالناظم قد نص علىٰ أن اسم القصيدة "نظم الجواهر"، وأشار إلىٰ السراجي قبله وجلال الدين السيوطي[1]، وأنهما ألفا في علم التفسير، والمقصود به علوم القرآن وما يتعلق بالتفسير.

أما نسبته إلىٰ المؤلف فلا شك فيها، ويدل علىٰ ذلك أمور:

١. ما ذكره مترجموه من أنه ألف كتابًا بهذا الاسم، وسبق ذكر ذلك في مؤلفاته[2].

٢. ما كتب علىٰ صفحة العنوان من المجموع الذي فيه منظومات المكناسي، فقد جاء في صفحة عنوان نسخة المكتبة التيمورية: "مجموعة المنظومات للعلامة عبد العزيز بن عبد الواحد، وهي في الاعتقادات والتفسير وسور القرآن" ...إلخ.

٣. ما ذكر في فهارس الكتب والمخطوطات[3].

٤. أشار الناظم في منظومته إلىٰ كتبه الأخرىٰ نحو "نظم العقود" في البلاغة، فإنه في البيت (١١١) لما ذكر الاستعارة أحال إلىٰ منظومته في البلاغة فقال:

وَاسْــتِيفَاءَ الَانْــوَاعِ إِنْ تُــرِدْ ❖ فَـ(**نَظْـمُ عُقُـودِ الـدُّرِّ**) حَسْـبُكَ مَـنْهَلَا

وقال في البيت (١٤١) لما ذكر الإيجاز والإطناب والمساواة:

---

(١) وسيأتي في تحقيق النص المرادُ بالسراجي.

(٢) انظر "درر الحبب" ١/ ٨٠٣"، الكواكب السائرة " ٢/ ١٦٧، "شذرات الذهب" ١٠/ ٤٩٧، "كشف الظنون" ١/ ٦١٨، "هدية العارفين" ١/ ٥٨٤، وغير ذلك.

(٣) انظر "فهرس الخزانة التيمورية" ١/ ١٤٩، "الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي - التفسير وعلومه" ص٦٠٥، "معجم التاريخ، التراث الإسلامي في مكتبات العالم" هكذا اسمه! ص١٧٦٤، "فهرست مصنفات تفسير القرآن" ١/ ١٢٩٦.

وَتَعْرِيــفُ كُــلٍّ فِــي الْــمَعَانِي مُقَــرَّرٌ ❖ فَرَاجِعْــهُ فِــي (**نَظْــمِ الْعُقُــودِ**) مُكَمَّــلَا

وقال في البيت (١٤٣) لما ذكر القَصْرَ:

تَقَــرَّرَ فِــي (**نَظْــمِ الْعُقُــودِ**) مُحَــرَّرًا ❖ بِأَنْوَاعِــــــــهِ طُــــــــرًّا،

وقد سبق في ذكر مصنفاته أن نظم العقود مما نص مترجموه على أنه من مصنفاته.

٥. إن من اطلع على منظوماته الأخرى يكاد يجزم بأنها و"نظم الجواهر" تخرج من مشكاة واحدة، ونَفَسُ المؤلف وروعة أسلوبه وعلوُّ نظمه تشهد بذلك.

الفرع الثاني: تعريف بالمنظومة وموضوعها، ومصادرها.

نص المؤلف في مقدمته على أنه ألف هذا النظم في التفسير، بعد أن ذكر شرف العلم وأنه أولى ما اقتناه اللبيب وحصله، ولا سيما علم التفسير منه، فإنه من أسمى علوم الدين قدرًا ومنزلًا.

وما ذكره من أن هذا التصنيف في علم التفسير هو من باب التوسع، لأن الموضوعات التي ذكرها تتعلق ببعض أنواع علوم القرآن، وبعضها لا علاقة له بالتفسير، ويظهر أنه ذكر علم التفسير نظرًا لما شاع من أن علم التفسير قد صار عَلَمًا على علوم القرآن عند بعض أهل العلم.

أما عن مصادره فإن المؤلف ذكر في مقدمته أن هذا العلم كان غير مدون، فألفه السراجي ويقصد به - والله أعلم - البلقيني في كتابه "مواقع العلوم في مواقع النجوم" وهو مطبوع، وأن الشيخ الجلالي - ويقصد به السيوطي - تممه بعده فجاء بحمد الله علمًا مكملًا، والسيوطي كما هو معلوم له عدة تصانيف في علوم القرآن، منها ما ضمنه كتابه "نقاية العلوم" الذي جمع فيه أربعة عشر علما، وجعل علم التفسير العلم الثاني بعد علم أصول الدين، وكان ذلك عام (٨٧١هـ)، ثم ألف بعده "التحبير في علم التفسير" عام (٨٧٢هـ) ثم شرح "النقاية" في "إتمام الدراية"، وفرغ من تأليفها عام (٨٧٣هـ)، وهو كثيرًا ما يحيل في "إتمام الدراية" إلى "التحبير"[1].

(١) انظر بحثي الموسوم بـ"علم التفسير من النقاية وشرحها للإمام السيوطي، أصله وما لحقه من أعمال"، =

وبعد النظر في "نظم الجواهر" للمكناسي يتبين للمطلع أنه اتخذ علم التفسير من "نقاية السيوطي" أصلًا يسير عليه، ويرجع أحيانًا إلىٰ شرحها "إتمام الدراية"، ويأتي ببعض الزوائد.

وأما الكتب التي ذكرها في نظمه فقد نص عليها السيوطي في "النقاية".

الفرع الثالث: وصف المنظومة ومنهجها وقيمتها العلمية.

اختار المؤلف أن يصوغ مسائل من علوم القرآن في قالب شعري ليسهل درسها واستحضارها ومراجعتها، فالنظم أسبق من النثر إلىٰ الفهم، ومقتضاه ومدلوله أعلق بالنفوس والأذهان(١)، وهو أحضر عند الذِّكر(٢)، وجعله علىٰ بحر من أشهر بحور الشعر وهو البحر الطويل، خلافًا لغالب المنظومات العلمية التي جاءت علىٰ بحر الرجز، ووزنه:

فعولن مفاعيل فعولن مفاعيلن ❖ فعلون مفاعيل فعولن مفاعيلن(٣)

والطويل وزن فخم "فيه أبدًا بهاءٌ وقوة" كما يقوله حازم القرطاجني (ت ٦٨٤هـ) (٤)، وذكر أن الطويل والبسيطَ " فاقا الأعاريض في الشرف والحسن وكثرة

=

فقد ذكرت فيه أصل علم التفسير من النقاية وكل ما يتعلق به من شرح أو نظم أو شرح للنظم مع معلومات عن طباعتها ومخطوطاتها ومقارنةٍ بين المنظومات التي نظمت النقاية أو قسم التفسير من النقاية، وقد نشرته دار الناشر المتميز بالرياض، ودار النصيحة بالمدينة النبوية، ١٤٤٠هـ.

(١) أشار إلىٰ ذلك ابن عاصم الغرناطي في مقدمة منظومته "مرتقىٰ الوصول إلىٰ علم الأصول"، فقال:

والنظم مدنٍ منه كُلَّ مَا قَصَىٰ ❖ مُذلِّلٌ من ممتطاه ما اعتصىٰ

فهو من النثر لفهم أسبقُ ❖ ومقتضاه بالنفوس أعلقُ

انظر إليه مع شرحه "نيل السول" للولاتي ص١١.

(٢) قال ابن أبي الحديد في مقدمة نظمه للغة فصيح ثعلب في البيت (٧):

وَأَسْهَلُ المحفُوظِ نَظْمُ الشِّعْرِ ❖ لِأَنَّهُ أَحْضَرُ عِنْدَ الذِّكْرِ

(٣) انظر "الكافي في العروض والقوافي" للخطيب التبريزي ص١٧، "العيون الغامزة علىٰ خبايا الرامزة" للدماميني ص١٣٧.

(٤) هو حازم بن محمد بن حسن القرطاجني، أبو الحسن، عالم أديب شاعر، إمام في النحو والعروض والبيان، من مؤلفاته "منهاج البلغاء وسراج الأدباء"، وله "ديوان شعر"، وهو من أهل الأندلس ثم
=

وجوه التناسب وحسن الوضع"[١]، والمكناسي ناظم بارع وأديب شاعر لا تعجزه البحور الشعرية.

ويعد "نظم الجواهر" من المنظومات القليلة التي نظمت مسائل علوم القرآن، وأشهر منظومة عُني بها العلماء "المنظومة الزمزمية"[٢] لعبد العزيز بن علي الزمزمي (ت ٩٧٦هـ)[٣]، وهو معاصر للمكناسي (ت ٩٦٤هـ)، وكلاهما نظما ما في "نقاية العلوم" للسيوطي، وقد يكون المكناسي سابقًا للزمزمي ومتقدمًا عليه زمنيًا، فقد رمز الناظم في البيت (١٧٠) إلىٰ تاريخ تأليفها، وأنه فرغ منها عام اثنين وأربعين وتسع مئة (٩٤٢هـ).

ونظم المكناسي مع حسنه وجودته لم يشتهر ولم يشرح، ومن نظر فيه رأىٰ أنه لا يقل عن منظومة الزمزمي، إن لم يفقها جودة وسبكًا، مع اختلاف المنظومتين في البحر العروضي.

وبعد الافتتاحية التي ذكرها المكناسي التي سبق الإشارة إليها، نص في المقدمة التي عقدها بين يدي الأبواب علىٰ أن الأنواع التي سيذكرها خمسة وخمسون نوعًا من أنواع علوم القرآن.

قال في البيت (٢٠):

❖ **وَأَنْوَاعُـهُ: خَمْـسٌ وَخَمْسُـونَ تُجْتَلَـىٰ**

ثم سار علىٰ ترتيب الأنواع التي ذكرها السيوطي في "النقاية"، وأضاف مسائل

=

انتقل إلىٰ مراكش ثم تونس، توفي بها عام ٦٨٤هـ، انظر "البلغة في تراجم أهل اللغة" للفيروزآبادي ص١٠٥، "الأعلام" للزركلي ٢/ ١٥٩.

(١) "منهاج البلغاء وسراج الأدباء" للقرطاجني ص٢٣٨ وص٢٦٩.

(٢) وهي في ١٥٨ بيتًا من بحر الرجز، وهي منظومة نافعة رصينة رائقة قليلة الحشو، للعلماء بها عناية قديمًا، خصوصًا علماء مكة المكرمة، وانتشر تدريسها في هذا الزمن، وعليها شروح كثيرة مطبوعة ومسموعة.

(٣) هو عبد العزيز بن علي بن عبد العزيز الشيرازي ثم المكي الزمزمي، من أعيان مكة وعلمائها، محدث فقيه شاعر، من مؤلفاته "منظومة التفسير"، "فيض الجود علىٰ حديث شيبتني هود"، وله "ديوان شعر"، توفي بمكة عام ٩٧٦هـ، انظر "الكواكب السائرة" للغزي ٣/ ١٤٩، "الأعلام" للزركلي ٤/ ٢٣.

وفوائد ذكرها السيوطي في شرحه "إتمام الدراية"، فهو في حقيقته نظم لما في علم التفسير من "النقاية" مع زوائد كثيرة في أبواب ذكرها السيوطي في شرحه "إتمام الدراية"، مثال ذلك ما ذكره في الفصل الثالث في البيت (٧٣) وما بعده مما تنتهي قراءات القراء السبعة إليه من الصحابة والتابعين، فنظم ذلك نظمًا رائقًا متقنًا مختصرًا.

ولم يكن المكناسي مكتفيًا بعَقْدِ الكتاب نظمًا، بل كانت له زيادات وآثار وفوائد وتقسيمات تختلف، فقد زاد في الباب الأول عدد سور القرآن رامزًا لذلك بحروف الجمَّل، واستخدمه حسب نظام المغاربة.

ثم أنه خالفه في تقسيم الكتاب؛ فقسمه تقسيمًا حسنًا جدًا، وذكر فيه بعد المقدمة ستةَ أبواب، وذكر تحت كل باب عددًا من الفصول، ثم خاتمة ذكر فيها أربعة أنواع، وجعل النوع الأول منها وهو أسماء الأعلام في ثلاثة أقسام، ذكر في القسم الأول أسماء الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وفي القسم الثاني أسماء الملائكة - عليهم السلام - وفي القسم الثالث غيرهما، ثم في النوع الثاني ذكر الكنىٰ، وفي الثالث ذكر الألقاب وفي الرابع ذكر المبهمات.

وقد يعرض عن مسائل في "النقاية" لا ينظمها، وهذا قليل جدًا، وقد يكون قَصَدَ بذلك الإعراض عنها لضعفها ولكونها غير معتبرة عنده، وذلك ـ مثلًا ـ في مسألة تواتر القراءات السبع، فالجمهور علىٰ أنها متواترة، و"قيل: إلا ما كان من قبيل الأداء"[1] وهو قول لابن الحاجب[2]، وقيل: إنه لا سلف له في ذلك[3]، فلم ينظم المكناسي

(١) "إتمام الدراية لقراء النقاية" ص٩٠.

(٢) "مختصر منتهىٰ السؤل والأمل" لابن الحاجب ١/ ٣٦٦.

وابن الحاجب هو عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس، أبو عمرو جمال الدين، فقيه مالكي، عالم باللغة، ولد في صعيد مصر ونشأ في القاهرة، وسكن دمشق، له مؤلفات كثيرة منها: " الكافية " في النحو، و" الشافية " في الصرف، و" مختصر الفقه" ويسمىٰ " جامع الأمهات " و " المقصد الجليل " قصيدة في العروض، توفي بالإسكندرية عام (٦٤٦هـ)، "شذرات الذهب" ٧/ ٤٠٥، "الأعلام" للزركلي ٤/ ٢١١.

(٣) "النشر في القراءات العشر" لابن الجزري ١/ ٣٠

ذلك تضعيفًا لهذا القول.

ومن إضافاته وزوائده علىٰ "النقاية" و"إتمام الدراية" أنه ذكر أنواع النسخ، من حيث كونه ينقسم إلىٰ بدل وغير بدل، ومن حيث تقسيمه إلىٰ أخف وأغلظ وذلك في قوله في الفصل التاسع: في الناسخ والمنسوخ في البيت (١٣٦):

إِلَىٰ بَدَلٍ أَوْ دُونِهِ لِأَخَفَّ أَوْ ❖ لِأَغْلَظَ مِن نَّقْلٍ صَحِيحٍ تَسَلْسَلَا

وقد يخالف السيوطي في مسائل، كضبطه لاسم أم موسىٰ - عليه السلام -، فقد نص السيوطي في "إتمام الدراية"[1] علىٰ أنها يُوحَانِذ بضم الياء التحتية وبالحاء المهملة وكسر النون وبالذال المعجمة، وأما المكناسي فقد نص علىٰ أنها يُوحنِّذ وقال في البيت (١٦٣):

بِحَاءٍ فَنُونٍ ثُقِّلَتْ بِانْكِسَارِهَا ❖ فَذَالٌ، وَبِالْإِعْجَامِ يُرْوَىٰ تَحَمُّلَا

والناظم - كما هو ظاهر - متأثر بقصيدة الإمام الشاطبي[2] المعروفة بـ"حرز الأماني"، وأفاد منها، ويظهر هذا في عدة أمور:

١. إنها علىٰ البحر نفسه، فكلتا القصيدتين علىٰ البحر الطويل.
٢. إن القافية واحدة، فكلتاهما قصيدة لامية.
٣. إنه اتبعه في ذكر حروفٍ رمز بها إلىٰ القراء، إلا أنه خالفه في اقتصاره علىٰ رموز الأفراد، ولم يذكر رموز الاجتماع، ونص علىٰ ذلك بقوله في البيتين (١٢و١٣):

---

(١) ص١١٠.

(٢) هو القاسم بن فيرُّه بن خلف الرعيني الشاطبي الأندلسي، إمام كبير، وعالم لغوي مقرئ فقيه، أقرأ الناس بشاطبة بالأندلس، ثم دخل مصر وتصدر بها للتعليم والإقراء، له مؤلفات مشهورة نافعة، منها "حرز الأماني ووجه التهاني" في القراءات السبع، و"عقيلة أتراب القصائد في أسنىٰ المقاصد" في علم رسم المصاحف، وله أبيات في موانع الصرف وفي ظاءات القرآن وغيرها، توفي بمصر عام (٥٩٠هـ)، "شذرات الذهب" لابن العماد ٦/ ٤٩٤، "الأعلام" للزركلي ٥/ ١٨٠، وانظر ترجمة حافلة له في كتاب "الفتح المواهبي في ترجمة الإمام الشاطبي" للقسطلاني (ت٩٢٣هـ)، بتحقيق إبراهيم الجرمي، دار الفتح، عمَّان، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢١هـ.

وَرَمْـزِيَ فِـي عِلْـمِ الأَدَاءِ كَمَـا أَتَـىٰ ❖ بِـ«حِـرْزِ الأَمَـانِي» قَبْـلَ ثَـاءٍ مُؤَصَّـلَا

سِـوَىٰ أَنَّـهُ بِـالفَرْدِ فِيهَـا مُخَصَّـصٌ ❖ وَعَمَّمْتُـهُ فِـي الفَـرْدِ وَالجَمْـعِ مُسْـجَلَا

واعتمد الناظم علىٰ حساب الجُمَّل عند المغاربة خلافًا للمشارقة، وذلك في الرموز التي استخدمها في تاريخ الفراغ من نظمه، ولا يختلف عن نظام المشارقة إلا في أحرف يسيرة.

٤. ولما ذكر مسألة الإدغام في البيت (٩٦) أحال علىٰ "حرز الأماني" فقال:

وَبَسْطُهَا ❖ بِحِرْزِ الأَمَانِي

٥. إن بعض أبياتها مشابه لأبيات في "حرز الأماني"، مثل قوله: "بَدَأْتُ بِحَمْدِ اللهِ"، وقوله:"وَثَنَّيْتُ صَلَّىٰ الله" في البيتين الأول والثاني:

بَـدَأْتُ بِحَمْـدِ اللهِ نَظْمِـي مُبَسْـمِلَا ❖ وَثَنَّيْتُ صَلَّىٰ اللهُ ذُو الْـمَجْدِ وَالْعُـلَا

عَلَىٰ الْـمُصْطَفَىٰ الْـمَبْعُوثِ لِلنَّاسِ رَحْمَةً ❖ وَسَـلَّمَ تَسْـلِيمًا كَثِيـرًا وَبَجَّـلَا

وقوله في البيت (١١):

عَائِذًا ❖ بِرَبِّـي مِـنَ التَّسْـمِيعِ فِعْـلًا وَمِقْـوَلَا

كقول الشاطبي في (٧١):

وَيَا خَيرَ سَامِعٍ ❖ أَعِـذْنِي مِـنَ التَّسْـمِيعِ قَـولًا وَمَفْعَـلَا

وقوله في البيت (٦٠):

❖ فَـادْرِ الْأُصُـولَ لِتَأْصُـلَا

هو نص قول الشاطبي في البيت (٥٣).

وقوله في البيت (٢١):

وَسَـوْفَ تَرَاهَـا وَاحِـدًا بَعْـدَ وَاحِـدٍ ❖

كقول الشاطبي في (٢٣):

وَسَــوْفَ تَــرَاهُمْ وَاحِــدًا بَعْــدَ وَاحِــدٍ ❖

وقوله في البيت (١٦٨):

جَــزَىٰ اللهُ بِالْإِحْسَــانِ عَنَّــا أَئِمَّــةً ❖ لَّنَـا قَرَّبُـوا الْأَقْصَـىٰ إِلَـىٰ أَنْ تَسَـهَّلَا

كقول الشاطبي في البيت (٢٠):

جَــزَىٰ اللهُ بِــالخَيرَاتِ عَنَّــا أَئِمَّــةً ❖ لَّنَـا نَقَلُـوا القُـرْآنَ عَـذْبًا وَسَلْسَـلَا

إلىٰ غيرها من الأبيات والكلمات.

❊ ❊ ❊

المطلب الثاني: دراسة النسخ الخطية:

الفرع الأول: وصف النسخ الخطية، ونماذج منها، والمصطلحات والرموز المستخدمة.

بعد البحث والاطلاع علىٰ الفهارس والسؤال عن نسخ المنظومة الخطية وقفت علىٰ أربع نسخ للكتاب، الرابعة محتملة، وهي النسخة التي في مكتبة الأوقاف بالموصل برقم الحفظ: (١٠٣/ ٦٤/ ٧) بعنوان: "أرجوزة حول الإسلام"، وهذا العنوان قد يطلق علىٰ المجموع الذي فيه منظوماته، كالمجاميع التي اعتمدت عليها، وفيها "نظم الجواهر"، فربما كان "نظم الجواهر" ضمن هذا المجموع أيضًا، وقد عجزت عن الحصول علىٰ نسخة منه رغم المحاولة ـ لما هو معلوم من أحوال الموصل الآن ـ والله المستعان.

وفيما يلي وصف للنسخ الثلاث الخطية المعتمدة:

النسخة الأولىٰ: محفوظة في مكتبة إزمير بتركيا، وهي ضمن مجموع برقم (٧٨٤)، وعدد ألواحه ثلاثة وثمانون (٨٣) لوحًا، ويبدأ "نظم الجواهر" من اللوح رقم (١٥) إلىٰ اللوح (٢٠)، وكل لوح يحتمل أن يكون فيه أربعون بيتًا إذا لم نحسب العنوانات، في كل صفحة عشرون بيتًا، وكُتِبت العنوانات بالمداد الأحمر وكذلك رموز القرَّاء، وصفحاتها مسطرة، ولا يوجد في حواشيها تعليق أو تصويب، ولم يذكر فيها اسم الناسخ ولا تاريخ النسخ، وخطها حسن، وفيها بعض الأخطاء والتصحيفات، حصلت عليها عن طريق الأخ العزيز أبي عبد الملك عبد الله المقرن جزاه الله خيرا.

وقد رمزت لها بحرف (ز)، إشارة إلىٰ الحرف الثاني من إزمير.

النسخة الثانية: محفوظة في "مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية" بالرقم التسلسلي (١٣٧٠٩٤)، وهي مصورة عن المتحف البريطاني، ضمن مجموع برقم (٧١٨)[1]، ناقص الأول، ويبدأ "نظم الجواهر" من اللوح رقم

(١) انظر "ملحق فهرس المخطوطات العربية بالمتحف البريطاني" ص٤٨٩

(٥) إلىٰ اللوح رقم (١٢)، وكل لوح يحتمل أن يكون فيه ثلاثون بيتًا، في كل صفحة خمسة عشر بيتًا، إلا أن العنوانات إذا دخلت بين الأبيات أنقصت العدد، والنسخة التي وصلتني غير ملونة، ويظهر أن العنوانات والرموز كتبت بلون مغاير، والعادة أنه في مثل ذلك أن تكتب باللون الأحمر، وخطها جيد، وهي ذات أخطاء كثيرة تخل بالوزن، وجاء في آخر المجموع أنه "تم بحمد الله وعونه بتاريخ تاسع عشر ذي القعدة الحرام، سنة اثنين وأربعين وتسع مئة"، وهي السنة التي انتهىٰ فيها المكناسي من نظمها، فقد فرغ منها في رمضان كما سيأتي، ولم يكتب الناسخ اسمه، ويبدو أنها متأخرة، وقد يكون نقلها عن نسخة المؤلف وذكر تاريخ كتابة المؤلف لها، والله أعلم.

وقد رمزت لها بحرف (ب)، إشارة إلىٰ الحرف الأول من بريطانيا.

النسخة الثالثة: محفوظة في الخزانة التيمورية بمصر، ضمن مجموع برقم (٣٣٦)[١] ويبدأ "نظم الجواهر" من الصفحة رقم (٨) إلىٰ الصفحة رقم (٢٠)، وهي كالسابقة، كُلُّ لوح يحتمل أن يكون فيه أربعون بيتًا، في كل صفحة عشرون بيتًا، إلا أن العنوانات إذا دخلت بين الأبيات أنقصت العدد، والنسخة التي وقفت عليها غير ملونة فلم يتبين لي مداد غير الأسود، ولم يذكر اسم الناسخ ولا تاريخ النسخ، وهي كالنسخة السابقة، ويبدو أن أصلهما واحد، أو أن إحداهما منقولة عن الأخرىٰ.

وقد رمزت لها بحرف (ت) إشارة إلىٰ الحرف الأول من تيمورية.

(١) انظر "فهرس الخزانة التيمورية" ١/ ١٤٩.

نماذج من النسخ الخطية

الورقة الأولىٰ من النسخة (ز):

منظومة في علم التفسير

بسم الله الرحمن الرحيم

بدأت بحمد الله نظمي مبسملا … وثنيت صلى الله ذو المجد والعلا
على المصطفى المبعوث للناس رحمة … وسلم تسليما كثيرا وبجلا
وعترته والصحب طرا ومن تلا … سبيل الهدى في اثرهم متبتلا
وبعد فان العلم اشرف ما اقتفى … لبيب واولى ما اقتناه وحصلا
ولاسيما التفسير منه فانه … من اسمى علوم الدين قدرا ومنزلا
وموضوعه التنزيل اذ كان باحثا … عن احواله لفظا ومعنى ومنزلا
وقد كان هذا العلم غير مدون … فالفه الحبر السراجي اولا
وتممه الشيخ الجلالي بعده … فجاء بحمد الله علما مكملا
ولم ار تاليفا لغيرهما به … فالفت هذا النظم فيه ليسهلا
على مبتغي تحصيل انواعه ولم … اغادر من الانواع نوعا محصلا
وسميته نظم الجواهر عائذا … بربي من التسميع فعلا ومقولا
ورمزي في علم الاداء كما اتى … بحرز الاماني قبل تاء مؤصلا
سوى انه بالفرد فيها مخصص … وعممته في الفرد والجمع مسجلا
وما كنت في نظم القوافي مجليا … ولكن عسى اني افوق المؤملا

الورقة الأولىٰ من النسخة (ب):



بسم الله الرحمن الرحيم

بدأت بحمد الله نظمي مبسملا ... وثنيت صلى الله ذو المجد والعلا

على المصطفى المبعوث للناس رحمة ... وسلم تسليما كثيرا وبجلا

وعترته والصحب طرا ومن تلا ... سبيل الهدى في إثرهم متبتلا

وبعد فإن العلم أشرف ما اقتنى ... لبيب وأولى ما اقتناه وحصلا

ولا سيما التفسير منه فإنه ... من اسمى علوم الدين قدرا ومنزلا

وموضوعه التنزيل إذ كان باحثا ... عن احواله لفظا ومعنى ومنزلا

وقد كان هذا العلم غير مدون ... فألفه الحبر السراجي أولا

وتممه الشيخ الجلالي بعده ... فجا بحمد الله علما مكملا

الورقة الأولىٰ من النسخة (ت):

المصطلحات والرموز المستخدمة:

- (ز): إشارة إلىٰ النسخة الأولىٰ المحفوظة في مكتبة ازمير.
- (ب): إشارة إلىٰ النسخة الثانية المحفوظة في المتحف البريطاني.
- (ت): إشارة إلىٰ النسخة الثالثة المحفوظة في المكتبة التيمورية.
- (١/ أ): الرقم إشارة إلىٰ رقم اللوح من النسخة (ز)، وحرف الألف إشارة إلىٰ الصفحة الأولىٰ منها، وأما الصفحة الثانية من اللوح فبحرف الباء.
- (المواقع): مواقع العلوم في مواقع النجوم للبلقيني.
- (التحبير): التحبير في علم التفسير.

- (الإتقان): الإتقان في علوم القرآن.
- (الإتمام): إتمام الدراية لقراء النقاية، ثلاثتها للسيوطي.
- (النشر): النشر في القراءات العشر لابن الجزري.
- (الإتحاف): إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر للدمياطي.
- (التاج): تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي.

الفرع الثاني: منهجي في التحقيق:

١. نسخ المخطوط كاملًا، ومقابلته علىٰ النسخ الخطية، مع ذكر الفروق المهمة بينها، وضبط النص بحسب القواعد الإملائية المتعارف عليها، وشكله شكلًا كاملًا مع مراعاة الوزن العروضي، وقد أشرت في الحاشية إلىٰ أرقام ألواح النسخة الأولىٰ فقط، واتّبعتُ طريقة النَّصِّ المختار، لأن كل النسخ التي وقفت عليها ليست متقنة، ولم يُذكر أنها بخط المؤلف أو قرئت عليه، واثنتان منها غير مؤرخة ولا مذكور اسم ناسخها، ويوجد في كل منها أخطاء استدركتها من النسخ الأخرىٰ، وكثير من هذه الأخطاء لا يستقيم بها الوزن، وهي بلا شك خطأ من الناسخ، ولا يمكن أن تقع من الناظم.

٢. أشرت في الحاشية إلىٰ موضع الآيات القرآنية التي يذكرها الناظم، ذاكرًا اسم السورة ورقم الآية، وأما في القراءات القرآنية فإني لا أذكر اختلافها إلا إذا كان المؤلف أتىٰ بقراءةٍ تخالفُ رواية حفص، أو أشار إلىٰ أكثر من قراءة في منظومته؛ فإني أبين القراءات الواردة، واقتصرت علىٰ القراءات العشر، إلا إذا ذكر الناظم غيرها، واعتمدت علىٰ كتاب "النشر في القراءات العشر" لابن الجزري و"إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر" للدمياطي، فهو جامع للقراءات العشر المتواترة مع القراءات الأربع الزائدة عليها، وأما القراءات الشاذة الزائدة فإني أرجع فيها أولًا إلىٰ "المحتسب" لابن جني، فإن لم أجدها فيه بحثت في كتاب "البحر المحيط" لأبي حيان.

٣. تخريج الأحاديث والآثار الواردة، مع الحكم عليها، فإن كانت الأحاديث

في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بها، وإن كانت في غيرهما حكمت علىٰ الحديث وذكرت أقوال أهل العلم في ذلك.

٤. شَكَلْتُ جميع النص المحقق، مع مراعاة الوزن في ذلك، ومراعاة الهمزات المنقولة إلىٰ الساكن قبلها وتحريك ميم الجمع بالضمة ونحو ذلك؛ فإن المصنف قد يأتي بها ليستقيم له الوزن، فمع كونها قراءة متواترة إلا أني لا أخرِّجها كلما مر ذكرها، وبينت طريقة قراءة بعض الأبيات التي قد يخفىٰ علىٰ بعض القراء طريقة قراءتها.

٥. في بيان المعاني اللغوية التي يذكرها الناظم أرجع غالبـًا إلىٰ "تاج العروس" للزبيدي لأنه من أوسع كتب اللغة، وقد أنقل عن غيره وأنص علىٰ ذلك مع ذكر المادة التي ورد فيها المعنىٰ، ولم أذكر رقم الصفحات والأجزاء لاختلاف الطبعات.

٦. التعليق علىٰ ما يحتاج إلىٰ تعليق مع توثيق الأقوال، وشرح الألفاظ الغريبة وتوضيحها، ولم أكثر من التعليق علىٰ النص المحقق، وذلك لأن المقصود الأول هو إخراج النص سليمًا - حسب الاستطاعة - من التصحيف والتحريف، فهذه هي الغاية الأصلية من التحقيق، وهي المهمة الأولىٰ لمحققي الكتب وناشريها، كما يقول الأستاذ عبد السلام هارون: "وأما التعليق والتفسير فأمر نافلة زائد علىٰ طبيعة التحقيق وأمانة الأداء"[1].

٧. ترجمت بعض الأعلام الذين ورد ذكرهم في المخطوط باختصار مع ذكر مصادر تراجمهم، وأما الأعلام المشهورون فلم أترجمهم، وكذلك أسماء القراء الذين ذكرهم الناظم في الفصل الثالث، والأعلام الذين ذكرهم في الخاتمة، لأن تراجمهم موجودة في المشهور من كتب علوم القرآن كـ"الإتقان" للسيوطي، وكتاب السهيلي الذي أشار إليه الناظم، وكذلك شروح "علم التفسير من النقاية" وشروح "منظومة الزمزمي"، وأسأل الله التوفيق والسداد.



(١) "مجلة معهد المخطوطات" ٢/ ١٨٨

القسم الثاني: النص المحقق

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيم

١	بَـــدَأْتُ بِحَمْـــدِ اللهِ نَظْـــمِي مُبَسْـــمِلَا	وَثَنَّيْــتُ صَــلِّ اللهُ ذُو الْـــمَجْدِ وَالْعُـلَا
٢	عَلَى الْــمُصْطَفَى الْــمَبْعُوثِ لِلنَّــاسِ رَحْمَــةً	وَسَـــلَّمَ تَسْـــلِيمًا كَثِـــيرًا وَبَجَّـــلَا
٣	وَعِتْرَتِـــهِ وَالصَّـــحْبِ طُـــرًّا وَمَــنْ تَــلَا	سَـــبِيلَ الْهُـــدَى فِي إِثْـــرِهِم مُّتَبَـــتِّلَا
٤	وَبَعْــدُ: فَــإِنَّ الْعِلْــمَ أَشْـــرَفُ مَــا اقْــتَفَى	لَبِيـــبٌ وَأَوْلَى مَـــا اقْتَنَـــاهُ وَحَصَّـــلَا
٥	وَلَا سِـــــيَّمَا التَّفْسِـــــيرُ مِنْـــهُ فَإِنَّـــهُ	مِنَ اسْـمَى[1] عُلُـومِ الدِّيـنِ قَـدْرًا وَمَـنْزِلَا
٦	وَمَوْضُـــوعُهُ: التَّنْزِيـــلُ إِذْ[2] كَانَ بَاحِثًـــا	عَـــنَ احْـــوَالِهِ لَفْظًـــا وَمَعْـــنًى وَمُـــنْزَلَا
٧	وَقَـــدْ كَانَ هَـــذَا الْعِلْـــمُ غَـــيْرَ مُـــدَوَّنٍ	فَأَلَّفَـــــهُ الْحَـــــبْرُ السِّـــــرَاجِيُّ أَوَّلَا
٨	وَتَمَّمَـــهُ الشَّـــيْخُ الْـــجَلَالِيُّ بَعْـــدَهُ[3]	فَجَـــاءَ بِحَمْـــدِ اللهِ عِلْمًـــا مُّكَمَّـــلَا

(١) في (ز): (أسما)، وفي (ب) و(ت): (أسماء)، ولا يستقيم بها الوزن ولا المعنىٰ، والأولىٰ هي الصواب، وكتبتها بالألف التي علىٰ صورة الياء.

(٢) في (ت): (إذا)، ولا يستقيم بها الوزن.

(٣) الظاهر أنه يقصد البلقيني في "مواقع العلوم في مواقع النجوم" كما نص علىٰ ذلك السيوطي في "إتمام الدراية" ص٧٤، ولكن البلقيني يلقب بجلال الدين وهو عبد الرحمن بن عمر بن رسلان (وُلد عام ٧٦٢هـ وتوفي ٨٢٤هـ)، انظر "طبقات الشافعية" لابن قاضي شهبة (٤/ ٨٧)، و"المنهل الصافي" لابن تغري بردي ٧/ ١٩٧، وهو ابن سراج الدين عمر البلقيني (٧٢٤هـ-٨٠٤ هـ) انظر "طبقات الشافعية" ٤/ ٣٦، فربما أراد أن ينسبه إلىٰ أبيه فسماه السراجي، ولأن السيوطي يلقب بجلال الدين، فلو سماه بالجلال لاختلط بجلال الدين عبد الرحمن السيوطي الذي أشار إليه هنا بقول: (الشيخ الجلالي)، وهو علم مشهور (٨٤٩هـ-٩١١ هـ)، ترجم لنفسه في كتابه "التحدث بنعمة الله"، وفي "حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة" ١/ ٣٣٥.

يقول السيوطي في "إتمام الدراية" ص٧٤:" كان ابتداء استنباط هذا العلم من البلقيني وتمامه علىٰ يدي"، وقد ألف السيوطي "النقاية" معتمدًا في علم التفسير فيها علىٰ "مواقع النجوم" ثم ألف "التحبير في علم التفسير" ثم شرح النقاية، ثم ألف كتابه الكبير "الإتقان في علوم القرآن".

٩ وَلَــــمْ أَرَ تَأْلِيفًـــــا لِّغَيْرِهِمَــــــا بِـــــهِ ... فَأَلَّفْــتُ هَــذَا النَّظْــمَ فِيــهِ لِيَسْــهُلَا

١٠ عَلَى مُبْــتَغِي تَحْصِــــيلِ أَنْوَاعِـــهِ، وَلَـــمْ ... أُغَادِرْ مِــنَ الْأَنْــوَاعِ نَــوْعًا فَحَصِّــلَا

١١ وَسَــــمَّيْتُهُ: «نَظْـــمَ الْجَـــوَاهِرِ» عَائِـــذًا ... بِـــرَبِّي مِــنَ التَّسْــمِيعِ فِعْــلًا وَمِقْــوَلَا

١٢ وَرَمْـــــزِيَ فِي عِلْــــمِ الْأَدَاءِ كَمَــــا أَتَى ... بِــ«حِـرْزِ الْأَمَـانِي» قَبْـلَ ثَـاءٍ مُّؤَصَّـلَا[1]

١٣ سِـــوَى أَنَّـــهُ بِـــالْفَرْدِ فِيهَـــا مُخَصَّــصٌ[2] ... وَعَمَّمْتُــهُ فِي الْفَــرْدِ وَالْجَمْــعِ مُسْــجَلَا[3]

١٤ وَمَــا كُنْــتُ فِي نَظْــمِ الْقَــوَافِي مُجَلِّيًــا ... وَلَكِــنْ عَسَـــى أَنِّي أَفُــوقُ الْـــمُؤَمَّلَا[4]

١٥ وَيَنْحَصِـــــرُ الْـــــمَقْصُودُ مِمَّـــا أَرَدتُّ فِي ... مُقَدِّمَـــةٍ مِـــنْ قَبْـــلِ أَبْوَابِهَـــا وِلَا

١٦ وَخَاتِمَـــةٍ لَّاسْــمَاءُ[5] مِــنْ بَعْــدِهَا أَتَــتْ ... وَبِـــاللهِ حَـــوْلِي وَاعْتِصَـــامِي مُحَسْـــبِلَا

١٧ فَيَـــا خَــــيْرَ فَتَّـــاحٍ وَأَرْحَـــمَ رَاحِـــمٍ ... وَأَكْــرَمَ وَهَّـــابٍ جَـــدًا[6] وَتَفَضُّـــلَا

١٨ وَيَـــا خَـــيْرَ مَـــأْمُولٍ عَلَيْـــكَ تَـــوَكُّلِي ... فَحَسْــبِي وَنِعْــمَ الْحَسْــبُ رَبٌّ تَكَفَّــلَا

---

(١) أي أنه استخدم رموز "حرز الأماني" للإمام الشاطبي، وهي: أبج: لنافع وراوييه، فالألف لنافع والباء لقالون والجيم لورش، وهكذا دهز: لابن كثير وراوييه، وحطي: لأبي عمرٍو وراوييه، وكلم: لابن عامر وراوييه، ونصع: لعاصم وراوييه، وفضق: لحمزة وراوييه، ورست: للكسائيّ وراوييه، واقتصر علىٰ رموز الإفراد، وهي من الألف إلىٰ التاء المثنّاة من فوق، ولم يذكر رموز الاجتماع، فلو أراد مثلا أن يذكر الكوفيِّينَ عاصمًا وحمزة والكسائي لا يرمز لهم بالثاء كالشاطبي، ولكن يقول: (نفر)، فالنون لعاصم والفاء لحمزة والراء للكسائي، وهكذا، وقد جعلت هذه الرموز بالحُمرة.

وفي قوله: (مؤصلا) يجوز فتح الصاد وكسرها.

(٢) يجوز فتح الصاد الأول وكسرها.

(٣) مسجلا: أي مطلقا، من أسجل لهم الأمر إذا أطلقه لهم، "تاج العروس"، (س ج ل).

(٤) (١/١أ).

وقوله: (مجليًّا)، المجَلِّي: هو السابق في الحَلَبَة والمصلِّي الذي يأتي وراءه، "تاج العروس"، (ج ل ي).

(٥) في (ب) و(ت): (الاسمان)، ويجوز أن تضاف (خاتمة) إلىٰ (الأسماء): (وخاتمةُ ألأسماءِ) مع قطع الهمزة.

(٦) الجدا: العطية، (تاج العروس) (ج د و).

الْـمُقَدِّمَةُ

فِي تَعْرِيفِ الْقُرْآنِ، وَعَدَدِ مَا يَتَعَلَّقُ بِهِ مِنَ الْأَنْوَاعِ إِجْمَالًا، وَبَيَانِ أَنَّ فِيهِ فَاضِلًا وَمَفْضُولًا، وَتَحْرِيمِ[(١)] تَفْسِيرِهِ بِالرَّأْيِ وَقِرَاءَتِهِ بِالْعَجَمِيَّةِ وَبِالْـمَعْنَى، وَجَوَازِ تَأْوِيلِهِ بِالرَّأْيِ

١٩ وَقَـدْ عَـرَّفَ الْقُـرْآنَ قَـوْمٌ بِأَنَّـهُ: كِتَـابٌ عَلَى الْـمُخْتَارِ أَحْمَـدَ نُـزِّلَا

٢٠ لِإِعْجَـازِ كُلِّ الْعَـالَمِينَ بِسُـورَةٍ[(٢)] وَأَنْوَاعُـهُ: خَمْـسٌ وَخَمْسُـونَ تُجْـتَلَى[(٣)]

٢١ وَسَـوْفَ تَرَاهَـا وَاحِـدًا[(٤)] بَعْـدَ وَاحِـدٍ مُفَصَّـلَةً إِنْ شَـاءَ رَبِّي وَسَـهَّلَا

٢٢ وَفِي الذِّكْـرِ: مَفْضُـولٌ لَّدَيْهِـمْ وَفَاضِـلٌ[(٥)]، فَفَاضِـلُهُ: مَـا كَانَ فِي اللهِ أُنْـزِلَا

٢٣ وَمَفْضُـولُهُ: مَـا كَانَ فِي غَـيْرِهِ، وَلَا يَجُـوزُ بِـرَأْيٍ أَنْ يُفَسَّـرَ مُسْـجَلَا[(٦)]

٢٤ وَبِـالْعَجَمِيِّ امْنَـعْ قِرَاءَتَـهُ كَـذَا بِمَعْنَـاهُ[(٧)]، وَالتَّأْوِيـلُ بِـالرَّأْيِ حُلِّـلَا[(٨)]

الْبَابُ الْأَوَّلُ:

فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالنُّزُولِ، وَفِيهِ سِتَّةُ فُصُولٍ:

الْفَصْلُ الْأَوَّلُ:

فِي الْـمَكِّيِّ وَالْـمَدَنِيِّ وِفَاقًا وَخِلَافًا، وَأَوَّلًا: فِي عَدَدِ سُوَرِ الْقُرْآنِ

٢٥ وَفِي سُـوَرِ الذِّكْـرِ الْحَكِـيمِ لِـمَنْ تَـلَا شِـفَاءٌ كَمَـا قَـدْ جَـاءَ فِيـهِ مُفَصَّـلَا

---

(١) في (ز): (تحرير).

(٢) "التحبير" ص٣٩، "إتمام الدراية" ص٥٧.

(٣) تجتلىٰ: أي تُكْشَف، أو يُنْظَر إليها، من اجتلاه بمعنىٰ نظر إليه، "تاج العروس"، (ج ل و).

(٤) في (ز): (واحد).

(٥) انظر "التحبير" ص٣٠٥، "الإتقان" ٦/ ٢١٣٩، "الإتمام" ص٧٦.

(٦) انظر "التحبير" ص٣٢٧، "الإتقان" ٦/ ٢٢٦٣، و٢٢٧٤ وما بعدها، و"الإتمام" ص٧٧و٧٨.

(٧) انظر "الإتمام" ص٧٦.

(٨) وانظر المراجع السابقة في حكم التفسير بالرأي والفرق بين التفسير والتأويل.
ويجوز: (حَلِّلَا)، علىٰ صيغة الأمر، مع نصب (التأويل).

٢٦ وَجُمْلَتُهَــا: (قَيْــدُ)[١] الْأَمَــانِ، وَنُــزِّلَا ... بِمَكَّــةَ ثُلْثَاهَــا، وَسُــدْسٌ تَــنَزَّلَا

٢٧ بِطَيْبَــةَ مِــنْ غَــيْرِ اخْــتِلَافٍ لَّدَيْهِــمُ ... وَفِي السُّــدْسِ الْبَـاقِي خِـلَافٌ تَحَصَّـلَا[٢]

٢٨ فَمِــنْ قَائِــلٍ يُعْــزَى لِــمَكَّةَ كُلُّــهُ ... وَقَـدْ قَـالَ قَـوْمٌ: لِّلمَدِينَـةِ مُسْـجَلَا

٢٩ وَلَا بُــدَّ مِــنْ تَعْيِــينِ مَـا فِيـهِ خُلْفُهُــمْ ... وَتَعْيِــينِ مَـا لَا خُلْـفَ فِيـهِ لِيُعْقَـلَا[٣]

٣٠ فَمِــنْ أَوَّلِ النَّــوْعَيْنِ مِــنْ غَــيْرِ خُلْفِهِــمْ:[٤] ... بِــهِ البَقَــرَهْ[٥] وَالتَّالِيَاهَــا عَلَى الــوِلَا

٣١ وَمَائِــدَةُ، الْأَنْفَــالُ، تَوْبَــةُ، نُــورُهُ[٦] ... وَالَاحْـزَابُ أَيْضًـا، وَالْقِتَـالُ قَـدِ انْجَـلَى

٣٢ وقَـدْ جَـاءَ بَعْـدُ الْفَـتْحُ وَالْحُجُـرَاتُ مَـعْ ... جِـدَالٍ، وَبِالْـحَشْـرِ امْتِحَـانٌ تَحَصَّـلَا

٣٣ بِجَمْــعٍ نِّفَــاقٍ وَالطَّــلَاقِ وَتِلْــوِهِ ... وَآخِــرُهُ نَصْــرٌ، وَثَانِيهِمَــا[٧] اجْــتَلَى:

٣٤ حَدِيــدٌ وَصَــفٌّ وَالتَّغَــابُنُ بَعْــدَهُ ... وَالِانْسَــانُ ثُــمَّ التِّــينُ وَالْفَجْــرُ أَقْـبَلَا

(١) بحساب الجمَّل: القاف ١٠٠ والياء ١٠ والدال ٤ فالمجموع: ١١٤ سورة، انظر "البيان في عد آي القرآن" للداني ص٨٣.

(٢) أي نزل بمكة ٧٦ سورة وهي ثلثا ١١٤، ونزل سدسها وهو ١٩ بالمدينة، وبقي سدس وهو ١٩ سورة فيها خلاف، وفي عد السور المكية والمدنية أقوال، وهناك سور فيها آيات مستثناة، انظر "المواقع" ص٣٠، "التحبير"ص٤٠، "الإتقان" ١/ ٦٠، "الإتمام"ص٨١.

(٣) (١/ ب).

(٤) أي من النوع الأول وهو الذي لا خلاف في أنه مدني.

(٥) كذا في (ب) و(ت): (البقرة) ولا يستقيم الوزن إلا بإسكان التاء وقلبها هاء إجراء للوصل مجرى الوقف، وهو مسموع عن العرب، انظر "ضرائر الشعر" لابن عصفور ص٩٣.

وفي (ز): (بقرة) ولا يستقيم الوزن إلا بإسكان القاف، وهي ضرورة فيها قبح، فاخترت ما في النسختين الأخريين.

(٦) كذا بحذف التنوين، ويصح أن تضبط: [ومائدةٌ الْأنفالُ]، ويصح كذلك أن تكون بالإضافة [ومائدةُ الأنفالِ، توبةُ نورِه]، والأجود ما أثبته في المتن، لأنه يريد عدها سورة سورة، وحذفُ التنوين تخفيفـًا كثير في الشعر.

(٧) في (ز): (ثانيها)، والمراد النوع الثاني مما فيه خلاف.

٣٥ وَبَيِّنَـــــــةٌ وَالْقَــــــــدْرُ، زَلْزَلَـــــــةٌ وَعَا ... دِيَـاتٌ بِعَصْـــرِ الْهَمْـزِ مِـنْ بَعْـدِهَا تَـلَا

٣٦ قُـــــــرَيْشٌ وَمَـــــــاعُونٌ وَكَوْثَرُنَـــــا وَكَا ... فِـــرُونَ وَإِخْــلَاصٌ بِتِلْوَيْـــهِ كُمِّـــلَا

الْفَصْلُ الثَّانِي:

فِي الْحَضَـرِيِّ وَالسَّفَرِيِّ[1]

٣٧ وَفِي الْحَضَـــرِ[2]: الْقُــرْآنُ أُنْــزِلَ جُلُّــهُ[3]، ... وَفِي السَّـــفَرِ: الْفَــتْحُ الْـــمُبِينُ[4] تَـــنَزَّلَا

٣٨ وَالَانْفَالُ مَـعْ ﴿هَـٰذَانِ خَصۡمَانِ﴾[5] أُنْـزِلَا ... بِبَــدْرٍ، ﴿وَإِنۡ عَاقَبۡــتُمۡ﴾[6] بَعْــدُ نُــزِّلَا

٣٩ لَدَى أُحُــدٍ، ﴿اَلۡيَــوۡمَ أَكۡمَلۡتُ﴾[7] أُنْزِلَــتْ ... لَدَى عَرَفَـــاتٍ ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمَا﴾[8] انْـــزِلَا

٤٠ بِـــبَطْنِ مِـــنًى عَامَ الْـــوَدَاعِ، وَ﴿آمَــنَ الــرْ ... رَسُولُ﴾[9] بِيَـوْمِ الْفَـتْحِ لِلْخَـتْمِ وُصِّـلَا[10]

٤١ وَأُنْـــــزِلَ بِالْبَيْـــــدَاءِ فِي عَامِ سِـــــــتَّةٍ ... بِمَائِـــدَةٍ فَـــرْضُ التَّـــيَمُّمِ[11] مُكْمَـــلَا

---

(١) انظر "المواقع" ص٣٧، "التحبير" ص٦٣، "الإتقان" ١/ ١١٤، "الإتمام" ص٨١.

(٢) في (ز): (الخصر)، و(ت) و(ب): (الخضر).

(٣) في (ت) (جملة).

(٤) أي سورة الفتح، فإن أولها: ﴿إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ فَتۡحًا مُّبِينًا ١﴾ [الفتح: ١].

(٥) الحج: ١٩.

(٦) النحل: ١٢٦.

(٧) المائدة: ٣، وتقرأ بقطع همزة (اَليوم) لأجل الوزن.

(٨) البقرة: ٢٨١.

(٩) البقرة: ٢٨٥، هذا البيت مدوَّر ويسمىٰ المدمج والمُداخل والموصول وهو ما فيه كلمة مشتركة بين شطريه، انظر "العمدة في محاسن الشعر" لابن رشيق ١/ ١٧٧.
وهنا وقع التدوير في حرف مشدد، وسأحيل إلىٰ هذا البيت فيما يأتي من مشدد، ولكتابة البيت ثلاثة أشكال مختلفة، منها تقسيم الكلمة إلىٰ قسمين كما فعلتُ، انظر "المعجم المفصل في علم العروض" ص١٧٤.

(١٠) أي أن آية ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ﴾ [البقرة:٢٨٥] إلىٰ آخر السورة نزلت يوم الفتح.

(١١) آية التيمم هي الآية ٦ من المائدة.

الفَصْلُ الثَّالِثُ:

فِي النَّهَارِيِّ وَاللَّيْلِيِّ[1]

٤٢ وَخَامِسُـــهَا النَّـــوْعُ النَّهَـــارِيُّ: جُلُّـــهُ، وَسَادِسُـــهَا اللَّـــيْلِيُّ: كَالْفَـــتْحِ مُقْـــبِلَا

٤٣ وَآيَـــةِ الاِسْـــتِقْبَالِ مَـــعْ آيَـــةِ الْمُخَلْـــلَفِـينَ، وَإِدْنَـاءِ الجَلَابِيـــبِ وَالْـــمُلَا[2]

الفَصْلُ الرَّابِعُ:

فِي الصَّـيْفِيِّ وَالشِّتَوِيِّ[3]

٤٤ وَصَـــيْفِيُّهُ[4]: نَحْـــوُ الْكَلَالَـــةِ فِي النِّسَـــا بِآخِرِهَـــا[5]، ثُـــمَّ الشِّـــتَائِيُّ[6] أَوَّلَا

٤٥ وَفِي سُـــورَةِ الْأَحْـــزَابِ وَالنُّـــورِ أُنْزِلَـــتْ بِهَـا قِصَّـةُ الْإِفْـكِ الشَّـهِيرَةُ لِلْمَـلَا[7]

الفَصْلُ الْخَامِسُ:

فِي الْفِرَاشِـيِّ[8]

---

(١) انظر "المواقع" ص٤٢، "التحبير"ص٧٤،"الإتقان"١/ ١٣٧، "الإتمام" ص٨٣.

(٢) الفتح هي سورة الفتح، وآية الاستقبال أي آية تحويل القبلة وهي الآية ١٤٤ من سورة البقرة، وآية المخلفين هي الآية ١١٨ من سورة التوبة، وآية إدناء الجلابيب هي الآية ٥٩ من سورة الأحزاب.

قوله: (والملا) لم تضبط في الأصول، ويظهر أنها كما ضبطتها، وهي ممدودة قصرها الناظم، والـمُلاء جمع مُلاءة وهي الملحفة، "تاج العروس"، (م ل أ)، وجاء في "اللسان"، (ل ح ف): (المِلْحَفَةُ عندَ العَرَبِ: هِيَ الـمُلاءَةُ السِّمْطُ، فَإِذا بُطِّنَتْ بِطانَة، أَو حُشِيَتْ فَهِيَ عندَ العَوام مِلْحَفةٌ، والعَرَبُ لَا تَعْرِفُ ذلِكَ)، وانظر التعليق على البيت (٤٠).

(٣) انظر "المواقع" ص٤٦، "التحبير"ص٧٩،"الإتقان"١/ ١٤٩، "الإتمام" ص٨٤.

(٤) في (ز) و(ت): (وصيفيةٌ).

(٥) هي الآية ١٧٦ من سورة النساء.

(٦) في (ب): (الثنائي).

(٧) (٢/ أ).

والمقصود بآية الأحزاب هي الآيات من ٩ وما بعدها التي نزلت في قصة غزوة الخندق، فقد كانت في شدة البرد، والأدلة على ذلك كثيرة منها ما جاء في صحيح مسلم (١٧٨٨) من قول حذيفة بن اليمان ﷺ: (لقد رأيتنا مع رسول الله ﷺ ليلة الأحزاب، وأخذتنا ريح شديدة وقُرٌّ).

(٨) انظر "المواقع" ص٤٨، "التحبير"ص٨٣، "الإتقان"١/ ١٥٢، "الإتمام" ص٨٦.

٤٦ وَتَوْبَـةُ مَـنْ قَـدْ خُلِّفُـوا فِيـهِ أُنْزِلَـتْ[١] كَـذَا كَـوْثَرُ[٢] الْهَـادِي بِنَـوْمٍ تَـنَزَّلَا

٤٧ وَأَسْـمَاؤُهُمْ: كَعْـبٌ، هِـلَالٌ، مُـرَارَةٌ كَمَا جَاءَ فِي النَّقْلِ الصَّحِيحِ مُفَصَّلَا[٣]

الْفَصْلُ السَّادِسُ:

فِي أَسْبَابِ النُّزُولِ[٤]، وَأَوَّلِ مَا أُنْزِلَ مِنَ الْقُرْآنِ وَآخِرِهِ[٥]

٤٨ وَفِيـهِ تَصَـانِيفٌ حِسَـانٌ، وَكُلُّ مَـا أَتَى عَـنْ صَـحَابِيٍّ بِـهِ رَفْعُـهُ انْجَـلَى

٤٩ وَعَـنْ تَـابِعِيٍّ مُرْسَـلٌ، وَمَـتَى أَتَى بِـلَا سَـنَدٍ كَانَ انْقِطَـاعًا مُحَصَّـلَا

٥٠ وَقَـدْ صَـحَّ مِنْهَـا سِـتَّةٌ: نَّصْـفُهَا مُـوَا فَقَـاتُ أَبِي حَفْـصٍ لِّـمَوْلَاهُ فَـانْقُلَا

٥١ ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ﴾[٦] ثُـمَّ الْحِجَـابَ وَآيَـةَ الْـ ـمَقَامِ وَآيَ الْإِفْـكِ وَالسَّـعْيِ حَصِّـلَا[٧]

---

(١) وهي الآية ١١٨ من سورة التوبة.

(٢) أي سورة الكوثر.

(٣) صحيح البخاري كتاب المغازي، باب حديث كعب بن مالك ﷺ ٦/ ٣ برقم (٤٤١٨)، وصحيح مسلم، كتاب التوبة، باب حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه، ٤/ ٢١٢٠ برقم (٢٧٦٩).

(٤) انظر "المواقع" ص٤٩، "التحبير"ص٨٦،"الإتقان"١/ ١٨٩، "الإتمام" ص٨٧.

(٥) انظر "المواقع" ص٥٤، "التحبير"ص٨٩، "الإتقان"١/ ١٥٨، ١٧٦، "الإتمام" ص٨٨.

(٦) التحريم: ٥.

(٧) قوله: (حصلا) تحتمل أن تكون فعل أمر وما قبلها منصوب، وتحتمل أن تكون فعلا مبنيا لما لم يسم فاعله، وما قبلها مرفوع.

وانظر موافقات أبي حفص عمر ﷺ في صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب ما جاء في القبلة ومن لم ير الإعادة على من سها فصلى إلى غير القبلة ١/ ٨٩ برقم (٤٠٢)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عمر ﷺ٤/ ١٨٦٥ برقم (٢٣٩٩).

وحديث نزول آية الإفك في صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ﴾[النور:١١]، ٦/ ١١١ برقم (٤٧٤٩)، وصحيح مسلم، كتاب، باب في حديث الإفك وقبول التوبة، ٤/ ٢١٢٩ برقم (٢٧٧٠).

وحديث السعي المقصود به ما جاء في سبب نزول قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:١٥٨]، في صحيح البخاري، كتاب الحج، باب وجوب الصفا والمروة، ٢/ ١٥٧ برقم (١٦٤٣)، وصحيح مسلم، كتاب الحج، باب بيان أن السعي بين الصفا والمروة ركن لا يصح الحج إلا به، ٢/ ٩٨٢ برقم (١٢٧٧).

٥٢ وَمَــا جَــاءَ فِي شَــأْنِ التَّــيَمُّمِ فَــاعْلَمَنْ[1] وَأَوَّلُ مَــا قَــدْ أُنْــزِلَ: ﴿ٱقۡرَأۡ﴾، وَقِيــلَ: لَا

٥٣ وَفِي طَيْبَــةَ: التَّطْفِيــفُ أَوَّلُ مُــنْزَلٍ[2] وَآخِــرُهُ: فِيــهِ اخْــتِلَافٌ تَحَصَّــلَا:

٥٤ فَقِيــلَ: الرِّبَــا أَوِ ﴿وَٱتَّقُواْ﴾ [3] أَوْ بَــرَاءَةٌ أَوَ اخِرُهَــا أَوْ آيَــةُ النَّصْــرِ وَالْــكَلَا[4]

الْبَابُ الثَّانِي:

فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالسَّنَدِ، وَفِيهِ ثَلَاثَةُ فُصُولٍ:

الْفَصْلُ الْأَوَّلُ[5]:

فِي الْـمُتَوَاتِرِ وَالْآحَادِ وَالشَّاذِّ[6]

٥٥ وَمَــا صَــحَّ إِسْــنَادًا وَكَانَ مُوَافِقًــا لِّوَجْــهٍ مِّــنَ الْإِعْــرَابِ وَالرَّسْــمِ أُصِّــلَا

٥٦ فَــذَلِكَ قُــرْآنٌ، وَلَا خُلْــفَ فِي تَــوَا تُــرِ السَّــبْعِ لَكِــنْ فِي الثَّلَاثَــةِ حُصِّــلَا

٥٧ وَقَــدْ شَــذَّ مَــا لَــمْ يَشْــتَهِرْ مِــنْ قِــرَاءَةٍ عَــنِ التَّــابِعِينَ الْغُــرِّ فَــاعْلَمْ لِتَعْمَــلَا

٥٨ وَمَــا كَانَ آحَــادًا كَمَــا شَــذَّ لَا تَكُــنْ بِــهِ قَارِئًــا لَّكِــنْ فِي الَاحْــكَامِ فَــاعْمَلَا

(١) حديث سبب نزول آية التيمم ورد في صحيح البخاري، كتاب التيمم، باب قول الله تعالىٰ: ﴿فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا﴾[النساء:٤٣] ١/ ٧٤ برقم (٣٣٤)، ومسلم، كتاب الحيض، باب التيمم، ١/ ٢٧٩ برقم (٣٦٧).

(٢) أي سورة المطففين.

(٣) البقرة: ٢٨١، والواو من أو مدغمة في الواو بعدها.

(٤) أي أن آخر ما أنزل من القرآن فيه أقوال، فقيل: آية الربا من سورة البقرة وهي الآية ٢٧٥ وما بعدها، أو هو آية ٢٨١ علىٰ الخصوص، أو سورة براءة وهي التوبة أو آخر السورة، أو سورة النصر، أو آخر آية من سورة النساء وهي آية ١٧٦ آية الكلالة.
وقوله: (الكَلَا) أي الكلالة، وهذا من الاكتفاء وهو حذف بعض الكلام لدلالة الباقي عليه، ويستخدمه الشعراء والناظمون للعلوم، وهو من المحسنات البديعية، انظر" خزانة الأدب وغاية الأرب" لابن حجة الحموي ١/ ٢٨٢، وانظر "المعجم المفصل في علوم البلاغة" لإنعام فوال عكاوي ص٢٠٣.

(٥) سقطت (الأول) من (ز).

(٦) انظر "المواقع" ص٦٠، "التحبير"ص١٢٩، "الإتقان"٢/ ٤٩١، "الإتمام" ص٩٠.

٥٩ بِـهِ إِنْ جَـرَى مَجْـرَى الْـمُفَسِّـرِ مُطْلَقًـا وَإِلَّا فَقُـلْ: قَـوْلَانِ فِيـهِ عَـنِ الْـمَلَا

٦٠ وَقُـدِّمَ مَرْفُـوعٌ عَلَيْهَـا تَعَارَضَـا لِقُوَّتِـهِ فَـادْرِ الْأُصُـولَ لِتَأْصُـلَا[1]

الْفَصْلُ الثَّانِي:

فِي قِرَاءَاتِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ[2]

٦١ رَوَى الْحَاكِمُ النِّحْرِيرُ مِنْ طُرُقِ[3] عَـنِ الـرْ رَسُـولِ عَلَيْـهِ اللهُ صَـلَّى كَمَـا تَـلَا[4]

٦٢ بِلَا أَلِـفٍ فِي ﴿مَلِكِ﴾ الْحَمْـدِ، وَ﴿الصِّـرَا ط﴾ بِالصَّادِ، ﴿لَا تَجْزِي﴾[5] بِتَاءٍ تَمَثَّلَا[6]

٦٣ وَ﴿نُنشِزُهَا﴾ بِالزَّايِ، وَالْغَيْنِ[7] ﴿مَنْ يَغُلْـ ـلَ﴾ بِالضَّمِّ، ﴿أَنَّ ٱلنَّفْسَ﴾ بِالرَّفْعِ رَتَّلَا[8]

---

(١) (٢/ ب).

(٢) انظر "المواقع" ص٦٧، "التحبير"ص١٤٧، "الإتمام" ص٩١.

(٣) في (ز): (من طرق الرسول) بدون (عن)، ولا يستقيم بها الوزن.

(٤) انظر هذه القراءات في "مستدرك الحاكم" ٢/ ٢٧٦، وانظر التعليق علىٰ البيت ٤٠.

(٥) في جميع النسخ (لا تجري)، وهو خطأ.

(٦) وفي ﴿ مَٰلِكِ ﴾ من سورة الفاتحة: ٤، قرأ عاصم والكسائي ويعقوب وخلف ﴿ مَٰلِكِ ﴾ بألف بعد ميم، وقرأ الباقون ﴿مَلِكِ﴾ بغير ألف، انظر "النشر" ١/ ٢٧١.

وفي ﴿ٱلصِّرَٰطَ﴾ من سورة الفاتحة: ٦، قرأ قنبل بخلف عنه ورويس عن يعقوب بالسين، وقرأ خلاد عن حمزة بإشمام الصاد زايا، وقرأ الباقون بالصاد، انظر "النشر" ١/ ٢٧١.

وفي ﴿لَّا تَجۡزِي﴾ من سورة البقرة: ٤٨، قرأ العشرة بفتح التاء من جزئ، وقرئ شذوذا بضمها من أجزأ، ورويت عن ابن السمَّاك العدوي، انظر "البحر المحيط" لأبي حيان ١/ ٣٠٧

وقوله (بالتاء) اتبع فيه لفظ الرواية عند الحاكم في "المستدرك" ٢/ ٢٧٩ (٢٩٧٥)، واتبع أيضا ما جاء في النقاية وشرحها، وإلا فلم أقف علىٰ قراءة بالياء.

(٧) في (ب) و(ت) (والعين).

(٨) وفي ﴿نُنشِزُهَا﴾ من سورة البقرة:٢٥٩، قرأ ابن عامر والكوفيون بضم أولها وكسر الشين، وبالزاي المعجمة، وقرأ الباقون ﴿نَنشُرُهَا﴾ بالراء المهملة وفتح أولها وضم الشين، انظر "النشر"٢/ ٢٣١.

وفي ﴿يَغُلَّ﴾ من آل عمران: ١٦١، قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم بفتح الياء وضم الغين، وقرأ الباقون بضم الياء وفتح الغين ﴿يُغَلَّ﴾، انظر "النشر" ٢/ ٢٤٣.

وفي آية ﴿ وَكَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ وَٱلۡعَيۡنَ بِٱلۡعَيۡنِ ﴾ من سورة المائدة: ٤٥، قرأ الكسائي بالرفع من العين إلىٰ الجروح، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وأبو جعفر بالرفع في العين إلىٰ السن، وقرأ الباقون بالنصب، انظر "النشر" ٢/ ٢٥٤، وانظر التعليق علىٰ البيت (٤٠).

٦٤ وَلَا أَلِــفٌ فِي جَمْــعِ رَهْـــنٍ، وَ﴿تَسْتَطِيـــ ـــعُ﴾ بِالتَّاءِ، وَانْصِب بَّاءَ ﴿رَبِّكَ﴾ مُقْـبِلَا[1]

٦٥ ﴿دَرَسْتَ﴾ بِـلَا مَــدٍّ، وَ﴿كَانَ أَمَــامَهُمْ﴾، ﴿مِنَ انْفَسِـكُمْ﴾ بِالْفَتْحِ فِي الْفَاءِ فُصِّلَا[2]

٦٦ وَ﴿صَــالِحَةٍ﴾ مِّــنْ بَعْـــدِ ﴿كُلَّ سَفِينَةٍ﴾ وَ﴿سَكْرَى﴾ مَعًا، ﴿قُرَّاتُ أَعْيُنٍ﴾ اعْتَلَى[3]

٦٧ وَأَوَّلُ ﴿ذُرِّيَــاتِهِمْ﴾ وَحِّـــدَنْ، وَ﴿رَفْـــ ـــرَفٍ﴾، ﴿عَبْقَرِيٍّ﴾[4] جَمْعُ لَفْظَيْهِمَـا حَـلَا[5]

---

(١) في آية ﴿فَرِهَٰنٌ﴾ من سورة البقرة:٢٨٣، قرأ ابن كثير وأبو عمرو بضم الراء والهاء مع حذف الألف ﴿فَرُهُنٌ﴾، وقرأ الباقون بكسر الراء وفتح الهاء وبعدها ألف ﴿فَرِهَٰنٌ﴾ ، انظر "النشر" ٢/ ٢٣٧، وهي القراءة التي وردت في الرواية التي نظمها المؤلف.

وفي آية ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ من سورة المائدة: ١١٢، قرأ الكسائي بتاء الخطاب، مع نصب ﴿رَبَّكَ﴾، وقرأ الباقون بالياء مع رفع ﴿رَبُّكَ﴾، انظر "النشر" ٢/ ٢٥٦.

(٢) وفي ﴿دَرَسْتَ﴾ من سورة الأنعام: ١٠٥، قرأ ابن كثير وأبو عمرو ﴿دَارَسْتَ﴾ بألف بعد الدال وإسكان السين وفتح التاء بعدها، وقرأ ابن عامر ويعقوب ﴿دَرَسَتْ﴾ بغير ألف بعد الدال، مع فتح السين وإسكان التاء، وقرأ الباقون ﴿دَرَسْتَ﴾ بغير ألف بعد الدال مع إسكان السين وفتح التاء بعدها، انظر "النشر" ٢/ ٢٦١.

وقرأ الجمهور ﴿وَرَآءَهُم﴾ من سورة الكهف: ٧٩، وأما قراءة ﴿وَكَانَ أَمَامَهُم﴾ فهي مروية عن ابن عباس وابن جبير، "البحر المحيط" ٧/ ٢١٣

وقرأ الجمهور ﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ من سورة التوبة: ١٢٨، وأما بفتح الفاء فهي شاذة قرأ بها ابن محيصن من الأربعة بعد العشرة، انظر "الإتحاف" ص٣٠٨.

(٣) قرأ الجمهور ﴿يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ من سورة الكهف: ٧٩، وقرئ شذوذًا ﴿يَأْخُذُ كَلَّ سَفِينَةٍ صَالِحَةٍ﴾، وهي قراءة ابن عباس وابن جبير، "البحر المحيط" ٧/ ٢١٣.

وفي ﴿سُكَٰرَىٰ﴾ من سورة الحج: ٢، قرأ حمزة والكسائي وخلف ﴿سَكْرَىٰ﴾ بفتح السين وإسكان الكاف في الموضعين، وقرأ الباقون ﴿سُكَٰرَىٰ﴾ بضم السين وفتح الكاف وألف بعدها، انظر "النشر" ٢/ ٣٥٢.

وقرأ الجمهور ﴿قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ من سورة السجدة: ١٧، وقرئ شذوذا ﴿قُرَّاتِ أَعْيُنٍ﴾، انظر "المحتسب" ٢/ ١٧٤.

(٤) في (ب) و(ت): (وعبقري).

(٥) وفي ﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ الأولىٰ من سورة الطور: ٢١، قرأ أبو عمرو ﴿ذُرِّيَّاتِهِمْ﴾ بألف بعد الياء وكسر التاء بعد الألف علىٰ النصب، بناء علىٰ قراءته ﴿وَأَتْبَعْنَاهُمْ﴾، وقرأ ابن عامر ويعقوب ﴿ذُرِّيَّاتُهُمْ﴾ بضم التاء، وقرأ الباقون ﴿ذُرِّيَّتُهُمْ﴾ بغير ألف مع ضم التاء، انظر "النشر" ٢/ ٣٧٧.

=

الْفَصْلُ الثَّالِثُ

فِي مَنْ اشْتُهِرَ مِنَ الرُّوَاةِ وَالْحُفَّاظِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ[١]

٦٨ عَلِيٌّ، وَعُثْمَانُ، أُبَيٌّ، وَزَيْدُهُم، مُعَاذٌ، أَبُو زَيْدِ، ابْنُ مَسْعُودٍ اجْتَلَى

٦٩ وَمِنْهُمْ أَبُو الدَّرْدَاءِ[٢]، ثُمَّ أَبُو هُرَيْرَةٍ، وَابْنُ عَبَّاسٍ مَّعَ السَّائِبِ انْجَلَى

٧٠ وَهَاكَ رُوَاةَ التَّابِعِينَ فَمِنْهُمُ: يَزِيدُ وَمَسْرُوقٌ عَطَاءٌ تَجَمَّلَا[٣]

٧١ وَعَلْقَمَةٌ، زِرٌّ، سَعِيدٌ، مُجَاهِدٌ، وَبِالْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ كُنْ مُّتَوَسِّلَا[٤]

٧٢ وَعِكْرِمَةٌ، وَالْأَسْوَدُ، اسْمَعْ عُبَيْدَةً، وَالَاعْرَجَ، ثُمَّ السَّبْعُ عَنْهُمْ تَحَمَّلَا

٧٣ فَفَاضَ عَلَى الْبَصْرِيِّ وَالْمَدَنِيِّ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ بَحْرٌ حَلَا وَتَسَلْسَلَا[٥]

٧٤ وَفَاضَ عَنِ ابْنِ السَّائِبِ السَّيْبُ مُرْوِيًا لِدَارِيِّهِمْ[٦]، وَالْيَحْصَبِيُّ تَعَلَّلَا

=

وقرأ الجمهور ﴿رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ﴾ من سورة الرحمن: ٧٦، وقرأ شذوذا ابن محيصن من القراء الأربعة بعد العشرة ﴿رَفَارِفَ خُضْرٍ وَعَبَاقِرِيَّ﴾، انظر "الإتحاف" ص٥٢٨.

(١) انظر "المواقع" ص٧٤، "التحبير" ص١٥١، "الإتقان" ٢/ ٤٥٨، "الإتمام" ص٩٤.

(٢) في (ت): (أبو الدردا).

(٣) في (ب) و(ت): (تحملا)، وآثرت (تجملا) لأنه بعد بيتين في البيت ٧٢ سيذكرها في القافية.

(٤) لمعرفة أنواع التوسل بالصالحين وأحكامه وأقوال العلماء فيه انظر "التوسل، أنواعه وأحكامه" لمحمد ناصر الدين الألباني، وانظر "التوصل إلىٰ حقيقة التوسل المشروع والممنوع" لمحمد نسيب الرفاعي، وتفصيل ذلك في كتب العقائد والفقه.

(٥) أي أن نافعا المدني وأبا عمرو البصري أخذا عن أبي جعفر يزيد بن القعقاع وهو تابعي.

(٦) أي ابن كثير المكي الداري فهو قد قرأ علىٰ عبد الله بن السائب المكي (ت ٧٠هـ)، انظر "معرفة القراء الكبار" للذهبي ص٢٥ و٤٩، فابن كثير منسوب إلىٰ دارين، والنسبة إليها داريّ، وتقع دارين علىٰ الخليج العربي في جنوب شرق جزيرة تاروت شرق القطيف في المنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية، وهي الآن قرية صغيرة من قرىٰ جزيرة تاروت، انظر "معجم البلدان" ٢/ ٤٣٢، "المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية ـ المنطقة الشرقية" لحمد الجاسر ٢/ ٦٥٧.

٧٥ بِفَــيْضِ أَبِي الدَّرْدَا[١]، وَعَاصِــمٌ ارْتَــوَى[٢] عَـنِ ابْـنِ حُبَـيْشٍ، ثُـمَّ حَمْـزَةَ أَنْهَـلَا[٣]

٧٦ وَعَنْــهُ الْكِسَــائِيُّ ارْتَــوَى فَجَمِــيعُهُمْ عَــنِ السَّــلَفِ الْأَبْـرَارِ يَـرْوِي مُـرَتِّلَا

الْبَابُ الثَّالِثُ:

فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالْأَدَاءِ، وَفِيهِ خَمْسَةُ فُصُولٍ[٤]:

الْفَصْلُ الْأَوَّلُ:

فِي الْوَقْفِ وَالِابْتِدَاءِ[٥]

٧٧ وَقِــفْ مُسْــكِنًا فِيمَــا تَحَــرَّكَ مُطْلَقًــا وَأَشْــمِمْ وَرُمْ ضَــمًّا وَرَفْعًــا تَأَصَّــلَا

٧٨ وَكَسْــــرًا وَجَــرًّا أُصِّـــلَا رُمْهُمَـــا، وَلَا يَقِفْ رَائِمًـا فِي الْفَـتْحِ وَالنَّصْـبِ مَـنْ تَـلَا

٧٩ وَإِن رُّسِــــمَتْ بِالتَّـــاءِ هَـــاءُ مُؤَنَّـــثٍ فَبِالْهَـاءِ عَـنْ حَـدْرٍ[٦] فَقِـفْ مُـتَجَمِّلَا

٨٠ وَقِف فِّي وَلَاتَ، اللَّاتِ، مَرْضَـاتِ، ذَاتَ بَهْــجَةٍ، عَن رِّضًا بِالْهَـا، وَهَيْهَـاتَ هَـرْ وِلَا[٧]

٨١ وَقِـــفْ لِعَـــلِيٍّ إِنْ تَلَـــوْتَ بِيَـــاءِ ﴿وَيْكَـأَنَّ﴾، وَلِلْبَصْــرِيِّ بِــالْكَافِ حَمِّــلَا[٨]

---

(١) في (ت): (أبو الدرداء).

(٢) في (ز): (ارتوت).

(٣) أي أن عاصمًا أنهل حمزة، فحمزة قرأ علىٰ عاصم، وقرأ الكسائي علىٰ حمزة.

(٤) (٣/أ).

(٥) انظر "المواقع" ص٨٢، "التحبير"ص٧٤،"الإتقان" ٢/ ٥٣٩، "الإتمام" ص٩٥.

(٦) قوله: (حدر) الحاء لأبي عمرو، والدال لابن كثير، والراء للكسائي.

(٧) أي أن المرموز له بـالراء من (رضا) وهو الكسائي وقف علىٰ هذه الكلمات بالهاء.
وأن المرموز لهم بـ(هر) وهما البزي عن ابن كثير والكسائي وقفوا علىٰ هيهات بالهاء.
وقوله: (وِلَا) مقصور من الممدود، يقال والىٰ بين الأمرين موالاة ووِلاء أي تابَع، انظر "التـاج"، (و ل ي)، والمقصود هنا أنها متتابعة في النظم.
وقد تكون كلمة واحدة وهي أمر من الهرولة، مع قلب نون التوكيد ألفًا، والأول أقرب، والله أعلم.

(٨) أي أن عليا الكسائيَّ – في رواية الدوري – وقف علىٰ الياء، وأن أبا عمرو البصري وقف علىٰ الكاف.

٨٢ وَفِي ﴿وَكَأَيِّن﴾ قِـــفْ بِيَـــاءٍ لَّهُ فَقَـــطْ[١] وَحُرٌّ بِـــ(مَا) مِـن ﴿مَّـالِ﴾ هَـذَا تَحَمَّـلَا[٢]

الْفَصْلُ الثَّانِي

فِي الْإِمَالَةِ[٣]

٨٣ وَمَـــا كَانَ يَائِيًّـــا فَـــرَفٌّ أَمَـــالَهُ[٤] وَ﴿أَنَّى﴾ بِمَعْـنَى كَيْـفَ حَيْـثُ تَمَـثَّلَا

٨٤ وَمَـا رَسَــمُوا بِالْيَــاءِ إِلَّا ﴿لَدَى﴾، وَ﴿مَـا زَكَى مِنكُم﴾، ﴿حَتَّى﴾، ﴿إِلَى﴾ بَعْدَهَا ﴿عَلَى﴾

الْفَصْلُ الثَّالِثُ

فِي الْـمَدِّ[٥]

٨٥ يَــجِيءُ عَلَى ضَــرْبَيْنِ: مُتَّصِــلٌ وَذُو انْـــفِصَالٍ، وَفِي الثَّـانِي خِـلَافٌ تَحَصَّـلَا

٨٦ فَطِـــبْ قَصَـــرَاهُ بِـــاخْتِلَافٍ[٦]، وَدُونِــهِ يَـــدٌ[٧]، وَلِـــكُلٍّ ذُو اتِّصَـــالٍ تَطَـــوَّلَا

٨٧ وَأَطْـــوَلُهُمْ: وَرْشٌ وَحَمْـــزَةُ مُطْلَقًـــا، وَدُونَهُمَـــا فِي الْــــمَدِّ عَاصِـــمٌ انْـــزَلَا

٨٨ وَمِـــنْ دُونِـــهِ مَـــدَّ الْكِسَـــائِيُّ وَابْـــنُ عَا مِـرٍ وَيَـلِي[٨] الْبَصْـــرِيُّ هَـــذَيْن مَـــنْزِلَا

الْفَصْلُ الرَّابِعُ:

(١) أي أن أبا عمرو البصري وقف عليها بالياء، والباقون بالنون.

(٢) أي أن المرموز لهما بـ(حر) وهما أبو عمرو والكسائي وقفا على (ما)، ووقف الباقون على اللام.

(٣) انظر "المواقع" ص٨٥، "التحبير" ص١٨١، "الإتقان" ٢/ ٥٨٣، "الإتمام" ص٩٦.

(٤) في ت (فرق)، وفي (ز) (إمالة). أي أن المرموز لهما بـ(رف) وهما حمزة والكسائي أمالا الألفات المنقلبة عن ياء.

(٥) انظر "المواقع" ص٨٨، "التحبير" ص١٨٣، "الإتقان" ٢/ ٦١٥، "الإتمام" ص٩٧.
وقد سقط العنوان من (ت)، وكُتِبَ طُولًا بين الأبيات في (ب).

(٦) أي أن المرموز لهما بـ(طب) وهما دوري أبي عمرو وقالون قصرا المد المنفصل، وقوله (باختلاف) أي يجوز عندهما الوجهان القصر والتوسط.

(٧) أي المرموز لهما بـ(يد) وهما السوسي عن أبي عمرو وابنُ كثير لهما القصر فقط، وقوله (ودونه) أي بدون اختلاف.

(٨) في (ب) و(ت): (وتلي).

فِي تَخْفِيفِ الْهَمْزِ وَأَنْوَاعِهِ[1]

٨٩ وَأَنْوَاعُـــهُ: نَقْـــلٌ، وَإِسْـــقَاطُ هَمْـــزَةٍ، وَإِبْـــدَالُهَا مَـــدًّا يُجَـــانِسُ مَـــا تَـــلَا

٩٠ وَتَسْـــهِيلُهَا مَـــا بَـــيْنَ بَـــيْنَ، وَمَـــنْ تَـــلَا بِهِـــنَّ لَدَى كُتْـــبِ الْقِـــرَاءَةِ فُصِّـــلَا

الْفَصْلُ الْخَامِسُ:

فِي الْإِدْغَامِ[2]

٩١ وَالِادْغَامُ: إِدْخَـــالُ الْـــمُمَاثِلِ فِيـــهِ أَوْ مُقَارِبِـــهِ فِي كِلْمَتَـــيْنِ أَوَ انْـــزَلَا[3]

٩٢ وَلَـــمْ يُـــدْغِمِ الْبَصْـــرِيُّ مِـــثْلًا بِكِلْمَـــةٍ سِوَى ﴿مَا سَلَكَكُمْ﴾ مَعْ ﴿مَنَاسِكَكُمْ﴾ جَـلَا

٩٣ وَفِي كِلْمَتَـــيْنِ الْـــمِثْلَ أَدْغَـــمَ أَوَّلَا إِذَا لَـمْ يَكُـنْ (تَـا) حَاضِـرٍ أَو مُـثَقَّلَا[4]

٩٤ وَلَا نُـــونَ تَنْـــوِينٍ، وَ﴿يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ﴾ بِالِاظْهَـارِ وَالْوَجْهَـانِ فِي الْجَـزْمِ أَعْمَـلَا

٩٥ وَفِي كِلْمَـــةٍ مِمَّـــا تَقَـــارَبَ قَافُهَـــا بِكَافِ ضَـمِيرِ الْجَمْـعِ أَدْغَـمَ مُسْـجَلَا[5]

٩٦ وَفِي كِلْمَتَـــيْنِ فِي حُـــرُوفٍ، وَبَسْـــطُهَا بِـ(ـحِرْزِ الْأَمَـانِي) مَـعْ سِـوَاهَا مُفَصَّـلَا

---

(١) انظر "المواقع" ص٩٠، "التحبير"ص١٨٥،"الإتقان" ٢/ ٦٢٧، "الإتمام" ص٩٧.

(٢) (٣/ ب).

انظر "المواقع" ص٩٦، "التحبير"ص١٨٩، "الإتقان" ٢/ ٥٩٩، "الإتمام" ص٩٨.

(٣) قوله (أو انزلا) أي أقل من كلمتين، أي أن الادغام يأتي في كلمتين أو أنزل منها وهو كلمة واحدة.

(٤) في جميع النسخ: (حاضرا ومثقلا) بنصب حاضر وبواو العطف، ولعل الصواب ما ذكرته في المتن، ويبدو أن همزة (أو) اشتبهت على النساخ فانتقلت إلى كلمة (حاضر) فصارت كأنها منصوبة، وبقيت الواو.

والمراد أن أبا عمرو البصري من طريق السوسي يدغم المتماثلين إذا كانا في كلمتين بشروط، منها أن يكون الأول غير مثقل، وانظر تفصيل ذلك في شروح بيت الشاطبي للبيت رقم (١٢٠).

(٥) أي أنه أدغم في كلمةٍ القافَ - المتحرك ما قبلها - في الكاف في ضمير جمع المذكر فقط مثل: ﴿يَرْزُقكُم﴾ وأظهر ما عداها مثل ﴿نَرْزُقكَ﴾، وتفصيل ذلك مشهور في كتب القراءات.

الْبَابُ الرَّابِعُ:

فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِمَبَاحِثِ الْأَلْفَاظِ، وَفِيهِ سَبْعَةُ فُصُولٍ:

الْفَصْلُ الْأَوَّلُ:

فِي الْغَرِيبِ[1]:

٩٧ وَمَرْجِعُـــهُ: لِلنَّقْـــلِ، وَالْـــمُعْتَنِي بِـــهِ ... عَلَيْـــهِ بِتَـــأْلِيفِ الْعُزَيْـــزِي لِيَنْـــبُلَا

٩٨ وَفِيـــهِ أَبُـــو حَيَّـــانَ أَلَّـــفَ جَامِعًـــا ... وَجِـيزًا، وَلِابْـنِ الْحَاجِـبِ الْجَمْـعُ أَوَّلَا[2]

الْفَصْلُ الثَّانِي:

فِي الْـمُعَرَّبِ[3]

٩٩ وَمَـا اسْـتَعْمَلَتْهُ الْعُـرْبُ مِـنْ غَـيْرِ لَفْظِهِـمْ ... بِمَعْنَـاهُ تَعْرِيـبٌ، وَفِي الذِّكْـرِ أُنْـزِلَا

١٠٠ وَقَـدْ قَـالَ قَـوْمٌ: لَّا، وَمَـا جَـاءَ مِنْـهُ فِي الْـ ... ـقُرَانِ فَمِـنْ بَـابِ التَّوَافُـقِ أُدْخِـلَا

١٠١ كَـكِفْلٍ، وَمِشْـكَاةٍ، وَقِسْـطَاسِ، سُـنْدُسٍ، ... وَإِسْـتَبْرَقٍ، سِـجِّيلٍ، اوَّاهٌ اعْـتَلَى

الْفَصْلُ الثَّالِثُ:

فِي الْـمَجَازِ[4]

---

(١) انظر "المواقع" ص١٠٠، "التحبير"ص١٩٨، "الإتقان" ٣/ ٧٢٨، "الإتمام" ص٩٨.

(٢) كتاب العزيري يسمىٰ "نزهة القلوب"، وهو أبو بكر محمد بن عزير السجستاني (ت٣٣٠هـ)، عالم بالتفسير واللغة، واختلف في نسبته هل هو العزيري أو العزيزي، انظر ترجمته في "الوافي بالوفيات" للصفدي ١/ ٧١، و"سير أعلام النبلاء" للذهبي ١٥/ ٢١٦.

وأبو حيان هو محمد بن يوسف بن علي بن يوسف الأندلسي الغرناطي (ت ٧٤٥هـ)، كان ثبتًا قيمًا عارفًا باللغة والتفسير وإمامًا في النحو والتصريف، له مصنفات كثيرة منها: "إتحاف الأريب بما في القرآن من الغريب"، "البحر المحيط"، "التذييل والتكميل شرح التسهيل"، "منهج السالك في الكلام علىٰ ألفية ابن مالك"، انظر ترجمته في "الدرر الكامنة" لابن حجر ٦/ ٥٨، "شذرات الذهب" لابن العماد ٦/ ١٤٥.

وابن الحاجب سبق التعريف به، ولم أقف له علىٰ كتاب في غريب القرآن.

(٣) انظر "المواقع" ص١٠٦، "التحبير"ص٢٠٠، "الإتقان" ٣/ ٩٣٤، "الإتمام" ص٩٩.

(٤) انظر "المواقع" ص١٠٩، "التحبير"ص٢٠٣،"الإتقان" ٤/ ١٥٠٧، "الإتمام" ص٩٩.

١٠٢ لَهُ أَضْــرُبٌ كَالْحَـذْفِ مَـعْ تَـرْكِ مُسْـنَدٍ، وَفَــرْدٍ، وَجَمْــعٍ، وَالْــمُثَنَّى تَحَلَّــلَا

١٠٣ مَحَــلَّ قَسِــيمَيْهِ[1]، وَلَفْظَــةُ[2] عَاقِــلٍ لِّغَــيْرٍ، وَبِــالْعَكْسِ، الْتِفَــاتٍ تَحَمَّــلَا

١٠٤ وَزَيْــدٍ، وَتَكْرِيــرٍ، وَإِضْــمَارٍ، عِلَّــةٍ، وَتَقْــدِيمِ، تَــأْخِيرٍ بِهُــودٍ[3] تَــنَزَّلَا

الْفَصْلُ الرَّابِعُ

فِي الْـمُشْتَرَكِ[4]

١٠٥ وَمَـا دَلَّ مِـن لَّفْـظٍ عَلَى مَعْنَيَـيْنِ ذُو اشْــ ـــتِرَاكٍ كَــقُرْءٍ، وَيْــلٍ، نِــدٍّ[5] تَمَــثَّلَا

١٠٦ وَرَاءَ، وَغَيٍّ بَعْــــــدَهُ، وَمُضَــــــارِعٍ، وَمَــوْلَايَ، تَــوَّابٌ عَلَيْنَــا تَفَضَّــلَا

الْفَصْلُ الْخَامِسُ:

فِي الْـمُتَرَادِفِ[6]

١٠٧ وَإِنْ يَتَّحِـدْ مَـدْلُولُ لَفْظَـيْنِ فَـاقْضِ بِالتَّــ ـتَرَادُفِ كَــ(الْإِنْسَانِ وَالْبَشَــرِ) انْجَلَى[7]

١٠٨ وَيَــمٌّ، وَبَحْــرٌ، رِّجْــزٌ، الــرِّجْسُ، وَالْعَــذَا بُ، وَالْحَرَجُ، الضِّــيقُ الَّذِي قَـد تَّعَـزَّلَا[8]

---

(١) في (ز): (محل قسيمه)، ومعنىٰ هذا أن المثنىٰ يستعمل محل قسيميه وهما المفرد والجمع مجازًا وكذا العكس، لقوله بعد ذلك: (وبالعكس).

(٢) في (ز): (ولفظه).

(٣) في (ب) و(ت): (لهود)، والمراد أن قوله تعالىٰ: ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ﴾[هود:٧١] فيه تقديم وتأخير أي: بشرناها فضحكت.

(٤) (٤/أ).
وانظر "المواقع" ص١٢١، "التحبير"ص٢١٤، "الإتقان" ٣/ ٩٧٥، "الإتمام" ص١٠١.

(٥) في (ب): (يد) و(ت): (تد).

(٦) انظر "المواقع" ص١٢٤، "التحبير"ص٢١٦، "الإتمام" ص١٠٢.

(٧) انظر التعليق علىٰ البيت (٤٠).

(٨) في (ب) و(ز): (تغزلا)، ولعلها تصحيف، لقرب الحرفين وهي محتملة في (ت)، ولعل الصواب ما أثبته، و(تعزَّل) بمعنىٰ تَنَحَّىٰ، انظر "التاج"، (ع ز ل)، والصلة وموصولها صفة للضيق والحرج الذي نحَّاه الله عنا ورَفَعَهُ بمنه وكرمه.

الْفَصْلُ السَّادِسُ:

فِي الِاسْتِعَارَةِ[١]

١٠٩ وَإِنْ تَسْتَعِرْ شَبِّهْ بِغَيْرِ أَدَاتِهِ   كَمَا جَاءَ فِي الذِّكْرِ الْحَكِيمِ مُنَزَّلَا

١١٠ بِيَاسِينَ فِي سَلْخِ النَّهَارِ وَفَصْلِهِ   مِنَ اللَّيْلِ، مَعْ إِحْيَاءِ[٢] مَنْ مَاتَ أَوَّلَا

١١١ بِالَانْعَامِ[٣]، وَاسْتِيفَاءَ الَانْوَاعِ إِنْ تُرِدْ   فَـ(نَظْمُ عُقُودِ الدُّرِّ)[٤] حَسْبُكَ مَنْهَلَا

الْفَصْلُ السَّابِعُ:

التَّشْبِيهُ[٥]

١١٢ وَمِنْ شَرْطِ هَذَا النَّوْعِ ذِكْرُ أَدَاتِهِ   حَقِيقَةً او حُكْمًا فَإِنْ فُقِدَا فَلَا

١١٣ وَآلَتُهُ: (كَافٌ)، وَ(مِثْلُ)، (كَأَنَّهُ)،   كَذَا (مَثَلُ) قَدْ جَاءَ فِي الذِّكْرِ مُنْزَلَا

الْبَابُ الْخَامِسُ:

فِيمَا يَرْجِعُ إِلَى الْمَعَانِي الْمُتَعَلِّقَةِ بِالْأَحْكَامِ، وَفِيهِ عَشَرَةُ فُصُولٍ:

الْفَصْلُ الْأَوَّلُ:

---

(١) انظر "المواقع" ص١٢٦، "التحبير" ص٢٢٦، "الإتقان" ٤/ ١٥٤٣، "الإتمام" ص١٠٢.

(٢) في (ز): (إحيا).

(٣) يقصد آية ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ﴾[يس:٣٧]، والآية ﴿أَوَمَن كَانَ مَيۡتًا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورًا﴾[الأنعام:١٢٢].

(٤) يحيل المؤلف إلى كتابه الذي نظمه في علم المعاني (وهو مخطوط ضمن المجموع المحفوظ في المتحف البريطاني برقم (٧١٨) في صفحة ٥٦ منه) يقول فيه:

نَظَمْتُ لِلإِخْوَانِ فِي البَيَانِ   أُرْجُوزَةً بَدِيعَةَ البَيَانِ

مُرَتَّبًا لَهَا عَلَى مُقَدِّمَهْ   ثُمَّ فُصُولٍ فِي أُصُولٍ مُحْكَمَهْ

سَمَّيْتُهَا "نَظْمَ عُقُودِ مَا انْتَثَرْ   مِنْ دُرَرِ البَيَانِ فِي سِلْكِ الدُّرَرْ"

(٥) انظر "المواقع" ص١٢٨، "التحبير" ص٢٣٠، "الإتقان" ٤/ ١٥٣٧، "الإتمام" ص١٠٢.

فِي الْعَامِّ الْبَاقِي عَلَى عُمُومِهِ[1]

١١٤ وَكُلُّ عُمُـــومٍ فَهْـــوَ قَـــدْ خُـــصَّ غَـــيْرَ آ يَةِ الْعِلْـمِ وَالتَّخْلِيقِ مِـن نَّفْـسٍ انْـزِلَا[2]

١١٥ وَآيَـــةُ تَحْـــرِيمِ النِّسَـــاءِ تَلَتْهُمَـــا[3] عَلَى رَأْيِ حَـــبْرٍ مَّـــاهِرٍ قَـــد تَّنَـــبَّلَا[4]

الْفَصْلُ الثَّانِي:

فِي الْعَامِّ الْـمَخْصُوصِ، وَالْعَامِّ الَّذِي أُرِيدَ بِهِ الْخُصُوصِ، وَوَجْهِ الْفَرْقِ بَيْنَهُمَا[5]

١١٦ وَمَـا عَـمَّ مِمَّـا خُـصَّ ذَاعَ، وَمَـا بِـهِ أُرِيـدَ خُصُـوصٌ قَـلَّ فِيمَـا تَـنَزَّلَا

١١٧ كَـ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ﴾[6] أَيْ سَيِّدَ الْوَرَى، وَمَـا جَـاءَ أَيْضًـا فِي نُعَـيْمٍ فَحَصِّـلَا[7]

١١٨ وَبَيْنَهُمَـــا فَـــرْقٌ، فَـــذَاكَ حَقِيقَـــةٌ[8] وَهَـــذَا مَجَـــازٌ إِذْ غَـــدَا مُتَـــنَقِّلَا

---

(١) انظر "المواقع" ص١٣٠، "التحبير"ص٢٣٥، "الإتقان" ٤/ ١٤١٤، "الإتمام" ص١٠٣.

(٢) آية العلم هي قوله تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[البقرة:٢٨٢]، وآية التخليق هي قوله تعالىٰ: ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾[النساء:١] .

(٣) في (ز): (تلتها).

(٤) ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ﴾[النساء:٢٣]، ويبدو أن الناظم يقصد بالحبر الماهر السيوطي لأنه قال في "إتمام الدراية" ص١٠٣: "قلت: والظاهر أن من ذلك ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ﴾ فإن من صيغ العموم: الجمع المضاف، ولا تخصيص فيها".
ومعنىٰ قوله: (تنبلا) أي تكلف النُّبْل، أو انتقىٰ الأنبل فالأنبل، أو مات، من قولهم: تنبل الرجل إذا مات، "تاج العروس" (ن ب ل)، وانظر "فتح الوصيد" للسخاوي ١/ ٨٥.

(٥) انظر "المواقع" ص١٣٣، "التحبير"ص٢٣٦، "الإتقان" ٤/ ١٤١٥، ١٤١٧، "الإتمام" ص١٠٣.

(٦) [النساء: ٥٤].

(٧) (٤/ ب).
والمقصود قوله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ﴾[آل عمران:١٧٣] فالمراد بالناس الأولىٰ نعيم بن مسعود الأشجعي ﷺ لقيامه مقام كثير - لما كان علىٰ الكفر - في تثبيط المؤمنين عن الخروج لملاقاة أبي سفيان ﷺ لما كان علىٰ الكفر، انظر "تفسير ابن جرير" ٣/ ٥٣٢، و"الإتقان في علوم القرآن" للسيوطي (٤/ ١٤١٦) فقد عزا الرواية إلىٰ ابن مردويه.

(٨) أي الأول حقيقة وهو العام المخصوص؛ لأنه استعمل فيما وضع له ثم خص منه بعضه.

١١٩ قَرِينَــــــةٌ ذَا عَقْلِيَّـــــــةٌ، وَيَجُـــــــوزُ أَنْ   يُــرَادَ بِــهِ فَــرْدٌ، وَفِي ذَلِــكَ احْظُــلَا[1]

الْفَصْلُ الثَّالِثُ:

فِيمَا خُصَّ مِنَ الْكِتَابِ بِالسُّنَّةِ[2]

١٢٠ وَتَخْصِـــيصُ قُــرْآنٍ بِمُحْكَـــمِ سُـــنَّةٍ   وَلَــوْ كَانَــتَ احَــادًا[3] فَشَــا، وَتَمَــثَّلَا

١٢١ بِتَخْصِـــيصِ تَحْـــرِيمِ الرِّبَـــا بِعَرِيَّـــةٍ[4]   وَتَخْصِـــيصِ آيَــاتِ الْـــمَوَارِيثِ كُمِّــلَا

١٢٢ بِمَـــنْ كَانَ ذَا قَتْـــلٍ وَدِيـــنٍ مُخَـــالِفٍ   وَمَــنْ كَانَ ذَا رِقٍّ كَهَــذَيْنِ مُسْــجَلَا[5]

الْفَصْلُ الرَّابِعُ:

فِيمَا خَصَّ مِنَ الْكِتَابِ السُّنَّةَ[6]

(١) في النسختين (ز) و(ت): (احضلا).
أي أن الثاني وهو العام الذي أريد به الخصوص يجوز أن يراد به واحد، بخلاف الأول فلا بد أن يبقىٰ أقل الجمع، ومعنىٰ (احظلا): امنع، من الحظل، "التاج"، (ح ظ ل)، والألف مبدلة عن نون التوكيد الخفيفة.

(٢) انظر "المواقع" ص١٣٧، "التحبير"ص٢٤٠، "الإتقان" ٤/ ١٤١٩، "الإتمام" ص١٠٤.

(٣) في (ز): (آحاد)

(٤) ثبت تخصيص تحريم الربا بالعرايا في الصحيحين، "صحيح البخاري" كتاب البيوع، باب بيع الزبيب بالزبيب والطعام بالطعام، ٣/ ٧٤ برقم (٢١٧٣)، "صحيح مسلم" كتاب البيوع، باب النهي عن بيع الثمار قبل بدو صلاحها بغير شرط القطع ٣/ ١١٦٨ برقم (١٥٣٩) من حديث زيد بن ثابت ﷺ.
وبيع العرايا: هو بيع ما في رؤوس النخل من الثمرة المدركة بالتمر اليابس وهي جمع عرية، انظر "مفاتيح العلوم" للخوارزمي ص٣٢، وقال الحجاوي في "الإقناع" ٢/ ٢٥٢: "بيع الرطب في رؤوس النخل خرصًا بمآله يابسًا بمثله من التمر كيلا معلوما لا جزافًا فيما دون خمسة أوسُق لمن به حاجة إلىٰ أكل الرطب ولا نقد معه"، ولشراح الحديث والفقهاء فيها تفاصيل وشروط وأحكام.

(٥) وتخصيص آيات المواريث بالقاتل والكافر والرقيق وردت فيه أحاديث صحيحة، وتفصيلها في علم المواريث.

(٦) في (ت): (فيما خص من الكتاب بالسنة).
وانظر "المواقع" ص١٣٩، "التحبير"ص٢٤١، "الإتقان" ٤/ ١٤٢١، "الإتمام" ص١٠٤.

١٢٣ وَمَـا خَصَّصَ الْقُرْآنُ مِنْ سُنَّةٍ أَتَى　　بِأَرْبَعِ آيٍ: آيَةَ الْجِزْيَةِ انْقُلَا[1]

١٢٤ وَآيَةَ إِعْطَاءِ الزَّكَاةِ لِعَامِلٍ[2]　　وَمِنْهَا: ﴿وَمِنْ أَصْوَافِهَا﴾، ﴿حَـٰفِظُواْ عَلَى﴾[3]

الْفَصْلُ الْخَامِسُ:

فِي الْمُجْمَلِ[4]

١٢٥ وَمَا كَانَ مِنْ لَفْظٍ خَفِيِّ دَلَالَةٍ　　كَقُرْءٍ فَلَقِّبْ ذَلِكَ اللَّفْظَ مُجْمَلَا

١٢٦ وَبِالسُّنَّةِ الْغَرَّاءِ[5] جَاءَ بَيَانُهُ　　كَمَا جَاءَ فِي عِلْمِ الْأُصُولِ مُفَصَّلَا

١٢٧ وَقَابَلَهُ فَافْهَمْ هُدِيتَ مُبَيَّنٌ　　فَرِدْ صَافِيًا عَذْبًا فَقَدْ طِبْتَ مَنْهَلَا

الْفَصْلُ السَّادِسُ:

الْمُؤَوَّلُ[6]

١٢٨ وَمَا كَانَ مَحْمُولًا عَلَى غَيْرِ ظَاهِرٍ　　لِأَجْلِ دَلِيلٍ كَانَ لَفْظًا مُؤَوَّلَا

١٢٩ كَمَا فِي ﴿بَنَيْنَـٰهَا بِأَيْيْدٍ﴾[7] فَلَا تَقُلْ　　بِظَاهِرِهِ تَرْشُدْ، وَكُنْ مُتَأَوِّلَا[8]

---

(١) آية الجزية هي الآية ٢٩ من سورة التوبة.

(٢) وآية إعطاء الزكاة لعامل هي الآية ٦٠ من سورة التوبة.

(٣) الأولى: الآية ٨٠ من سورة النحل، والثانية: الآية ٢٣٨ من سورة البقرة، وهذه الآيات خَصَّصَت أحاديث، انظر تفصيلها في "الإتقان في علوم القرآن" ٤/ ١٤٢١.

(٤) انظر "المواقع" ص١٤٠، "التحبير"ص٢٢٤، "الإتقان" ٤/ ١٤٢٦، "الإتمام" ص١٠٦.

(٥) انظر البيت رقم (١٣٥) في تفسير (الغراء).

(٦) انظر "المواقع" ص١٤٣، "التحبير"ص٢٤٣، "الإتمام" ص١٠٦.

(٧) الذاريات: ٤٧

(٨) يرى المؤلف ـ رحمه الله ـ تبعًا للأصل وهو "النقاية" وشرحها للسيوطي أن صفة اليد وأمثالها يجب ترك ظاهرها تنزيها لله عن مشابهة المخلوقين وهو مذهب كثير من المتأولة، وهذا تأويل خاطئ، إذ لا يلزم منه التشبيه؛ لأن الله ليس كمثل شيء، ثم إن هذه الآية بخصوصها ليست من آيات الصفات، وليست مضافة إلى الله، والمراد بها هنا القوة، مصدر آد يئيد، وهو تفسير كثير من السلف، انظر "تفسير الطبري" ٢١/ ٥٤٥.

الْفَصْلُ السَّابِعُ:

فِي الْـمَفْهُومِ[١]

١٣٠ يَـجِيءُ عَلَى ضَرْبَيْنِ: ضَرْبٌ مُّوَافِقٌ ... لِّمَنْطُوقِهِ حُكْمًا كَـأُفٍّ[٢] تَمَثَّلَا

١٣١ وَمَا خَالَفَ الْـمَنْطُوقَ فَهْوُ مُخَالِفٌ ... كَوَصْفٍ، وَشَرْطٍ، غَايَةٍ، عَدَدٍ جَلَا[٣]

الْفَصْلُ الثَّامِنُ:

فِي الْـمُطْلَقِ وَالْـمُقَيَّدِ[٤]

١٣٢ وَيُحْمَلُ مَهْمَا أَمْكَنَ الْحَمْلُ مُطْلَقٌ[٥] ... صَرِيحٌ عَلَى مَا قَدْ تَقَيَّدَ مُحمَلَا[٦]

١٣٣ كَكَفَّارَتَي قَتْلٍ ظِهَارٍ[٧]، وَإِنْ يَكُنْ ... تَعَذَّرَ فِيهِ الْحَمْلُ فَاتْرُكْهُ مُسْجَلَا

الْفَصْلُ التَّاسِعُ:

فِي النَّاسِخِ وَالْـمَنْسُوخِ[٨]

١٣٤ وَفِيهِ تَصَانِيفٌ، وَفِي الذِّكْرِ قَدْ فَشَا، ... وَمَا كَانَ مَنْسُوخًا فَنَاسِخُهُ تَلَا

(١) انظر "المواقع" ص١٤٥، "التحبير" ص٢٤٥، "الإتقان" ٤/ ١٤٩١، "الإتمام" ص١٠٦.

(٢) الإسراء: ٢٣.

(٣) (٥/ أ).

(٤) انظر "المواقع" ص١٤٧، "التحبير" ص٢٤٩، "الإتقان" ٤/ ١٤٨٦، "الإتمام" ص١٠٦.

(٥) في (ز): (مطلقا).

(٦) مصدر للفعل (يُحمَل) في أول البيت، ويجوز أن يضبط (مَحْمِلا)، فالفعل حمل من باب ضرب.

(٧) أي قيدت الرقبة بالإيمان في قوله تعالىٰ في كفارة القتل: ﴿وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ [النساء:٩٢]، وأطلقت كفارة الظهار في قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُظَـٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا﴾ [المجادلة:٣]، فحملت الثانية علىٰ الأولىٰ.

(٨) انظر "المواقع" ص١٥٠، "التحبير" ص٢٥١، "الإتقان" ٤/ ١٤٣٥، "الإتمام" ص١٠٧.

١٣٥ سِوَى الْعِدَّةِ الْغَرَّاءِ[١]، وَالنَّسْخُ قَدْ يَكُو ... نُ لِلْحُكْمِ أَوْ لِلرَّسْمِ أَوْ لَهُمَا وِلَا

١٣٦ إِلَى بَدَلٍ أَوْ دُونِهِ لِأَخَفَّ أَوْ ... لِأَغْلَظَ[٢] مِنْ نَقْلٍ صَحِيحٍ تَسَلْسَلَا

الْفَصْلُ الْعَاشِرُ:

فِي الْـمَعْمُولِ بِهِ مُدَّةً مُعَيَّنَةً، وَمَا عَمِلَ بِهِ وَاحِدٌ[٣]

١٣٧ مِثَالُهُمَا النَّجْوَى[٤]، وَلَمْ يَكُ عَامِلًا ... بِهَا مِنْهُمُ إِلَّا عَلِيٌّ أَخُو الْعُلَى

١٣٨ وَفِي لُبْثِهَا خُلْفٌ، فقَدْ قِيلَ: سَاعَةٌ ... وَقَدْ قِيلَ: عَشْرٌ، وَالْـمُقَدَّمُ فُضِّلَا

الْبَابُ السَّادِسُ:

فِيمَا يَرْجِعُ إِلَى الْـمَعَانِي الْـمُتَعَلِّقَةِ بِالْأَلْفَاظِ، وَفِيهِ ثَلَاثَةُ فُصُولٍ:

الْفَصْلُ الْأَوَّلُ:

فِي الْوَصْلِ وَالْفَصْلِ[٥]

---

(١) يقصد آية العدة التي في سورة البقرة: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾[البقرة:٢٤٠]، نسختها الآية التي قبلها في الترتيب وإن كانت بعدها في النزول، وهي قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [البقرة:٢٣٤].

والغراء: بياض في الجبهة أو جبهة الفرس خصوصًا، ويطلق علىٰ البياض، "التاج" (غ ر ر)، والمراد هنا أن آية العدة متميزة عن غيرها كما أن الحصان الأغر متميز عن غيره، فالناظم يقصد أن آية العدة هي المثال الوحيد المتميِّز الذي تقدم فيه المنسوخ علىٰ الناسخ في الترتيب.

(٢) في (ز): (أغلظ).

(٣) انظر "المواقع" ص١٥٣، "التحبير" ص٢٦١، "الإتمام" ص١٠٧.

(٤) أي الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً﴾[المجادلة:١٢].

(٥) انظر "المواقع" ص١٥٦، "التحبير" ص٢٧٤، "الإتمام" ص١٠٨.

١٣٩ بِعَطْفٍ وَتَرْكِ الْعَطْفِ قَدْ عَرَّفُوهُمَا ... كَـ﴿إِنَّ وَإِنَّ﴾ فِي انْفِطَارٍ[١] تَمَثَّلَا

١٤٠ لِلَاوَّلِ[٢]، وَالثَّانِي حَكَى ﴿وَإِذَا خَلَوْا﴾ ... مَعَ الْآيَةِ الْأُخْرَى تَلَتْهَا عَلَى الْوِلَا[٣]

الْفَصْلُ الثَّانِي:

فِي الْإِيجَازِ وَالْإِطْنَابِ وَالْمُسَاوَاةِ[٤]

١٤١ وَتَعْرِيفُ كُلٍّ فِي الْمَعَانِي مُقَرَّرٌ ... فَرَاجِعْهُ فِي (نَظْمِ الْعُقُودِ) مُكَمَّلَا

١٤٢ وَتَمْثِيلُهَا قَدْ جَاءَ فِي ﴿وَلَكُمْ﴾، ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكَ﴾ فِي الثَّانِي، وَفِي ثَالِثٍ: ﴿وَلَا﴾[٥]

الْفَصْلُ الثَّالِثُ:

فِي الْقَصْرِ[٦]

١٤٣ تَقَرَّرَ فِي (نَظْمِ الْعُقُودِ) مُحَرَّرًا ... بِأَنْوَاعِهِ طُرًّا، وَتَمْثِيلُهُ انْجَلَى[٧]

١٤٤ بِمَا الْمُصْطَفَى إِلَّا رَسُولٌ كَمَنْ[٨] مَضَى ... قَبِيلٌ مِّنَ الرُّسْلِ الْكِرَامِ لِمَنْ خَلَا[٩]

---

(١) أي قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝١٣ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ۝١٤﴾ [الانفطار:١٣-١٤]

(٢) أي أن الأول وهو الوصل مثاله ما في سورة الانفطار، ومثال الثاني آية سورة البقرة التي سيشير إليها، وانظر "إتمام الدراية" ص١٠٨، وتفصيل هذه المسائل في علم البلاغة.

(٣) أي قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَـٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ [البقرة:١٤]، ثم فصل ولم يعطف فقال: ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [البقرة:١٥]

(٤) انظر "المواقع" ص١٦٠، "التحبير" ص٢٦٤، "الإتقان" ٥/ ١٥٨٤، "الإتمام" ص١٠٨.

(٥) أشار الناظم إلىٰ أمثلة الإيجاز والإطناب والمساواة، فمثال الإيجاز: ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾ [البقرة:١٧٩]، ومثال الإطناب: ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا﴾ [الكهف:٧٥]، ومثال المساواة: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ [فاطر:٤٣]، وإليها أشار بقوله: (ولا).

(٦) انظر "المواقع" ص١٦٥، "التحبير" ص٢٧٨، "الإتقان" ٤/ ١٥٦٥، "الإتمام" ص١٠٨.

(٧) (٥/ ب).

(٨) في (ب) و(ت): (لمن).

(٩) يشير إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾ [آل عمران:١٤٤].

١٤٥ عَلَيْـــهِ صَـــلَاةُ اللهِ ثُـــمَّ عَلَـــيْهِمُ   مَـعَ الْآلِ وَالْأَصْـحَابِ طُـرًّا وَمَـنْ تَـلَا

الْخَاتِمَةُ

فِي أُمُورٍ تَجْرِي مَجْرَى التَّتِمَّةِ لِمَا سَبَقَ، وَتَشْتَمِلُ عَلَى أَرْبَعَةِ أَنْوَاعٍ:

النَّوْعُ الْأَوَّلُ:

فِيمَا وَقَعَ فِي الْقُرْآنِ مِنْ أَسْمَاءِ الْأَعْلَامِ، وَهِيَ ثَلَاثَةُ أَقْسَامٍ:

أَوَّلُهَا: أَسْمَاءُ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ[1]

١٤٦ وَفِي الذِّكْـرِ مِـنْ أَسْـمَائِهِمْ قَـدْرُ خَمْسَـةٍ   وَعِشْـرِينَ إِجْمَـالًا، وَأَمَّـا مُفَصَّـلَا

١٤٧ فَـآدَمُ، نُـوحٌ، ثُـمَّ إِدْرِيـسُ بَعْـدَهُ،   وَمِـنْ بَعْـدُ إِبْـرَاهِيمُ، وَابْنَـاهُ[2] بُجِّـلَا

١٤٨ وَيَعْقُـوبُ أَيْضًـا، ثُـمَّ يُوسُـفُ نَجْلُـهُ،   وَلُـوطٌ، وَهُـودٌ، صَـالِحٌ كُلٌّ ارْسِـلَا

١٤٩ وَجَـاءَ شُـعَيْبٌ، ثُـمَّ مُوسَـى، وَصِـنْوُهُ[3]،   وَدَاوُدُ - فَـاعْلَم - مَـع سُـلَيْمَانَ فُضِّـلَا

١٥٠ وَأَيُّـوبُ أَيْضًـا، ثُـمَّ ذُو الْكِفْـلِ مِـنْهُمُ،   وَيُـونُسُ مَـعْ إِلْيَـاسَ، وَالْيَسَـعُ انْجَـلَى

١٥١ كَـذَا زَكَرِيَّـا، وَابْنُـهُ[4]، وَابْـنُ مَـرْيَمٍ،   وَخَـاتَمُ رُسْـلِ اللهِ جَـاءَ مُكَمِّـلَا

ثَانِيهَا: أَسْمَاءُ الْـمَلَائِكَةِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ[5]

١٥٢ وَفِي الذِّكْـرِ مِـنْ أَسْـمَائِهِمْ قَـدْ تَـنَزَّلَا   ثَمَانِيَـةٌ: جِبْرِيـلُ، مِـيكَالُ حُمِّـلَا

---

(١) انظر "المواقع" ص١٦٧، "التحبير"ص٣٧٨، "الإتقان ٥/ ١٩٦٣، "الإتمام" ص١٠٩.
(٢) أي إسماعيل وإسحاق، عليهما السلام.
(٣) أي هارون، عليه السلام، والصنو المراد به الأخ، وأَصْلُ الصِّنْو إنَّما هُوَ فِي النَّخْل، فإذا خرج نخلتان أو ثلاث من أصل واحد فكل واحدة منهن صنو، "التاج" (ص ن و).
(٤) أي يحيىٰ بن زكريا، عليهما السلام.
(٥) انظر "المواقع" ص١٦٩، "التحبير"ص٣٨٤، "الإتقان ٥/ ١٩٨٦، "الإتمام" ص١٠٩.

١٥٣ وَهَارُوتُ، مَعْ مَارُوتَ مِنْهُمْ، وَمَالِكٌ، قَعِيدٌ، وَبِالرَّعْدِ السِّجِلُّ تَكَمَّلَا[١]

ثَالِثُهَا: أَسْمَاءُ غَيْرِهِمَا مِنَ الْأَعْلَامِ[٢]

١٥٤ وَمِنْ غَيْرِهِمْ فِي الذِّكْرِ عَشْرٌ وَوَاحِدٌ، فَأَوَّلُهُمْ: إِبْلِيسُ فِي الْغَيِّ أُصِّلَا

١٥٥ وَقَارُونُ مَعْ جَالُوتَ، طَالُوتُ، تُبَّعٌ، وَلُقْمَانُ أَيْضًا مَّع عُزَيْرٍ تَبَتَّلَا

١٥٦ وَمَرْيَمُ مَعْ عِمْرَانَ وَالِدِهَا أَتَى، وَهَارُونُ مِنْهُمْ، وَهْوَ غَيْرُ الَّذِي خَلَا

١٥٧ وَزَيْدٌ مِّنَ الصَّحْبِ الْكِرَامِ مُخَصَّصٌ بِمَنْقَبَةٍ بِالذِّكْرِ فِي الذِّكْرِ فُضِّلَا

النَّوْعُ الثَّانِي وَالثَّالِثِ:

فِيمَا وَقَعَ فِي الْقُرْآنِ مِنَ الْكُنَى وَالْأَلْقَابِ[٣]

١٥٨ وَلَمْ يَكُ فِي الْقُرْآنِ غَيْرُ أَبِي لَهَبْ وَالَالْقَابُ: ذُو الْقَرْنَيْنِ فِي الْكَهْفِ أُنْزِلَا[٤]

١٥٩ وَفِي آلِ عِمْرَانَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمٍ، وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ فِي الْفَجْرِ نُزِّلَا[٥]

النَّوْعُ الرَّابِعُ: فِي الْمُبْهَمَاتِ[٦]

---

(١) قال السيوطي في "إتمام الدراية"ص١٠٩ بعد أن ذكر أسماء الأربعة الأوُل: "هذا ما ذكره البلقيني [ص١٦٩] وزدنا في التحبير [ص٣٨٤]: الرعد والسِّجِلّ ومالكا وقعيدا"، وفي كون الرعد والسجل وقعيد أسماء للملائكة نقاشٌ ونظر، وانظر "الإتقان" ٥/ ١٩٨٨، ولعل مراد السيوطي ومن تبعه من عدها ذكرُ ما ورد من أقوال مسندة بغض النظر عن صحة ذلك.

(٢) جاء هذا العنوان في (ت): (النوع الثاني والثالث: فيما وقع في القرآن من الكنىٰ والألقاب).

وانظر "المواقع" ص١٦٩، "التحبير"ص٣٨٦، "الإتقان ٥/ ١٩٩٣، "الإتمام" ص١٠٩.

(٣) (٦/ أ).

وانظر "المواقع" ص١٦٩، "التحبير"ص٣٨٩، "الإتقان ٥/ ٢٠١٤، "الإتمام" ص١١٠.

(٤) سورة المسد:١، وسورة الكهف: ٨٣.

(٥) سورة آل عمران: ٤٥، وسورة الفجر: ١٠.

(٦) في (ب) و(ت): (المهمات).

وانظر "المواقع" ص١٧١، "التحبير"ص٣٩١، "الإتقان ٦/ ٢٠١٨، "الإتمام" ص١١٠.

١٦٠ فَمِنْهَا فَتَى مُوسَى بِيُوشَعَ قَدْ دُعِي[1] وَبِالْخَضِرِ الْعَبْدُ الْـمُنِيبُ تَجَمَّلَا[2]

١٦١ وَيُدْعَى بِجَيْسُورٍ غُلَامٌ[3]، وَضَبْطُهُ: بِجَاءٍ وَرَاءٍ مُهْمَلَيْنِ تُقُبِّلَا[4]

١٦٢ وَقُلْ: مَلِكٌ مِّنْهَا دَعَوْا هُدَدًا[5]، وَإِنْ تُرِدْ أُمَّ مُوسَى[6] فَهْيَ يُوحَنِّذُ[7] الْـمَلَا

١٦٣ بِحَاءٍ فَنُونٍ ثُقِّلَتْ بِانْكِسَارِهَا فَذَالٌ، وَبِالْإِعْجَامِ يُرْوَى تَحَمُّلَا

١٦٤ وَقُلْ رَجُلَانِ: يُوشَعٌ ثُمَّ كَالِبٌ[8]، وَقُلْ رَجُلٌ أَيْضًا: بِيَاسِينَ نُزِّلَا

١٦٥ حَبِيبُ بْنُ مُوسَى[9]، وَالْعَزِيزُ وَعِرْسُهُ[10] بِيُوسُفَ: قِطْفِيرٌ، وَرَاعِيلُ حُمِّلَا[11]

١٦٦ وَآسِيَةٌ عِرْسُ الْوَلِيدِ اسْمُهَا[12]، وَسِمْ بِحِزْقِيلَ قُلْ: فِي غَافِرٍ مُّؤْمِنٌ جَلَا[13]

١٦٧ وَفِي الذِّكْرِ مِنْ هَذَا كَثِيرٌ، وَأَلَّفَ السْـ ـسُهِيلِيُّ تَأْلِيفًا بِهِ قَدْ تَكَفَّلَا[14]

---

(١) الكهف: ٦٠.

(٢) الكهف: ٦٥.

(٣) الكهف: ٧٤.

(٤) وكلمة (تقبلا)، تحتمل أنها ما أثبته، ويحتمل أنها (تَقَبَّلا)، أمر للقارئ بأن يتقبل.

(٥) الكهف: ٧٩.

(٦) القصص: ٧.

(٧) كذا في النسخ، والذي في النقاية وشرحها ص١١٠ (يوحانذ)، انظر "الإتقان" للسيوطي ٦/ ٢٠٥٢.

(٨) المائدة: ٢٣.

(٩) يس: ٢٠.

(١٠) في (ت): (وعرشه)، والعرس: امرأة الرجل، "التاج" (ع ر س).

(١١) يوسف: ٢١.

(١٢) القصص: ٩.

(١٣) غافر: ٢٨.

(١٤) اسم كتابه "الإعلام بما في القرآن من الأسماء والأعلام" وهو مطبوع، والسهيلي هو عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن أصبغ الخثعمي السهيلي الأندلسي، ولد سنة ٥٠٨هـ، وكان عالـمًا بالعربية والقراءات، تصدر للإقراء والتدريس، وله مصنفات، منها "الروض الأنف" وهو شرح لسيرة ابن هشام يدل على تبحره وبراعته، توفي سنة ٥٨١، انظر "تاريخ الإسلام" للذهبي ١٢/ ٧٣١.
وانظر التعليق على البيت (٤٠).

١٦٨ جَـزَى اللهُ بِالْإِحْسَـانِ عَنَّـا أَئِمَّـةً ... لَنَـا قَرَّبُـوا الْأَقْصَـى إِلَى أَنْ تَسَـهَّلَا

١٦٩ وَأَبْيَاتُهَـا تَمَّـتْ بِتَيْسِـيرِ (قَـادِرٍ ... عَلِـيمٍ هَـدَانَا) لِلسَّـدَادِ تَفَضُّـلَا[1]

١٧٠ بِشَـهْرٍ بِـهِ الْقُـرْآنِ أُنْـزِلَ جُمْلَـةً ... بِحَـوْلِ (غَـنِيٍّ مَّالِـكٍ بَـاسِطٍ) الْأَلَى[2]

١٧١ فَيَـا خَـيْرَ تَـوَّابٍ وَيَـا خَـيْرَ غَافِـرٍ ... أَقِـلْ عَـثْرَتِي وَانْفَـعْ بِهَـا كُلَّ مَـنْ تَـلَا

١٧٢ وَكُـنْ لِّي وَلِلْإِخْـوَانِ حَيًّـا وَمَيِّتًـا ... وَفِي الْحَشْـرِ كُـنْ لِّي يَـا رَحِـيمُ مُجَمِّـلَا

١٧٣ بِطَيْبَـةَ دَارِ الْـمُصْطَفَى خَـيْرِ مُرْسَـلٍ ... عَلَيْـهِ صَـلَاةُ اللهِ تَـتْرَى عَلَى الْـوِلَا

١٧٤ وَأَصْـحَابِهِ الْغُـرِّ الْكِـرَامِ وَآلِهِ ... وَأَتْبَاعِـهِ مَـا دُمْـتَ يَـا رَافِـعَ الْعُـلَا[3]

* * *

(١) يشير الناظم إلىٰ عدد أبيات المنظومة بحساب الجمَّل، فرمز لها بحروف أوائل هذه الكلمات المكتوبة بالحمرة، فالقاف بـ١٠٠، والعين بـ٧٠، والهاء بـ٥، والمجموع ١٧٥، ويبدو أن هناك بيتا أسقطه أو أنه لم يعد هذا البيت.

(٢) وهنا يشير إلىٰ تاريخ فراغه من نظمها، فالغين بـ٩٠٠ في عد المغاربة، والميم بـ٤٠، والباء بـ٢، والمجموع: ٩٤٢، أي في تلك السنة، في شهر رمضان.

وقوله: (الألىٰ): النعمة، وجمعها آلاء، وفي مفردها لغات، انظر "تاج العروس"، (أ ل ىٰ).

(٣) (٦/ب).

الخاتمة

الحمد الله أولًا وآخرًا علىٰ تيسيره وإعانته، وبعد الانتهاء من دراسة النص وتحقيقه والتعليق عليه أشير إلىٰ شيء من النتائج والتوصيات:

فمن أبرز نتائج تحقيق هذه الرسالة:

١. أن الاسم الصحيح لهذه المنظومة هو (نظم الجواهر في التفسير).

٢. صحة نسبتها إلىٰ ناظمها.

٣. التعريف بهذا العالم عبد العزيز المكناسي الذي لم تنشر أكثر كتبه، وليس معروفًا عند كثير من طلبة العلم، بل إن نظمه لمثلث قطرب طبع مرات، دون معرفة شيء عن مؤلفه إلا أن اسمه عبد العزيز المغربي.

٤. إبراز هذه المنظومة القيمة وبيان عظم أهميتها، وتعريف العلماء وطلبة العلم بهذه القصيدة بعد إخراجها مضبوطة ضبطًا كاملًا لما لها من قيمة علمية، ولكونها سابقة علىٰ منظومة الزمزمي المشهورة.

ومما أوصي به في الخاتمة:

١. حث طلاب العلم علىٰ إخراج المخطوطات النافعة خصوصًا المتون العلمية، وتحقيقها تحقيقًا علميًا مع العناية بضبطها ضبطًا كاملًا.

٢. إن هذه القصيدة بحاجة إلىٰ شرح يبرز مكوناتها ويكشف النقاب عن مسائلها.

٣. إخراج هذه المنظومة مسجلة بصوت حَسَنٍ حتىٰ يكثر الانتفاع بها.

٤. إخراج بقية كتب المكناسي التي لا تزال مخطوطة في شتىٰ الفنون.

وأسأل الله تعالىٰ أن يجزي ناظمها خير الجزاء وأن ينفع بها كُلَّ من اطلع عليها.

المصادر والمراجع

١. إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، أحمد بن محمد بن أحمد ابن عبد الغني الدمياطيّ، شهاب الدين الشهير بالبناء (ت ١١١٧هـ)، تحقيق: أنس مهرة، دار الكتب العلمية – لبنان، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٦م – ١٤٢٧هـ.

٢. الإتقان في علوم القرآن، تأليف: عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ)، وزارة الشؤون الإسلامية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٦هـ.

٣. إتمام الدراية لقراء النقاية، تأليف: عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ)، كشيدة للنشر والتوزيع، العاشر من رمضان، مصر، الطبعة الأولىٰ، ١٤٣٨هـ.

٤. الإقناع لطالب الانتفاع، تأليف: موسىٰ بن أحمد الحجاوي الحنبلي (ت ٩٦٨هـ)، تحقيق: د. عبد المحسن التركي، دار هجر، الطبعة الثالثة، ١٤٢٣هـ.

٥. البحر المحيط في التفسير، تأليف: أبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت، الطبعة (بدون): ١٤٢٠ هـ.

٦. البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، تأليف: محمد بن يعقوب الفيروزآبادىٰ (ت ٨١٧هـ)، دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولىٰ ١٤٢١هـ.

٧. البيان في عد آي القرآن، تأليف: عثمان بن سعيد الداني (ت٤٤٤هـ)، تحقيق: غانم قدوري الحمد، مركز المخطوطات والتراث والوثائق، الكويت، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٤هـ.

٨. تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، تأليف: شمس الدين أبي عبد

الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، تحقيق: الدكتور بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، الطبعة: الأولىٰ، ٢٠٠٣م.

٩. التحبير في علم التفسير، تأليف: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق: فتحي عبد القادر فريد، دار العلوم، الرياض، الطبعة (بدون)، ١٤٠٢هـ.

١٠. تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تأليف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبي جعفر الطبري (ت ٣١٠هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.

١١. جمهرة أنساب العرب، تأليف: علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي الظاهري (ت ٤٥٦هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، دار المعارف، الطبعة الثامنة، ٢٠١٨م.

١٢. خزانة الأدب وغاية الأرب، تأليف أبي بكر بن علي بن عبد الله المعروف بابن حجة الحموي (ت ٨٣٧هـ)، تحقيق: د. كوكب دياب، دار صادر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٣١هـ.

١٣. خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، تأليف: محمد أمين بن فضل الله بن محب الدين بن محمد المحبي الحموي الدمشقي (ت ١١١١هـ)، دار صادر، بيروت.

١٤. درة الحجال في أسماء الرجال، تأليف: أحمد بن محمد المكناسي المعروف بابن الفرضي (ت ١٠٢٥هـ)، تحقيق: محمد الأحمدي أبي النور مكتبة دار التراث، القاهرة، الطبعة (بدون)، التاريخ (بدون).

١٥. درر الحبب في تاريخ أعيان حلب، تأليف: محمد بن إبراهيم بن يوسف الحلبي المعروف بابن الحنبلي (ت ٩٧١هـ)، تحقيق: محمود الفاخوري

ويحيىٰ عبارة، نشر وزارة الثقافة السورية، دمشق، الطبعة (بدون)، ١٩٧٢م.

١٦. الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون، تأليف: محمد بن غازي العثماني، تحقيق: عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الطبعة الثانية، الرباط، ١٤٠٨هـ.

١٧. السحب الوابلة علىٰ ضرائح الحنابلة، تأليف: محمد بن عبد الله بن حميد النجدي الحنبلي (ت ١٢٩٥هـ)، تحقيق: د. عبد الرحمن العثيمين، وبكر أبو زيد، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٦هـ.

١٨. سلم الوصول إلىٰ طبقات الفحول، تأليف: مصطفىٰ بن عبد الله القسطنطيني العثماني المعروف بـ «كاتب جلبي» وبـ «حاجي خليفة» (ت ١٠٦٨هـ)، المحقق: محمود عبد القادر الأرناؤوط، إشراف وتقديم: أكمل الدين إحسان أوغلي، تدقيق: صالح سعداوي صالح، إعداد الفهارس: صلاح الدين أويغور، الناشر: مكتبة إرسيكا، إستانبول – تركيا، عام النشر: ٢٠١٠ م.

١٩. سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، تأليف: محمد بن جعفر بن إدريس الكتاني (١٣٤٥هـ)، تحقيق عبد الله الكتاني وآخرين، دار الثقافة، الدار البيضاء، ٢٠٠٤م.

٢٠. شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، تأليف: محمد بن محمد بن عمر بن علي ابن سالم مخلوف (ت ١٣٦٠هـ)، علق عليه: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، لبنان، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.

٢١. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تأليف: عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكبري الحنبلي (ت ١٠٨٩هـ)، تحقيق: محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق – بيروت، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.

٢٢. صحيح البخاري، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله

صلىٰ الله عليه وسلم وسننه وأيامه، تأليف: محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ)، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢٢هـ.

٢٣. صحيح مسلم، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم تأليف: مسلم بن الحجاج بن مسلم النيسابوري (ت ٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الثانية، ٢٠٠٠ م.

٢٤. طبقات الشافعية، تأليف: أبي بكر بن أحمد بن محمد بن عمر الأسدي الشهبي الدمشقي، تقي الدين ابن قاضي شهبة (ت ٨٥١هـ)، تحقيق: د.الحافظ عبد العليم خان، عالم الكتب – بيروت، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٠٧هـ.

٢٥. العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تأليف: أبي علي الحسن بن رشيق القيرواني (ت ٤٥٦هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، الطبعة الخامسة، ١٤٠١هـ.

٢٦. العيون الغامزة علىٰ خبايا الرامزة، تأليف: محمد بن أبي بكر بدر الدين الدماميني (ت ٨٢٧هـ)، تحقيق: الحساني حسن عبد الله، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ.

٢٧. فهرس أحمد المنجور، تأليف: أحمد بن علي بن عبد الرحمن المنجور (ت ٩٩٥هـ)، تحقيق: محمد حجي، دار المغرب، الرباط، الطبعة (بدون)، ١٣٩٦هـ.

٢٨. فهرس الخزانة التيمورية، القاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية، ١٣٦٧هـ.

٢٩. الكافي في العروض والقوافي، تأليف: يحيىٰ بن علي بن الحسن، المعروف بالخطيب التبريزي (ت٥٠٢هـ)، تحقيق: د. محمد أحمد قاسم، المكتبة

العصرية، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٣هـ.

٣٠. الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، تأليف: نجم الدين محمد بن محمد الغزي (ت ١٠٦١هـ)، تحقيق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٨هـ.

٣١. المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، تأليف : أبي الفتح عثمان بن جنىٰ (ت ٣٩٢هـ)، وزارة الأوقاف - المجلس الأعلىٰ للشئون الإسلامية، مصر، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٣٢. مختصر فتح رب الأرباب بما أهمل في لب اللباب من واجب الأنساب، تأليف: عباس بن محمد بن أحمد بن السيد رضوان المدني الشافعي (ت١٣٤٦هـ)، مطبعة المعاهد بجوار قسم الجمالية، مصر، عام النشر: ١٣٤٥هـ.

٣٣. مختصر منتهىٰ السؤل والأمل في علمي الأصول والجدل، تأليف: عثمان بن عمر بن أبي بكر المعروف بابن الحاجب (ت ٦٤٦هـ)، تحقيق: نذير حمادو، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٧هـ.

٣٤. مرتقىٰ الوصول إلىٰ علم الأصول، نظم: أبي بكر محمد بن محمد بن عاصم الغرناطي (ت ٨٢١هـ)، مع شرحه نيل السول علىٰ مرتقىٰ الوصول لمحمد يحيىٰ بن محمد المختار الولاتي (ت ١٣٣٠هـ).

٣٥. المسالك والممالك، تأليف: عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي (ت ٤٨٧هـ)، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ١٩٩٢ م.

٣٦. المطالع النصرية للمطابع المصرية في الأصول الخطية، تأليف: نصر الهويريني، تحقيق: عبد الوهاب محمود الكحلة، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٢هـ.

٣٧. معجم البلدان، تأليف: ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت ٦٢٦هـ)، دار صادر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٥م.

٣٨. معجم التاريخ التراث الإسلامي في مكتبات العالم، إعداد: علي الرضا قره بلوط وأحمد طوران قره بلوط، دار العقبة، قيصري، تركيا، الطبعة (بدون)، التاريخ (بدون).
٣٩. المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية – المنطقة الشرقية، تأليف: حمد الجاسر (ت ١٤٢١هـ)، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، ١٤٠٠ه.
٤٠. المعجم المفصل في علم العروض والقافية وفنون الشعر، تأليف: إميل بديع يعقوب (معاصر)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ٢٠١٠م.
٤١. المعجم المفصل في علوم البلاغة، تأليف: إنعام فوال عكاوي (معاصرة)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الرابعة ٢٠١٤م.
٤٢. معجم المؤلفين، تأليف: عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني كحالة (ت ١٤٠٨هـ)، مكتبة المثنىٰ - بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت.
٤٣. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بمصر، الطبعة الخامسة، ١٤٣٢هـ.
٤٤. معرفة القراء الكبار علىٰ الطبقات والأعصار، تأليف: شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٧هـ.
٤٥. مفاتيح العلوم، تأليف: محمد بن أحمد بن يوسف البلخي الخوارزمي (ت ٣٨٧هـ)، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٩هـ.
٤٦. منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تأليف: حازم بن محمد بن حسن القرطاجني (ت ٦٨٤هـ) ، تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجه، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولىٰ.

٤٧. المنهل الصافي والمستوفىٰ بعد الوافي، تأليف: يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، أبي المحاسن (ت ٨٧٤هـ)، حققه ووضع حواشيه: دكتور محمد محمد أمين، تقديم: دكتور سعيد عبد الفتاح عاشور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولىٰ، ١٤١٨ هـ.

٤٨. مواقع العلوم في مواقع النجوم، تأليف: جلال الدين عبد الرحمن بن عمر بن رسلان البلقيني (ت ٨٢٤هـ)، تحقيق: أنور محمود المرسي خطاب، دار الصحابة بطنطا، بدون تاريخ.

٤٩. الموسوعة العربية العالمية، إصدار مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ.

٥٠. النشر في القراءات العشر، تأليف: محمد بن محمد بن يوسف المعروف بابن الجزري (ت ٨٣٣هـ)، تحقيق: علي محمد الضباع، الناشر: المطبعة التجارية الكبرىٰ [تصوير دار الكتاب العلمية].

٥١. نظم لغة فصيح ثعلب، نظم: عبد الحميد بن هبة الله ابن أبي الحديد (ت ٦٥٦هـ)، تحقيق: د. ممدوح بن تركي بن محمد القحطاني، (ستنشره دار طيبة الخضراء، مكة المكرمة، ١٤٤٠هـ).

٥٢. نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تأليف: أحمد بابا بن أحمد بن الفقيه الحاج أحمد بن عمر بن محمد التكروري التنبكتي السوداني (ت ١٠٣٦هـ)، عناية وتقديم: الدكتور عبد الحميد عبد الله الهرامة، دار الكاتب، طرابلس – ليبيا.

❋ ❋ ❋

التفسير النبوي عند المفسرين في العصر الحديث

القاسمي وابن عاشور أنموذجًا

إعداد

نورة بنت خالد بن إبراهيم العرفج

محاضر في قسم الدراسات الإسلامية بكلية الآداب

جامعة الإمام عبد الرحمن بن فيصل بالدمام

ملخص البحث

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام علىٰ نبينا محمد، وآله وصحبه أجمعين..وبعد:

فهذا ملخص لبحث: **التفسير النبوي عند المفسرين في العصر الحديث (القاسمي وابن عاشور أنموذجًا).**

وقد جاءت هذه الدراسة لتسلط الضوء علىٰ موقف المفسرين في العصر الحديث من التفسير النبوي، وتبين مقدار استدلالهم به.

وأُجريت الدراسة علىٰ عشرة كتب من كتب التفسير في القرنين الرابع عشر والخامس عشر الهجري، وكان الحديث في المبحث الأول عن استدلال هؤلاء المفسرين بالتفسير النبوي، ببيان عدد التفاسير النبوية التي استدل بها كل منهم، ونوعها، ودرجتها من الصحة والضعف، ثمّ اخترتُ أكثرهم استدلالاً بالتفسير النبوي، وتحدّثت عن منهجهم في المبحثين الثاني والثالث، فكان الحديث عن منهج القاسمي وابن عاشور في التعامل مع التفسير النبوي والاستدلال به.



المقدمة

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام علىٰ المبعوث رحمة للعالمين نبيّنا محمد، وعلىٰ آله وصحابته والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلىٰ يوم الدين، أمّا بعد:

فإنّ أولىٰ ما يتنافس فيه المتنافسون، ويشتغل به المشتغلون كتاب الله ﷻ، وسنّة نبيه ﷺ، فهُما أساس الدين، وينبوع العلم، فسنته ﷺ أساس التشريع مع كتاب الله ﷻ، ومن مكانتها في الدين ارتباطها بالقرآن الكريم، قال تعالىٰ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل:٤٤]، فهذه الآية تدل علىٰ أنّ للرسول ﷺ مهمة أخرىٰ غير تبلغ كتاب الله ﷻ إلىٰ الناس، وهي تبيين هذا الكتاب وشرحه، فسنته ﷺ أول ما يُرجَع إليه عند تفسير القرآن الكريم بعده؛ لأنّ الناطق بها أعلم البشر بمراد ربه ﷻ، وأفهمهم لكلامه، فقد كان ﷺ أول شارح ومفسر لكتاب الله تعالىٰ، يُبيّن لأصحابه ﷺ معانيه، ويشرح لهم ألفاظه.

وقد تنبّه علماء الأمة من السلف والخلف لهذه الأهمية، وأولَوا التفسير النبوي عناية خاصة، فكان الصحابة ﷺ إذا أشكلت عليهم آية رجعوا إلىٰ رسول الله ﷺ مباشرة؛ ليبيّن لهم معناها، أمّا من جاء بعدهم فإنّهم كانوا يأخذون التفاسير النبوية عمّن سَبقهم من الصحابة أو التابعين.

ثمّ جاء عصر التأليف، وأُلِّفت المؤلفات في التفسير، واستمر العلماء في كتابة التفاسير إلىٰ يومنا الحاضر، وكثرت هذه المؤلفات، واختلفت مناهج مؤلفيها، واختلفت مواقفهم من التفسير النبوي تبعـًا لاختلاف مدارسهم ومناهجهم.

وكان للمفسرين في العصر الحديث عناية بالتفسير النبوي، إلا أنّي لم أجد من تحدث عن استدلالهم به، ومنهجهم في التعامل معه، ومن أجل ذلك قصدت إلىٰ دراسة تبرز عناية هؤلاء المفسرين بالتفسير النبوي، وتبيّن أشهر مناهجهم في التعامل معه، فكان هذا البحث بعنوان: التفسير النبوي عند المفسرين في العصر الحديث (القاسمي وابن عاشور أنموذجـًا).

أهمية الموضوع، وأسباب اختياره:

١-أنّ هذا الموضوع يبرز الصلة الوثيقة بين القرآن الكريم والسنة النبوية.

٢-الإسهام في خدمة موضوع التفسير النبوي، وتوجيه النظر إلىٰ الاهتمام بكل ما يتعلق به.

٣- الرغبة في إبراز عناية المفسرين بالتفسير النبوي في العصر الحديث.

٤-الرغبة في خدمة تفسيري القاسمي وابن عاشور، وهما من أشهر التفاسير في العصر الحديث.

٥-جدّة الموضوع، وقلة الدراسات العلمية المتعلقة بهذا الجانب من مناهج المفسرين.

أهداف البحث:

١-بيان مقدار استدلال المفسرين بالتفسير النبوي في العصر الحديث، ونسبة الصحيح والضعيف في التفاسير النبوية التي أُجريت عليها الدراسة.

٢-التعرف علىٰ أنواع التفسير النبوي التي استدل بها المفسرون في العصر الحديث، وأكثرها وروداً في كتبهم.

٣-التعرف علىٰ أكثر المفسرين استدلالاً بالتفسير النبوي في العصر الحديث.

٤-بيان منهجي القاسمي وابن عاشور في التعامل مع التفسير النبوي، والاستدلال به.

الدراسات السابقة:

لم أقف علىٰ دراسة بحثية تتحدث عن التفسير النبوي عند المفسرين في العصر الحديث، وجُلُّ ما وقفت عليه بعض الكتابات والرسائل العلمية التي تناولت مناهج المفسرين بصفة عامة، أو منهجهم في قضية معيّنة، ولم أجد في هذه الدراسات ما يخدم موضوع البحث، فهي تختلف عنه في الأهداف والمحتوىٰ والمنهج.

أما الدراسات المتعلقة بالتفسير النبوي فإن جُلَّها اعتنىٰ بجمع الروايات الواردة في التفسير النبوي -مع تفاوت مناهجها في الجمع والتخريج-، وهناك دراسات

اعتنت بتأصيل بعض جوانب التفسير النبوي، ومن أهمها:

١-مقدمة في تفسير الرسول للقرآن الكريم، لمحمد العفيفي، تحدّث فيه عن الترابط بين مقاصد القرآن ومقاصد السنّة، وترابط أجزاء القرآن، وهدي السنّة في تفسير القرآن.

٢-التفسير النبوي خصائصه ومصادره، للدكتور محمد عبد الرحيم، تعرض فيه لمصادر التفسير، وخصائصه، وموقف المفسرين منه باختصار، ثمّ نقل ما ذكره البخاري والترمذي في كتاب التفسير.

٣-التفسير النبوي للقرآن الكريم، وموقف المفسرين منه، للدكتور محمد إبراهيم عبد الرحمن، اختار فيه نماذج من المفسرين، وبين موقفهم من الاحتجاج بالتفسير النبوي باختصار، ثمّ ختمه بروايات مختارة من التفسير النبوي للقرآن الكريم.

٤-التفسير النبوي (مقدمة تأصيلية مع دراسة حديثية لأحاديث التفسير النبوي الصريح).

للباحث: خالد بن عبد العزيز الباتلي، وهي رسالة دكتوراه مقدمة إلىٰ قسم السنة وعلومها، كلية أصول الدين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

وقد قام الباحث بجمع الأحاديث المرفوعة التي أفادت في التفسير اللفظي الصريح، ثمّ قام بتخريج هذه الأحاديث، ودراستها دراسة حديثية، والحكم عليها بعد استيفاء النظر في أسانيدها، وقدّم لبحثه بمقدمة تحدّث فيها عن أهم مباحث التفسير النبوي.

ولا يخفىٰ أن هذه الدراسات اعتنت بالحديث عن بعض مباحث التفسير النبوي، أما هذا البحث فإنه يُعنىٰ بالتفسير النبوي عند المفسرين، وبالتالي يركّز علىٰ المفسّر كمحور للدراسة.

خطة البحث:

انتظمت خطة هذا البحث في مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة، وفهرس للمصادر والمراجع، علىٰ النحو التالي:

المقدمة: وتتضمن أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وأهداف البحث، وخطته، ومنهجه، والإجراءات المتبعة في ذلك.

التمهيد: وفيه: تحرير المراد بالتفسير النبوي.

المبحث الأول: الاستدلال بالتفسير النبوي عند المفسرين في العصر الحديث.

المبحث الثاني: منهج القاسمي في التعامل مع التفسير النبوي، والاستدلال به، وفيه:

أولاً: منهجه العام في التعامل مع التفسير النبوي.

ثانيـًا: نقوله المتعلقة بالتفسير النبوي.

ثالثـًا: جوانب وردت في تعامله مع التفسير النبوي ولم تكن منهجـًا عامـًا في تفسيره.

المبحث الثالث: منهج ابن عاشور في التعامل مع التفسير النبوي، والاستدلال به، وفيه:

أولاً: منهجه العام في التعامل مع التفسير النبوي.

ثانيـًا: عنايته الفائقة بتوجيه التفاسير النبوية وتحليلها وبيان معانيها.

ثالثـًا: جوانب وردت في تعامله مع التفسير النبوي ولم تكن منهجـًا عامـًا في تفسيره.

الخاتمة: وفيها أهمّ النتائج والتوصيات.

الفهارس: وتتضمن فهرس المصادر والمراجع.

منهج البحث:

اتبعت في هذا البحث المنهج الاستقرائي والتحليلي والوصفي.

إجراءات البحث:

قسمت العمل في البحث إلىٰ عدة مراحل:

المرحلة الأولىٰ: جمعت ما يُقارب من ٢٥٠ تفسيراً نبويـًا من كتب التفسير والحديث المسندة.

المرحلة الثانية: اخترت ١٥٢ تفسيراً نبويـًا من هذه التفاسير، مراعية في اختيارها تنوّع أنواعها ودرجاتها من الصحة، **وهذه التفاسير النبوية هي التي أُجريت عليها**

الدراسة، وترتبت عليها النتائج.

المرحلة الثالثة: تتبعت هذه التفاسير النبوية في عشرة كتب من كتب التفسير في العصر الحديث.

وجعلت الحد الزمني للدراسة في القرنين الرابع عشر والخامس عشر الهجري.

وهذه الكتب هي:

١-محاسن التأويل، للقاسمي.

٢-تفسير المنار، لمحمد رشيد رضا.

٣-تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي.

٤-في ظلال القرآن، لسيد قطب.

٥-التحرير والتنوير، لابن عاشور.

٦-أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للشنقيطي.

٧-العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير[(١)].

٨-تفسير الشعراوي (الخواطر).

٩-تفسير ابن عثيمين.

١٠-أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، لأبي بكر الجزائري.

واخترت هذه الكتب لعدة أسباب، منها:

١-أنها من أشهر التفاسير في العصر الحديث.

٢-سلامة مناهج مؤلفيها في الغالب، وحرصهم علىٰ حمل الآية علىٰ ما ورد في المأثور -حتىٰ عند عدم استدلالهم به-.

٣-تنوّع مناهجهم في التفسير.

وقد بيّنت مقدار استدلال هؤلاء المفسرين بالتفسير النبوي في المبحث الأول،

---

(١) الرجوع إلىٰ كتاب العذب النمير يكون في المواضع التي لم يكن للشنقيطي في تفسيره كلام فيها، وعدد التفاسير النبوية التي وجدت في العذب النمير، ولم توجد في التفسير قليلة، إلا أنّي ذكرت العذب النمير هنا؛ لأنّ العدد المذكور في المبحث الأول عند الحديث عن الاستدلال بالتفسير عند الشنقيطي هو مجموع الكتابين، وإن كان الأساس هو التفسير.

ثمّ اخترت أكثرهم استدلالاً بالتفسير النبوي، وتحدّثت عن منهجهم في المبحثين الثاني والثالث، فكان الحديث عن منهجي القاسمي وابن عاشور في التعامل مع التفسير النبوي والاستدلال به.

أما خطوات العمل في البحث فكانت علىٰ النحو التالي:

١-ذكر عدد مرات استدلال المفسرين بالتفاسير النبوية التي أُجريت عليها الدراسة.

٢-تحليل النتائج التي تم الوصول إليها.

٣-ذكر ما تمّ استنباطه من منهجي القاسمي وابن عاشور في التعامل مع التفسير النبوي، مع ذكر قول للمفسر يدل علىٰ ذلك، وقد يُترك نقل قول المفسر -أحيانًا-؛ لكون الكلام يتضح من بقية الأقوال المنقولة عنه في نقاط أخرىٰ.

٤-عزو الآيات القرآنية الواردة في البحث إلىٰ سورها، مع ذكر رقم الآية، والاكتفاء بالعزو في أول ذكر للآية إذا تكررت الآية في الموضع نفسه، وجعلها بين هذين القوسين ﴿ ﴾، مع الالتزام برسم المصحف العثماني، ويكون العزو في المتن عقب ذكر الآية مباشرة بين هذين المعقوفين[ ]؛ تفاديًا لإثقال الحواشي.

٥-تخريج الأحاديث والآثار من مصادرها المعتمدة، فإذا كان الحديث أو الأثر مخرّجًا في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت به، وإن لم يكن فيهما خرّجته من الكتب الستة، وإلا فمن بقية الكتب التسعة، وإن لم يكن فيها خرّجته من أقدم المصادر وأشهرها، مع ذكر الكتاب، والباب، والجزء، والصفحة، ورقم الحديث في كل ذلك-إن وُجدت-، وجعلت الأحاديث بين هذين القوسين « ».

٦-نقل أقوال النقّاد من المتقدمين أو المتأخرين في الحكم علىٰ الحديث، فإن لم أقف علىٰ من حكم عليه حكمت عليه اعتماداً علىٰ أقوال علماء الجرح والتعديل في رجال الإسناد.

٧-توثيق النصوص المنقولة من مصادرها الأصيلة.

٨-تذييل البحث بفهرس للمصادر والمراجع.

التمهيد
تحرير المراد بالتفسير النبوي

التفسير النبوي مركّب إضافي من كلمتيّ: (التفسير)، و(النبوي)، نسبة إلىٰ النبي ﷺ.

التفسير لغة:

تَفْسِير: علىٰ وزن: تَفْعِيل، من الفَسْر[1]، وأصل مادته اللغوية تدور علىٰ معنىٰ البيان والكشف والإيضاح. قال الجرجاني: "التَّفسير في الأصل: هو الكشف، والإظهار"[2] [3].

ومنه قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [سورة الفرقان:٣٣]، قال مجاهد: "بيانًا"[4]، وقال الضحاك: "تفصيلاً"[5].

التفسير اصطلاحًا:

عُرِّف التفسير بتعريفات كثيرة، وهذه التعريفات تتفق علىٰ أنّ التفسير هو بيان القرآن الكريم، وهذا المعنىٰ مأخوذ من أصله اللغوي، ثمّ تفاوتت التعريفات في إدخال بعض القيود بناء علىٰ اختلاف نظر المُعرِّف لها[6].

---

(١) ممّا قيل في اشتقاق التفسير أيضًا: أنّه مأخوذ من مقلوب لفظه، فهو مقلوب من سَفَر، وهذا قول ضعيف؛ لأنّ الأصل في الاشتقاق عدم القلب، قال الآلوسي في روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني١/ ١٠٢: "والقول بأنّه مقلوب السَّفر ممّا لا يسفر له وجه".

والصواب-والله أعلم- ما قاله الراغب الأصفهاني في مقدمة جامع التفاسير ص٤٧: "الفَسْر والسَّفْر يتقارب معناهما كتقارب لفظيهما".

(٢) التعريفات:ص٥٧.

(٣) ينظر أيضًا: العين:٧/ ٢٤٧، مادة(فسر)؛ تهذيب اللغة:١٢/ ٢٨٣-٢٨٤، مادة(فسر)؛ الصحاح:٢/ ٧٨١، مادة(فسر)؛ مقاييس اللغة:٤/ ٥٠٤، مادة(فسر)؛ لسان العرب:٥/ ٥٥، مادة(فسر).

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره:١٧/ ٤٤٨؛ وابن أبي حاتم في تفسيره:٨/ ٢٦٩٢، ح(١٥١٤٣).

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره:١٧/ ٤٨٨.

(٦) ممّن عرّفه من العلماء: الثعلبي في تفسيره:١/ ٨٧؛ وابن جزي في تفسيره:١/ ٩-١٠؛ وأبو حيان في تفسيره:١/ ١٢١؛ والزركشي في البرهان في علوم القرآن:١/ ٢٧، ٢/ ٩٦؛ والزرقاني في مناهل العرفان =

والضابط في ذلك: أنّ ما كان فيه بيان للمعنىٰ فهو من التفسير، وما ليس له أثر في البيان فهو خارج عنه، قال الشاطبي: "علم التفسير مطلوب فيما يتوقف عليه فهم المراد من الخطاب، فإذا كان المراد معلوماً فالزيادة علىٰ ذلك تكلف"[1].

وبذلك يُمكن القول إنّ التفسير اصطلاحًا هو: بيان معاني القرآن الكريم[2].

فهذا التعريف هو الذي اتفق عليه كلّ من عرّف هذا العلم، وهو الذي دلّ عليه الواقع العملي عند السلف، حيث كانوا يقتصرون علىٰ بيان المعنىٰ دون استطراد بذكر أمور لا علاقة لها بالبيان، وهو الذي دلّت عليه أيضًا تطبيقات المفسرين وذلك بحرصهم أولاً علىٰ بيان المعنىٰ، ثمّ ذكر ما يتعلق بالآية حسب ما يتميّز به كلّ مفسّر.

تعريف التفسير النبوي:

لم يصرّح المتقدمون من العلماء بوضع حدّ له، ولم يستخدموه كمصطلح مستقل -مع كثرة احتجاجهم واستدلالهم به-.

وممّن صرّح ببيان المراد بالتفسير النبوي من المتأخرين:

١-الدكتور مساعد الطيار، وعرّفه بأنّه: "كل قول أو فعل صدر عن النبي ﷺ صريحًا في إرادة التفسير"[3][4].

ويُؤخذ علىٰ هذا التعريف أنّه أخرج التقرير النبوي، مع أنّ التقرير الصادر من النبي ﷺ يُضاف إليه كالقول والفعل[5].

=
في علوم القرآن: ٢/ ٧.

(١) الموافقات: ١/ ٥٧.

(٢) ممّن عرّف التفسير بهذا التعريف: العثيمين في أصول في التفسير ص٢٣ قال: "وفي الاصطلاح: بيان معاني القرآن الكريم".

(٣) مقالات في علوم القرآن وأصول التفسير: ١/ ١٨١.

(٤) تابعه علىٰ هذا التعريف الدكتور ناصر الصائغ في رسالته العلمية: الترجيح بالسنّة عند المفسرين (جمعًا ودراسة): ١/ ٣٠.

(٥) ينظر: التفسير النبوي (مقدمة تأصيلية مع دراسة حديثية لأحاديث التفسير النبوي الصريح): ١/ ٥٥.

وعرّفه في موضع آخر، فقال: "أن يعمد النبي ﷺ إلىٰ آية يذكرها في كلامه أو يشير إليها، ثمّ يبيّن معناها، أو يقرّ أحد أصحابه علىٰ فهمه لها"[1].

ويُؤخذ علىٰ هذا التعريف أنّه حصر التفسير النبوي علىٰ ما ورد ابتداء من النبي ﷺ، ولم يُدخل فيه ما كان جوابًا علىٰ سؤالات الصحابة ﷺ واستشكالاتهم.

٢-الدكتور خالد الباتلي، وعرّفه بأنّه: "ما ورد عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير في بيان معاني القرآن"[2].

ويُؤخذ علىٰ هذا التعريف أنّه لم يتقيّد بالتفسير الصريح عن النبي ﷺ، وإنّما أدخل فيه ما يفيد عن النبي ﷺ في معنىٰ الآية، وإن لم يكن صريحًا في التفسير، وممّا يدلّ علىٰ أنّه أراد من هذا التعريف عدم التقيّد بالتفسير الصريح ما جاء في تعقيبه علىٰ تعريف الدكتور مساعد الطيار، قال: "ويُؤخذ علىٰ هذا التعريف أمران:...تقييده بالصريح، ومفهومه أنّ ما جاء عن النبي ﷺ وأفاد في تفسير القرآن علىٰ وجه غير صريح فليس من التفسير النبوي، وفيه نظر"[3].

والذي يظهر -والله أعلم- أنَّ التفسير النبوي هو كل قول أو فعل أو تقرير صدر عن النبي ﷺ صريحًا في إرادة التفسير.

وأكثر ما ورد عن النبي ﷺ في ذلك التفاسير القولية الصريحة، ثمّ الفعلية، ثمّ التقريرية.

وهذا لا يعني أنّ الاستفادة من السنة في التفسير تُقصر علىٰ ما ورد صريحًا عن النبي ﷺ، فإن الاستفادة من السنة في التفسير قد تكون بـ:

١-البيان المباشر لمعاني الآيات[4].

---

(١) التحرير في أصول التفسير: ص٦٣.

(٢) التفسير النبوي: ١/ ٥٥.

(٣) التفسير النبوي: ١/ ٥٥.

(٤) الأمثلة التي ورد ذكرها في البحث، والمناهج التي تمّ الحديث عنها تدخل في هذا النوع دون غيره، فهي تفاسير نبوية صريحة وردت عن النبي ﷺ.

٢-الربط بين الآية والحديث عند وجود صلة بينهما، كتشابههما في الألفاظ أو المعاني أو الموضوعات، وهذا التشابه بينهما يفيد في التفسير، وإن لم يكن الحديث تفسيراً مباشراً للآية، وهو ما يُعرف بالتفسير بالسنة.

ومن الأمثلة عليه:

استدلال بعض المفسرين في تفسير قوله تعالى: ﴿فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قِبَلَكَ مُهۡطِعِينَ ۝٣٦ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ﴾ [سورة المعارج:٣٦-٣٧]، بما جاء عن جابر بن سمرة ﵁، قال: خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: «ما لي أراكم رافعي أيديكم كأنّها أذناب خيلٍ شُمْس[1]؟ اسكنوا في الصلاة» قال: ثمّ خرج علينا فرآنا حلقاً فقال: «مالي أراكم عزين؟» قال: ثّم خرج علينا فقال: «ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها؟» فقلنا يا رسول الله، وكيف تصف الملائكة عند ربها؟ قال: «يتمون الصفوف الأول ويتراصون في الصف»[2].

ومن ذلك قول الطبري: "وقوله: ﴿عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ﴾ يقول: عن يمينك يا محمد، وعن شمالك متفرقين حلقاً ومجالس، جماعة جماعة، معرضين عنك وعن كتاب الله...عن جابر بن سمرة، قال: دخل علينا رسول الله ﷺ ونحن متفرّقون، فقال: «مالكم عزين؟»"[3].

٣-عموم سنته ﷺ -وإن لم تكن تفسيراً مباشراً-، إلا أنّها بعمومها تفيد في تفسير القرآن؛ لأنّ سنته ﷺ هي التطبيق العملي لما ذُكر في القرآن، وقد أقرّت بذلك أم المؤمنين عائشة ﵂ حين سُئلت عن خُلق النبي ﷺ، فقالت: "إنّ خُلق النبي ﷺ كان

(١) شُمْس: جمع شُمُوس، وهو الذي لا يكاد يستقرّ من الدوابّ؛ لشَغَبِه وحِدَّتِه. ينظر: غريب الحديث، لابن الجوزي:١/ ٥٦١، مادة(شمس)؛ النهاية في غريب الحديث والأثر:٢/ ٥٠١، مادة(شمس).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب: الصلاة، باب: الأمر بالسكون في الصلاة، والنهي عن الإشارة باليد، ورفعها عند السلام، وإتمام الصفوف الأول، والتراص فيها والأمر بالاجتماع، ١/ ٣٢٢، ح(٤٣٠).

(٣) جامع البيان:٢٣/ ٢٧٨، ٢٨٠.

القرآن"[1]، فكان ﷺ يمتثل أوامر القرآن، ويجتنب نواهيه، ويتحلّىٰ بآدابه، ويبيّن للناس ما نزل إليهم بقوله وفعله وإقراره، فهو الأسوة الحسنة للمسلمين، كما قال تعالىٰ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ﴾ [سورة الأحزاب:٢١].

* * *

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: جامع صلاة الليل ومن نام عنه أو مرض، ١/ ٥١٢،ح(٧٤٦).

المبحث الأول
الاستدلال بالتفسير النبوي عند المفسرين في العصر الحديث

حرص المفسرون من السلف والخلف علىٰ الاستدلال بالتفسير النبوي في تفسيرهم لآيات القرآن الكريم، إلا أنّ استدلالهم به لم يكن علىٰ درجة واحدة؛ لذا أردت أن أسلط الضوء في هذا المبحث علىٰ تفاوت نسب استدلال المفسرين بالتفسير النبوي في العصر الحديث، من خلال عرض عدد مرات استدلال كل مفسر بالتفاسير النبوية التي أُجريت عليها الدراسة، مع بيان درجتها من الصحة والضعف، والنوع الذي تندرج تحته.

وقد بلغ عدد التفاسير النبوية التي أُجريت عليها الدراسة ١٥٢ تفسيراً نبوياً، منها ٨٦ في آيات مكية، و٦٦ في آيات مدنية.

وهذه التفاسير النبوية متفاوتة في درجاتها، فمنها الصحيح، وقد بلغ عدده ٤٩ تفسيراً نبوياً، ومنها الحسن، وقد بلغ عدده ٧ تفاسير نبوية، ومنها الضعيف، وقد بلغ عدده ٩٥ تفسيراً نبوياً، ورواية واحدة موضوعة.

وهي متنوعة أيضاً في مضمونها، فمنها ما يتعلق ببيان المعنىٰ دون غيره، وقد بلغ عدده ١٠٣ تفسيراً نبوياً، ومنها ما يتعلق بالبيان وإثبات حكم فقهي، وقد بلغ عدده ١٧ تفسيراً نبوياً، ومنها ما يتعلق بالبيان وإثبات حكم عقدي، أو أمر غيبي، وقد بلغ عدده ٣٢ تفسيراً نبوياً.

واستدل المفسرون بـ٨١ تفسيراً نبوياً من مجموع هذه التفاسير المذكورة، وتركوا الاستدلال بها في ٧١ موضعاً.

وسأذكر بداية تفصيل استدلال كل مفسر بالتفسير النبوي، ثمّ أعلق علىٰ ذلك.

م	المفسر	عدد مرات الاستدلال مِن (١٥٢)	درجة الصحة والضعف في التفاسير النبوية		نوعها		المكي والمدني	
١.	القاسمي	٣٧	صحيحة	٢٤	بيان المعنىٰ	١٧	المكي	١٧
			حسنة	٢	البيان الفقهي	٩	المدني	٢٠
			ضعيفة	١١	البيان لأمر عقدي أو غيبي	١١		
٢.	محمد رشيد رضا	٢٧	صحيحة	١٤	بيان المعنىٰ	١٣	المكي	٨
			حسنة	٣	البيان الفقهي	١٠	المدني	١٩
			ضعيفة	١٠	البيان لأمر عقدي أو غيبي	٤		
٣.	السعدي	٧	صحيحة	٧	بيان المعنىٰ	٢	المكي	٢
					البيان الفقهي	١	المدني	٥
					البيان لأمر عقدي أو غيبي	٤		
٤.	سيد قطب	١٥	صحيحة	١٠	بيان المعنىٰ	٦	المكي	٨
			ضعيفة	٥	البيان الفقهي	٤	المدني	٧
					البيان لأمر عقدي أو غيبي	٥		

م	المفسر	عدد مرات الاستدلال مِن (١٥٢)	درجة الصحة والضعف في التفاسير النبوية		نوعها		المكي والمدني	
٥.	ابن عاشور	٥١	صحيحة	٣٠	بيان المعنىٰ	٢٩	المكي	٢٨
			حسنة	٤	البيان الفقهي	٥		
			ضعيفة	١٧	البيان لأمر عقدي أو غيبي	١٧	المدني	٢٣
٦.	الشنقيطي	٢٤	صحيحة	١٢	بيان المعنىٰ	١٠	المكي	١٤
			حسنة	٢	البيان الفقهي	٤		
			ضعيفة	١٠	البيان لأمر عقدي أو غيبي	١٠	المدني	١٠
٧.	الشعراوي	١٧	صحيحة	١٣	بيان المعنىٰ	٦	المكي	٥
			حسنة	١	البيان الفقهي	٥		
			ضعيفة	٣	البيان لأمر عقدي أو غيبي	٦	المدني	١٢
٨.	ابن عثيمين	٢	صحيحة	١	بيان المعنىٰ	١	المكي	١
			ضعيفة	١	البيان الفقهي	١	المدني	١
٩.	أبو بكر الجزائري	٧	صحيحة	٥	بيان المعنىٰ	٤	المكي	٢
			ضعيفة	٢	البيان الفقهي	١	المدني	٥
					البيان لأمر عقدي أو غيبي	٢		

من خلال ما سبق يتضح ما يلي:

١-بلغ عدد التفاسير النبوية التي استدل بها المفسرون ١٨٧ تفسيراً نبوياً في مجموع التفاسير التي أُجريت عليها الدراسة.

٢-قلة استدلال المفسرين في العصر الحديث بالتفسير النبوي، فقد بلغ مجموع التفاسير النبوية التي أجريت عليها الدراسة ١٥٢ تفسيراً نبوياً، وعدد المفسرين ٩ مفسرين، واستدل هؤلاء بالتفسير النبوي في ١٨٧ موضعاً، مما يعني أنّ نسبة استدلالهم بالتفسير النبوي ١٣.٦٪، وهي نسبة ضئيلة جداً، خاصة إذا ما قُورنت هذه النسبة مع استدلالات المتقدمين بالتفسير النبوي.

وتفصيل نسب استدلال هؤلاء المفسرين بالتفسير النبوي علىٰ النحو التالي:

١-ابن عاشور: ٣٣.٥٪.

٢-القاسمي: ٢٤.٣٪.

٣-محمد رشيد رضا: ١٧.٧٪.

٤-الشنقيطي: ١٥.٨٪.

٥-الشعراوي: ١١.٢٪.

٦-سيد قطب: ٩.٨٪.

٧-السعدي: ٤.٦٪.

٨-أبو بكر الجزائري: ٤.٦٪.

٩-ابن عثيمين: ١.٣٪.

٣-يعد ابن عاشور من أكثر المفسرين استدلالاً بالتفسير النبوي في العصر الحديث، يليه القاسمي.

ومن الملاحظ في هذا الترتيب أنّ تفاوت المفسرين في الاستدلال بالتفاسير النبوية يعود أولاً إلىٰ طبيعة تفاسيرهم، فكلما كان التفسير مختصراً مجملاً كان أقل استدلالاً بالتفسير النبوي، وأكثر حرصاً علىٰ انتقاء التفاسير النبوية الصحيحة دون غيرها، أمّا التفاسير التي تتوسع في بيان معنىٰ الآية فإنّها تذكر تبعاً لذلك ما يؤيد المعنىٰ من أحاديث وتفاسير نبوية، ولا تتقيد بالصحيح -غالباً-، وإنما تقدمه علىٰ

غيره، وينبغي التنبيه أيضـًا إلىٰ أنّ قلة استدلال بعض المفسرين بالتفسير النبوي يعود إلىٰ عدم تفسيره لجميع سور القرآن الكريم.

٤-لم يقتصر استدلال المفسرين علىٰ التفاسير النبوية الصحيحة، بل شمل الحسنة والضعيفة -أيضـًا-، إلا أنّ استدلالهم بالصحيح كان أكثر من غيره، فقد بلغ عدد الصحيح منها ١١٦ تفسيراً نبويـًا بنسبة ٦٢٪، و١٢ تفسيراً نبويـًا حسنـًا، بنسبة ٦٫٥٠٪، بينما كان عدد الضعيف ٥٩ تفسيراً نبويـًا، بنسبة ٣١٫٥٠٪.

وبالمقارنة مع العدد الكلي للتفاسير النبوية التي أُجريت عليها الدراسة نجد أنّ التفاسير النبوية الضعيفة أكثر من الصحيحة، إلا أنّ استدلال المفسرين بالصحيح كان أكثر من استدلالهم بالضعيف، مما يدل علىٰ حرصهم علىٰ التفسير بالحديث الصحيح، وعدم مخالفته.

٥-تنوّعَت استدلالات المفسرين بالتفاسير النبوية بناء علىٰ تنوع مضامينها، فلم تقتصر علىٰ نوع دون الآخر، وقد فاق استدلالهم بالتفاسير النبوية المتعلقة ببيان المعنىٰ دون غيره الأنواع الأخرىٰ، حيث استدلوا بها في ٨٨ موضعـًا في تفاسيرهم، مما يعني أنّها شكلت نسبة ٤٧٪ من مجموع استدلالهم بالتفاسير النبوية.

يلي ذلك التفاسير النبوية المتعلقة بحكم عقدي أو أمر غيبي، فقد استدلوا بها في ٥٩ موضعـًا في تفاسيرهم، مما يعني أنها شكلت نسبة ٣١٫٦٪ من مجموع استدلاهم بالتفاسير النبوية.

يلي ذلك التفاسير النبوية المتعلقة بأمر فقهي، فقد استدلوا بها في ٤٠ موضعـًا في تفاسيرهم، ممّا يعني أنها شكلت نسبة ٢١٫٤٪ من مجموع استدلالهم بالتفاسير النبوية.

وهذا التفاوت في القلة والكثرة راجع في الأصل إلىٰ تفاوت ورودها عن النبي ﷺ، فبالمقارنة مع العدد الكلي للتفاسير النبوية التي أُجريت عليها الدراسة نجد أنّ التفاسير التي اختصت ببيان المعنىٰ تُشكِّل العدد الأكبر في التفاسير النبوية، يليها المتعلقة بأمور عقدية غيبية، يليها المتعلقة بأمور فقهية، وهذا ما ظهر في استدلال المفسرين بالتفسير النبوي.

ومن الأمثلة على التفاسير النبوية المتعلقة ببيان المعنى دون غيره: ما جاء عن النبي ﷺ في تفسير قوله تعالى: ﴿لَّمَسۡجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقۡوَىٰ مِنۡ أَوَّلِ يَوۡمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِۚ﴾ [التوبة:١٠٨] عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، قال: مرّ بي عبد الرحمن بن أبي سعيد الخدري، قال: قلت له: كيف سمعت أباك يذكر في المسجد الذي أسس على التقوى؟ قال: قال أبي: دخلت على رسول الله ﷺ في بيت بعض نسائه، فقلت: يا رسول الله، أي المسجدين الذي أُسس على التقوى؟ قال: فأخذ كفًّا من حصباء، فضرب به الأرض، ثمّ قال: «هو مسجدكم هذا» -لمسجد المدينة-، قال فقلت: أشهد أنّي سمعت أباك هكذا يذكره[(١)].

فهذا التفسير النبوي جاء لبيان المعنى، ولم يتعلق بحكم فقهي، أو أمر عقدي، أو غيبي.

ومن الأمثلة على التفاسير النبوية التي تبيّن المعنى، وتثبت حكمًا عقديًا، أو أمراً غيبيًا: ما جاء عن مسروق قال: سألنا عبد الله -هو ابن مسعود ﷺ- عن هذه الآية: ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ﴾[آل عمران:١٦٩]، قال: أما إنّا قد سألنا عن ذلك، فقال: «أرواحهم في جوف طير خضر، لها قناديل معلقة بالعرش، تسرح من الجنة حيث شاءت، ثمّ تأوي إلى تلك القناديل، فاطلع إليهم ربهم اطلاعة، فقال: هل تشتهون شيئًا؟ قالوا: أي شيء نشتهي ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا؟ ففعل ذلك بهم ثلاث مرات، فلمّا رأوا أنّهم لن يتركوا من أن يسألوا، قالوا: يا رب نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى، فلمّا رأى أن ليس لهم حاجة تركوا»[(٢)].

فهذا التفسير النبوي بيّن معنى الآية، وأثبت أمراً غيبيًا يتعلق بحياة الشهداء.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب: الحج، باب: بيان أنّ المسجد الذي أسس على التقوى هو مسجد النبي ﷺ بالمدينة، ٢/ ١٠١٥، ح(١٣٩٨).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب: الإمارة، باب: بيان أنّ أرواح الشهداء في الجنة، وأنّهم أحياء عند ربهم يرزقون، ٣/ ١٥٠٢، ح(١٨٨٧). وهو حديث مرفوع، قال النووي في شرح مسلم١٣/ ٣١: "وهذا حديث مرفوع، لقوله: إنّا قد سألنا عن ذلك، فقال يعني: النبي ﷺ".

ومن الأمثلة علىٰ التفاسير النبوية التي تبين المعنىٰ، وتثبت حكماً فقهياً: ما جاء عن كعب بن عُجرَة ﷺ، قال: وقف علي رسول الله ﷺ بالحديبية، ورأسي يتهافت قملاً، فقال: «يؤذيك هوامك؟»، قلت: نعم، قال: «فاحلق رأسك» أو قال: «احلق»، قال: فيّ نزلت هذه الآية: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ﴾ [البقرة:١٩٦]، إلىٰ آخرها، فقال النبي ﷺ: «صم ثلاثة أيام، أو تصدق بفَرَق[١] بين ستة، أو انسك بما تيسر»[٢].

فهذا التفسير النبوي بيّن معنىٰ الآية، وأثبت حكماً فقهياً في بيان المراد بفدية المريض الذي لم يُتِّم الحج والعمرة.

٦-استدل المفسرون بـ ٨٥ تفسيراً نبوياً في آيات مكية، بنسبة ٤٥٪، و١٠٢ تفسيراً نبوياً في آيات مدنية، بنسبة ٥٤٪.

وبالمقارنة مع العدد الكلي للتفاسير النبوية التي أُجريت عليها الدراسة نجد أنّ ما جاء منها في الآيات المكية كان أكثر مما جاء في الآيات المدنية، إلا أنّ استدلال المفسرين بما ورد في الآيات المدنية كان أكثر من استدلاهم بما ورد في الآيات المكية.

ولعل هذا راجع إلىٰ أنّ بعض التفاسير التي تمّ الجمع منها غير مكتملة، فقد كانت تفسيراً لأجزاء معيّنة من القرآن، وغالب ما تُرك من تفسيرها كان في السور المكية.

٧-أكثر التفاسير النبوية التي استدل بها المفسرون، هي:

أ- ما جاء عن كعب بن عجرة ﷺ، قال: وقف علي رسول الله ﷺ بالحديبية، ورأسي يتهافت قملاً، فقال: «يؤذيك هوامك؟»، قلت: نعم، قال: «فاحلق رأسك»

(١) الفَرَق: بالتحريك مكيال معروف بالمدينة، وهو ستة عشر رطلاً، وهو اثنا عشر مُدّاً، أو ثلاثة آصع عند أهل الحجاز. ينظر: الصحاح:٤/ ١٥٤٠، مادة(فرق)؛ النهاية في غريب الحديث والأثر:٣/ ٤٣٧.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب: المحصر، باب: قوله تعالىٰ: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾، ص٢٤١، ح(١٨١٤)، وباب: قوله تعالىٰ: ﴿أَوْ صَدَقَةٍ﴾، وهي إطعام ستة مساكين، ص٢٤١-٢٤٢، ح(١٨١٥)، وباب: الإطعام في الفدية نصف صاع، ص٢٤٢، ح(١٨١٦)، وباب: النسك شاة، ص٢٤٢، ح(١٨١٧)؛ ومسلم في صحيحه: كتاب: الحج، باب: جواز حلق الرأس للمحرم إذا كان به أذىٰ، ووجوب الفدية لحلقه، وبيان قدرها، ٢/ ٨٥٩-٨٦٢، ح(١٢٠١).

أو قال: «احلق»، قال: فيّ نزلت هذه الآية: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ﴾ [سورة البقرة:١٩٦]، إلىٰ آخرها، فقال النبي ﷺ: «صم ثلاثة أيام، أو تصدق بفَرَق بين ستة، أو انسك بما تيسر»(١).

فقد استدل بهذا التفسير النبوي ستة من المفسرين الذين أُجريت عليهم الدراسة، وهم: القاسمي، ومحمد رشيد رضا، وسيد قطب، وابن عاشور، والشعراوي، وابن عثيمين(٢).

ويظهر-والله أعلم-أن حرص المفسرين علىٰ الاستدلال بهذا التفسير النبوي يعود إلىٰ أنّه جاء بيانـًا لما أُجمل في الآية، وهو بيان لحكم فقهي، ولا سبيل إلىٰ بيان المراد إلا بهذا التفسير النبوي، وهو تفسير نبوي صحيح، اتفق عليه الشيخان.

ب-ما جاء عن عبادة بن الصامت ﵁، في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿أَوْ يَجْعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾ [النساء:١٥]، قال: قال رسول الله ﷺ: «خذوا عني، خذوا عني، قد جعل الله لهن سبيلاً، البكر بالبكر جلد مائة ونفي سنة، والثيب بالثيب جلد مائة، والرجم»(٣).

وهذا التفسير استدل به ستة من المفسرين، وهم: القاسمي، ومحمد رشيد رضا، وسيد قطب، وابن عاشور، والشنقيطي، والشعراوي(٤)، وهو تفسير نبوي صحيح جاء بيانـًا لحكم فقهي أُجمل في الآية.

ج-ما جاء عن عقبة بن عامر ﵁، قال: سمعت رسول الله ﷺ وهو علىٰ المنبر، يقول: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال:٦٠] «ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي»(٥).

---

(١) سبق تخريجه: ص٤٠٤.

(٢) محاسن التأويل:٢/ ٦٦؛ تفسير المنار:٢/ ١٧٨؛ في ظلال القرآن:١/ ١٩٥؛ التحرير والتنوير:٢/ ٢٢٥؛ تفسير الشعراوي:٢/ ٨٤٠؛ تفسير العثيمين:٢/ ٣٣٠.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب: الحدود، باب: حد الزنا، ٣/ ١٣١٦، ح(١٦٩٠).

(٤) محاسن التأويل:٣/ ٤٨؛ تفسير المنار:٤/ ٣٥٧؛ في ظلال القرآن:١/ ٥٩٩؛ التحرير والتنوير:٤/ ٢٧٤؛ أضواء البيان:١/ ٢٢٩؛ تفسير الشعراوي:٤/ ٢٠٥٩.

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب: الإمارة، باب: فضل الرمي والحث عليه، وذمّ من علمه ثم نسيه، =

وهـذا التفسـير اسـتدل بـه سـتة مـن المفسـرين، وهـم: محمـد رشـيد رضـا، والسعدي، وابـن عاشـور، والشـنقيطي، والشعراوي، وأبـو بكـر الجزائـري[١]، وهـو تفسير نبوي صحيح.

أمّا التفاسير النبوية التي لم يستدل بها أحد من المفسرين، والتي بلغ عـددها ٧١ تفسيراً نبويـاً فأغلبها ضعيفة، ولا تتعلق ببيان حكم عقدي أو فقهي، وإنّما هي بيـان للمعنىٰ، وهـذا المعنىٰ يُمكـن الوصـول إليـه دون ذكـر التفسـير النبـوي؛ لوضـوحه وموافقته ظاهر الآيـة، وغالبـاً مـا تكـون هـذه التفاسـير النبويـة غيـر مخرّجـه في كتـب الحديث والتفسير المشهورة، وبذلك يُمكن القول: إنّ عدم اسـتدلال المفسـرين بهـا يعود إمّا إلىٰ ضعفها، أو عدم علمهم بها.

ومن التفاسير النبوية التي لم يستدل بها أحد من هؤلاء المفسـرين، مـا جـاء عـن أبـي سـعيد الخـدري ﷺ، عـن النبـي ﷺ في قولـه تعـالىٰ: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ [الحجر:٧٥]، قال: «للمتفرسين»[٢].

وهذا التفسير النبوي ظاهر المعنـىٰ، موافـق للغـة، كمـا أنـه لا يترتـب عليـه بيـان حكم عقدي أو فقهي، وهو تفسير نبوي ضعيف.

وسيكون الحديث في المبحثين الثاني والثالث عن منهج أكثر المفسرين استدلالاً بالتفسير النبوي في العصر الحديث، وهما: القاسمي وابن عاشور.

❊ ❊ ❊

=
٣/ ١٥٢٢، ح(١٩١٧).

(١) تفسـير المنـار:١٠/ ٥٣؛ تيسـير الكـريم الـرحمن:ص٣٢٤؛ التحريـر والتنـوير:١٠/ ٥٥؛ العـذب النمير:٥/ ١٥٦؛ تفسير الشعراوي:٨/ ٤٧٧٧؛ أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير:٢/ ٣٢٣.

(٢) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء:١٠/ ٢٨١؛ والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد:٤/ ٣١٣، ح(٩٩٤)، وإسناده ضعيف؛ لأن فيه محمد بن كثير القرشي. تنظر ترجمته في: الجرح والتعديل:٨/ ٦٨-٦٩؛ الكامل في ضعفاء الرجال:٧/ ٤٩٨-٤٩٩.

المبحث الثاني
منهج القاسمي في التعامل مع التفسير النبوي، والاستدلال به

يعد تفسير محاسن التأويل لمؤلفه محمد جمال الدين القاسمي من أشهر التفاسير في العصر الحديث، ألفه في فترة شبابه عام ١٣١٦هـ، حين كان عمره ٣٣ سنة.

وقد افتتح تفسيره بمقدمة مهمة عنونها بـ: تمهيد خطير في قواعد التفسير، وضمّنها أموراً كثيرة منها: أسباب النزول، والناسخ والمنسوخ، والاستشهاد بالإسرائيليات، وغيرها.

وعُرف القاسمي بكثرة نقله عن المتقدمين من المفسرين والفقهاء وغيرهم، إلا أنَّ نقله كان عن معرفة وعلم.

وكان للقاسمي عناية بتفسير القرآن بالقرآن وبالسنة وبأقوال الصحابة والتابعين، كما كانت له عناية بالنواحي اللغوية والبلاغية، والقراءات الواردة في الآية، وعنايته بالتفسير النبوي ظاهرة، حيث كان يحرص على ذكره، وتقديمه على غيره؛ لأنّ قوله ﷺ -إذا ثبت- لا يُعارض بغيره، وقد أقر بذلك حين قال في تعليقه على أحد التفاسير النبوية: "فإن ما قال رسول الله ﷺ لا يُعارض بقول غيره، وهو لا يقول إلا الحق"[(١)].

ومما يدل على عنايته بالسنة في تفسير القرآن أنه ضمّن مقدمة تفسيره عدة فصول تتحدث عن السنة النبوية، وأهميتها في التفسير، ومنها: مدخل السنة في تبيين الكتاب، ورتبة السنة التأخر عن الكتاب، وأنها تفصيل مجمله، وقاضية عليه[(٢)].

ونَقَل هذه الفصول عن الشاطبي في الموافقات كما هي عادته في مواضع كثيرة من تفسيره، حيث كان يُكثر من النقل عن العلماء، وجرياً على هذه العادة فقد أكثر من نقل الأحاديث، فكان يذكر الأحاديث التي تتعلق بتفسير الآية أحياناً، ويسهب في ذكر بعض الأحاديث التي لا صلة لها بموضوع الآية في أحيان أخرى، فقلّ أن

(١) محاسن التأويل:٩/ ٥٧٥.
(٢) محاسن التأويل:١/ ٩١، ١٠٥.

تخلو صفحات تفسيره من ذكر حديث عن النبي ﷺ، سواء أتعلق بموضوع الآية أم لا، "وترجع هذه الميزة التي امتاز بها القاسمي إلىٰ معرفته بالحديث، وطول باعه في علومه، فالقاسمي إن أردنا تحديد تخصصه والعلم الذي برع فيه فنقول هو علم الحديث"[1].

وقبل الحديث عن منهج القاسمي في التفسير النبوي أذكر تفصيلاً لعدد التفاسير النبوية التي استدل بها، والتي ترك الاستدلال بها، مع بيان درجتها من الصحة[2].

م	درجة التفسير النبوي	طريقة تعامل المفسر مع التفسير النبوي	عدد التفاسير النبوية
١	صحيح	استدل به، وحمل معنىٰ الآية عليه	٢٣
٢	صحيح	استدل به، وخالفه	١
٣	صحيح	لم يستدل به، وفسر الآية بمثله	٧
٤	صحيح	لم يستدل به، وفسر الآية بالعموم	١٤
٥	صحيح	لم يستدل به، وخالفه	٤
٦	حسن	استدل به، وحمل معنىٰ الآية عليه	٢
٧	حسن	لم يستدل به، وفسر الآية بمثله	١
٨	حسن	لم يستدل به، وفسر الآية بالعموم	٤
٩	ضعيف	استدل به، وفسر الآية بمثله	٣
١٠	ضعيف	استدل به، وفسر الآية بالعموم	٧
١١	ضعيف	استدل به، وخالفه	١
١٢	ضعيف	لم يستدل به، وفسر الآية بمثله	٢٠

(١) منهج القاسمي في تفسيره محاسن التأويل (دراسة تحليلية ونقدية)، لعبد الرحمن الجمل، بحث منشور في مجلة الجامعة الإسلامية، المجلد الحادي عشر، العدد الأول، ص١١٢.

(٢) هذه الإحصائية للتفاسير النبوية التي أجريت عليها الدراسة، والتي بلغ عددها ١٥٢ تفسيراً نبوياً، اختلفت أنواعها ودرجاتها من الصحة.

م	درجة التفسير النبوي	طريقة تعامل المفسر مع التفسير النبوي	عدد التفاسير النبوية
١٣	ضعيف	لم يستدل به، وفسر الآية بالعموم	٥٤
١٤	ضعيف	لم يستدل به، وخالفه	١٠
١٥	موضوع	لم يستدل به، وفسر الآية بالعموم	١

بناء علىٰ ما سبق تتضح عدة أمور أهمها:

١-حرص القاسمي علىٰ الاستدلال بالتفسير النبوي، والتفسير به-إذا صح-.

٢-قلة التفاسير النبوية التي استدل بها، سواء أكانت مقبولة أم ضعيفة، فقد بلغ مجموع التفاسير النبوية التي ذكرها ٣٧ حديثًا، منها ٢٦ حديثًا مقبولاً، و١١ حديثًا ضعيفًا، وهذا يدل أيضًا علىٰ أنّ استدلاله بالصحيح كان أكثر من استدلاله بالضعيف.

٣-لم يُخالف معنىٰ التفسير النبوي إلا في مواضع قليلة-سواء أستدل به أم لم يستدل-، وقد بلغ عدد هذه المواضع ١٦ موضعًا.

٤-حرصه علىٰ حمل الآية علىٰ عمومها، سواء أثبت عنده فيها تفسير نبوي أم لم يثبت.

ويُمكن الحديث عن منهج القاسمي في التعامل مع التفسير النبوي فيما يلي:

أولاً: منهجه العام في التعامل مع التفسير النبوي.

ويتمثل فيما يلي:

١-الحرص علىٰ ذكر التفاسير النبوية الواردة في الصحيحين.

٢-عزو التفاسير النبوية إلىٰ من أخرجها، ومن ذلك قوله في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ [آل عمران:١٦٩]، قال: "وأخرج مسلم عن مسروق قال: سألنا عبد الله عن هذه الآية: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ

قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ﴾، فقال: أما إنا قد سألنا عن ذلك، فقال..."[1][2].

٣-كثرة النقل عن المتقدمين -وسيأتي تفصيل ذلك-.

٤-عدم الاستطراد في ذكر طرق الأحاديث والتفاسير النبوية ونقدها، والاكتفاء بالإحالة إلىٰ أهمّ المصادر التي تفيد في مثل هذا، ومن ذلك قوله: "وقد بسط طرق هذا الحديث مع أحكام الخلع الإمام ابن كثير في تفسيره[3]، وكذا شمس الدين ابن القيم في زاد المعاد[4]، فلتنظر ثَمَّهْ"[5]، وقوله: "روىٰ الأئمة هاهنا آثاراً كثيرة، نأتي منها علىٰ جوامعها"[6].

٥-ترك الترجيح بالتفاسير النبوية، والتعليق عليها، ولعل هذا يعود إلىٰ منهجه الذي اعتمد فيه علىٰ النقل ممّن قبله، فترجيحاته بالتفاسير النبوية نقلَ أكثرها عن غيره من المفسرين.

٦-عدم تخصيص الآية بالتفسير النبوي الوارد فيها-إن أمكن حملها علىٰ العموم-، ومن ذلك قوله في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿أَوْ كِسْوَتُهُمْ﴾ [المائدة:٨٩]: "لم يبين في الآية حد الكسوة وصفتها، فالواجب حينئذ الحمل علىٰ ما ينطلق عليه اسمها...وروىٰ ابن مردويه عن عائشة عن رسول الله ﷺ في قوله تعالىٰ: ﴿أَوْ كِسْوَتُهُمْ﴾، قال: «عباءة لكل مسكين»[7]، قال ابن كثير: حديث غريب[8]، أقول: لا يخفىٰ الاحتياط والأخذ بالأكمل والأفضل في الإطعام والكسوة"[9].

---

(١) سبق ذكره وتخريجه: ص٤٠٣.
(٢) محاسن التأويل:٢/ ٤٥٦.
(٣) تفسير القرآن العظيم:١/ ٦١٥-٦١٨.
(٤) زاد المعاد:٥/ ١٧٤-١٧٥.
(٥) محاسن التأويل:٢/ ١٣٨.
(٦) محاسن التأويل:٥/ ٣٤٩.
(٧) أخرجه ابن مردويه-كما في تفسير ابن كثير-:٣/ ١٧٦، وإسناده شديد الضعف؛ لأن فيه مقاتل بن سليمان، وهو متروك. تنظر ترجمته في: الجرح والتعديل: ٨/ ٤٥٤-٥٥؛ تهذيب الكمال في أسماء الرجال:٢٨/ ٤٣٤-٤٥١.
(٨) تفسير القرآن العظيم:٣/ ١٧٦.
(٩) محاسن التأويل:٤/ ٢٣٩.

وينقل أيضاً أقوال العلماء الدالة علىٰ تقديم العموم، ومن ذلك قوله في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا﴾ [الأنعام:١٥٩]: "وحمل بعضهم الآية علىٰ أهل البدع وأهل الشبهات وأهل الضلالة من هذه الأمة، وآخر علىٰ الخوارج، وأسندوا في ذلك حديثاً رفعوه[١]. قال ابن كثير: وإسناد ذلك لا يصح، ثم قال: والظاهر أن الآية عامة في كل من فارق دين الله وكان مخالفاً له[٢]"[٣].

ويُمكن القول إن القاسمي كان يميل في تفسيره إلىٰ العموم دون خوض في التفصيلات التي لا تُفيد في بيان المعنىٰ.

٧-عدم العناية بتحليل التفسير النبوي.

٨-عدم الاستناد علىٰ التفسير النبوي الضعيف في بيان الأمور الغيبية، والتوقف في تعيينها إذا لم يثبت دليل في ذلك، ومن ذلك قوله في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الزمر:٦٨]، قال: "وقال قتادة: قد استثنىٰ الله، والله أعلم إلىٰ ما صارت ثُنْيَتُه[٤]، وهذا هو الوجه؛ إذ لا يصار إلىٰ بيان المبهمات إلا بقاطع"[٥].

وقد ورد في هذه الآية تفسير نبوي، إلا أنّه لم يصح[٦].

٩-قلة الاستدلال بالأحاديث والتفاسير النبوية في السور المكية، والتي وقعت في نهاية المصحف في الترتيب، فقد قلّ استدلاله في هذه السور عن استدلاله في السور الواقعة في بداية المصحف.

---

(١) ويقصد بذلك حديث أبي أمامة ﷺ، عن النبي ﷺ في هذه الآية قال: «هم الخوارج». أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره:٥/ ١٣٢٩، ح(٨١٥٠)، وذكر ابن كثير –كما سيأتي–أن إسناده لا يصح.

(٢) تفسير القرآن العظيم:٣/ ٣٧٧.

(٣) محاسن التأويل:٤/ ٥٥١.

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره:٢٠/ ٢٥٨.

(٥) محاسن التأويل:٨/ ٢٩٦.

(٦) ورد في بعض الروايات أنّ المستثنىٰ هم الملائكة، وفي بعضها أنّهم الشهداء، وهذه الروايات أخرجها الطبري في تفسيره:٢٠/ ٢٥٤-٢٥٥، والحاكم في مستدركه: كتاب: التفسير، ٢/ ٢٥٣.

١٠-عدم الالتزام بطريقة واحدة في عرض التفسير النبوي، فيقدمه أحيانـًا، ويؤخره في بعض المواضع، وقد يؤجل ذكره إلىٰ المسائل والتنبيهات التي يختم بها تفسير الآية.

ثانيـًا: نقوله المتعلقة بالتفسير النبوي.

عُرف القاسمي -كما تقدّم- بكثرة نقوله عن المتقدمين، وبناء علىٰ ذلك فقد كان يُكثر من نقل ما يتعلق بالتفاسير النبوية من كتبهم، دون تحليل أو تعليق علىٰ ما نقله عنهم-غالبـًا-، إلا في مواضع قليلة فإنه يُعقّب علىٰ ما نقله، ومن ذلك قوله في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾ [الأعراف:٣١]، قال: "وقد روىٰ الحافظ ابن مردويه من حديث سعيد بن بشير والأوزاعي عن قتادة عن أنس مرفوعـًا: «أنها نزلت في الصلاة في النعال»[١]، وكذا أخرجه أبو الشيخ عنه، وعن أبي هريرة مثله، قال ابن كثير: وفي صحته نظر- والله أعلم-[٢]، قلت: لا نظر؛ لأن ذلك مما تشمله الزينة، وقد أسلفنا في المقدمة أن قولهم: نزلت في كذا لا يقصد به أن حكم الآية مخصوص به، بل مخصوصة بنوعه، فتعم ما أشبهه، فتذكّر، والأحاديث في مشروعية الصلاة في النعل كثيرة جداً"[٣].

فهنا نبّه القاسمي علىٰ أنّ معنىٰ الحديث صحيح، وإن كان في إسناده نظر، ولم يكتفِ بما ذكره، وإنّما أيّد التفسير النبوي بعدة أحاديث تؤكد صحة الصلاة بالنعال، وأيّده أيضـًا بقواعد التفسير.

وامتازت هذه النقول بعدة مزايا، أهمها:

١-الأمانة العلمية، فكان لا ينقل ممن سبقه إلا بعد العزو إليه.

٢-حُسن الانتقاء في النقل، فكان يذكر أبلغ عبارات العلماء في تحليل التفسير

---

(١) أخرجه العقيلي في الضعفاء الكبير:٣/ ١٤٢؛ وابن عساكر في تاريخ دمشق:٣٦/ ٣٦٢، ح(٧٣٦٦)، ٥١/ ١٨٥، ح(٦٠٢٧)، وذكر ابن كثير -كما سيأتي- أن في صحته نظر.

(٢) تفسير القرآن العظيم:٣/ ٤٠٥.

(٣) محاسن التأويل:٥/ ٣٩.

النبوي والتعليق عليه، ومن ذلك قوله في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾ [البقرة:١٩٦] بعد ذكر التفسير النبوي الوارد فيها[١]: "ولما كان لفظ القرآن في بيان الرخصة، جاء بالأسهل فالأسهل، ولما أمر النبي ﷺ كعب بن عجرة بذلك أرشده أولاً إلىٰ الأفضل فقال: «أما تجد شاة؟» فكلٌ حسنٌ في مقامه، ولله الحمد والمنّة أفاده ابن كثير[٢]"[٣] [٤].

ومن الأمور التي حرص علىٰ نقلها ممن سبقه من المفسرين:

١-نقل ما ورد عنهم في بيان أهمية التفسير النبوي، ومن ذلك قوله: "قال الشهاب: والأول هو تفسير النبي ﷺ، فينبغي الاقتصار عليه[٥]"[٦].

٢-نقل ترجيحهم بالتفاسير النبوية، ومن ذلك قوله في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ﴾ [الأنعام:٧٣]: "قال ابن كثير: والصحيح أن المراد بـ﴿ٱلصُّورِ﴾ القرن الذي ينفخ فيه إسرافيل عليه السلام[٧]، وهكذا قال ابن جرير: الصواب عندنا ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن إسرافيل قد التقم الصور،

---

(١) عن عبد الله بن معقل، قال: جلست إلىٰ كعب بن عجرة رضي الله عنه، فسألته عن الفدية، فقال: نزلت فيّ خاصة، وهي لكم عامة، حملت إلىٰ رسول الله ﷺ والقمل يتناثر علىٰ وجهي، فقال: «ما كنت أرىٰ الوجع بلغ بك ما أرىٰ - أو ما كنت أرىٰ الجهد بلغ بك ما أرىٰ - تجد شاة؟» فقلت: لا، فقال: «فصم ثلاثة أيام، أو أطعم ستة مساكين، لكل مسكين نصف صاع». سبق تخريجه: ص٤٠٤، وهذا اللفظ أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب: المحصر، باب: الإطعام في الفدية نصف صاع، ص٢٤٢، ح(١٨١٦).

(٢) تفسير القرآن العظيم:١/ ٥٣٦.

(٣) محاسن التأويل:٢/ ٦٦.

(٤) نبّه الدكتور عبد الرحمن الشهري في ملتقىٰ أهل التفسير علىٰ جودة نقولات القاسمي في تفسيره فقال: "وبدراسة أمثال هذه النقول الشافية نجد أنها لم تُسق جزافًا، وإنما خضعت لفحص وتأمل واستيعاب، ثم ترجيح واختيار، فالقارئ المتعجل يظن المفسر قد نقل ما أمامه دون جهد كبير، وهذا عمل قل من يحسنه كالقاسمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ".

ينظر: https://vb.tafsir.net/tafsir36/#.WgX5n2iCzIU

(٥) حاشية الشهاب علىٰ تفسير البيضاوي:٤/ ٣٢٠.

(٦) محاسن التأويل:٥/ ٣٩٥.

(٧) تفسير القرآن العظيم:٣/ ٢٨١.

وحنىٰ جبهته ينتظر متىٰ يؤمر فينفخ»[١]. وروىٰ الإمام أحمد عن عبد الله بن عمرو قال: إن أعرابياً سأل النبي ﷺ عن الصور، فقال: «قرن ينفخ فيه»[٢]، ورواه أبو داود والترمذي والحاكم عنه أيضاً[٣]"[٤].

وفي نقله لترجيحاتهم علىٰ التفاسير النبوية دون تعليق دلالة علىٰ موافقته لهم- والله أعلم-.

٣-نقل ما ورد عنهم من ردّ لبعض التفاسير النبوية، ومن ذلك قوله في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الأعراف:١٧٢]، قال: "وأما الأخبار المروية في إخراج الذرية من صلب آدم ﷺ، وتكليمه تعالىٰ إياهم ونطقهم، ثم إعادتهم إلىٰ صلب أبيهم، فغير صحيحة الإسناد، وما حسُن إسناده منها فغير صريح في ذلك، بل هو أقرب إلىٰ ألفاظ الآية، كما بينه الحافظ ابن كثير[٥]"[٦].

٤-نقل ما ورد عنهم من توفيق بين التفاسير النبوية وما يظهر تعارضه معها من الأحاديث الصحيحة، ومن ذلك قوله في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ﴾ [الأنعام:١٥٨]، قال: "ذهب الجمهور إلىٰ أن المراد بالبعض في الآية هو طلوع الشمس من مغربها، كما في حديث الصحيحين

(١) أخرجه الطبري في تفسيره:٩/ ٣٤٠، وهذا الحديث أخرجه أيضاً الترمذي في سننه: كتاب: صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ، باب: ما جاء في شأن الصور، ص٥٤٨، ح(٢٤٣١)، وقال: "حديث حسن"، وصححه الألباني.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده:١١/ ٥٣، ٤١٠، ح(٦٥٠٧-٦٨٠٥)، وقال محققو المسند: "إسناده صحيح، رجاله ثقات".

(٣) أخرجه أبو داود في سننه: كتاب: السنّة، باب: في ذكر البعث والصور، ص٨٥٧، ح(٤٧٣٩)؛ والترمذي في سننه: كتاب: صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ، باب: ما جاء في شأن الصور، ص٥٤٧، ح(٢٤٣٠)، وفي كتاب: التفسير، باب: ومن سورة الزمر، ص٧٣٣، ح(٣٢٤٤)، وقال: "حديث حسن"، وصححه الألباني؛ وأخرجه الحاكم في مستدركه: كتاب: التفسير، ٢/ ٤٣٦، ٥٠٦، وقال: "هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه"، ووافقه الذهبي.

(٤) محاسن التأويل:٤/ ٣٩٨.

(٥) تفسير القرآن العظيم:٣/ ٥٠٦.

(٦) محاسن التأويل:٥/ ٢١٨.

السابق[1]، ولا يقال يخالف ذلك حديث مسلم: «ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفساً إيمانها»، الحديث[2]. وفي ثبوت ذلك بخروج الدجال نظر؛ لأن نزول عيسىٰ عليه السلام بعده، وفي زمنه خير كثير دنيوي وأخروي، فالإيمان مقبول وقتئذ، لأنا نقول: لا منافاة؛ وذلك لأن البعض في الآية، إن كان عدة آيات فطلوع الشمس هو آخرها المتحقق به عدم القبول، وإن كان إحدىٰ آيات، فهو محمول علىٰ المُعَيَّن في الحديث؛ لأنه أعظمها، كذا في العناية[3]. قال ابن عطية: إذا أخبر النبي ﷺ بتخصيص مانع القبول بالطلوع، في الحديث الصحيح، لم يجز العدول عنه، وتعين أنه معنىٰ الآية، انتهىٰ[4]"[5].

٥-نقل ما ورد عنهم من الجمع بين ظاهر الآيات والأحاديث والآثار، ومن ذلك قوله في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ [الأحزاب:٣٣]: "قال ابن كثير: وهذا الاحتمال أرجح، جمعاً بين القرآن والأحاديث المتقدمة -إن صحت-، فإنَّ في بعض أسانيدها نظراً[6]"[7].

٦-نقل ما ورد عنهم في نقد أسانيد التفاسير النبوية، وبيان درجتها، ومن ذلك

(١) عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتىٰ تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون، وذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها»، ثم قرأ الآية. متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب: تفسير القرآن، باب: ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا﴾، ص٦٣٦، ح(٤٦٣٦)؛ ومسلم في صحيحه: كتاب: الإيمان، باب: الزمن الذي لا يُقبل فيه الإيمان، ١/ ١٣٧، ح(١٥٧).

(٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل، أو كسبت في إيمانها خيراً: طلوع الشمس من مغربها، والدجال، ودابة الأرض». أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب: الإيمان، باب: الزمن الذي لا يُقبل فيه الإيمان، ١/ ١٣٨، ح(١٥٨).

(٣) حاشية الشهاب، (عناية القاضي وكفاية الراضي علىٰ تفسير البيضاوي):٤/ ١٤١.

(٤) المحرر الوجيز:٣/ ٥٠٠-٥٠١.

(٥) محاسن التأويل:٤/ ٥٤٧.

(٦) تفسير القرآن العظيم:٦/ ٤١٥، وقد ذكر ابن كثير في هذه الآية عدة روايات بعضها يجعل أزواج النبي ﷺ من أهل بيته، وبعضها ينفي ذلك، ثمّ رجّح أنّ المراد بالأهل أزواج النبي ﷺ مع آله؛ جمعاً بين القرآن والروايات الواردة.

(٧) محاسن التأويل:٨/ ٦٩.

قوله في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿يَوۡمَ ٱلۡحَجِّ ٱلۡأَكۡبَرِ﴾ [التوبة:٣]، قال: "قال ابن القيم: ...وفي سنن أبي داود بأصح إسناد، أن رسول الله ﷺ، قال: «يوم الحج الأكبر يوم النحر»[1] [2]"[3].

ثالثًا: جوانب وردت في تعامله مع التفسير النبوي ولم تكن منهجًا عامًا في تفسيره.

لكل مفسر منهج يسير عليه في كتابه، إلا أن هناك بعض الأمور ترد في كتب المفسرين، ولا يُمكن اعتبارها منهجًا عامًّا للمفسر؛ لكون المفسر لا يلتزم بها في جميع مواضع كتابه أو جلّها، وهو المقصود هنا.

ويُمكن تقسيم ما ورد عنه في ذلك إلىٰ قسمين:

الأول: المواضع التي ترك فيها الاستدلال بالتفسير النبوي، وقدم غيره عليه، وتركُه للاستدلال به في هذه المواضع قد يعود إلىٰ عدم علمه به، أو إلىٰ ضعفه، أو غيرها من الأسباب.

الثاني: المواضع التي استدل فيها بالتفسير النبوي.

فمن الأول:

١-الاقتصار علىٰ ذكر الآثار الواردة عن الصحابة والتابعين في الآية، والتي فسرت الآية بمثل تفسير النبي ﷺ، دون الإشارة إلىٰ التفسير النبوي، ومن ذلك قوله في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿أُحِلَّ لَكُمۡ صَيۡدُ ٱلۡبَحۡرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعٗا لَّكُمۡ وَلِلسَّيَّارَةِۖ﴾ [سورة المائدة:٩٦]، قال: "والمشهور عنه-أي عن ابن عباس رضي الله عنهما- أن صيده ما أخذ منه حيًا، وطعامه ما لفظه ميتًا، قال ابن كثير: وهذا روي عن أبي بكر الصديق وزيد بن ثابت وعبد الله بن عمر وأبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه، وعن غير واحد

(١) أخرجه أبو داود في سننه: كتاب: المناسك، باب: يوم الحج الأكبر، ص٣٣٩، ح(١٩٤٥)؛ وابن ماجه في سننه: كتاب: المناسك، باب: الخطبة يوم النحر، ص٥١٧، ح(٣٠٥٨)، وصححه الألباني.

(٢) زاد المعاد:١/ ٥٥.

(٣) محاسن التأويل:٥/ ٣٤٨.

من التابعين"[1][2].

وقد ورد في الآية تفسير نبوي يبين المراد من قوله: ﴿وَطَعَامُهُۥ﴾[3]، إلا أنّ القاسمي اكتفىٰ بذكر أقوال السلف دون ذكر التفسير النبوي.

٢-الاكتفاء بشهرة التفسير النبوي عن التنصيص عليه، ومن ذلك قوله في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [سورة الفاتحة:٧]: "ثم إن المراد بالمغضوب عليهم والضالين كل من حاد عن جادة الإسلام من أي فرقة ونحلة، وتعيين بعض المفسرين فرقة منهم من باب تمثيل العام بأوضح أفراده وأشهرها، وهذا هو المراد بقول ابن أبي حاتم: لا أعلم بين المفسرين اختلافاً في أن المغضوب عليهم اليهود، والضالين النصارىٰ[4]"[5].

ومعلوم أنّ النبي ﷺ فسر ﴿ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ باليهود، و﴿ٱلضَّآلِّينَ﴾ بالنصارىٰ في حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه[6]، ولا يخفىٰ عليه مثل هذا التفسير النبوي، إلا أنّه عدل عن التصريح به، واكتفىٰ بالإشارة إلىٰ إجماع المفسرين علىٰ تفسير الآية بمثل تفسير النبي ﷺ، ثمّ نبّه إلىٰ أنّ الآية علىٰ عمومها، ولا تُقيّد بما ذُكر.

٣-تقديم الأحاديث الصحيحة غير الصريحة علىٰ التفاسير النبوية الضعيفة، بالاكتفاء بذكر الصحيح غير الصريح دون ذكر التفسير النبوي الضعيف، ومن ذلك ما جاء في تفسيره لقوله تعالىٰ: ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ [سورة الطلاق:٤] بعد نقله لكلام الطبري الدال علىٰ أن الآية عامة في المطلقات والمتوفىٰ

(١) تفسير القرآن العظيم:٣/ ١٩٧.

(٢) محاسن التأويل:٤/ ٢٥٤-٢٥٥.

(٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ﴾، قال: «طعامه: ما لفظه ميتاً فهو طعامه». أخرجه الطبري في تفسيره:٨/ ٧٣٥، وإسناده صحيح.

(٤) تفسير ابن أبي حاتم:١/ ٣١.

(٥) محاسن التأويل:١/ ٢٣٥.

(٦) أخرجه الترمذي في سننه: كتاب: تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ، باب: ومن سورة فاتحة الكتاب، ص٦٦١، ح(٢٩٥٣-٢٩٥٤)، وصححه الألباني.

عنهن[١]، قال: "وفي الصحيحين عن أم سلمة أن سبيعة الأسلمية وضعت بعد موت زوجها بأربعين ليلة، فخطبت، فأنكحها رسول الله ﷺ وكان أبو السنابل فيمن خطبها[٢]"[٣].

وقد ورد في الآية تفسير نبوي أخرجه الطبري يدل على أن الآية في المطلقات والمتوفى عنهن[٤]، إلا أن القاسمي اكتفى بذكر الصحيح دون الصريح الضعيف.

ويذكر -أحيانًا- التفسير النبوي مع غيره من الأحاديث غير الصريحة، ثمّ يقدم ما دلت عليه هذه الأحاديث على التفسير النبوي، ومن ذلك قوله في تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلسَّٰٓئِحُونَ﴾ [التوبة:١١٢]، قال: "ما قدمناه من تفسير السائحين بالصائمين، قال الزجاج: هو قول أهل التفسير واللغة جميعًا[٥]، ورواه الحاكم مرفوعًا، وكذا ابن جرير[٦]... قال ابن كثير: جاء ما يدل على أن السياحة الجهاد[٧]، فقد روى أبو داود من حديث أبي أمامة أن رجلاً قال: يا رسول الله، ائذن لي في

---

(١) جامع البيان:٢٣/ ٥٨.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب: التفسير، باب: سورة الطلاق، ص٦٩٨، ح(٤٩٠٩)، وفي كتاب: الطلاق، باب: ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾، ص٧٦٠، ح(٥٣١٨)؛ ومسلم في صحيحه: كتاب: الطلاق، باب: انتهاء عدة المتوفى عنها زوجها وغيرها بوضع الحمل، ٢/ ١١٢٢، ح(١٤٨٥).

(٣) محاسن التأويل:٩/ ٢٥٨.

(٤) عن أبيّ بن كعب ﷺ، قال: لمّا نزلت هذه الآية: ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾، قال: قلت: يا رسول الله، المتوفى عنها زوجها، والمطلقة؟ قال: «نعم». أخرجه الطبري في تفسيره:٢٣/ ٥٦، وإسناده ضعيف؛ لأن فيه ابن لهيعة. تنظر ترجمته في: المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين:٢/ ١١-١٤؛ تهذيب الكمال:١٥/ ٤٨٧-٥٠٣.

(٥) معاني القرآن وإعرابه:٢/ ٤٧٢.

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره:١٢/ ١٠-١١، مرسلاً عن عبيد بن عمير، وإسناده ضعيف؛ لإرساله، وهو صحيح إلى مرسلِه، قال ابن حجر في المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية١٤/ ٦٩٥: "هذا مرسل صحيح الإسناد"؛ وأخرجه الحاكم في مستدركه: كتاب: التفسير، ٢/ ٣٣٥، موصولاً عن أبي هريرة ﷺ، أنّ النبي ﷺ سئل عن السائحين، فقال: «هم الصائمون»، قال الحاكم: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه".

(٧) تفسير القرآن العظيم:٤/ ٢٢٠.

السياحة، فقال النبي ﷺ: «سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله»[1]. أقول: لو أخذ هذا الحديث تفسيراً للآية لالتقىٰ مع كل ما روي عن السلف فيها...وهو الحق في تأويل الآية"[2].

٤-العدول عن التفسير بما دلت عليه ظاهر الأحاديث الصحيحة إلىٰ الاجتهاد، ومن ذلك قوله في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ [البقرة:٢٣٨]: "وأما علماء الأثر فقد ذهبوا إلىٰ أن المعني بالآية صلاة العصر؛ لما في الصحيحين عن علي ﷺ، أن النبي ﷺ قال يوم الأحزاب وفي رواية يوم الخندق: «ملأ الله قلوبهم وبيوتهم ناراً كما شغلونا عن الصلاة الوسطىٰ حتىٰ غابت الشمس»[3]...وأجاب عن هذا الاستدلال من ذهب إلىٰ غيره بأنه لم يرد الحديث مورد تفسير الآية حتىٰ يعيّنها، وإنما فيه الإخبار عن كونها وسطىٰ، وهو كذلك؛ لأنها متوسطة وفضلىٰ من الصلوات...سنح لي وقوي بعد تمعّن في أواخر رمضان سنة ١٣٢٣ احتمال قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ بعد قوله: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ﴾ لأن يكون إرشاداً وأمراً بالمحافظة علىٰ أداء الصلاة أداء متوسطاً، لا طويلاً مملاً، ولا قصيراً مخلاً، أي: والصلاة المتوسطة بين الطول والقصر، ويؤيده الأحاديث المروية عنه ﷺ في ذلك قولاً وفعلاً... ثم سنح لي احتمال وجه آخر، وهو أن يكون قوله: ﴿وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ أريد به توصيف الصلاة المأمور بالمحافظة عليها بأنها فضلىٰ، أي : ذات فضل عظيم عند الله"[4].

فيتضح هنا أنّه اجتهد في بيان المراد بالصلاة الوسطىٰ مع وجود النص الصحيح

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه: كتاب: الجهاد، باب: في النهي عن السياحة، ص٤٣٦، ح(٢٤٨٦)، وحسَّنه الألباني.

(٢) محاسن التأويل:٥/ ٥١١.

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب: الجهاد والسير، باب: الدعاء علىٰ المشركين بالهزيمة والزلزلة، ص٣٩٥، ح(٢٩٣١)، وفي كتاب: المغازي، باب: غزوة الخندق وهي(الأحزاب)، ص٥٦٠-٥٦١، ح(٤١١١)؛ ومسلم في صحيحه: كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: الدليل لمن قال الصلاة الوسطىٰ هي صلاة العصر، ١/ ٤٣٧، ح(٦٢٧).

(٤) محاسن التأويل:٢/ ١٦٣-١٦٦.

الصريح المفسر لها، وذكر أنه يُجاب عن هذا الحديث بكونه غير صريح، ثمّ فسر الآية بما ظهر له من اجتهاده، وأيد هذا الاجتهاد بأحاديث غير صريحة، والأولىٰ قبول الحديث الصحيح، وإن كان لا يراه صريحاً إلا أنّه أقرب إلىٰ ألفاظ الآية ومعناها ممّا ذهب إليه، علىٰ أنه ورد في هذه الآية أيضاً تفاسير نبوية صريحة تؤيد القول بأن الصلاة الوسطىٰ هي العصر[(١)].

٥-تفسير الآية بما دل عليه سياقها دون الاستدلال بالتفسير النبوي الوارد فيها، ومن ذلك قوله في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَىٰهُمْ﴾ [سورة الأعراف:٤٦]: "وقد حكىٰ المفسرون أقوالاً كثيرة في رجال الأعراف...واللفظ لإبهامه يحتمل ذلك؛ لأن السياق يدل علىٰ سموّ قدرهم، لا سيما بجعل منازلهم الأعراف، وهي الأعالي والشرف -كما تقدم-، ومن ذكر كلهم جديرون بذلك -والله أعلم"[(٢)].

وقد ورد في الآية عدة تفاسير نبوية تعيّن المراد بأصحاب الأعراف[(٣)]، إلا أنّ القاسمي اكتفىٰ بذكر دلالة السياق دون ذكر التفسير النبوي.

كما أنّ هناك عدة آثار صحيحة وردت عن الصحابة ﷺ، ومثلها لا يُقال علىٰ

(١) وردت عدة تفاسير نبوية في ذلك، منها ما جاء عن سَمُرَة بن جندب ﷺ عن النبي ﷺ أنّه قال: «صلاة الوسطىٰ، صلاة العصر». أخرجه الترمذي في سننه: كتاب: مواقيت الصلاة عن رسول الله ﷺ، باب: ما جاء في الصلاة الوسطىٰ أنّها العصر، وقد قيل: إنّها الظهر، ص٥٤-٥٥، ح(١٨٢)، وفي كتاب: تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ، باب: ومن سورة البقرة، ص٦٦٨، ح(٢٩٨٣)، قال الترمذي في الموضع الأول: "في الباب عن علي، وعائشة، وحفصة، وأبي هريرة، وأبي هاشم بن عتبة...وهو قول أكثر العلماء من أصحاب النبي ﷺ وغيرهم"، وقال في الموضع الثاني: "حديث حسن صحيح"، وصححه الألباني في الموضعين؛ وأخرجه أحمد بن حنبل في مسنده: ٣٣/ ٢٧٠، ٢٨٢، ٣١٣، ٣٢٨، ٣٩٠، ح(٢٠٠٨٢-٢٠٠٩١-٢٠١٢٩-٢٠١٥٥-٢٠٢٥٥). وصححه محققو المسند.

(٢) محاسن التأويل:٥/ ٦١.

(٣) منها: ما جاء عن أبي زرعة بن عمرو بن جرير، قال: سُئل رسول الله ﷺ عن أصحاب الأعراف، فقال: «هم آخر من يُفصل بينهم من العباد، وإذا فرغ رب العالمين من فصل بين العباد، قال: أنتم قوم أخرجتكم حسناتكم من النار، ولم تدخلكم الجنّة، فأنتم عتقائي، فارعوا من الجنّة حيث شئتم». أخرجه الطبري في تفسيره: ١٠/ ٢٢١-٢٢٢، وإسناده ضعيف؛ لإرساله.

سبيل الرأي، فكان الأولىٰ تفسير الآية بها، أو الإشارة إليها.

ومن الثاني:

١-الاستناد علىٰ التفسير النبوي في توجيه أقوال السلف، ومن ذلك قوله في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام:٨٢]-بعد ذكر التفسير النبوي الوارد فيها[١]-: "هذه الرواية توضح رواية البخاري السابقة -أعني قول ابن مسعود: فنزلت: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ﴾ [سورة لقمان:١٣]...الخ[٢]- من جهة أن النزول أريد به تفسير الآية، لا سبب نزولها، وهو اصطلاح للصحابة والتابعين دقيق، ينبغي التنبه له، وقد أشرنا له في المقدمة، فجدد به عهداً"[٣].

٢-بيان وجه تفسير النبي ﷺ للآية علىٰ غير الظاهر المعروف من معناها، ومن ذلك قوله في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْأَخِرَةِ﴾ [سورة إبراهيم:٢٧]، قال: "وقيل: معناه الثبات عند سؤال القبر، فعن البراء بن عازب ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: «المسلم إذا سئل في القبر شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله قال: فذلك قوله تعالىٰ: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ

---

(١) عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: لمّا نزلت ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾، قلنا: يا رسول الله أينا لا يظلم نفسه؟ قال: «ليس كما تقولون، ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ بشرك، أولم تسمعوا إلىٰ قول لقمان لابنه: ﴿يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[سورة لقمان:١٣]». متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب: الإيمان، باب: ظلمٌ دون ظلم، ص١١، ح(٣٢)، وكتاب: أحاديث الأنبياء، باب: قوله تعالىٰ: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾ [سورة النساء:١٢٥]، وباب: قوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ﴾ [سورة لقمان:١٢]، ص٤٥٥-٤٦٨، ح(٣٣٦٠-٣٤٢٩)؛ ومسلم في صحيحه: كتاب: الإيمان، باب: صدق الإيمان وإخلاصه، ١/ ١١٤-١١٥، ح(١٢٤).

(٢) عن عبد الله بن مسعود ﷺ، قال: لمّا نزلت: ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾، قال أصحابه: وأينا لم يظلم نفسه؟ فنزلت: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[سورة لقمان:١٣]. أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب: التفسير، باب: ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾، ص٦٣٥، ح(٤٦٢٩).

(٣) محاسن التأويل: ٤/ ٤١٣.

﴿بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ﴾ الآية»[١]، رواه الشيخان وأهل السنن، وعليه فتفسير الآخرة بالقبر؛ لكون الميت انقطع بالموت عن أحكام الدنيا"[٢].

٣-الرد على المخالفين للتفسير النبوي الصحيح إن كانت المخالفة بقصد إثبات معتقد باطل، ومن ذلك قوله في تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ﴾ [الأنعام:٨٢] بعد ذكر التفسير النبوي الوارد فيها[٣]: "حيث عُلم أن الصادق المصدوق ﷺ فسر الآية بما تقدم، فليُعض عليه بالنواجذ، وأما ما هذى به الزمخشري من قوله في تفسير الآية: أي لم يخلطوا إيمانهم بمعصية تفسقهم، وأبى تفسير الظلم بالكفر لفظ اللبس[٤]، أي: لأن لبس الإيمان بالشرك أي خلطه به مما لا يتصور؛ لأنهما ضدان لا يجتمعان- على زعمه- فمدفوع بأنه يلابسه...الخ"[٥].

❊ ❊ ❊

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب: الجنائز، باب: ما جاء في عذاب القبر، ص١٨٤، ح(١٣٦٩)، وفي كتاب: التفسير، باب: قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ﴾، ص٦٥٠، ح(٤٦٩٩)؛ ومسلم في صحيحه: كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: عرض مقعد الميت من الجنة والنار عليه، وإثبات عذاب القبر، والتعوذ منه، ٤/ ٢٢٠١-٢٢٠٢، ح(٢٨٧١).

(٢) محاسن التأويل:٦/ ٣١٥.

(٣) سبق تخريجه: ص٤٢١.

(٤) الكشاف: ٢/ ٣٦٩.

(٥) محاسن التأويل:٤/ ٤١٤.

المبحث الثالث
منهج ابن عاشور في التعامل مع التفسير النبوي، والاستدلال به

أَلَّف العالم التونسي محمد الطاهر ابن عاشور تفسيره المعروف بالتحرير والتنوير، وسمَّاه: تحرير المعنىٰ السديد وتنوير العقل الجديد في تفسير الكتاب المجيد، فكان هذا التفسير من أعظم ما أُلِّف في العصور المتأخرة، فهو يحمل طابعاً مميزاً لا يوجد في غيره من التفاسير.

وكانت بداية تأليفه للتفسير في عام ١٣٤١هـ، وأتمَّه عام ١٣٨٠هـ، فكانت مدة تأليفه كما ذكر "تسعاً وثلاثين سنة، وستة أشهر"(١).

وقد افتتح تفسيره بمقدمات عشر تعين الباحث في التفسير، واهتم في تفسيره ببيان وجوه الإعجاز، ونكت البلاغة، ومناسبة اتصال الآيات ببعضها، كما عُني بالتعريف بكل سورة، وبيان معاني المفردات فيها، مع تحليل ألفاظها، واستنباط الفوائد منها، وربطها بحياة المسلمين.

وحرص في تفسيره علىٰ الجمع بين المأثور والرأي، وكانت عنايته بالتفاسير النبوية ظاهرة، حيث حفل تفسيره بالكثير منها، ونبّه علىٰ أهميتها في مقدمة تفسيره، فقال: "استمداد علم التفسير للمفسر العربي والمولد، من المجموع الملتئم من علم العربية وعلم الآثار، ومن أخبار العرب وأصول الفقه...وأما الآثار فالمعني بها ما نقل عن النبي ﷺ من بيان المراد من بعض القرآن في مواضع الإشكال والإجمال، وذلك شيء قليل"(٢).

وقبل الحديث عن منهج ابن عاشور في التفسير النبوي أذكر تفصيلاً لعدد التفاسير النبوية التي استدل بها، والتي ترك الاستدلال بها، مع بيان درجتها من الصحة(٣).

---

(١) التحرير والتنوير: ٣٠/ ٦٣٦.

(٢) التحرير والتنوير: ١/ ١٨-٢٣.

(٣) هذه الإحصائية للتفاسير النبوية التي أُجريت عليها الدراسة، والتي بلغ عددها ١٥٢ تفسيراً نبوياً، اختلفت أنواعها ودرجاتها من الصحة.

م	درجة التفسير النبوي	طريقة تعامل المفسر مع التفسير النبوي	عدد التفاسير النبوية
١	صحيح	استدل به، وحمل معنىٰ الآية عليه	٢٨
٢	صحيح	استدل به، وخالفه	٢
٣	صحيح	لم يستدل به، وفسر الآية بمثله	٥
٤	صحيح	لم يستدل به، وفسر الآية بالعموم	١٣
٥	صحيح	لم يستدل به، وخالفه	١
٦	حسن	استدل به، وحمل معنىٰ الآية عليه	٤
٧	حسن	لم يستدل به، وفسر الآية بمثله	٢
٨	حسن	لم يستدل به، وفسر الآية بالعموم	١
٩	ضعيف	استدل به، وفسر الآية بمثله	٦
١٠	ضعيف	استدل به، وفسر الآية بالعموم	١١
١١	ضعيف	استدل به، وخالفه	-
١٢	ضعيف	لم يستدل به، وفسر الآية بمثله	١٦
١٣	ضعيف	لم يستدل به، وفسر الآية بالعموم	٥١
١٤	ضعيف	لم يستدل به، وخالفه	١١
١٥	موضوع	لم يستدل به، وفسر الآية بالعموم	١

بناء علىٰ ما سبق تتضح عدة أمور أهمها:

١-قلة مخالفة ابن عاشور للتفسير النبوي عند الاستدلال به سواء أكان صحيحاً أم ضعيفاً، فقد بلغ عدد التفاسير النبوية التي استدل بها ٥١ تفسيراً نبوياً، ووافقها سواء بالتفسير بمثلها أو بتفسير الآية بالعموم في ٤٩ موضعاً.

٢-حرصه علىٰ الاستدلال بالتفاسير النبوية المقبولة سواء أكانت صحيحة أم حسنة، حيث استدل بـ٣٤ تفسيراً نبوياً مقبولاً.

٣-حرصه علىٰ حمل الآية علىٰ عموم ألفاظها عند عدم التصريح بالتفسير

النبوي، أو عدم ثبوته عنده، فقد بلغ عدد المواضع التي فسرّ فيها الآية بالعموم، دون استدلال بالتفسير النبوي الضعيف ٥١ موضعـًا.

ويُمكن الحديث عن منهج ابن عاشور في التعامل مع التفسير النبوي فيما يلي:

أولاً: منهجه العام في التعامل مع التفسير النبوي.

ويتمثل فيما يلي:

١-العناية الفائقة بتوجيه التفاسير النبوية وتحليلها وبيان معانيها، وتعد هذه السمة من أبرز السمات الواضحة في منهجه في التعامل مع التفاسير النبوية، فقلّ أن يترك تفسيراً نبويـًا دون تحليل وتعليق، -وسيأتي الحديث عن ذلك بالتفصيل-.

٢-تنوع الطرق في ذكر التفسير النبوي، فأحيانـًا ينبه إلىٰ معناه، ويشير إلىٰ من أخرجه دون التصريح به، ومن ذلك قوله في تفسير المراد بأصحاب الأعراف، قال: "ويروىٰ فيه أخبار مسندة إلىٰ النبي ﷺ لم تبلغ مبلغ الصحيح، ولم تنزل إلىٰ رتبة الضعيف، روىٰ بعضها ابن ماجة، وبعضها ابن مردويه، وبعضها الطبري[(١)]"[(٢)].

وأحيانـًا يصرح به، كما سيأتي في أكثر الأمثلة.

٣-عزو التفاسير النبوية إلىٰ من أخرجها، مع ذكر الراوي الأعلىٰ -غالبـًا-، ومن ذلك قوله في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾ [إبراهيم:٢٧] "روىٰ البخاري والترمذي عن البراء بن عازب أن رسول الله قال: «المسلم إذا سئل في القبر يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، فذلك قوله تعالىٰ: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا

---

(١) منها: ما جاء عن أبي زرعة بن عمرو بن جرير، قال: سُئل رسول الله ﷺ عن أصحاب الأعراف، فقال: «هم آخر من يُفصل بينهم من العباد، وإذا فرغ رب العالمين من فصل بين العباد، قال: أنتم قوم أخرجتكم حسناتكم من النار، ولم تدخلكم الجنّة، فأنتم عتقائي، فارعوا من الجنّة حيث شئتم». وقد سبق تخريجه: ص٤٢٠.

(٢) التحرير والتنوير:٨/ ١٤٢.

﴿وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ﴾[1]»[2].

وقد يذكر الحديث أحياناً دون عزوه أو ذكر الراوي الأعلىٰ له، ومن ذلك قوله: "وقد روي مثل هذا التفسير عن النبي ﷺ"[3].

٤-عدم تخصيص الآيات بالتفاسير النبوية الواردة فيها -ما أمكن ذلك-، سواء بالتنبيه علىٰ أنّ ما جاء فيها علىٰ سبيل المثال، كما في تفسيره لقوله تعالىٰ: ﴿وَءَاخَرِينَ مِنۡهُمۡ لَمَّا يَلۡحَقُواْ بِهِمۡۚ﴾ [سورة الجمعة:٣] حيث قال بعد ذكر التفسير النبوي الدال علىٰ أنّ الآية في أهل فارس[4]: "والذي يلوح أنه تفسير بالجزئي علىٰ وجه المثال، ليفيد أن ﴿وَءَاخَرِينَ﴾ صادق علىٰ أمم كثيرة منها أمةُ فارس، وأما شموله لقبائل العرب فهو بالأولىٰ؛ لأنهم مما شملهم لفظ الأميين"[5].

أو بالجمع بين التفسير النبوي وغيره، كما في قوله في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا﴾ [البقرة:١٤٣]: "فالوسط في هذه الآية فُسِّر بالخيار؛ لقوله تعالىٰ: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران:١١٠]، وفسر بالعدول، والتفسير الثاني رواه الترمذي في سننه من حديث أبي سعيد الخدري، عن النبي ﷺ[6]، وقال حسن صحيح، والجمع في التفسيرين هو الوجه كما قدمناه في

(١) سبق تخريجه: ص٤٢٢.

(٢) التحرير والتنوير:١٣/ ٢٢٧.

(٣) التحرير والتنوير:٢/ ٤٠٤.

(٤) عن أبي هريرة ﷺ، قال: كنّا جلوساً عند النبي ﷺ، فأنزلت عليه سورة الجُمُعة: ﴿وَءَاخَرِينَ مِنۡهُمۡ لَمَّا يَلۡحَقُواْ بِهِمۡۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾، قال: قلت: من هم يا رسول الله؟ فلم يُراجعه حتىٰ سأل ثلاثاً، وفينا سلمان الفارسي، وضع رسول الله ﷺ يده علىٰ سلمان، ثمّ قال: «لو كان الإيمان عند الثريا لناله رجال، أو رجل من هؤلاء». متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب التفسير، باب: قوله تعالىٰ: ﴿وَءَاخَرِينَ مِنۡهُمۡ لَمَّا يَلۡحَقُواْ بِهِمۡۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾، ص٦٩٦، ح(٤٨٩٧-٤٨٩٨)؛ ومسلم في صحيحه: كتاب فضائل الصحابة، باب: فضل الفرس، ٤/ ١٩٧٢، ح(٢٥٤٦).

(٥) التحرير والتنوير:٢٨/ ٢١١.

(٦) عن أبي سعيد الخدري ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «يجيء نوح وأمته، فيقول الله تعالىٰ: هل بلغت؟ فيقول: نعم، أي رب، فيقول لأمته: هل بلغكم؟ فيقولون: لا ما جاءنا من نبي، فيقول لنوح: من يشهد =

المقدمة التاسعة"[1].

فهنا استدل للقول الأول بآية من القرآن، واستدل للقول الثاني بالتفسير النبوي، ثمّ بيّن أنّ الجمع بين القولين أولىٰ.

أو بالجمع بين التفاسير النبوية الواردة في الآية، كما في تفسيره لقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلشَّفۡعِ وَٱلۡوَتۡرِ﴾ [الفجر:٣]، قال: "عن جابر بن عبد الله، عن النبي ﷺ، أن الشفع يوم النحر...وأن الوتر يوم عرفة[2]...وفي جامع الترمذي عن عمران بن حُصين، أن النبي ﷺ قال: «الشفع والوتر الصلاة منها شفع ومنها وتر»[3]...وينبغي حمل الآية علىٰ كلا التفسيرين"[4].

٥-كثرة الاستدلال بالتفاسير النبوية الواردة في الصحيحين، وفي سنن الترمذي، سواء أكانت صحيحة أم ضعيفة، وقلّ أن يغفل عن تفسير نبوي وارد في هذه الكتب.

ثانيًا: عنايته الفائقة بتوجيه التفاسير النبوية وتحليلها وبيان معانيها.

وسأذكر هنا عدة نقاط تدل علىٰ شدة عنايته بالتحليل والتوجيه، وعدم اكتفائه بالاستدلال بالتفسير النبوي أو الترجيح به فقط، ومن ذلك:

١-بيان نوع التفسير النبوي، ومن ذلك قوله في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ بِهِۦٓ أَذٗى مِّن رَّأۡسِهِۦ فَفِدۡيَةٞ مِّن صِيَامٍ أَوۡ صَدَقَةٍ أَوۡ نُسُكٖۚ﴾ [البقرة:١٩٦]، قال: "وقد أجمل

=

لك؟ فيقول: محمد ﷺ وأمته، فنشهد أنه قد بلغ، وهو قوله جل ذكره: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾، والوسط العدل». أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ [سورة نوح:١]، ص٤٥١، ح(٣٣٣٩)، وفي كتاب: التفسير، باب: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾، ص٦١١، ح(٤٤٨٧).

(١) التحرير والتنوير:٢/ ١٨.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده:٢٢/ ٣٨٩، ح(١٤٥١١)، قال محققو المسند: "هذا إسناد لا بأس برجاله".

(٣) أخرجه الترمذي في سننه: كتاب: التفسير، باب: ومن سورة الفجر، ص٧٥٩، ح(٣٣٤٢)، قال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث قتادة، وقال الألباني: "ضعيف الإسناد".

(٤) التحرير والتنوير:٣٠/ ٣١٤-٣١٥.

الله الفدية ومقدارها، وبيّنه حديث كعب بن عجرة[1]"[2].

٢-بيان باعث الصحابة ﷺ على السؤال عن الآية، ومن ذلك قوله في تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ﴾ [البقرة:٢٢٩]، قال: "وقد روي مثل هذا التفسير عن النبي ﷺ، روى أبو بكر بن أبي شيبة أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فقال: أرأيت قول الله تعالى: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ﴾، فأين الثالثة؟ فقال رسول الله ﷺ: ﴿فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ﴾[3]، وسؤال الرجل عن الثالثة يقتضي أن نهاية الثلاث كانت حكماً معروفاً، إما من السنة وإما من بقية الآية، وإنما سأل عن وجه قوله: ﴿مَرَّتَانِۖ﴾"[4].

٣-دفع أي إشكال قد يطرأ على التفسير النبوي، سواء كان الإشكال في معنى التفسير النبوي، كما في قوله في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ قُلۡنَا ٱدۡخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةَ فَكُلُواْ مِنۡهَا حَيۡثُ شِئۡتُمۡ رَغَدٗا وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا وَقُولُواْ حِطَّةٞ﴾ [البقرة:٥٨]: "وقد ورد في الحديث عن أبي هريرة أن القول الذي بدَّلوا به أنهم قالوا: حبة في شعرة أو في شعيرة[5]، والظاهر أن المراد به أن العشرة[6] استهزأوا بالكلام الذي أعلنه

(١) سبق ذكره وتخريجه: ص٤٠٤.

(٢) التحرير والتنوير:٢/ ٢٢٥.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره: ٤/ ١٣٠-١٣١؛ وابن أبي حاتم في تفسيره:٢/ ٤١٩، ح(٢٢١٠)؛ وابن أبي شيبة في المصنف: كتاب: الطلاق، باب: ما قالوا في قوله تعالى: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ﴾، ٦/ ٥٧٣، ح(١٩٥٤٨)، وإسناده ضعيف؛ لأنه مرسل، فقد جاء هذا الحديث عن أبي رزين، قال ابن حجر في فتح الباري ٩/ ٣٦٦: "وسنده حسن، لكنه مرسل؛ لأن أبا رزين لا صحبة له".

(٤) التحرير والتنوير:٢/ ٤٠٥.

(٥) عن أبي هريرة ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «قيل لبني إسرائيل: ﴿وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا وَقُولُواْ حِطَّةٞ﴾، فبدلوا، فدخلوا يزحفون على أستاههم، وقالوا: حبة في شعرة». متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: حديث الخضر مع موسى ﷺ، ص٤٦٤، ح(٣٤٠٣)، وفي كتاب: التفسير، باب: ﴿وَإِذۡ قُلۡنَا ٱدۡخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةَ فَكُلُواْ مِنۡهَا حَيۡثُ شِئۡتُمۡ رَغَدٗا﴾، ص ٦١٠، ح(٤٤٧٩)؛ ومسلم في صحيحه: كتاب: التفسير، ٤/ ٢٣١٢، ح(٣٠١٥).

(٦) المراد بهم عشرة رجال من بني إسرائيل، وقد ذكر ابن عاشور في تفسير هذه الآية قصة وردت في كتب بني إسرائيل، وفيها أن عشرة من بني إسرائيل أشاعوا في بني إسرائيل التخويف من الأرض التي يريد =

موسىٰ عليه السلام في الترغيب في فتح الأرض، وكنوا عن ذلك بأن محاولتهم فتح الأرض كمحاولة ربط حبة بشعرة، أي في التعذر، أو هو كأكل حبة مع شعرة تخنق آكلها، أو حبة من بُر مع شعيرة"[(١)].

أو في توهم معارضته مع ظاهر القرآن، ومن ذلك قوله في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الأعراف:١٧٢]: "وأخذُ العهد علىٰ الذرية المخرَجين من ظهور بني آدم يقتضي أخذَ العهد علىٰ الذرية الذين في ظهر آدم بدلالة الفحوىٰ...ومما يثبت هذه الدلالة أخبار كثيرة رويت عن النبي ﷺ[(٢)]...ومحمل هذا الحديث علىٰ أنه تصريح بمدلول الفحوىٰ المذكور، وليس تفسيراً لمنطوق الآية، وبه صارت الآية دالة علىٰ أمرين، أحدهما: صريح وهو ما أفاده لفظها، وثانيهما: مفهوم وهو فحوىٰ الخطاب، وجاء في الآية أن الله أخذ علىٰ الذريات العهد بالإقرار بربوبية الله، ولم يتعرض لذلك في الحديث، وذُكر فيه أنه ميز بين أهل الجنة وأهل النار منهم، ولعل الحديث اقتصار علىٰ بيان ما سأل عنه السائل، فيكون تفسيراً للآية تفسير تكميل لما لم يذكر فيها، أو كان في الحديث اقتصار من أحد رواته علىٰ بعض ما سمعه"[(٣)].

أو في توهم وجود إشكال بين الروايات الواردة في الحديث، ومن ذلك ما جاء

= أن يدخلها موسىٰ، وأن سكانها جبابرة، فخافت بنو إسرائيل، وجبنت عن القتال. ينظر: التحرير والتنوير:١/ ٥١٣.

(١) التحرير والتنوير:١/ ٥١٧.

(٢) منها: ما جاء عن مسلم بن يسار الجهني، أنّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه سئل عن هذه الآية: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾، فقال عمر بن الخطاب: سمعت رسول الله ﷺ يُسأل عنها، فقال رسول الله ﷺ: «إنّ الله تبارك وتعالىٰ خلق آدم، ثمّ مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية، فقال: خلقت هؤلاء للجنة، وبعمل أهل الجنة يعملون، ثمّ مسح ظهره فاستخرج منه ذرية، فقال: خلقت هؤلاء للنار، وبعمل أهل النار يعملون». أخرجه أبو داود في سننه: كتاب: السنّة، باب: في القدر، ص٨٥٠، ح(٤٧٠٣)؛ والترمذي في سننه: كتاب: تفسير القرآن، باب: ومن سورة الأعراف، ص٦٨٨، ح(٣٠٧٥)، وقال فيه: "هذا حديث حسن"، صححه الألباني في سنن أبي داود، وضعفه في الترمذي.

(٣) التحرير والتنوير:٩/ ١٦٧.

في تفسيره لقوله تعالىٰ: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ [البقرة:١٨٧]، قال: "وقد رويت قصة في فهم بعض الصحابة لهذه الآية وفي نزولها مفرقة...، فيظهر من حديث سهل بن سعد[١] أن مثل ما عَمِلَه عدي بن حاتم[٢] قد كان عَمِلَه غيره من قبلِه بمدة طويلة، فإن عدياً أسلم سنة تسع أو سنة عشر، وصيام رمضان فرض سنة اثنتين ولا يُعقل أن يبقَىٰ المسلمون سبع أو ثمانِ سنين في مثل هذا الخطأ، فمحل حديث سهل بن سعد علىٰ أن يكون ما فيه وقع في أول مُدة شرع الصيام، ومحمل حديث عدي بن حاتم أن عدياً وقع في مثل الخطأ الذي وقع فيه مَن تقدموه[٣]"[٤].

ويتبين من خلال ما ذكره أهمية معرفة تاريخ ورود الحديث في التوفيق بين

(١) عن سهل بن سعد ﷺ قال: "نزلت هذه الآية: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ﴾ فلم ينزل: ﴿مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾، فكان رجال إذا أرادوا الصوم ربط أحدهم في رجله الخيط الأبيض، والخيط الأسود، ولم يزل يأكل حتىٰ يتبين له رؤيتهما، فأنزل بعد ﴿مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾، فعلموا أنّه إنّما يعني الليل والنهار". متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب: الصوم، باب: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾، ص٢٥٤، ح(١٩١٦)، وفي كتاب: التفسير، باب: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾، ص٦١٤-٦١٥، ح(٤٥١١)؛ ومسلم في صحيحه: كتاب: الصيام، باب: بيان أن الدخول في الصوم يحصل بطلوع الفجر، وأن له الأكل وغيره حتىٰ يطلع الفجر...، ٢/ ٧٦٧، ح(١٠٩١).

(٢) عن عدي بن حاتم ﷺ قال: لمّا نزلت: ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ﴾ عمدت إلىٰ عِقال أسود، وإلىٰ عِقال أبيض، فجعلتهما تحت وسادتي، فجعلت أنظر في الليل فلا يستبين لي، فغدوت علىٰ رسول الله ﷺ، فذكرت له ذلك، فقال: «إنّما ذلك سواد الليل وبياض النهار». متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب: الصوم، باب: قوله تعالىٰ: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ﴾، ص٢٥٤، ح(١٩١٦)، وكتاب: تفسير القرآن، باب: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾، ص٦١٤، ح(٤٥٠٩-٤٥١٠)؛ ومسلم في صحيحه: كتاب: الصيام، باب: أنّ الدخول في الصوم يحصل بطلوع الفجر، وأنّ له الأكل وغيره حتىٰ يطلع الفجر...، ٢/ ٧٦٦-٧٦٧، ح(١٠٩٠).

(٣) أكمل ابن عاشور تعليقه علىٰ هذه التفاسير النبوية والتوفيق بينها بتحليل رائع، وعبارات جامعة تبين توجيه هذه الروايات، فلتراجع في تفسيره:٢/ ١٨٤-١٨٥.

(٤) التحرير والتنوير:٢/ ١٨٤.

الروايات، وأثر ذلك على ثبوت الأحكام الشرعية.

أو في معارضته لحكم فقهي عليه عمل الأمة، ومن ذلك قوله في تفسير قوله تعالى: ﴿أَوۡ يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلٗا﴾ [النساء:١٥]: "وقد ثبت الرجم في الإسلام بما رواه عبادة بن الصامت أن النبي ﷺ قال: «خذوا عني خذوا عني، قد جعل الله لهن سبيلاً، البكر بالبكر ضرب مائة وتغريب عام، والثيب بالثيب جلد مائة والرجم»[(١)]، ومقتضاه الجمع بين الرجم والجلد، ولا أحسبه إلا توهماً من الراوي عن عبادة، أو اشتبه عليه، وأحسب أنه لذلك لم يعمل به العلماء فلا يجمع بين الجلد والرجم"[(٢)]. ثمّ ذكر الأدلة الواردة في المسألة، وناقشها نقاشاً علمياً دقيقاً.

ويلاحظ في الأمثلة السابقة عنايته الشديدة بإزالة أي إشكال قد يطرأ على التفسير النبوي، وحرصه على التوفيق بين المأثورات الواردة في الآية.

٤-العناية ببيان الأوجه البلاغية في التفسير النبوي، وبيان موافقتها لظاهر الآية، فقد كان لبراعته في اللغة والبلاغة أثر واضح على تعليقاته واستنباطاته، ومن ذلك قوله في تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡمَوۡعُودِ ۝٢ وَشَاهِدٖ وَمَشۡهُودٖ﴾ [سورة البروج:٢-٣]: "وروى الترمذي من طريق موسى بن عبيدة إلى أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «اليوم الموعود يوم القيامة، واليوم المشهود يوم عرفة، والشاهد يوم الجمعة»[(٣)]، أي فالتقدير: ويومٍ شاهد، ويومٍ مشهود...ووصف يوم بأنه شاهد مجاز عقلي، ومحمل هذا الحديث على أن هذا مما يراد في الآية من وصف ﴿شَاهِدٖ﴾، ووصف ﴿مَشۡهُودٖ﴾، فهو من حَمْل الآية على ما يحتمله اللفظ في حقيقة ومجاز"[(٤)].

وكان ينبّه في بعض المواضع على بلاغة التفسير النبوي، وجزالة عباراته، دون

---

(١) سبق تخريجه: ص٤٠٥.

(٢) التحرير والتنوير:٤/ ٢٧٤.

(٣) أخرجه الترمذي في سننه: كتاب: تفسير القرآن، باب: ومن سورة البروج، ص٧٥٧، ح(٣٣٣٩)، وقال فيه: "هذا حديث لا نعرفه إلا من حديث موسى بن عبيدة، وموسى بن عبيدة يُضَّعف في الحديث"، وحسَّنه الألباني.

(٤) التحرير والتنوير:٣٠/ ٢٣٩.

تفصيل في الأوجه البلاغية، ومن ذلك قوله في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿سَأُرۡهِقُهُۥ صَعُودًا﴾ [سورة المدثر:١٧]، قال: "وعن النبي ﷺ أن ﴿صَعُودًا﴾ جبل في جهنم يتصعد فيه سبعين خريفـًا، ثم يهوي فيه كذلك أبداً[١] ...فجعل الله صفة صعود علَمـًا علىٰ ذلك الجبل في جهنم، وهذا تفسير بأعظم ما دل عليه قوله تعالىٰ: ﴿سَأُرۡهِقُهُۥ صَعُودًا﴾"[٢].

٥-بيان وجه الجمع بين التفاسير النبوية وغيرها من الأحاديث، فلا يكتفي بالجمع بينها، وإنّما يبيّن وجه الجمع، ومن ذلك قوله في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿لَّمَسۡجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقۡوَىٰ مِنۡ أَوَّلِ يَوۡمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِۚ﴾ [التوبة:١٠٨] بعد ذكر التفسير النبوي الدال علىٰ أن المسجد هو المسجد النبوي[٣]، والروايات الدالة علىٰ نزول الآية في أهل قباء[٤]: "ووجه الجمع بين هذين عندي أن يكون المراد بقوله تعالىٰ: ﴿لَّمَسۡجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقۡوَىٰ مِنۡ أَوَّلِ يَوۡمٍ﴾ المسجد الذي هذه صفته لا مسجداً واحداً معينـًا، فيكون هذا الوصف كليـًا انحصر في فردين المسجد النبوي ومسجد قباء"[٥].

٦-استنباط ترتيب نزول بعض الآيات والسور من التفاسير النبوية، ومن ذلك ما جاء عنه في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ﴾ [الشعراء:٢١٤]، قال: "وفي صحيح البخاري عن ابن عباس، قال: لما نزلت: ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ﴾

(١) أخرجه الترمذي في سننه: كتاب: صفة جهنم عن رسول الله ﷺ، باب: ما جاء في صفة قعر جهنم، ص٥٨٠، ح(٢٥٧٦)، وفي كتاب: تفسير القرآن، باب: ومن سورة المدثر، ص٧٥٤، ح(٣٣٢٦)، وقال فيه: "هذا غريب إنما نعرفه مرفوعـًا من حديث ابن لهيعة"، وضعَّفه الألباني.

(٢) التحرير والتنوير:٢٩/ ٣٠٧.

(٣) سبق ذكره وتخريجه: ص٤٠٣.

(٤) عن أبي هريرة ﷺ، قال: قال النبي ﷺ: «نزلت هذه الآية في أهل قباء: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ﴾، قال: كانوا يستنجون بالماء، فنزلت فيهم هذه الآية». أخرجه أبو داود في سننه: كتاب: الطهارة، باب: في الاستنجاء بالماء، ص١٤، ح(٤٤)؛ والترمذي في سننه: كتاب: تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ، باب: ومن سورة التوبة، ص٦٩٥، ح(٣١٠٠)، وقال فيه: "هذا حديث غريب من هذا الوجه"؛ وأخرجه ابن ماجه في سننه: كتاب: الطهارة وسننها، باب: الاستنجاء بالماء، ص٨٠-٨١، ح(٣٥٧)، وصححه الألباني.

(٥) التحرير والتنوير:١١/ ٣٢.

صعد النبي ﷺ علىٰ الصفا فجعل ينادي: «يا بني فهر، يا بني عديّ...قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد»، فقال أبو لهب: تبّاً لك سائر اليوم ألهذا جمعتنا؟ فنزلت: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ﴾ [المسد:١-٢][1]، وهذا الحديث يقتضي أن سورة الشعراء نزلت قبل سورة أبي لهب، مع أن سورة أبي لهب عُدّت السادسة في عداد نزول السور، وسورة الشعراء عُدّت السابعة والأربعين، فالظاهر أن قوله: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ نزل قبل سورة الشعراء مفرداً، فقد جاء في بعض الروايات عن ابن عباس في صحيح مسلم، لمّا نزلت: ﴿وَأَنذِر عَشِيرَتَك الأقرَبين وَرَهطَكَ مِنهم المُخلصِين﴾[2] وأن ذلك نسخ، فلعل الآية نزلت أول مرة، ثم نسخت تلاوتها، ثم أعيد نزول بعضها في جملة بسورة الشعراء"[3].

٧-الحرص علىٰ ربط التفاسير النبوية بالواقع المعاصر، من خلال:

أ-استنباط الأحكام الفقهية من التفاسير النبوية، ومحاولة ربطها بالواقع، وبيان أن ما يشكل علينا أشكل علىٰ من قبلنا من الصحابة ﷺ، ومن ذلك قوله في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ۚ﴾ [المائدة:١٠٥]، قال: "فلا يتوهم من هذه الآية أنها رخصة للمسلمين في ترك الدعوة إلىٰ الخير، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لأن جميع ذلك واجب بأدلة طفحت بها الشريعة...وقد حدث ذلك الظن في عهد النبي ﷺ[4]...فالآية تفيد

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب: التفسير، باب: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾، ص٦٧٠، ح(٤٧٧٠)، وباب: سورة: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ﴾، ص٧١٣، ح(٤٩٧١)؛ ومسلم في صحيحه: كتاب: الإيمان، باب: قوله تعالىٰ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾، ١/ ١٩٣-١٩٤، ح(٢٠٨).

(٢) جاءت زيادة ﴿وَرَهطَكَ مِنهم المُخلصِين﴾، في روايتيّ البخاري ومسلم، وقد سبق تخريجهما في الحاشية السابقة.

(٣) التحرير والتنوير:١٩/ ٢٠٢.

(٤) عن أبي أمية الشعباني، قال: سألت أبا ثعلبة الخشني ﷺ، كيف نصنع بهذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
=

الإعراض عن ذلك إذا تحقّق عدم الجدوىٰ بعد الشروع في ذلك، ويلحق بذلك إذا ظهرت المكابرة وعدم الانتصاح كما دلّ عليه حديث أبي ثعلبة الخشني"[1].

ب-القياس علىٰ التفسير النبوي، وعدم حصر معنىٰ الآية علىٰ المعنىٰ المباشر الذي فسر به النبي ﷺ، ومن ذلك قوله في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال:٦٠]: "وتطلق القوة مجازاً علىٰ شدّة تأثير شيء ذي أثر، وتطلق أيضًا علىٰ سبب شدّة التأثير، فقوة الجيش شدة وقعه علىٰ العدوّ، وقوته أيضًا سلاحه وعتاده، وهو المراد هنا، فهو مجاز مرسل بواسطتين، فاتّخاذ السيوف والرماح والأقواس والنبال من القوة في جيوش العصور الماضية، واتّخاذ الدبابات والمدافع والطيارات والصواريخ من القوّة في جيوش عصرنا، وبهذا الاعتبار يُفسَّر ما روىٰ مسلم والترمذي عن عقبة بن عامر أنّ رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية علىٰ المنبر، ثم قال: «ألا إنّ القوة الرمي» قالها ثلاثًا[2]، أي: أكمل أفراد القوة آلةُ الرمي، أي: في ذلك العصر، وليس المراد حصر القوة في آلة الرمي"[3].

٨-التنبيه علىٰ دلائل النبوة المستنبطة من التفاسير النبوية، ومن ذلك قوله في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمْثَٰلَكُم﴾ [سورة محمد:٣٨]، قال: "روىٰ الترمذي عن أبي هريرة قال: تلا رسول الله هذه الآية:

= ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ﴾؟ قال أبو ثعلبة: سألتَ عنها خبيراً، سألتُ عنها رسول الله ﷺ فقال: «ائتمروا بالمعروف، وتناهوا عن المنكر، حتىٰ إذا رأيت شُحًّا مطاعًا، وهوىٰ متبعًا، وإعجاب كل ذي رأي برأيه، فعليك بخويصة نفسك، وذر عوامّهم، فإنّ وراءكم أيامًا أجر العامل فيها كأجر خمسين منكم». أخرجه أبو داود في سننه: كتاب: الملاحم، باب: في الأمر والنهي، ص٧٧٧، ح(٤٣٤١)؛ والترمذي في سننه: كتاب: التفسير، باب: ومن سورة المائدة، ص٦٨٤، ح(٣٠٥٨)، وقال فيه: "هذا حديث حسن غريب، لكن بعضه صحيح"؛ وأخرجه ابن ماجه في سننه: كتاب: الفتن، باب: قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾، ص٦٦٣، ح(٤٠١٤)، وضعَّفه الألباني.

(١) التحرير والتنوير:٧/ ٧٧-٧٩.

(٢) سبق تخريجه: ص٤٠٥.

(٣) التحرير والتنوير:١٠/ ٥٥.

﴿وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمْثَٰلَكُم ﴾ ، قالوا: ومن يُستبدَل بنا؟ قال: فضرب رسول الله ﷺ علىٰ منكب سلمان الفارسي، ثم قال: «هذا وقومه، هذا وقومه»[1] ...وأقول هو يدل علىٰ أن فارس إذا آمنوا لا يرتدون، وهو من دلائل نبوءة النبي ﷺ، فإن العرب ارتد منهم بعض القبائل بعد وفاة النبي ﷺ، وارتدّ البربر بعد فتح بلادهم وإيمانهم ثنتي عشرة مرة فيما حكاه الشيخ أبو محمد ابن أبي زيد، ولم يرتد أهل فارس بعد إيمانهم"[2].

ثالثًا: جوانب وردت في تعامله مع التفسير النبوي ولم تكن منهجًا عامًا في تفسيره.

ويقصد من ذلك-كما سبق عند الحديث عن منهج القاسمي- الأمور التي ترد في كتب المفسرين، إلا أنه لا يُمكن اعتبارها منهجًا عامًّا لهم؛ لعدم التزامهم بها في جميع مواضع كتبهم أو جلّها.

ومما ورد عند ابن عاشور في ذلك:

١-الترجيح بالتفاسير النبوية، ومن ذلك قوله: "وأصح ما في هذا الخلاف ما جاء من جهة الأثر، وذلك قولان"[3]، وقوله في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ [يونس:٢٦] بعد ذكر التفسير النبوي الصحيح الوارد فيها[4]: "وهو أصرح ما ورد في تفسيرها"[5].

(١) أخرجه الترمذي في سننه: كتاب: التفسير، باب: ومن سورة محمّد، ص٧٣٧، ح(٣٢٦٠-٣٢٦١)، وقال فيه: "هذا حديث غريب وفي إسناده مقال"، وصححه الألباني.

(٢) التحرير والتنوير:٢٦/ ١٣٩.

(٣) التحرير والتنوير:٢/ ٤٦٨.

(٤) عن صهيب الرومي ﷺ، قال: قال النبي ﷺ: «إذا دخل أهل الجنّة الجنة، قال: يقول الله تبارك وتعالىٰ: تريدون شيئًا أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيّض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنّة وتنجنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب، فما أُعطوا شيئًا أحب إليهم من النظر إلىٰ ربهم ﷻ» ثمّ تلا هذه الآية: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾. أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب: الإيمان، باب: إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم ﷻ، ١/ ١٦٣، ح(١٨١).

(٥) التحرير والتنوير:١١/ ١٤٦.

٢-الرد علىٰ الأقوال المخالفة للتفسير النبوي، سواء أكانت المخالفة تعود إلىٰ فساد معتقد المفسر أم إلىٰ غير ذلك، فمن الأمثلة علىٰ رده لبعض الأقوال المخالفة للتفسير النبوي لفساد معتقد المفسر، ما جاء في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ﴾ [الأنعام:٨٢] حيث قال بعد ذكر التفسير النبوي الوارد فيها[١]: "وحَمَل الزمخشري الظلم علىٰ ما يشمل المعاصي[٢]...تأويلاً للآية علىٰ أصول الاعتزال؛ لأنّ العاصي غير آمن من الخلود في النّار، فهو مساو للكافر في ذلك عندهم...فالحقّ أنّ الآية غير محتاجة للتّأويل علىٰ أصولهم نظراً لهذا الذي ذكرناه"[٣].

ومن الأمثلة علىٰ رده لبعض الأقوال المخالفة للتفسير النبوي لغير ذلك، قوله في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ﴾ [الأحزاب:٢٣]: "وقد حمل بعض المفسرين ﴿قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ﴾ في هذه الآية علىٰ معنىٰ الموت في الجهاد، علىٰ طريقة الاستعارة، بتشبيه الموت بالنذر في لزوم الوقوع، وربما ارتقىٰ ببعض المفسرين ذلك إلىٰ جعل النحب من أسماء الموت، ويمنع منه ما ورد في حديث الترمذي أن النبي ﷺ قال في طلحة بن عبيد الله: «إنه ممن قَضَىٰ نَحْبَه»[٤]، وهو لم يمت في حياة رسول الله ﷺ"[٥].

٣-التعليق علىٰ أسانيد التفاسير النبوية، بنقدها وبيان مواطن الضعف فيها، ومن ذلك قوله بعد ذكر التفسير النبوي الوارد في قوله تعالىٰ: ﴿ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ

(١) سبق ذكره وتخريجه: ص٤٢١.

(٢) الكشاف: ٢/ ٣٦٩.

(٣) التحرير والتنوير:٧/ ٣٣٣.

(٤) أخرجه الترمذي في سننه: كتاب: التفسير، باب: ومن سورة الأحزاب، ص٧٢٣، ح(٣٢٠٢)، وفي كتاب المناقب، باب: مناقب أبي محمد طلحة بن عبيد الله ﷺ، ص٨٤٧، ح(٣٧٤٠) وقال فيه: "هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث معاوية"؛ وابن ماجه في مقدمة سننه: باب: في فضائل أصحاب رسول الله ﷺ، ص٣٨، ح(١٢٦)، وحسَّنه الألباني.

(٥) التحرير والتنوير:٢١/ ٣٠٨.

﴿ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ﴾ [يونس:٦٣][١]: "ليس في الحديث أن أبا صالح يرويه عن عطاء بن يسار كما هو المعروف في رواية أبي صالح إلىٰ أبي الدرداء، وعليه فالحديث منقطع غير متصل السند، وقد رواه الترمذي بسندين آخرين فيهما عطاء بن يسار، عن رجل من أهل مصر عن أبي الدرداء، وذلك سند فيه مجهول، فحالة إسناد هذا الخبر مضطربة؛ لظهور أن عطاء لم يسمعه من أبي الدرداء"[٢].

أو ببيان درجتها من الصحة والضعف، ومن ذلك قوله: "وقد ورد تفسير الظلم في هذه الآية بالشرك في الحديث الصحيح عن عبد الله بن مسعود[٣]"[٤]، وقوله: "ويروىٰ فيه أخبار مسندة إلىٰ النبي ﷺ لم تبلغ مبلغ الصحيح، ولم تنزل إلىٰ رتبة الضعيف"[٥].

٤-ترك الاستدلال بالتفسير النبوي الضعيف في بعض المواضع، والاكتفاء عن ذكره بعدة أمور تبيّن معنىٰ الآية، منها:

أ-سبب النزول الصريح الصحيح، ومن ذلك قوله في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿يَسۡتَفۡتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ فِي ٱلۡكَلَٰلَةِۚ﴾ [النساء:١٧٦]، قال: "ثمّ إنّ النّاس سألوا رسول الله ﷺ عن صورة أخرىٰ من صور الكلالة، وثبت في الصحيح أنّ الذي سأله هو جابر بن عبد الله قال: عادني رسول الله وأبو بكر ماشيين في بني سلمة فوجداني

(١) عن عبادة بن الصامت ﷺ أنّه سأل رسول الله ﷺ عن هذه الآية: ﴿لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ﴾، فقال: «لقد سألتني عن شيء ما سألني عنه أحد من أمتي قبلك، هي الرؤيا الصالحة، يَراها المسلم، أو تُرَىٰ له، وفي الآخرة الجنّة». أخرجه الترمذي في سننه: كتاب: الرؤيا عن رسول الله ﷺ، باب: قوله: ﴿لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾، ص٥١٥، ح(٢٢٧٥)، وقال فيه: "هذا حديث حسن صحيح"؛ وابن ماجه في سننه: كتاب: تعبير الرؤيا، باب: الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو تُرىٰ له، ص٦٤٢، ح(٣٨٩٨)، وصححه الألباني.

(٢) التحرير والتنوير:١١/ ٢١٩.

(٣) سبق ذكره وتخريجه: ص٤٢١.

(٤) التحرير والتنوير:٧/ ٣٣٢.

(٥) التحرير والتنوير:٨/ ١٤٢.

مغمىٰ عليّ، فتوضّأ رسول الله ﷺ، وصبّ عليّ وضوءه، فأفقت وقلت: كيف أصنع في مالي فإنما يرثني كلالة، فنزل قوله تعالىٰ: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي ٱلْكَلَٰلَةِ﴾، الآية[1]"[2].

وقد جاء في الآية تفسير نبوي بيّن المراد بالكلالة[3]، إلا أنّ ابن عاشور اكتفىٰ بسبب النزول الصحيح عن التفسير النبوي الضعيف.

ب-الأحاديث الصحيحة غير الصريحة، ومن ذلك قوله في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الرعد:٣٩]: "وبهذا يتحصل أن لفظ: ﴿مَا يَشَآءُ﴾ عام يشمل كل ما يشاؤه الله تعالىٰ، ولكنه مجمل في مشيئة الله بالمحو والإثبات، وذلك لا تصل الأدلة العقلية إلىٰ بيانه، ولم يرد في الأخبار المأثورة ما يبينه إلا القليل -علىٰ تفاوت في صحة أسانيده-، ومن الصحيح فيما ورد من ذلك قول النبي ﷺ: «إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتىٰ ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتىٰ ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها»[4]"[1].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب: الوضوء، باب: صب النبي ﷺ وضوءه علىٰ المغمىٰ عليه، ص٣٦، ح(١٩٤)، وفي كتاب: التفسير، باب قوله تعالىٰ: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوْلَٰدِكُمْ﴾ [سورة النساء:١١]، ص٦٢٦، ح(٤٥٧٧)؛ ومسلم في صحيحه: كتاب: الفرائض، باب: ميراث الكلالة، ٣/ ١٢٣٤، ح(١٦١٦).

(٢) التحرير والتنوير:٦/ ٦٣-٦٤.

(٣) عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، قال: جاء رجل إلىٰ النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي ٱلْكَلَٰلَةِ﴾؟ قال: «من لم يترك ولداً ولا والداً، فورثته كلالة». أخرجه أبو داود في المراسيل: كتاب: الفرائض، باب: الكلالة، ص٤٢٤، ح(٣٦١)، ومن طريق أبي داود أخرجه: البيهقي في السنن: كتاب: جماع أبواب المواريث، باب: حجب الإخوة والأخوات من كانوا بالأب والابن وابن الابن، ٦/ ٣٦٨، ح(١٢٢٧٢)، وإسناده ضعيف؛ لإرساله.

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب: القدر، باب: في القدر، ص٩١١، ح(٦٥٩٤)، وفي =

وهذه الآية فيها عدة تفاسير نبوية[٢]، إلا أنه ترك ذكرها لضعفها، واكتفىٰ بالصحيح الذي يُفيد في تفسير الآية.

وقد يذكر الضعيف إلا أنّه ينبّه علىٰ عدم صحة حمل معنىٰ الآية عليه؛ لضعفه، ومن ذلك قوله في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [القلم:٤٢]: "وفي صحيح مسلم من حديث الرؤية وحديث الشفاعة، عن أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال: «فيُكشف عن ساق فلا يبقىٰ من كان يسجد لله من تلقاء نفسه إلاّ أذن الله له بالسجود، ولا يبقىٰ من كان يسجد رياء إلا جعل الله ظهره طبقَة واحدة، كلما أراد أن يسجد خرّ علىٰ قفاه»[٣] الحديث، فيصلح ذلك تفسيراً لهذه الآية...علىٰ أنه روي عن أبي موسىٰ الأشعري عن النبي ﷺ في قوله تعالىٰ: ﴿عَن سَاقٍ﴾ قال: «يكشف عن نور عظيم يَخرون له سجداً»[٤]، ورُويت أخبار أخرىٰ ضعيفة لا جدوىٰ في ذكرها"[٥].

= كتاب: التوحيد، باب: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [سورة الصافات:١٧١]، ص١٠٢٥، ح(٧٤٥٤)؛ ومسلم في صحيحه: كتاب: القدر، باب: كيفية خلق الآدمي في بطن أمه، ٤/ ٢٠٣٦، ح(٢٦٤٣).

(١) التحرير والتنوير:١٣/ ١٦٦.

(٢) منها: ما جاء عن ابن عمر ﷺ قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «يمحو الله ما يشاء إلا الشقوة والسعادة، والحياة والموت».
أخرجه الطبراني في الأوسط: ٩/ ١٧٩، ح(٩٤٧٢)، وقال فيه: "لم يرو هذا الحديث عن ابن أبي ليلىٰ، إلا محمد بن جابر، ولا رواه عن نافع إلا ابن أبي ليلىٰ"، وضعّف إسناده الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد٧/ ٤٣؛ والسيوطي في الدر المنثور:٤/ ٥٨٤.

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب: التفسير، باب: قوله تعالىٰ: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾، ص٧٠٠، ح(٤٩١٩)؛ ومسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، باب: معرفة طريق الرؤية، ١/ ١٦٧-١٧١، ح(١٨٣)، (مطولاً).

(٤) أخرجه أبو يعلىٰ في مسنده:١٣/ ٢٦٩؛ والطبري في تفسيره:٢٣/ ١٩٥؛ وابن عساكر في تاريخ دمشق:٥٢/ ٣٣٣، ٦٨/ ١٨٨، وإسناده ضعيف؛ لأن فيه روح بن جناح، وهو ضعيف الحديث.
تنظر ترجمته في: تهذيب الكمال:٩/ ٢٣٣-٢٣٨؛ تهذيب التهذيب:٣/ ٢٩٢-٢٩٣.

(٥) التحرير والتنوير:٢٩/ ٩٩.

ويُلاحظ هنا تنبيهه علىٰ عدم صحة الخوض في الغيبيات المجملة التي لم يرد فيها تفسير نبوي صحيح، والاقتصار في بيان الآية علىٰ الصحيح؛ لأنّ كل باب من أبواب الدين له قدر من الاحتياط والتشديد، فالتفسير بالحديث الضعيف لا يصح في هذا الباب.



الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات، أحمده سبحانه علىٰ ما يسّر من إتمام هذا البحث، وأسأله أن يجعل خير أعمالي خواتمها، وخير أيامي يوم ألقاه، أمّا بعد:

فقد توصّلت من خلال هذا البحث إلىٰ عدد من النتائج والتوصيات، أُجملها فيما يلي:

أولاً: أهم النتائج.

١-قلة استدلال المفسرين في العصر الحديث بالتفاسير النبوية.

٢-تفاوت نسب استدلال المفسرين بالتفسير النبوي يعود أولاً إلىٰ طبيعة تفاسيرهم، ومع وجود هذا التفاوت في الاستدلال إلا أنهم لم يغفلوا عن بيان أهميته وحمل الآية عليه حتىٰ عند عدم استدلالهم به.

٣-استدلال المفسرين واحتجاجهم بما اتفق عليه الشيخان أو ذكر عند أحدهما أكثر من استدلالهم واحتجاجهم بما صح عند غيرهم.

٤-قلة عناية المفسرين في العصر الحديث بأسانيد التفسير النبوي.

٥-أكثر التفاسير النبوية التي استدل بها المفسرون كانت تفاسير نبوية صحيحة، تتعلق ببيان المعنىٰ، مما يدل علىٰ حرصهم علىٰ التفسير بالحديث الصحيح وعدم مخالفته.

٦-أكثر التفاسير النبوية التي ترك المفسرون الاستدلال بها كانت تفاسير نبوية ضعيفة، ولا تتعلق ببيان حكم عقدي أو فقهي، وإنّما هي بيان للمعنىٰ، إلا أنّ هذا المعنىٰ يُمكن الوصول إليه دون ذكر التفسير النبوي؛ لوضوحه وموافقته ظاهر الآية.

٧-يعد ابن عاشور من أكثر المفسرين استدلالاً بالتفسير النبوي في العصر الحديث، يليه القاسمي.

٨-تميّز القاسمي بكثرة نقله عن العلماء والمفسرين، وبناء علىٰ ذلك فإنه ينقل التفاسير النبوية التي ذكروها في كتبهم، دون تحليل أو تعليق علىٰ ما نقله عنهم-غالبًا-.

٩- اعتنىٰ ابن عاشور عناية فائقة بتوجيه التفاسير النبوية وتحليلها وبيان معانيها، كما كانت له عناية واضحة ببيان الأوجه البلاغية في التفسير النبوي.

١٠-قلة مخالفة القاسمي وابن عاشور لمعنىٰ التفسير النبوي -حتىٰ عند عدم استدلالهم به-.

ثانيًا: أهم التوصيات.

١-العناية بدراسة كل ما يتعلق بالتفسير النبوي؛ لأهمية هذا الموضوع، وقلة الدراسات العلمية المتعلقة به.

٢-دراسة أثر التفسير النبوي علىٰ تأصيل علم التفسير وأصوله.

٣-البحث في أشهر كتب التفسير المنحرفة في العصر الحديث، وبيان أثر الانحرافات العقدية علىٰ تحريف دلالات التفسير النبوي.

٤-جمع أقوال العلمانيين والمستشرقين المتعلقة بالتفسير النبوي، وبيان موقفهم منها، وأبرز شبههم فيها، ثمّ الرد عليها، وبيان مغالطاتها.

٥-بيان عناية المفسرين بعلوم الحديث، وذلك من خلال تطبيقاتهم في تفاسيرهم، ويُمكن أن يكون ذلك في رسالة علمية، أو سلسلة رسائل تقوم علىٰ اختيار أكثر المفسرين عناية بعلوم الحديث، ثمَّ دراسة منهجهم في ذلك دراسة تحليلية موازنة، بهدف إبراز عنايتهم بعلوم الحديث، وبيان دور المفسرين في تأصيل بعض مباحث هذا العلم، وأثر ذلك علىٰ علم التفسير.

٦-العناية بالإحصائيات والرسوم البيانية التي تدعم موقف الباحث في بحثه، وتقوّي نتائجه، بحيث تكون هذه الإحصائيات بمثابة الأدلة التي تُثبت ما توصل إليه الباحث.

هذه أهمّ النتائج والتوصيات التي خلصت إليها، وأرجو أن أكون قد وُفقّت في خدمة هذا الموضوع، وإبراز أهمّ معالمه.

أسأل الله ﷻ أن يسدّ خللي، ويتمّ عليّ نعمته، وأن ينفع بهذا البحث، ويجعله خالصًا لوجهه الكريم.

وآخر دعواي أن الحمد لله ربّ العالمين، وصلىٰ الله وسلم علىٰ سيّدنا محمد، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

المصادر والمراجع

١- **أصول في التفسير**، لمحمد بن صالح بن محمد العثيمين، أشرف علىٰ تحقيقه: قسم التحقيق بالمكتبة الإسلامية، المكتبة الإسلامية، القاهرة، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

٢- **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، لمحمد الأمين الشنقيطي، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.

٣- **أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير**، لأبي بكر جابر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الثالثة، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

٤- **البحر المحيط**، لأبي حيان الأندلسي، ت: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوّض، شارك في تحقيقه: د. زكريا النوتي، د. أحمد النجولي الجمل، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.

٥- **البرهان في علوم القرآن**، لمحمد بن عبدالله الزركشي، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا-بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٣٢هـ-٢٠١١م.

٦- **تاريخ بغداد**، أو مدينة السلام، وأخبار محدثيها، وذكر قطانها العلماء من غير أهلها ووارديها، لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، ت: د.بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.

٧- **تاريخ مدينة دمشق**، وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل، أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها، لأبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي المعروف بابن عساكر، ت: محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمروي، دار الفكر، ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م.

٨- **التحرير في أصول التفسير**، د. مساعد بن سليمان الطيار، مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي، جدة، الطبعة الأولىٰ، ١٤٣٥هـ-٢٠١٤م.

٩- **التحرير والتنوير**، لمحمد الطاهر، ابن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤هـ.

١٠- **الترجيح بالسنّة عند المفسرين (جمعًا ودراسة)**، د. ناصر بن محمد الصائغ، دار التدمرية، الرياض، الطبعة الأولىٰ، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م.

١١- **التسهيل لعلوم التنزيل**، لأبي القاسم محمد بن جزي الكلبي، ضبطه وصححه وخرّج آياته: محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.

١٢- **تفسير الشعراوي (الخواطر)**، لمحمد متولي الشعراوي، مطابع أخبار اليوم.

١٣- **تفسير القرآن الحكيم، (تفسير المنار)** لمحمد رشيد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.

١٤- **تفسير القرآن العظيم مسنداً عن رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين**، لأبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي، ت: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفىٰ الباز، مكة المكرمة، الرياض، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٧هـ-١٩٧٧م.

١٥- **تفسير القرآن العظيم**، لأبي إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، ت: سامي محمد سلامة، دار طيبة، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

١٦- **تفسير القرآن الكريم (تفسير الفاتحة والبقرة)**، لمحمد بن صالح بن محمد العثيمين، طُبع بإشراف مؤسسة الشيخ محمد العثيمين الخيرية، دار ابن الجوزي، الدمام، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٣هـ.

١٧- **التفسير النبوي (مقدمة تأصيلية مع دراسة حديثية لأحاديث التفسير النبوي الصريح)**، لخالد بن عبد العزيز الباتلي، دار كنوز إشبيليا، الرياض، الطبعة الأولىٰ، ١٤٣٢هـ-٢٠١١م.

١٨- **تهذيب التهذيب**، لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، الطبعة الأولىٰ، ١٣٢٦هـ.

١٩- **تهذيب الكمال في أسماء الرجال،** لأبي الحجاج، يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف القضاعي الكلبي المزي، ت: د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.

٢٠- **تهذيب اللغة،** لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري، ت: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ٢٠٠١م.

٢١- **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنّان،** لعبد الرحمن بن ناصر السعدي، ت: عبد الرحمن بن مُعلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

٢٢- **جامع البيان عن تأويل آي القرآن،** لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، ت: د. عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية، دار هجر، القاهرة، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

٢٣- **الجامع الصحيح المسند المختصر من حديث رسول الله ﷺ وسننه وأيامه،** لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، اعتنىٰ به: عبد السلام بن محمد ابن عمر علوش، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

٢٤- **الجرح والتعديل،** لأبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي، طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن، الهند، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٢٧١ هـ- ١٩٥٢ م.

٢٥- **حاشية الشهاب،** المسماة: عناية القاضي، وكفاية الراضي علىٰ تفسير البيضاوي، لشهاب الدين أحمد بن محمد الخفاجي، دار صادر، بيروت.

٢٦- **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء،** لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٩هـ-١٩٨٨م.

٢٧- **الدر المنثور في التفسير بالمأثور،** لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، طبعة جديدة صححها وخرّج أحاديثها: الشيخ نجدت نجيب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولىٰ.

٢٨- **روح المعاني تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني،** لأبي الثناء محمود بن عبد الله الآلوسي، ت: ماهر حبوش، رضوان مامو، فادي المغربي، وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م.

٢٩- **زاد المعاد في هدي خير العباد،** لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب المعروف بابن قيم الجوزية، مؤسسة الرسالة، بيروت، مكتبة المنار، الكويت، الطبعة السابعة والعشرون، ١٤١٥ هـ-١٩٩٤م.

٣٠- **سنن ابن ماجه،** لأبي عبد الله محمد بن يزيد ابن ماجه، حكم علىٰ أحاديثه آثاره وعلّق عليه: محمد ناصر الدين الألباني، اعتنىٰ به: مشهور بن حسن آل سلمان، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولىٰ.

٣١- **سنن أبي داود،** لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، حكم علىٰ أحاديثه وآثاره وعلّق عليه: محمد ناصر الدين الألباني، اعتنىٰ به: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الثانية.

٣٢- **سنن الترمذي،** وهو الجامع المختصر من السنن عن رسول الله ﷺ، ومعرفة الصحيح والمعلول وما عليه العمل، لأبي عيسىٰ محمد بن عيسىٰ بن سورة الترمذي، حكم علىٰ أحاديثه وآثاره وعلّق عليه: محمد ناصر الدين الألباني، اعتنىٰ به: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولىٰ.

٣٣- **السنن الكبرىٰ،** لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، ت: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

٣٤- **الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية)،** لإسماعيل بن حمّاد الجوهري، ت: أحمد عبد الغفور عطّار، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٩٩٠م.

٣٥- **صحيح مسلم (المسند الصحيح المختصر بنقل العدل إلىٰ العدل عن رسول الله ﷺ)،** لأبي الحسين مسلم ابن الحجاج النيسابوري، ت: محمد فؤاد

عبدالباقي، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٢هـ-١٩٩١م.

٣٦- **الضعفاء الكبير،** لأبي جعفر محمد بن عمرو العقيلي المكي، ت: د. عبد المعطي أمين قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

٣٧- **العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير،** لمحمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، ت: خالد السبت، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، الطبعة الثالثة، ١٤٣٣هـ.

٣٨- **العين،** لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، ت: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

٣٩- **غريب الحديث،** لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، ت: د. عبد المعطي القلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

٤٠- **فتح الباري شرح صحيح البخاري،** وفي مقدمته: هدي الساري، لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار الفكر، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قرأ أصله تحقيقـًا وتعليقـًا، وأشرف علىٰ مقابلة نسخه المطبوعة والمخطوطة: عبد العزيز بن باز، دار الفكر.

٤١- **في ظلال القرآن،** لسيد قطب الشاذلي، دار الشروق، بيروت، الطبعة الثامنة، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

٤٢- **الكامل في ضعفاء الرجال،** لأبي أحمد عبد الله بن عدي الجرجاني، ت: عادل أحمد عبد الموجود-علي محمد معوض شارك في تحقيقه: عبد الفتاح أبو سنة، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

٤٣- **الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار،** لأبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي، تقديم وضبط: كمال يوسف الحوت، دار التاج، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.

٤٤- **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل،** لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، ت: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوّض، شارك في تحقيقه: أ.د. فتحي عبد الرحمن أحمد حجازي، مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٨-١٩٩٨م.

٤٥- **الكشف والبيان،** لأبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، ت: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.

٤٦- **لسان العرب،** لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي، دار صادر، بيروت.

٤٧- **المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين،** لأبي حاتم محمد بن حبان بن أحمد بن حبان البُستي، ت: محمود إبراهيم زايد، دار المعرفة، بيروت، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.

٤٨- **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد،** لأبي الحسن علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، ت: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤م.

٤٩- **محاسن التأويل،** لمحمد جمال الدين القاسمي، ت: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

٥٠- **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز،** لأبي محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي، ت: الرحالة الفاروق، السيد عبد العال السيد إبراهيم، عبد الله ابن إبراهيم الأنصار، محمد الشافعي الصادقي العناني، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الدوحة، الطبعة الثانية، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.

٥١- **المراسيل،** لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، ت: د. عبد الله بن مساعد الزهراني، دار الصميعي، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

٥٢- **المستدرك علىٰ الصحيحين**، لأبي عبد الله الحاكم النيسابوري، وبذيله: التلخيص للذهبي، إشراف: د. يوسف المرعشلي، دار المعرفة، بيروت.
٥٣- **مسند أبي يعلىٰ الموصلي**، لأحمد بن علي بن المثنىٰ التميمي، ت: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، دمشق، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.
٥٤- **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، الموسوعة الحديثية، أشرف علىٰ إصدار هذه الموسوعة: د. عبد الله التركي، أشرف علىٰ تحقيقها وتخريج نصوصها والتعليق عليها: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولىٰ.
٥٥- **المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية**، لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ت: مجموعة من الباحثين من جامعة الإمام محمد بن سعود، تنسيق: د. سعد بن ناصر بن عبد العزيز الشثري، دار العاصمة، دار الغيث، الرياض، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.
٥٦- **معاني القرآن وإعرابه**، لأبي إسحاق الزجاج، ت: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
٥٧- **المعجم الأوسط**، لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، ت: طارق بن عوض الله بن محمد-عبد المحسن الحسيني، دار الحرمين، القاهرة، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.
٥٨- **معجم التعريفات**، لعلي بن محمد السيد الشريف الجرجاني، ت:محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة.
٥٩- **مقالات في علوم القرآن وأصول التفسير**، د. مساعد بن سليمان الطيّار، مركز تفسير للدراسات القرآنية، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٣٦هـ-٢٠١٥م.
٦٠- **مقاييس اللغة**، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، ت: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

٦١- **مقدمة جامع التفاسير**، لأبي القاسم حسين بن محمد، المعروف بالراغب الأصفهاني، ت: أ.د. أحمد حسن فرحات، دار الدعوة، الكويت، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٥هـ-١٩٨٤م.

٦٢- **مناهل العرفان في علوم القرآن**، لمحمد عبد العظيم الزرقاني، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٨م-١٤٢٩هـ.

٦٣- **منهج القاسمي في تفسيره محاسن التأويل (دراسة تحليلية ونقدية)**، لعبد الرحمن يوسف الجمل، مجلة الجامعة الإسلامية، المجلد الحادي عشر، العدد الأول.

٦٤- **الموافقات**، لأبي إسحاق إبراهيم بن موسىٰ اللخمي الشاطبي، ت: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

٦٥- **النهاية في غريب الحديث والأثر**، لأبي السعادات المبارك بن محمد ابن الأثير الجزري، ت: طاهر أحمد الزاوي-محمود محمد الطناجي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

المراجع الالكترونية:

-ملتقىٰ أهل التفسير.

https://vb.tafsir.net/tafsir36/#.WgX5n2iCzIU




ملخصات البحوث
باللغة الإنجليزية

Prophetic exegesis in the exegeses written in the modern age (Al-Qasemy and Ibn `Ashour as a model)

Nura the daughter of Khaled bin Ibrahim Al-Ogrof

Abstract

In The Name of Allah, the Most Gracious, the Most Merciful.

All praise is due to Allah, Lord of the worlds, and may Allah's peace and blessings be upon Prophet Mohammed, his companions, and followers.

Title of the Research: The Prophetic interpretation viewed by Interpreters in the contemporary age (Alqasimy and Ibn Ashoor as models).

This study highlights the Interpreters' opinions relating to the Prophetic interpretation.

Furthermore, this study concentrates on ten books of interpretations In the fourteenth and fifteenth centuries of the hijri calendar.

The study includes three chapters:

First chapter: it deals with the reasoning of the Interpreters by clearing the numbers of the (prophetic interpretation), the type and the dgree of weakness and the strengthens.

Second chapter: it discusses Alqasimy's reasoning methods of the prophetic interpretation.

Third chapter: it presents Ibn Ashoor's reasoning methods of the Prophetic interpretation.

❊ ❊ ❊

Nadhm al-Gawaher (threading the jewels) in exegesis by Abdul Aziz bin Abdul Wahed Al-Meknasy (d. 964 H)- study and examination

Dr. Mamdouh bin Turkey bin Muhammad Al-Qahtany.

Abstract

Research Title:

Jewels Poetizing in Exegesis.

Poitier (composer) : Abdulaziz Bin Abdulwahid Al-Meknasi Al-Maghribi

Research Subject:

An investigational study of a poem in Quran Sciences composed by Abdulaziz Bin Abdulwahid Al-Maghribi Al-Meknasi Al-Madani.

The poem was composed in 174 verses of "Al-Taweel Measure". The composer nicely divided the poem into six chapters with each chapter subdivided into sections and finally he came up with a conclusion in which he mentioned four types of Quran sciences.

I made my research into two main parts and a conclusion. The first part is the study part in which I introduced the writer while the second part is the investigated and verified text. In my verification, I relied on three written copies. I made full review with full punctuation of the text and footnotes as needed. Finally I came up with a conclusion.

Most Significant Results:

Introducing that scholar, Abdulaziz Al-Meknasi, as well as his poem which so far remained almost unknown and bring it out in a verified and punctuated form.

Recommendations:

Bring out the rest of Abdulaziz Al-Meknasi books together with annotations and explanations that would highlight its contents and unveil its issues.

Researcher:

Prof. Mamdouh Turki n Mohammed Al-Qahtani

Professor of Exegesis and Studies of the Holy Quran

Shaqra University

Key words:

Nathm (Compose), Al-Jawaher (Jewels), Tafseer (Exegesis), Al-Meknasi, Neqayat Al-Oloum (Purity of Sciences), Al-Neqaya (Purity).

❊ ❊ ❊

Consensus in the exegesis by Imam AS-Sam`any

Dr. Omar bin Abdul Aziz bin Abdul Mohsen Ad-Duheshy.

Abstract

In his interpretation of the Holy Qur'an, Al-Imam As-Sama'ani has stated some of interpretative consensuses on some meanings of the Qur'anic verses. Because of the importance of consensus in the inference, I desire to gather these interpretative consensuses. This study also addresses the relating reasons for stating these consensuses, exhibit the value and status of them. The study concluded with the following points:

1. the author's indulgence in the mention of consensus.
2. Appropriately, As-Samaani has benefited from the interpretation of Al-Imam Wahidi in his three interpretations.

Al-Imam Al-Baghaway has benefited from the interpretation of Al-Sam'ani not vice versa.

❊ ❊ ❊

Speech of inducement in the Holy Qur`an (objective study)

Dr. Omar Abdul Aziz Muhammad Bouriny

Abstract

Praise be to Allah, Lord of the Worlds, and prayers and peace be upon our Prophet Muhammad, and on his family and companions،

This is a summary of a research entitled "incentive discourse in the Holy Quran" divided into three sections. I dealt with the first topic: the concept of the incentive discourse in the Quran and its names and importance. The second topic: I made him talk about his methods. The third topic: came to show the purposes of the demonstration of incentive discourse.

The purpose of this study is to achieve a number of objectives, the most important of which are: To demonstrate the concept of incentive discourse, its importance and methods, and to show images of Quranic miracles through the statement of the purposes of the discourse of graphing.

The study is based on the analytical inductive method, through the followings of the verses that included the speech of exhortation, and studied from the books of interpretation and the sciences of the Quran, to develop the methods of rhetoric and its purposes.

The study concluded with a series of results, the most prominent of which are the following: The concept of the incentive discourse in the Quran, which means "the words of God in the Holy Quran directed to the taxpayers on the request side in specific ways to move their souls and urge them to respond to him." Including: that the incentive discourse in the Holy Quran came in many ways, to achieve the purposes of graphic variety, determined by the context and style of this speech.

The study also came out with a number of recommendations, the most important of which is: the need to take care of the Qur'anic discourse in general, because of its varied methods and graphic purposes. As well as the need to take care of the the incentive discourse in the Holy Quran, and studied a comparative study between grammarians, linguists, interpreters and researchers in the sciences of the Koran, where this speech did not take enough of the study and research.

❊ ❊ ❊

Comments on the famous categories within mandhumat al-Muqadiman (introduction system)

Dr. Shady bin Ahmed bin Tawfiq Al-Mulhem

Abstract

The aim of this research is to collect and study the tracking mentioned by Abdul-Da'm Al-Azhari in his explanation: "Al-Trazat Al-Mualamah" book on the introduction Poem (Al-jazariyyah), which reached twenty-four tracking's – without refined- divided into two subjects; the first one studied scientific (Tjaweed) tracking's that related to the subject of this poem, and the second studied the other tracking's which varied between language, poetry, or aesthetically.

This research aims to highlight the value and importance of the introduction poem: (Al-jazariyyah), which considered the most famous and important poem in its subject, Moreover, its explanations exceeded the eighty explanation. Although of the integrity and the fame and the of this poem and its author, scientists have been aware and tacking it.

The researcher used the inductive and analytical method, where extrapolated Al-Azhari tracking's in "Al-Tirazat Al-Muallamah" book, and then analyzed and review them, and clarification their accuracy and correctness.

The researcher pointed out that most of Al-Azhari trackings in the "Al-tirazat al-Mualamah" book are accurate, which are important criticism on the introduction poem: (Al-jazariyyah), and some of them are misplaced, and what the author said is more correct. Moreover, Al-Azhari presented all of his tracking's in a scientific manner that is appropriate to the ethics of scientists. Finally, Anyone regardless how much of his depth in science, human remains an exhibition of error and forgetfulness.

Keywords: introduction poem (Al-jazariyyah), Tacking, "Al-Trazat Al-Mualamah"book.

❊ ❊ ❊

Subtitles of Surah Al-Ikhlas by Akmal Ad-Deen, Muhammad bin Mahmud Ahmad Al-Babarty Al-Hnanfy, dies in 786 H-(Study and examination)

Dr. Abdu Al-Ilah bin Saleh Al-Mudaimegh

Abstract

This study deals with the study and realization of a short message by the author Muhammad ibn Mahmud al-Babrati al-Hanafi (786 AH), which he arranged on an introduction, two statements and a conclusion. The work dealt with matters related to surah al-ekhlas. He mentioned some of its virtues, its names and reasons for its descent and meanings.

In this study I took the methodology considered in the study and investigation of the manuscripts, so I studied the life of the author, achieved the ratio of the book to him, described the written copies, and then explained the text, and then I have shown the correct Hadith and the weak Hadith, and attributed the words to their owners, and I translated to scholars of religions mentioned in the research, I commented on what I thought needed a comment, and concluded with a conclusion that showed the most important results of the research

❊ ❊ ❊

Character of Elijah (peace be upon him) and his approach in call to Allah within the Holy Qur`an

Dr. Hussien bin Ali bin Omar Az-Zumy

Abstract

This research deals with the personality of Elias peace be upon him and his method in the dawa'h through the Holy Quran. The problem of the research lays in trying to show the facts about the personality of Elias peace be upon him and devise his method of dawa'h through the Qura'nic verses mentioned in his story and aims to study these verses ،analyze them and derive from them illuminated by the sayings of the interpreters ,in contribution to present this Holy Prophet and to highlight his role, to be an inspiration to the children of the Muhammadian nation, depending on the analytical descriptive method that describes the articles of scholars discuss and categorize them , and then describes the verses , analyze them , study them and devise the correct meanings in the personality of Elias peace be upon him and his dawa'h , It was one of the most important results: That Elias peace be upon him was not of the sons of Israel, nor his people were ; all of them were descendants of Canaanite Phoenicians living in and around Baalbek. And that (the Old Testament) did not mention the proportions of Elias, and did not know the origin, and what was reported by Waheb bin Monbeh was extremely weak and rejected. And that the reason for mentioning the name of the idol explicitly (Baal) was the fascination by many people on the temporal and spatial dimensions, and their belief that he controls the world without God (Allah) ,independently not as a follower. The dawa'h of Elias peace be upon him was characterized by the steadfastness of the approach and the variety of methods that attract the people. The verses also mentioned high denominations and characteristics for the peace be upon him and his followers, and resulted in great rewards.

❊ ❊ ❊

Verses of generosity in the light of the Holy Qur`an (presentation and study)

Dr. Muhammad bin Ahmed bin Al-Hawash

Abstract

The virtue of generosity is one of the most important virtues that Allah praises in his Holy Book. He describes his glorious Qur'an as "Holy " (Kareem) and made it a law among the believers and urged them to spend in all ways and means. Because spending is hard on the soul, as it is the nature of human to love and collect money, so spending is against that. The Prophet (peace and blessings of Allah be upon him) used to treat this matter in a manner that removes the miserliness and greediness.

The research is divided into a preface, introduction, four sections, a conclusion, and indexes containing the most important references and sources. I have concluded the research with a number of results. The most important ones are:

1- The virtue of generosity is one of the most important virtues that Allah praised in the Qur'an, and He is described as generous.

2- This word and its derivatives in the Holy Quran are mentioned forty-seven times.

3- Generosity in the Holy Qur'an has many indications.

4- For those who are honoured, whether they are angels or believers, there is special statue for them bestowed by Allah.

5- There are acts that reach the level of the honoured ones.

6- Generosity has impacts on individual and society.

The conclusion of the research recommends:

1- Incorporating the noble ethics and virtues in the teaching curricula of the schools, especially that of generosity for the generations to be brought up on them.

2- Media has to adopt advocacy programs instilling generosity to social behaviour and highlight the psychological and religious benefits of it.



Research abstracts in English

Introduction of edition (33)

In the name of Allah the most Gracious and most Graceful

All praise is due to Allah who had sent down the Book (Holy Qur`an) to his slave and has not placed therein any crookedness. Peace and blessings of Allah be upon the one who had been sent by Allah for illustrating to people the matters at which they differed, and who was sent as a bearer of glad tiding and a warner by a permission from Allah with a shining lamp. Peace and blessings being conferred to his family, companions and those who follow him in righteousness until the Day of Judgment.

The book of Allah is the strong rope, straight path, the infinite spring and albumin fresh well for anyone looking for what is right. Those who adhere to that book, they will be in happiness and those who keep away from it, they will be in full misleading and sadness.

Still the researchers' pens and minds giving all new and useful matters regarding that book (Holy Qur`an). It is not vanished by much speaking about it and no end to its wonders.

This is the issue No (33) from Tibian magazine we place between your hands my dear reader, full of researches and studies in all kinds of Qur`anic studies.

Much sciences of the Holy Qur`an and its exegesis are still ample field for researchers to write about, quote examples from, mention their applications and conclude issues about which authentic scholars spoke. Proving the authenticity of sciences may be by text or the conclusions taken from the methodologies of the imams in that field. If the nation stands truthfully in that kind of knowledge, there is still ample field and wide scientific world accommodating much and waiting more and more.

May Allah bless the efforts, guide taken endeavors and reform intentions He the Almighty is All-Hearing and All- Responding.

Peace and blessings of Allah be upon our Prophet Muhammad, his family and all of his companions.

Editorial Board Head
Prof.Dr.Mohamed Bin Sarea’ Bin Abdullah Al Sarea’

Second: If the Reference is Stat ed Again
The title of the book in bold followed by a comma, family name followed by a comma, and then the page followed by a full stop.

Example:
Al Sehah Tajul Lugha & Sehah of Arabic Language, Al Jawhari, 2/46.

- **Referencing Prophetic Hadeeth**: follow the same steps above, and add Hadeeth number and its judgment.
- Referencing a research in a journal: In addition to the above, research title shall be added after the journal's name in bold and then issue number.

All correspondence and subscription requests to be addressed to

The editor-in-chief of the Editorial Board

Kingdom of Saudi Arabia – Riyadh
B. O. Box: 5701 Riyadh: 11432
Phone: 2582705, Fax: 2582695
E-mail:
quranmag@gmail.com
Facebook: www.facebook.com/Quranmag
Twitter: https: //twitter.com/quranmag1
Association Address:
B. O. Box: 5701 – Riyadh – 11432, Phone: 2582695 – 0546667141
Association website:
www.alquran.org.sa

❊ ❊ ❊

Technical Specifications of the Research:

- The font (Traditional Arabic) is used for Arabic language typing with size of (18) white for content and bold for titles, and the size (14) White for footnotes and summary.
- The font (Times New Roman) is used for English language typing with size of (11) white for content and bold for titles, and the size (10) White for footnotes and summary.
- Number of research pages is (50) pages (A4).
- Leave an indent at the beginning of each paragraph of no more than 1 cm.
- The space between lines is single.
- Margins of the page up, down and left are 2.5cm and from the right are 3.5cm.
- Quranic verses are written in accordance with the E-Qur'an Book at King Fahd Complex for Printing the Holy Quran with the size of 14 plain-colored (non-bold).

Method of Referencing

Referencing Verses:

- Verses in the text are referenced directly following the Quranic text mentioning the Sura followed by a colon and then verse number within two brackets as follows: [Al-Baqarah: 255].

Referencing texts:

- The text to be referenced to be annexed within the content with a small upper number after the punctuation mark.
- Lower footnotes shall be then written down the page with separate numbering for each page and they shall be automatically adjusted the and not manually.

First, when a source is mentioned for the first time, as well as in the reference list at the end of the search.

The **title of the book in bold** followed by a comma, family name followed by a comma, first and second name, date of death of the author in brackets followed by a comma, publisher followed by a comma, place of publication followed by a comma, Edition number followed by a comma, date of publication followed by a comma and then part of the page followed by a full stop.

Example:

Al Sehah, Al Jawhari, Ismail Bin Hammad (1205 H), investigated by Ahmed Abdul-Ghafoor Atta, Dar Al Ilm Lil Malayeen, Beirut, Second Edition, 1404, 1984, 2/46.

- The arbitration decision depends on average marks by arbitrators including the following possibilities:
  - In case the research exceeds the degree of 90%, it is considered accepted to be published on its condition.
  - If it gets 60% to 89%, it needs amendment.
  - If it gets less than 60%, it shall be refused.

- In case of the need to re-edit the search with the amendments required from the researcher, in turn, he makes the amendment and if he confirms his view he shall respond the arbitrator's remark with illustration and confirmation of this view.
- After the research being re-edited, the researcher returns the research to the arbitrator for the final decision. The decision includes one of two possibilities:
  - Accepted for publication in the event of receiving a 90% and above.
  - Refused in the event of receiving a 90% or below.

Publishing Conditions:

- In case of accepting the research for publication, all copyright shall be assigned to the journal, and may not be published in any other publisher in paper copy or electronically without written permission of the Chief Editor of the journal. The journal has the right to publish the research on the Association's site and other sites of electronic publishing.
- The research shall be published electronically in the journal's website and in the same journal according to publishing a priority depending on the search's date of acceptance and considerations determined by the editorial staff, such as research variability into a single issue.
- In case of the research's acceptance for publication, the researcher sends acceptance of publishing, and when refused he will receive an apology for publishing.
- It is required to pay costs of evaluation in the following cases:
  - If sincerity of the acknowledgement is not proven.
  - If researcher violated the undertaking.
  - If the researcher withdraws his research after the evaluation.
  - If the researcher does not abide to deliver the research in its final form according to the approved terms of publishing in the journal.
- The researcher, when approving his research for publication, is committed to submit it in final form as referred to in the approved technical specifications.

- Submitting a file of translating the abstract, title of the study, researcher's name, title and keywords into English language. The translated abstract should be approved by a specialized translation office.

Arbitration Proceedings:

- The Editorial Board considers the extent to which the search achieves terms of publishing if it is identical to the terms of the Arbitration.

Evaluation Criteria	Full Mark	Actual Mark	Weaknesses
Scientific value of the subject	25		
Significance and scientific addition of the subject	25		
Correct research methodology	25		
Researcher's character and good treatment of the subject	25		
Total	100		

- The result is taken by average marks of the Editorial Board members.
- The research passes initial acceptance to be presented to arbitrators if it exceeds 60%.
- Research is governed by a minimum of two arbitrators with an academic title that equals or higher than the researcher's.
- Research is governed according to the following criteria:

Evaluation Criteria	Full Mark	Actual Mark	Weaknesses
Title: Quality of formation, matching title with content	5		
Research Annexes: an abstract, introduction, conclusion, recommendations, references and basic elements of each of them.	5		
Review of Literature: complete, clear relation in the study and academic addition.	5		
Language: grammar, dictation and printing	5		
Methodology: Clearness, correctness, compliance, plan accuracy and correct distribution.	10		
Style: explanation, concise, connectedness and clearness	20		
Scientific Content: matching title and objectives, scientific integrity, strength, clear and valuable scientific addition.	15		
References: originality, modernity, variability, comprehensiveness	5		
Findings: based on the subject, comprehensiveness and accuracy	5		
Recommendations: Based on the subject	5		
TOTAL	**100**		

Conditions & Procedures of Publishing In"Tibian"Journal for Quranic Studies

Scientific and Methodological Properties:

- Scientific honesty.
- Originality and innovation.
- Correct tendency.
- Correct research methodology.
- Considering basics of scientific research in quoting and referencing, correct language, dictation and printing.
- Writing an introduction that contains: (subject of the study, study problem, limitations, objectives, methodology, procedures, research plan, previous studies - if any - scientific and additions by the researcher).
- Dividing the study into chapters, sections and parts according to nature of the study, its subject and content.
- Writing a conclusion with a comprehensive summary that includes the most significant (Results) and (recommendations).
- Writing a list of references of the study, according to the technical specifications referred to later.

Terms of delivering the study:

- The study should not have been published.
- The study should not be taken from a research or a thesis given a scientific degree to the researcher. If this is the case, the researcher must refer to the matter, and it should have been already published, for the editorial board to consider the extent of scientific benefit from its publication.
- **Number of pages should not be more than 50 pages with – complete with annexes – after adherence to technical specifications for printing the research in terms of font type, size, spacing, and margins.**
- The search should be submitted to the website of the journal in an electronic version (Microsoft Word) and another copy with the format (PDF) without researcher's data.

Research Attachments upon Delivery:

- Submitting a file including search title and biography.
- Submitting a file including an abstract of the study not more than (200) words including the following elements: (study title, researcher's name and academic title, subject of the study, objectives, methodology, the most significant findings and the most significant recommendations) with keywords that accurately reflect the subject of the study and issues addressed so as not to exceed (6) words.

Tebian Journal for Quranic Studies

Contents

❊ ❊ ❊




KINGDOM OF SAUDI ARABIA
Ministry Of Education
Al-imam Muhammad Ibn Saud
Islamic University
Saudi Academic Association
The Holy Qur'an and Its sciences



TBEIAN

FOR QUR'ANIC STUDIES

Refereed Scholarly Journal



33

TBEIAN FOR QUR'ANIC STUDIES

Issue 33 - JUMDA'1 1440 AH/ JANUARY 2019

Contents